





کتابخانه  
فرماندهی و ستاد  
تاریخ  
موزه  
۶۱۶۱۲



# المعالي

شهرية متخصصة تعنى بالدراسات والبحوث القرآنية  
تصدر عن المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية

المشرف العام : الشيخ حسين أحمد شحادة

المدير المسؤول : الدكتور حسن عاصي

ادارة التحرير : الشيخ عباس أحمد شحادة

شبكة كتب الشيعة





# المعارف

- المعارف - المجلد الثامن الأعداد ٣٦-٣٨

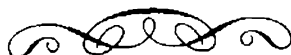
الآراء الواردة في المجلة تعبر

عن آراء أصحابها فقط ولا تعبر بالضرورة

عن رأي المجلة كما أن ترتيب المواضيع والأبحاث يخضع لضرورات فنية

لا علاقة لها بمكانة الكاتب - يحق لهيئة التحرير ملاحظة وصياغة المقالات

عند الحاجة



المجلة ترحب بالأعمال الإبداعية المعاصرة ذات الصلة

بالقرآن الكريم والإدارة ليست ملزمة برد المقالات إذا

لم تنشر كما ترحب بمناقشة المواضيع والآراء وإثرائها

---

المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية

تلفون : ٧٢٠٦١٥ فاكس : ٧٧٢١٧١٢ بيروت : ص.ب : ٧٨٢٨ / ١١ بيروت

## الفهرس

- الامام السيد محمد حسين فضل الله
- ٩ ..... و مشكلات الفكر الاسلامي المعاصر
- الهدف هو القرآن ..... ١٧
- موجع الحضارة الانسانية بين صفتين ..... ٢٠
- ٢١ ..... [ حداة الغرب و وعي الاصاله
- ٢٣ ..... [ الاسلام و الغرب .. تنايد الحضارات
- ٢٧ ..... [ صدام الحضارات
- ٢٨ ..... [ التميز في نادي الحضارات
- ٣٤ ..... [ النظام العالمي و تحديات الوحدة الحضارية
- ٣٦ ..... [ وهم النظام العالمي
- ٣٧ ..... [ استساخ الحضارة الاسلامية
- قلق التواصل بين الفكر و الواقع ..... ٣٨
- ٣٩ ..... [ بين الشريعة و القانون الوضعي
- ٤٠ ..... [ مفهوم الدين و مفهوم القانون
- ٤١ ..... [ لغة العلم و لغة الدين
- ٤٢ ..... [ تجديد الفكر الديني
- ٤٤ ..... [ الفكر الاسلامي بين نزعة التجريد و متطلبات الواقع
- ٤٦ ..... [ فكر النظرية و فكر الحقيقة
- ٤٧ ..... [ الفرقة الناجية و قلق المعرفة و الإلحاد
- ٤٩ ..... [ الثابت و المتغير من الأحكام



- ٥١ ..... أسلمة العلوم □  
٥٣ ..... الاسلام و الفن □

- ٥٥ ..... \* الانسان المؤمن بين الصغوب الوافء و غربة الذات  
٥٦ ..... □ خصائص المجمع القرآنى  
٥٩ ..... □ الصائز بين الاسلام و أبنائه  
٦٠ ..... □ قلق المصغفن  
٦١ ..... □ المصنف الرسالى و مهنة المصنف  
٦٣ ..... □ غربة الانسان المؤمن فى بيئة غريبة

- ٧٥ ..... \* نقد الفكر الدينى و العلمانى  
٧٦ ..... □ الحرية الدينية و فلسفة الجءل  
٨٣ ..... □ الحرية المسؤولة  
٨٥ ..... □ مءءديات الجءل و الصراع  
٨٨ ..... □ رؤىة منهجية للاءلاف  
٩٢ ..... □ أءونىس و النص الفقهى  
٩٩ ..... □ مءمء أراكون : الءءاةة و نقد المسلماء  
١٠١ ..... □ برهان غلىون و نصر ءامء أبو زىء  
١٠٣ ..... □ نقد الفكر الدينى و العلمانى  
١٠٥ ..... □ الاقلىاء

- ١٠٦ ..... \* أصولىاء الدين و أصولىاء العلمنة

|     |  |
|-----|--|
| ١٠٧ | عصر الاصوليات                                      |
| ١١٤ | الاسلام و نهاية الابدولوجيات                       |
| ١١٥ | الكهنوت الاسلامي                                   |
| ١١٨ | الديمقراطية و وعي المصطلحات الاسلامية              |
| ١٢١ | الديمقراطية و الدين                                |
| ١٢٣ | الديمقراطية ليست محايدة                            |
| ١٢٦ | الاسلام و التعددية السياسية                        |
| ١٢٨ | الخيار الثالث و اسئلة الصحوة                       |
| ١٢٩ | مناشء الصحوة الاسلامية                             |
| ١٣٠ | شروط الصحوة  |
| ١٣٦ | عقابيل في طريق الصحوة                              |
| ١٣٨ | الخيار الثالث للنهضة                               |
| ١٤٣ | من مشكلات الخطاب الاسلامي                          |
| ١٤٤ | أزمة المثالية و الخيال في الخطاب الاسلامي          |
| ١٤٧ | أولويات الخطاب الاسلامي                            |
| ١٤٩ | المرحلية و هواجس التغيير                           |
| ١٥١ | الانسان المسلم و مشكلة الفراغ العقائدي             |
| ١٦٣ | الممانعة بالعقيدة و الموقف من ذهنية الوجدان الشعبي |
| ١٧٥ | صيرورة الفكر و اغلاق الملف التاريخي                |
| ١٧٦ | القطع مع التاريخ                                   |
| ١٧٨ | اغلاق الملف التاريخي                               |
| ١٨١ | نحو منهج نقدي للتراث                               |
| ١٨٦ | الخطاب الاسلامي و محاكاة الخلافة الاولى            |
| ١٨٨ | المسيرة النبوية اشكالية النص و منهج الدراسة        |

|     |   |
|-----|---|
| ٢٠٤ | المساحة المشتركة لقاعدة الحوار                |
| ٢٠٥ | الذابت و المشوك في حوار الاديان               |
| ٢٠٧ | الآمال المعقودة على الحوار الاسلامي - المسيحي |
| ٢٠٩ | مشكلات الحوار                                 |
| ٢٣٤ | الامانة العلمية و الفكر الآخر                 |



|     |   |
|-----|---|
| ٢٤٣ | الوحدة الاسلامية الاشكالية و المنهج       |
| ٢٤٤ | مرجعة البيت الاسلامي                      |
| ٢٤٦ | التقريب الموضوعي بين المذاهب              |
| ٢٤٨ | القواسم المشتركة لأمة واحدة               |
| ٢٥٠ | المسلمون قلق الداخل و تحديات الخارج       |
| ٢٥٢ | العروبة اطار يبحث عن صورة                 |
| ٢٥٤ | الاسلام لا يعادي العروبة                  |
| ٢٥٥ | قمة طهران - التضامن العربي - الاسلامي     |
| ٢٥٧ | الفقهاء و شرعة الاعراف بالوجود الاسرائيلي |



|     |                              |
|-----|------------------------------|
| ٢٥٩ | قضايا المرأة و مشكلات التمية |
| ٢٦٠ | قضايا المرأة                 |
| ٢٦٦ | حضور المرأة                  |
| ٢٦٨ | مؤقر السكان و التمية         |



|     |                         |
|-----|-------------------------|
| ٢٨٢ | يتحدثون عنك فماذا تقول؟ |
| ٢٨٣ | الرأي المخالف           |

الكلمة الاخيرة ..... ٢٨٩



- المشرف العام و الشيخ الحاقاني في حوارات قرآنية ..... ٣٠١
- الحاقاني و تفسير النبض القراني ..... ٣٠٢
- القرآن و مناهج التفسير ..... ٣٠٧
- الأسس المعيارية للتفسير و توظيف الزاكن ..... ٣١٢
- القرآن و مناهج التفسير ..... ٣٠٧
- الأسس المعيارية للتفسير و توظيف الزاكن ..... ٣١٢
- العلمانية و نقد النص القرآني ..... ٣١٧
- الجانز و المتنوع في اختلافات المفسرين ..... ٣١٩
- القصص القرآني و حلقات الوصل في التشريع ..... ٣٣٨
- الخطاب الاسلامي بين العهد المكّي و العهد المدني ..... ٣٥٦
- التفاسير و مستقبل الثقافة القرآنية ..... ٣٦٧
- فقه الضرورة و الاولويات ..... ٣٦٩
- القرآن و نظرية الاستخلاف الرباني على الأرض ..... ٣٧٢
- اتفاق الحلبية و مفهوم الانتصار في الصلح ..... ٣٧٩
- منطلقات الحوار بين الاديان ..... ٣٨٣
- المنهج القرآني في نقد التراث ..... ٣٨٨
- القرآن و تجاذبات الخصومة بين العقل و النقل ..... ٤٠٤
- الاسلام القرآني و الاصول الابراهيمية ..... ٤٠٨
- عالمية القرآن و تحديات الاختلاف بين الامم ..... ٤١٣
- القرآن و الانسان و مؤثرات البيئة ..... ٤١٥
- القرآن الكريم و الوسايا العشرة ..... ٤٢١

- ❖ واحة العدد..... ٤٢٧
- ❑ شبهات حول القرآن.....القاضي حيدر سعيد العربي ٤٢٨
- ❑ احكام الصلاة على محمد و آل محمد .....السيد حسين طالب .. ٤٥٢
- ❑ الوحدة و التعددية في القرآن .....الاستاذ زكي الميلاد ..... ٤٥٨
- ❑ رسالة الى الدكتور اسعد علي ..الدكتور كبير هلمنسكي.....٤٧٢

- ❖ ملف الابداع ..... ٤٧٩
- ❑ كي لا تسقط الذاكرة .....السيد محمد حسين فضل الله ..... ٤٨٠
- ❑ الجواهري و نبوءة الشعر ....الاستاذ علي ابراهيم الحسين..... ٤٨٥
- ❑ زينب الكبرى .....الاستاذ ابراهيم جواد..... ٤٨٧
- ❑ عرس الفداء .....الدكتور الشيخ احمد الوائلي..... ٤٨٩
- ❑ من ذكريات الولي الطاهر .....الشيخ حسين احمد شحادة.....٤٩٢

## الإمام السيد محمد حسين فضل الله و مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر

الشيخ حسين أحمد شحادة

من الواضح أن مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر تختلف في العمق اختلافاً كبيراً بين نمطين من المشكلات .

الأولى: مشاكل الصحوة الإسلامية المهمة بتحديات التحرر سياسياً وثقافياً واقتصادياً من هيمنة الغرب المستعمر .

الثانية : مشاكل جمود الفكر المهموم بتحسين التراث الإسلامي والانغلاق عليه ..

وفي كلتا الحالتين - الصحوة - و الجمود كان من الممكن التقاطع بينهما في نقطة - الحوار مع الذات - في ضوء الاتفاق على إجابة حاسمة تبلور مفهوم الأصالة و المعاصرة من فكرنا الإسلامي يدل أن تنصارع بعيداً بعيداً عن هدف استعادة الذات و الهوية في نزاعات دامية جعلت من مشكلات الفكر الإسلامي مرآة عاكسة لمكامن الضعف و الخلل في أمة ربطها القرآن الكريم برباط الثقافة و التلاحق لتشهد على الناس في مصهر التعارف بكلمة التوحيد فلا يغيب القصد النبيل من بناء شخصيتها الثقافية كمثل يحتذى عالمياً فسي و على هذا الوعي من تجليات الشعور بالمسؤولية الرسالية انطلق سماحسنة السيد محمد حسين فضل الله من - النجف الأشرف - قبل



أربعين عاماً وبالتحديد من مواقع الفكر الإسلامي و مشكلاته في مصادره التأسيسية و مناهجه التعليمية ليوحه إهتمام النخبة من المتخصصين نحو مشكلة المصير و المستقبل المغيب بفعل استنزاف العقل في مشكلات موهومة لا تمت بأية صلة إلى أزمات الحاضر الإسلامي و هواجسه.

لذلك عمد سماحته إلى - الربط بين مشكلات الفكر و هموم الواقع - بلغة مركبة و منهجية تستوعب تعقيدات الفكر في متفاوت درجاته و وجوهه المتعددة فكانت باكورة دراساته حول أسلوب الدعوة في القرآن مناهجاً موضوعياً لتحديد طريقة تفكير الإنسان المسلم و مواقفه من الحياة و الكون على قاعدتين تمازجتا فيما بعد في موسوعة تفسيره : من وحي القرآن .

الأولى : تكاملية الثقافة الاسلامية على النحو الذي يحميها من عوامل التشوه و الاسترخاء و الانشطار بحيث تنقسم مع انقسامات المذاهب الفقهية أو تتناقض مع تناقضات النزعات الفلسفية و الكلامية .

الثانية : حيوية الثقافة الاسلامية و خصوصيتها بروح الإبداع و التجديد على النحو الذي يحميها من حالة التكرار و الاجترار التي تجمدت في ثقافة النقل و الشرح و التلخيص في موضوعات لا علاقة لها في تجربة الفكر الإسلامي المعاصر و لا علاقة لها بطبيعة الحياة في مجتمعاتنا الحديثة .

و قد عالج سماحة السيد إيان حياته العلمية استاذاً في جامعة النجف الأشرف معظم المشكلات المتصلة في الجوانب التقليدية من الفكر الإسلامي متحملاً في سبيل ذلك معركة قاسية و صعبة من دعاة المحافظة على القديم الذين حملوا على جماعة العلماء بأنها مجرد حركة علمانية تتوخى تحطيم الاسلام و ممن غرائب الصدف أن هذه التهمة تكررت بنفس العبارات التي انتقد بها المنتقدون أفكار السيد جمال الدين و اصلاحات الشيخ محمد عبده في الأزهر الشريف.

إلا إن السيد صبر على رسالته استمراراً لنهج فقهاء التجديد أمثال الامام الشيخ

محمد حسين كاشف الغطاء و الامام السيد محسن الامين و الامام السيد عبد الحسين شرف الدين و الامام الشيخ محمد المظفر و آخرين من الكبار الكبار و مضى سماعته مع ثلة من فقهاء الاصلاح أمثال الشهيد الصدر و الشيخ مرتضى آل ياسين و الشيخ محمد أمين زين الدين و الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي و آخرين من أعلام تلك المرحلة حتى انتصرت أطروحة التغيير لتفرض حضورها على مناهج الفكر و التعليم فكانت مجلة الاضواء منبراً لآمال التعبير المحفوظ بالأصالة تدعو إلى أن يتحول - النجف - إلى صرح ذي نظام تربوي - تعليمي يواكب الحياة و يرفد مراكز الدعوة و مؤسسات التعليم الاسلامي بكل أصيل من قيم المعرفة القرآنية و توظيفها في خط الهداية للتي هي أقوم بدلاً من أن يظل الفقه مجرد منغلق غريب عن الواقع أو متحف لفتاوى العصور الوسطى.

بيد أن التصدي الظالم من جور السلطة العراقية يومذاك حال دون تلك الانجازات العظيمة فانتهت مؤامرة تهديم الجامعة النجفية باستشهاد رفيق السيد في حركة الاصلاح الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي لم يرضخ لشروط - السلطة - في إبقاء التعليم النجفي تعليمًا هامشيًا تقليدياً لا يكاد يجدي في تكوين شخصية الداعية و تأهيله لمواجهة تحديات المعاصرة و تحديات الغزو الثقافي على أساس من فكر الإسلام القرآني و شريعته .

و في بيروت - الستينات - كان السيد مستغرقاً في مواصلة مشروعه الإصلاحية ليجد نفسه مسؤولاً عن الاسئلة التي أثارها السيد جمال الدين الأفغاني و الشيخ محمد عبده من قبل و كان تراكم التجربة الإسلامية المتنوعة و الفنية خلال قرن كامل لم تضيء مصباحاً واحداً في مجال مشكلات الوعي التطبيقية للإسلام ذلك أن نمو الفكر يتصل اتصالاً وثيقاً بنمو الاساس التربوي لهذا الفكر و بالتالي فإن اتساع الفجوة بين الفكر و التربية سيؤدي إلى ضياع الوحدة الموضوعية للثقافة الاسلامية ثم إلى اخفاق نظامها الاجتماعي ..

و بذلك نجد السيد يمسك بالحلقة المفقودة و يصوغ خطابه الاسلامي من لبنان و منه إلى العالم الاسلامي معتصماً بوسطية القرآن بلغة توازن بين فكر الحكمة و الموعظة الحسنة و حكمة الفكر الرافض لتأثير الأفكار الغربية و محاكاتها محاكاة عمياء ...

من هنا و بصدد البحث عن استراتيجيات الفكر الاسلامي المعاصر في ظل انقسام العقل الاسلامي في الداخل و في ظل أوضاع الافلاس الاخلاقي الذي تشهده الحضارة المعدنية في الخارج بسبب ازالة الطابع الروحي و الإنساني عن هيكلها العام كان السيد يصدنا بالسؤال الصعب: ضمن أي نسبة يتوجب علينا أن نوفق بين بعض المواضيع الجديدة و بعض المواضيع القديمة بحيث يكون الخليط الناتج عن هذه العملية الكيميائية صحيحاً أي يقودنا إلى أسباب التقدم للحصول على المنافع التكنولوجية التي توفرها الحضارة الحديثة دون أن نتجرع السموم التي تهدد خلايا وجودنا الاخلاقي كأمة ذات رسالة تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ من هنا نشك إن اعادة النظر بمصطلح التقدم و التخلف سيلغي مقولة-التخلف عن الركب الحضاري التي شاعت طوال عهود البحث عن عوامل الهزيمة و الانحطاط و الآن كيف نفكر بالمحددات الموضوعية لاصالة الفكر و سيادة الأمة المخضبة تحت تأثير- اقتباس الغرب الحضاري نفسه لشخصيتنا و ثرواتها بأيدولوجيات تبثع مقوماتنا الذاتية و تصدر أحلامنا في الحرية و التنمية و الاقتصاد لنجد انفسنا في حلبة التصادم الفعلي بين الفكر الإسلامي و حضارة الغرب ...

و على وتيرة هذا التصادم الحضاري الذي لا مفر منه بين فكر النبوة و فكر الإلحاد بين ثقافة الحرية و ثقافة الاستبداد قام السيد بظهوره الأوضح في مواجهة هذه التحديات صادعاً بكلمة الله فنهض سماحته بالمسؤولية كلها و بالجهد كله على أساس من معادلة التغيير الثابتة و التي تنتهي إليها معاناة الفكر الإسلامي في آلامه و آماله فقال وإثماً من المرتجى بوعد الله و نبوءات القرآن:

لا يمكن أن يكون هناك حركة تحرر إسلامية حقيقية دون أن يكون هناك حركة ثقافية حقيقية أيضاً لذلك يجب أن يكون التلازم قائماً بين حركة التحرر بمحتواها السياسي في معركة استلاب الأرض و بين حركة التحرر بمحتواها الثقافي في معركة استلاب الهوية و العقيدة بل نعتقد أكثر من ذلك أن تحرير الفكر الإسلامي من التشوه و التطرف و المغالاة و الجمود يجب أن تكون متقدمة على راية المقاومة السياسية لعدوان الاستكبار العالمي البغيض و بذلك فإن الممانعة الثقافية بفكر الإسلام المضىء هي شرط انتصار المقاومة على كل صعيد ..

و من هنا كان حرص السيد على الاحتفاظ بنقاء الصحوة الإسلامية التي بشر بمطالعتها قبل أربعين عاماً كنموذج رائع لتجليات الفكر الإسلامي المعاصر في أبهى صوره الداعية إلى كشوفات الحق و الخير و فضاءات الرحمة الإلهية الواسعة التي تبارك حوارات العقول بمنأى عن مجاهيل التعصب و ظلماته المفتقرة إلى نور الهداية و العلم و بعيداً عن شهوات الظن و اللمز و التكفير و التناذب بالآلقاب .

و في ختام هذه الملاحظات العاجلة عن منهج السيد في معالجته لقضايا الأمة و في طليعتها مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر نقسب كلمته الرائعة عن الحوار بوصفه المحضن الخالد لنمو الفكر و تجديده بوعي الصلة بين العقل و الوحي على عين الله و هدي القرآن حيث يقول :

" لعل من بين المشاكل التي يعانيناها الواقع الاسلامي هو هذه المساحة الواسعة بين النظرية و التطبيق ، فيما يؤمن به الناس من أفكار ، و فيما يتحركون به من مواقف، مما يجعل من الصورة الواقعية للإنسان المسلم ، صورة مشوهة للإسلام في حركته في الواقع .. لأن الناس تأخذ الفكرة - غالباً - من الواقع أكثر مما تأخذ من النصوص الإسلامية في الكتاب و السنة .. و هذا هو الذي اعتبره القرآن في مستوى الخطورة الكبيرة ، فيما هي المسؤولية أمام الله ، من

خلال ما تثيره من غضب الله و ذلك في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

و هي إشارة واضحة إلى مخاطر الازدواجية في شخصية المسلم بين ما هو الفكر و الالتزام في الذهنية الثقافية ، و بين ما هو الموقف و الحركة الذهنية العملية مما لا يجعل من التجربة الفكرية في معاناة العقل ، تجربة حية عملية في حركة الواقع .. فيفقد الاسلام واقعيته .. ليكون حالة مثالية في الفكر .. و انفعالاً بأوضاع الانحراف في العمل .

و لعل مسألة الحوار هي من المسائل المهمة في المنطق الاسلامي كاسلوب ، متحرك عملي في الوصول إلى الحقيقة و في تكوين القناعات .. و في حركة الصراع في القضايا الفكرية و السياسية و الاجتماعية و نحوها لأنه الوسيلة الفضلى التي يعبر فيها الإنسان عن فكره بطريقته الخاصة ، في رفضه أو قبوله بأفكار الآخرين ، في موقع الحرية الرحب الذي يمنح الإنسان الأمن من الاضطهاد في حركة الصراع .. و هو الذي يبلور الأفكار و يصفيها من كل الشوائب ، و يرفع عنها الكثير من الغموض ، و يوضح الكثير من مفرداتها من خلال عملية الأخذ و الرد .

و إذن .. فلا بد لنا من أن نعمل على إيجاد مجتمع الحوار الذي يفتح فيه الاسلام على كل الأفكار المضادة ، و يفتح فيه المجتمع المسلم على المجتمعات الأخرى .. و لا بد من تحصين الحوار بالضوابط التي تمنع من استغلاله لأغراض أخرى ، فإن وجود المشاكل فيه لا يعني الغائه ، بل يعني العمل على دراسة موقع هذه المشاكل في حركته .. لتجتمع لنا فضيلة الحوار و المسؤولية .. و الحرية المنضبطة في نطاق النظام العام للأمة .

إننا نواجه الآن الكثير الكثير من الاتهامات التي تتحدى الصورة الحقيقية للإسلام ، في عقلانيته و موضوعيته ، و قوته الفكرية في مواقع الحوار لترسم

له صورة الدين الذي يرفض العقل والمنطق ، ويعمل على مصادرة الحرية الفكرية .. ويخاطب الأمة من موقع غرائزها ، لا من عمق تفكيرها ..  
ولذلك فإن سلوك الدعاة المسلمين في حياتهم الخاصة والعامة وحركة المجتمع المسلم في قضايا الفكرية والسياسية في ساحة الصراع ، يمثلان التحدي الكبير لكل هذه الاتهامات العدوانية .. ويوحيان بأن الإسلام قوي في فكره وفي حركته ، بالمستوى الذي يقف فيه في مواجهة الفكر المضاد ، والحركة المضادة ، بواقعية وموضوعية وقوة في نظرته للواقع في مواجهته للمتغيرات في كل اتجاه .

والمعارج إذ تلقى مع سماحة السيد في حوارات قرآنية جديدة سبق نشرها في العديد من الكتب والدوريات إلا أنها اجتمعت في المعارج على قضية القضايا - مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر .

لذلك نجد من الضروري التأكيد أنه وقبل أن نتحدث عن خصوصية القرآن الكريم ودوره الواعد في انقاذ الحضارة ونرتب على هذا الحديث كامل النتائج المتوقعة فإننا نسجل بمنهج الإمام فضل الله في قراءة الفكر الإسلامي و واقعه و بمنتهى الصراحة أنه من العسير علمياً وعملياً طرح هذا الشعار الخلاب قبل التأكد من خريطة امكانات المسلمين الفردية و قدرتهم على القيام بهذا الدور العالمي .

لهذا فإن الحديث عن الإسلام كحل يجب أن ينطلق من مكونات الواقع الإسلامي الراهن كما هو بجميع تناقضاته وسلبياته ومشكلاته على كل صعيد ، فنتساءل ترى هل تستطيع أمة من الأمم أن تعلن مشروعيها الثقافي كنموذج يحتذى عالمياً قبل أن تتجح في صوغه داخل حياتها فعندما يكون

الواقع الاسلامي عاجزاً عن الحوار مع ذاته ومستسلماً لافكار استحالة التواصل الحقيقي بين مذاهب الدين الواحد كيف سيواجه تحديات الشراكة والانخراط في اساسيات الثقافة العالمية فضلاً عن تطهيرها و تصفيتها من



### شوائب الوثنية و الإلحاد ؟

و إذا كان الواقع الإسلامي فاشلاً في حماية الإنسان و صيانة حقوقه و حرياته و ترشيد مسيرته على طريق التقدم و البحث عن الاستقرار و الرخاء كيف يتدخل لتزويد الحضارة الفاشلة بمنظمة أخلاقية جديدة لنظام عالمي جديد؟ نعم إذا كان الإسلام الحل قادراً على الإسهام في تثبيت هذه القيم الغائبة التي تبحث عنها اليوم شعوب العالم بأسره فإن التزام المسلمين بهذه القيم هو الشرط الموضوعي لاضاءة هذا الحكم على أرض الواقع .

و إذن و إلى أن تسقط الحواجز الثقافية بين المسلم وأخيه و إلى أن تنهار آخر الجدران الحديدية التي باعدت بين أبناء الرسالة الواحدة و إلى أن يوفق المخلصون بإزالة الصدا الكثير عن وجه الإسلام المشرق الجميل يومها سنكشف معنى الهوية الضائعة و معنى وسطية الأمة الإسلامية و عالمية الإسلام الذي أراد الله رحمة للعالمين فتصوره البعض و صورته آخرون على أنه نقمة و حرج و شقاء و تكفير ... و على هذا الهم كله تأتي أهمية الانطلاق في معالجة مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر من خلال الاعتراف بمشروعية نقده لنضع خطاً فاصلاً بين فكر القرآن و فكر الاجتهاد حيث أدى اختلاط الأمر بين المفهومين إلى تعثر مناهجنا النقدية التي تلتمس الخروج من مأزق قراءة الصلة بين القرآن و الواقع ...

و الابتهاال إلى المولى سبحانه أن ينفعنا بالقرآن و السنة الشريفة و الراسخين بالعلم من أهل بيت النبوة المعصومة في جميع أحوالنا لنقرأ اسلامنا من جديد و تاريخنا من جديد قراءة لا تبالغ في تقديس أمجاده و لا تتورط في تزييف حقائقه ليظل فكرنا الحديث موصولاً بذاكرة مضيئة تفصل بين الحق و الباطل و لا يلتبس عليها الخطأ من الصواب .

﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحانه الله و ما أنا من المشركين﴾ ١٠٨/يوسف

## الهدف هو القرآن

● على مدار الزمن ، و من فجر المبعث إلى اليوم ، لم يعرف التاريخ هدفاً شددت إليه أبصار أعدائنا مثل هذا القرآن .. تغير الأعداء ، و تماوتت طبيعة الحرب ، و اختلفت الأسلحة ، و الهدف هو القرآن ؛ لم يغب قط عن بصر عدو قديماً و حديثاً فلماذا؟ و كيف نواجه هذا التحدي الخطير ؟

○ لقد انطلق هذا القرآن - كوحي من الله - ليجمع الكتاب كله و يوحد الموقف على الرسالات كلها في عملية تداخل و تواصل و تفاعل لا تمنع من التمايز الذي تفرضه طبيعة المراحل الزمنية المتعاقبة .

و ليجعل العقل أساساً للوعي الإنساني ، و ليحرك الحوار وسيلة من وسائل الوصول إلى حل الخلافات ، و ليدفع الإنسان إلى التفكير و يقوده إلى الأخذ بأسباب العلم ، و لينطلق الإيمان من موقع العلم الذي يتآخى مع الفطرة و الوجدان ، ثم انطلق ليؤكد على الإنسانية كقاعدة للحياة الإنسانية ، و ليشير الكفاءة و الخبرة و الجهد العملي و الانضباط . المسؤول كأساس للتفاضل و التمايز ، و أطلق للحياة الحرية في نطاق المسؤولية ، و حرك الطاقات العامة للناس في اتجاه الحق ، و أثار أمام الإنسان الضوابط الأخلاقية و التطلعات الروحية و القوانين الشرعية ، من خلال الانفتاح على الله الواحد الذي توحد الكون في عبادته و توحدت السبل في الطريق إليه ، و انطلق الإنسان في الأفاق الرحبة التي يمثلها الإيمان بالله ليزداد سمواً و انفتاحاً و ارتفاعاً و ثباتاً ،

من حيث يريد الله أن يرتفع و يسمو و ينفتح في مسؤوليته في الحياة .  
لقد دعا القرآن إلى العدالة كأساس للرسالات ، و إلى العزة كخيار وحيد  
للإنسان ، و إلى الحرية المسؤولة كمطلق للإنسانية الرفيعة ، و إلى العمل  
كقاعدة للامتداد في الحياة .

و في ضوء ذلك كان القرآن كتاب الحضارة و دليل التقدم ، و منطلق الإبداع ،  
في الوقت الذي تتمثل كل معاني التحدي للذين يريدون إعادة الإنسان إلى  
حيوانيته ، و الحياة إلى جاهليتها ، و الواقع إلى تخلفه ، و يعملون على إعادة  
عقارب الساعة إلى الوراء .

إننا نواجه هذا التحدي الخطير بأن نطلق الإسلام القرآني ، الذي أراد الله  
للناس نوراً و هدى و انفتاحاً ، فلا نستبدل به غيره ، و لا نخاف من طرحه و  
لا نهزم أمام كل التحديات التي تواجهه ، بل نطلقه في كل مكان بالأساليب  
الحضارية ، و الوسائل العلمية ، بعيداً عن أي وضع خاص ، أو سياسة مغلقة ،  
لأن الذين يطلقون الاسلام كقاعدة لتغيير الإنسان و الواقع ، لا يستسلمون  
للحدود التي يفرضها الآخرون ليحاصروا بها الإسلام .

إنني أقول لكل الخائفين الذين يبحثون عن كلمات أخرى لجعلوها عناوين  
لطروحاتهم كالديمقراطية و الاشتراكية و القومية و الوطنية كبديل عن عنوان  
الاسلام .

إنني أقول لهم لو كان النبي محمد (ص) موجوداً بيننا الآن فهل يطرح غير  
الإسلام ، و هل يلجأ إلى الاختباء وراء الكلمات التي مضمونها فكرياً مغايراً  
للإسلام في قاعدته الفكرية ، حتى لو كان يلتقي به في بعض فروعه التفصيلية.  
ليس الإسلام حالة في الطائفية لنخاف منه ، حتى لو حبسه الآخرون في  
زناياتهم .

و لكنه حالة في الفكر و المنهج و الشريعة و الحركة ، ليس هو فكر الزوايا

الضيقة المختنقة بالهواء العفن ، بل هو فكر الأفق الرحب الذي يتنفس الهواء الطلق في الصحو المبدع في إطلالة الشمس على الحياة و الإنسان . لذلك تصبح قضية استعداء القرآن الكريم قديماً و حديثاً هي قضية المتضررين من نجاحه الدائم في الانتصار لمظالم المجتمع و الانسان و لا يخفي أن التغيير الذي أحدثه القرآن في القيم و المفاهيم في مطلع المبعث النبوي الشريف اصطدم بمصالح بعض الفئات الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية التي وجدت في شريعة القرآن تهديداً لمواقعهم المستغرقة في جاهلية الجهل و الظلم و الاستبداد ... و هي ظاهرة تكررت و تتكرر في جميع العصور .



اللهم صل على محمد و آله و اجعلنا ممن يعصم بحبله و يأوي من المتشابهات إلى حرز معقله و يسكن في ظل جناحه و يهدي بضوء صاحبه و يقتدي بتبليج إسفاره و يستصبح بمصباحه و لا يلمس الهدى في غيره اللهم و كما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك و أنهجت بآله سبل الرضا إليك فصل على محمد و آله و اجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة .

- من أدعية الامام علي بن الحسين (ع) -



# مواجه الحضارة الانسانية بين صفتين

## حادثة الغرب و وعي الأصالة

---

✻ كيف نواجه الحادثة القادمة من الغرب ، وكيف نطبق الأصالة في حياتنا ، خاصة و أن كل شيء ينادي بحادثة الغرب و إن كثيراً من العلمانيين هم أصدقاء لنا و هم يصلون و يصومون فكيف نتعامل معهم ؟

○ أما عن الحادثة القادمة من الغرب فهي على قسمين : هناك حادثة على مستوى الاكتشافات العلمية ، حادثة التقنية الموجودة عند الغرب ، أي حادثة وسائل الحياة التي ابتكرها الغرب ، فهذه حادثة لا مشكلة عندنا حيالها لأننا لا نريد أن نركب الجمل أو نركب الفرس بل نحن نركب في أحدث ما استحضره الغرب من وسائل النقل ، و هكذا بالنسبة إلى ما يلبي حاجياتنا من مكتشفاته . و هناك حادثة بالمعنى الثقافي للحادثة فعندما نواجه حادثة الغرب المنطلقة من خلال تفكير بعض المفكرين الذين حصلوا على تقدير الغرب لهم ، فأصبحت أفكارهم تمثل تياراً ثقافياً ، علينا حينئذ أن نناقش أفكارهم مقارنة بأفكارنا ، لنرى كيف يمكن أن نتعامل معها من الناحية الفكرية ، و هذا هو الذي يركز الأصالة ، لأن قضية الأصالة هي أن تعتبر نفسك صاحب فكرة و صاحب قاعدة فكرية تواجه فيها الأفكار الأخرى لتناقشها من خلال فكرك ، لأن هناك فرقاً بين الناس الذين لا يملكون قاعدة فكرية و الذين يميلون مع الريح حيث تميل .

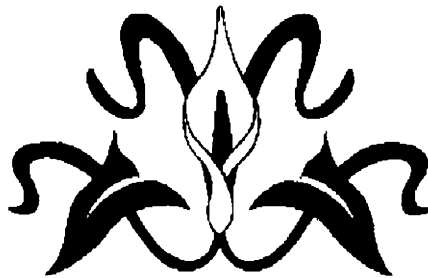


و لذلك قد يصير البعض يمينياً إذا كان الجو مع اليمين ، أو يسارياً إذا كان الجو مع اليسار ، و لكن صاحب الفكر يحاول أن يعرض فكره على أفكار الآخرين فقد يرى خطأ فكره أو خطأ فهمه لفكره ، و قد يرى صحة ذلك و خطأ فكر الآخر ، و علينا أن لا نرفض الآخرين جملة و تفصيلاً ، بل علينا أن ندرس الآخرين و ندرس ما عندنا و نحاول أن نفهم ما عندهم و أن نفكر فيما عندنا فلعلنا لم نفهمه فهماً صحيحاً ، و علينا أن نفكر بما عند الآخرين فلعلنا لم نفهمه فهماً صحيحاً .



اللهم صل على محمد و آل محمد و متعني بهدي صالح لا أستبدل به و طريق حق لا أزيغ عنها و نية رشد لا أشك فيها و عمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك.

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)



## الاسلام و الغرب : تناهد الحضارات

✽ الدكتور انوار سعيد يقول إن ما يطرحه متأثر جداً بالتجربة الغربية، مما يدفعنا للحديث عن الغرب ، هناك قضية أثرت منذ عامين إلى حد الآن و هي تلاقي جدلاً واسعاً ليس فقط في دوائر رجال الثقافة أو النوادي الثقافية و الفكرية بل طالت حتى المسألة السياسية " صموئيل هنتكتون " في خريف أو صيف ٩٣ في مجلة امريكية مشهورة تابعة لوزارة الخارجية طرح مسألة سياسية سماها بأن مستقبل البشرية خصوصاً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي هو الاصطدام بين الحضارات ، و حدد تسعة مظاهر لهذا الصدام ، سبعة منها للصدام بين الحضارتين الغربية و الإسلامية ،السؤال : هل فعلاً تعتقد أن المستقبل هو للصراع و للصدام بين الحضارتين الغربية و الإسلامية ؟

○ في تصوري أن هناك صراعاً - إذا أردنا أن نكون دقيقين - بين المفاهيم الإسلامية و بين المفاهيم الغربية في كثير من المواقع . و لا أستطيع أن أتحدث عن حضارة إسلامية في الواقع لأنني أجد أن الواقع الإسلامي لا يمثل حالة حضارية تعبر عن الإسلام بحيث يمكن أن نطلق عليها اسم الحضارة الإسلامية هناك مفردات لمضمون الحضارة الإسلامية تتصل بالمفاهيم التي يختزنها المسلمون أو ببعض الأوضاع العملية التي ينطلق فيها المسلمون . إن من الطبيعي أن القاعدة التي تنطلق منها الحضارة الغربية هي القاعدة

المادية ، بينما القاعدة التي تنطلق منها الحضارة الإسلامية ليست قاعدة مادية و إن كانت لا تبتعد عن حركة المادة و تأثيرها في الإنسان لأن الإسلام لا يتكرر للعالم الخارجي و تأثير العوامل المادية في حركة الإنسان و في واقع الحياة ، و لكن يعتبر أن الله هو الأساس في ذلك و الله هو الذي خلق السببية و خلق الإنسان ليجعل الإنسان هو محور الكون باعتبار أنه صانع التغيير ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

أنا أعتقد أن هناك صراعاً بين الغرب و بين الإسلام و قد برزت هذه الحركة الصراعية عندما انطلقت الصحوة الإسلامية و شعر الغرب بخطورة المفاهيم الإسلامية التي تمثل خلفيات هذه الصحوة في المسألة السياسية و المسألة الاقتصادية و الأمنية ، من هنا بدأ يستعد لها في القيود التي يفرضها على الإسلاميين الذين يعيشون في محيطه من جهة أو في الأوضاع التي يفرضها على الحركة الإسلامية في هذا البلد الذي يرتبط به سياسياً أو ذاك البلد الذي يرتبط به أمنياً أو اقتصادياً أو ما إلى ذلك . و إنني أتصور أن الصراع سوف يكون مريراً في المستقبل .

✽ ألا تعتقد ساحة السيد أن الخطاب العام للإسلاميين المعاصرين ربما أوجد الذريعة للغرب حتى يخشى هؤلاء الاسلاميين خصوصاً و أن ما هو سائد في الحقيقة يطغى عليه رفض الوافد الغربي و أنت - اعتقد - تنتمي إلى هذا ؟

○ هناك فرق بين أن نتحدث عن سلبية تجاه الغرب ككل أو نتحدث عن سلبية تجاه الغرب كقوة اقتصادية و سياسية و أمنية تفرض نفسها إلى واقع المستضعفين و تصادر ثرواتهم و حرياتهم و ما إلى ذلك . إننا لا نتعقد من

الغرب العلم و الثقافة و من الغرب القوة التكنولوجية و التقنية و نحن نعمل على أن نستفيد من الغرب من ذلك كله ، و لذلك ندفع بشبابنا لكي يذهبوا إلى الغرب ليتخصصوا و نعمل على تحصين هؤلاء الشباب من خلال المواقع الثقافية و الدينية الإسلامية التي تحفظ للشباب إسلامهم . لذلك نحن لا نتعقد من الغرب و نحن لا نوافق على خطاب يلغي الغرب كله ..

### ❖ حتى سياسياً تقسم الغرب ؟

❖ حتى أننا نفرق بين الغرب في المسألة السياسية على حسب درجات التحرك الغربي ضد مصالحنا . فنحن الآن نفرق بين الغرب الأمريكي و الغرب الأوروبي بالرغم من أننا عانينا من الغرب الأوروبي كثيراً في بعض المسائل المتصلة بالقضية الفلسطينية أو بعض المسائل المتصلة ببعض الواقع الموجود في هذا البلد . إن الخطاب الإسلامي في مواجهته للغرب ليس خطاباً جامداً متعصباً يستغرق في السلبات الغربية و يعطي الحكم الشمولي عليها ، و لكننا نواجه المسألة الغربية على أساس أولاً أن هناك شعوباً غربية و أن هناك إدارة غربية ، و نحن نعتبر أن هذه الشعوب هي ساحة رسالتنا في أن نفتح عقولها على الإسلام و أن نعمل على أن نربح صداقتها و تأييدها لقضايانا بطريقة و أخرى .

و لذلك فنحن لا نتعقد من الغرب الشعب و لا نتعقد من الغرب العلم و لا نتعقد من أية مبادرة سياسية غربية تخدم قضايا الأمة ، نحن نتعقد من الاستكبار الغربي بكل ما تعطيه كلمة الاستكبار الغربي في مواجهة إستضعاف العالم الثالث ، هذه هي المسألة .

### ❖ تقصد الهيمنة ؟

○ الذي يمثل مصادرة ثرواتنا و الضغط على قراراتنا السياسية و الطغيان في المسائل الأمنية و ما إلى ذلك . و تبقى بيننا و بين الغرب المفاهيم عن الإنسان و عن الحياة و عن الكون و عن الخطوط السياسية و المذاهب الاقتصادية و ما إلى ذلك مما قد يختلف الغرب فيه بين مفكر و آخر و بين مدرسة و أخرى ، كما قد نختلف بين مذهب إسلامي و مذهب إسلامي آخر أو دين إسلامي أو دين مسيحي أو ما إلى ذلك .

اللهم صل على محمد و آل محمد و أبدلني من بغضة أهل الشنئان المحبة و من حسد أهل البغي المودة و من ظنة أهل الصلاح الثقة و من عداوة الأذنين الولاية و من عقوق ذوي الأرحام المبرة و من خذلان الأقربين النصرة و من حب المدآرين تصحيح المقة و من رد الملبسين كرم العشرة و من مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## صدام الحضارات

❖ توقع ( صموئيل هينغتون ) في كتابه " صدام الحضارات " حصول صدام بين الإسلام و الحضارات الأخرى المعاصرة و غير المعاصرة ، هل تشعرون بأن الإسلام في صدام مع العصر و مع مقتضيات الحياة المعاصرة ؟

❖ إن الإسلام يدخل في صراع مع الحضارات الأخرى من خلال أن القاعدة التي ينطلق منها الإسلام تختلف عن القاعدة الفكرية التي تنطلق منها الحضارات الأخرى ، تماماً كاية حضارة شرقية أو غربية ، و عندما نقول ذلك فليس معناه أن الإسلام يصطدم بالعصر ، لأن العصر ليس شيئاً معزولاً عن الفكر الإنساني . و نحن نعرف أن كل عصر يحمل ظروفًا موضوعية تغلب فكرًا على فكر ، مما يجعل الفكر الغالب يضطهد الفكر المغلوب أو يحاصره ، لذلك أقول : إن الإسلام يختلف مع الحضارة الأوروبية أو مع كل حضارة مادية ، باعتبار أنه ينطلق من قاعدة غير مادية .

❖ الفكر الإسلامي غالب أم مغلوب حالياً ؟

❖ إننا نعتقد عندما نواجه الواقع ، أن الفكر الآخر يملك مواقع قوة أكثر مما يملكها الفكر الإسلامي ، و لكن ليس معنى ذلك أن الإسلام يصطدم بالعصر . إن الإسلام يعمل كما يعمل الفكر الآخر في أن يحتوي العصر و يجعل العصر صورة لفكره .



## التمييز في نادي الحضارات

✽ إن التمييز الحضاري شيء آخر غير العداء و غير الاستعلاء ، فعندما نريد أن نتميز حضارياً عن الحضارة الغربية الغازية ، لا نكون معادين و لا مستعلين ، و من يطلب له مكاناً ، مجرد مكان في نادي الحضارات ، ليس هو المعادي و المستعلي حضارياً ؛ و عليه كيف نفهم التمييز الحضاري على ضوء النصوص القرآنية ؟

○ عندما ندرس النصوص القرآنية التي تتحدث عن خط الرسائل الذي جاء به الانبياء ، في إحياءاته الحضارية التي قد تنطلق لتصنع للإنسان صورته البارزة في مستوى الفكر و العمل و الواقع ، فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم يتحدث عن الملامح البارزة لرسالة الرسول ، كهدف للحركة التي تعمل على نقل الإنسان من صورة إلى صورة ، من خلال الخصائص الفكرية و العملية التي تعمل على تغيير الإنسان نحو الأعلى و ذلك في قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزيكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [الجمعة : ٢].

ففي هذه الآية عنوان كبير يتحدث عن تركية النفس ، و تطهيرها من الرذائل الأخلاقية ، التي تقودها إلى الانحطاط الروحي و تؤدي بها إلى السقوط العملي و تهدد الحياة من خلال ذلك بالانهيار الكبير ؛ باعتبار أن الإنسان هو صانع لحركة التغيير فيها ، و هو القوة الفاعلة التي تملك استقامتها و انحرافها في

مواقع الأهداف الكبيرة في الوجود ، و هذا ما نلاحظه في الآيات التي تؤكد على أن التركيزية هي إحدى عناوين الفلاح ﴿ **قد أفلح من تركى** ﴾ [ الأعلى : ١٤ ] ﴿ **قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها** ﴾ [ الشمس : ٩-١٠ ] إنها ليست مسألة الذاتية الإنسانية في خصائصها الروحية في الواقع التجريدي للإنسان ، بل هي مسألة الموقع الذي يحتله الإنسان في حركة الوجود في الأرض ، من موقع الخلافة الربانية التي منحت له ، و من موقع العنصر الحيوي ، المؤثر في تحريك كل مفردات الوجود الذي سخر له ، مما يجعل الإنسان في موقع سيد الكون المسؤول ، و هذه هي النقطة الحضارية التي توحى بأن الإنسان الذي يفتح على الله من خلال النفس الزاكية ، هو الموجود المسؤول عن حركة الكون في خط الرسائل .

و هناك العنوان الآخر في الآية و هو تلاوة آيات الله على الناس ، و تعليم الكتاب و الحكمة ، فالرسول هو المعلم الذي لا يقف لينتقل على الناس آيات الله بل ليفتح عقولهم من خلال التعليم و التربية على الكتاب كله ، الذي يجمع كل الرسائل في عناصرها الإجمالية و التفصيلية ، المرتكزة على عقيدة التوحيد في امتدادها في عمق الوجود في الكون و الإنسان ، حيث يلتقي الرسول على الإله الواحد في العقيدة و العبادة ، و ينطلق الكون من خلال ربوبية الله الواحد في الإيجاد و التدبير ، ليكون ذلك سر العمق في الوجود كله و في الوعي كله . ثم لا بد من الحكمة التي تتناول الذهنية العملية التي تتحرك نحو تطبيق الكليات على الجزئيات ، و تحريك النظرية في اتجاه التطبيق حتى لا تبقى المعرفة مجرد حالة في الترف الفكري ، الذي يطلق النظريات في المطلق من دون أن يلامس الواقع العملي في الحياة .

و قد يعبر عنها بأنها وضع الشيء في موضعه حتى لا تبتعد الأمور عن مسارها الطبيعي ، أو تتحرف عن خط الاستقامة ، فيكون الخط شيئاً و الواقع

شيئاً آخر .

و هذا مما يجعل مهمة الرسالة ذات خطين في حركة المعرفة ، لتتطلق على أساس تحويل الواقع إلى تجسيد للمضمون المعرفي ، مما يجعل الرسول إنسان التغيير في الحياة من خلال النفاذ إلى عمق الفكرة في عمق الواقع .. و هذا هو الذي يجعل من الإسلام حالة في الحضور ، و حركة في الشهود لا حالة في الغيب ، أو قفزة في الهواء .. حتى الغيب المتمثل بالإيمان بالله ليس شيئاً في وعي الغموض أو غموض الوعي ، بل هو شيء في الوضوح المتجسد في الكون كله ، الذي هو مظهر وجود الله في الأثر و الدلالة .

ثم... عندما نعيش المسألة الإنسانية ، السياسية الاجتماعية الاقتصادية ، في المسألة القرآنية كوجه للعمق الحضاري في الحركة العامة للحياة ، فإننا نرى العدل يقف في الواجهة الكبيرة في ذلك كله ، حتى أن الرسائل جاءت مع الرسل من أجل هدف وحيد و هو إقامة العدل بين الناس و ذلك قوله تعالى : **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط﴾** [الحديد : ٢٥] .

فقد نلاحظ في هذا المجال أن مسألة التوحيد هي مسألة عدل ، من خلال أنها تجسد خط التوازن في العقيدة و الاستقامة في الوعي ، لأن في التصور عدلاً و ظلماً ، كما أن في حركة المعرفة انحرافاً و استقامة .

ثم ينطلق الرسل من خلال هذا المفهوم الواسع ليتحركوا في الواقع ، لا من أجل أن يمنحوه بعض الحالات الروحية التجريدية المعلقة في الفضاء ، و المنعزلة في زاوية المعبد ، بل من أجل أن يمنحوه الانفتاح على كل مشاكل الإنسان و كل قضايا الحياة ، ليصنعوا الأرض في وحي السماء و ليغيروا الواقع في وعي الرسالة ، ليكونوا الرسل القادة الذين ينطلقوا في مواقع الجندية لله في كل مكان .

ثم ... من مقومات التميز الحضاري للإسلام ، مسألة الإنسانية التي تتنوع في شعوبها و قبائلها في خصوصياتها الذاتية و القومية ، لتكون انطلاقة في الغنى الفكري و العملي للتجربة المنفتحة على تبادل الخصائص الحضارية ، تحت عنوان التعارف في مضمونه الحركي في حركة الإنسان و ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

فليست هناك حواجز ذاتية أو جغرافية أو لونية تفصل بين إنسان و آخر على مستوى القيمة ، و ليس هناك إلغاء لهذه الخصوصيات في واقع الإنسان ، بل هو الواقع المتنوع في ميزاته الفردية و الجماعية ، الذي يتحرك نحو الوحدة الإنسانية المتفاعلة في داخلها ، لتبقى القيمة الكبرى للتقوى ، التي هي الجهد الإنساني المرتكز على خط الانضباط في المسؤولية الفكرية ، فيما هي التقوى الفكرية ، أو المسؤولية العملية فيما هي التقوى العملية ، من خلال رسالة الله في السلام و العدالة و الحرية ، الأمر الذي يجعل من التفاضل في التقوى تفاضلاً في القيمة الإنسانية في الحياة ، فيما يحكى للناس أن يتبادلوا الجهود الخيرة و يتنافسوا فيها في كل حركاتهم في الوجود . و هذا هو الذي يعطي للحالة الحضارية عمقاً في حركة الطاقة الإنسانية ، في المسؤولية المنفتحة على الحياة ، ليكون أكثر الناس إنسانية أكثرهم جهداً في إعطاء الحياة و الإنسان توازناً وقوة و انفتاحاً .

ثم العلم في كل أبعاده هو القيمة الإنسانية الكبرى ، إلى جانب التقوى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ الزمر : ٩ ] ، ﴿ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [ طه : ١١٤ ] .

هذا إلى جانب اعتبار التفكير نافذة واسعة أساسية للوصول إلى الإيمان بالله ، و النظر إلى العقل كعنصر حيوي فاعل ، في مسألة التقويم للنتائج الصحيحة

لأفكار ، مع ملاحظة أن الشرك كما الكفر ، ليسا حالتين فكريتين مضادتين ، بل هما حالتان ناشتتان من الجهل و الغفلة و النسيان ، لأن العلم المرتكز على العقل لا يؤدي إلا إلى الإيمان بالتوحيد و لا يكفي القرآن بالتأكيد على العقل كمصدر للمعرفة ، بل يضيف إليه الاستقراء المنفتح على الملاحظة التجريبية ، كأساس للعبارة التي تمثل الفكرة الجديدة المنطلقة من موقع آخر سابق ، أو مختلف .

و إذا كان القرآن يتحدث عن العلم و العقل ، فإنه يتحدث عن العمل كأساس للنشاط الإنساني في الحياة ؛ فهو الأساس في النتائج السلبية أو الايجابية للثواب و العقاب ، و هو النداء الدائم الشامل الذي يوجهه الله للناس كلهم في إحياء عميق بالرقابة الإلهية و الرسولية والإيمانية على العمل ، باعتبار ذلك سبيلاً للدقة و التركيز ، و ذلك هو قوله تعالى : ﴿ و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنين ﴾ [ التوبة : ١٠٥ ] ، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [ الزلزلة : ٧-٨ ] .

و إذا كان البعض يفسر ذلك بالعمل للأخرة ، فإن المفهوم الإسلامي يضع الآخرة ، في نتائجها الإيجابية و السلبية ، عنواناً لكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الدنيا ، باعتبار أن الآخرة هي هدف العمل في الدنيا و أن الدنيا مزرعة الآخرة .

و قد نطل في بعض الآيات القرآنية على بعض العناوين التي تشير إلى التميز الحضاري ، على طريقة التعبير بصيغة التفضيل كما في قوله تعالى : ﴿ و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [ آل عمران : ١٣٩ ] .

فنحن نلاحظ أن صفة " الاعلانية " هنا ليست حالة مستغرقة في الذات من خلال مشاعر الانتفاخ ، بل هي حالة منطلقة من الوعي في نطاق الإيمان ، المنفتح على الله في آفاق الألوهية المطلقة ، التي تتحرك في وعي الإنسان

روحاً وفكراً وشعوراً وحركة في الواقع ، في الوقت الذي ينفتح فيه على الحياة في إحياءاتها الطاهرة الصافية الواعية على كل ما فيه الخير للإنسان .  
و كما في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] .

فنحن نلاحظ أن تفضيل الأمة المسلمة على بقية الأمم ، لم يلحظ الجانب القومي المتمثل بالعنصر العربي ، بل لاحظ الجانب الحركي المتمثل بالمعروف ، الذي هو العنوان العريض لكل أعمال الخير في نطاق الفرد و المجتمع ، و النهي عن المنكر ، الذي هو العنوان الكبير لكل أعمال الشر في الدائرة الخاصة و العامة .

و هذا هو المفهوم الإنساني الذي يختزن المسؤولية العامة عن انحراف الواقع ، باعتبار أن الانحرافات الاجتماعية لا تتصل بقضايا الحرية ليكون من الضروري احترامها تبعاً لاحترام الحريات الفردية ، بل تتصل بقضايا السلامة العامة للمجتمع ، مما يجعل من مواجهتها مسألة ترتبط باحترام الأمن العام للحياة ، و هذا هو الذي يبتعد بالإنسان عن أن يعيش أجواء السلبية بمعنى اللامبالاة ، أمام عذابات المجتمع و آلامه و انحرافاته التي قد تقضي على روح السلام في الواقع الإنساني العام .

ثم قد نلاحظ - بشكل سريع - أن قيمة الحالة الحضارية الإسلامية تكمن في أنها ليست مسألة العنصر الواحد و العامل الواحد ، فهي تتحرك لتوازن بين المادة و الروح ، و بين الفردية و الاجتماعية ، و بين الدنيا و الآخرة ، و بين الرفق و العنف ، لأنها لا تريد أن يطغى جانب على جانب ، بل تريد للحياة أن تأخذ كل عناصرها الحية التي تنفتح على حركة الواقع كله و الإنسان كله ، لتكون أسس الوجود ، هذه هي بعض الملاحظات حول التميز الحضاري ، و قد نلتقي بأشياء أخرى ليس مجال تفصيلها في هذا الجواب السريع .

## النظام العالمي و تحديات الوحدة الحضارية

✽ إن الأزمة التي نواجهها هي أزمة أقول حضارتنا و ظهور حضارة جديدة ، بدأت في مجتمعات غرب أوروبا و امتدت لتشمل باقي دول العالم في إطار النظام الرأسمالي ؛ و لأول مرة في التاريخ - كما يبدو - يصبح هناك نظام عالمي واحد يشمل كل المجتمعات ؛ فهل يعني ذلك ذوبان البشرية في وحدة حضارية ؟ و كيف تتصدى الأمة القرآنية لمخاطر الذوبان ؟

○ هناك وحدة حضارية عالمية في الشكل في بعض المظاهر القانونية في تركيب الدولة ، أو في بعض أوضاع السلوك التربوي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، و لكنه لم يستطع تحويل الواقع العالمي إلى حالة حضارية في الخصائص العميقة للإنسان لا سيما إنسان العالم المضطهد في أفريقيا و آسيا حتى في أمريكا اللاتينية ، فإننا نلاحظ أن هذه الشعوب لا تزال تحمل الكثير من ملامح حضارتها البدائية - إن صح التعبير - أو حضارتها الإسلامية في مناطق العالم الإسلامي ، الأمر الذي لا يزال يحمل الكثير من العناصر التي تشد الشعوب إلى الجذور العميقة ، الحضارية العمق في تاريخها السحيق ، عندما تتوفر الظروف الملائمة .

إن هناك سيطرة شاملة للقوة الغربية ، التي فرضت طريققتها على شعوب العالم على مستوى التفكير و الممارسة و لكنها لم تستطع أن تستوعب الواقع كله . و في ضوء ذلك نجد أن من الممكن للعاملين في الحقل الإسلامي أن يعالجوا

الأوضاع الإسلامية بطريقة خاصة بحيث يعملون على إعادتها إلى الإسلام على مستوى انتاج الذهنية الإسلامية ، أو تحريك الانتماء الإسلامي في حركة السلوك الإسلامي العامة ، مما قد يحقق الكثير من عودة الحالة الحضارية الإسلامية إلى الواقع الإسلامي ، و لعل حركة الصحوة الإسلامية في شعاراتها السياسية ، و مظاهرها السلوكية ، و تجاربها القانونية أو الاجتماعية، تحمل الكثير من الدلالات العامة ، على أن هذه المفردات الصغيرة في ملامح العودة الحضارية الإسلامية إلى الواقع الإسلامي ، يمكن أن توجي بحالة حضارية اسلامية شاملة ، مما يجعل القضية تتحرك في نطاق التجربة لا في نطاق النظرية التجريدية .

إن مظاهر الحضارة الغربية في عالمنا لم تستطع إلغاء الروح الإسلامية في الشكل و المضمون الأمر الذي يجعل الأمة الإسلامية بمنأى عن مخاطر الذوبان الشامل ، بحيث يمكن ، من خلال عملية صنع القوة ، و إعادة الوعي الإسلامي إلى الذهنية العامة للمسلمين ، القيام بمحاولة جديدة لإنتاج الشخصية الإسلامية الحضارية من جديد في مجتمع المسلمين و لو بنسبة ٧٠٪ ، فنحن نعرف أن أية حالة حضارية لا تستطيع إلغاء الحضارات الأخرى الطارئة أو المتجددة بنسبة مائة في المائة .

---

اللهم صل على محمد وآله و اجعلنا من دعاة الداعين إليك و  
هدائك الدالين عليك و من خاصتك الخاصين لديك يا أرحم  
الراحمين.

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)



## وهم النظام العالمي

❖ كيف تنظر إلى ما يسمى بالنظام العالمي الجديد و موقعنا فيه ؟

○ أنا لا اعتقد أن هناك نظاماً عالمياً جديداً ، فلم يجلس العالم لينتظم في خطوط فكرية و سياسية أحادية ، و لكن هناك واقعاً عالمياً جديداً . كان الاستكبار يتمثل بدولتين استكباريتين فأصبح الآن يتمثل بدولة واحدة تطل على الدول الأخرى من خلال المواقع المتدرجة في القوة و الضعف . هناك واقع ينطلق من الأحادية بعدما كان ينطلق من الثنائية . و لذلك فنحن كعرب و عالم جنوب و إسلاميين ، نفهم أن هذا الاستكبار العالمي تتعاون كل مواقعه و سلطاته من أجل سرقة ثرواتنا و مصادرة أمننا و سياستنا و اقتصادنا و ثقافتنا ... إن المسألة ليست مسألة أصولية و نظام عالمي جديد ، بل هي مسألة عالم مضطهد يريد العيش حراً مستقلاً باقتصاده و سياسته و أمنه ، و يريد الآخرون إبقائه على هامش سياستهم و اقتصادهم و نظامهم ، و لا يجوز لنا أن نهرب من مواجهة هذا الواقع .

و نتحدث عن مثالية عندما نتكلم عن هذه المواجهة التي يجب أن يشعر العالم البائس بها ، سواء كان مسلماً أو عربياً أو غير ذلك ، إن المشكلة هي مشكلة المستضعفين مع المستكبرين و ليست مشكلة هذه الخلافات الطفولية عندما ننطلق في لعبة الأطفال الذين يتنازعون على بيت من الرمال هنا و بيت من الرمال هناك ، فيتقاذفون و يتضاربون حتى تأتي موجة فتأخذ في طريقها كل البيوت المزيفة.

## استنساخ الحضارة الإسلامية



❖ السؤال الذي يفرض نفسه ، هل يمكن لفكر واحد ، هو الفكر الإسلامي في حالتنا أن يبني حضارتين متمثلتين مع فارق ١٤٠٠ عام ؟ وما الحضارة التي يسعى إلى بنائها الفكر الإسلامي المعاصر ؟

○ لقد استطاع الإسلام أن يبني حضارة واسعة ، و لكن في حجم قدرات و إمكانيات و أوضاع تلك المرحلة ، و من الطبيعي أن الإسلام قادر أن يبني حضارته من خلال القدرات و الإمكانيات الموجودة في هذه المرحلة . الخط واحد و لكن حركة الخط في الواقع متنوعة ، لأن الواقع قد تغير . و لذلك فإن طريقة انشاء الحضارة الآن و حجم هذه الحضارة لا بد أن يختلف عن طريقة انشاء الحضارة في ما سبق .. و نحن نعرف أن الإسلام منفتح على الحضارات الأخرى يأخذ منها ما لا يتنافى مع مفاهيمه و خطوطه لا سيما في القضايا العلمية و العملية ، و بالتالي فإن بإمكاننا - كما استطعنا في الماضي أن نأخذ من الآخرين و نصنع ما أخذناه إسلامياً - أن نصنع كثيراً مما استحدثه الإنسان في المجالات العلمية و الثقافية و العملية .



# قلق التواصل بين الفكر و الواقع

## بين الشريعة و القانون الوضعي

❖ من أين نبدأ العمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية ، و هل هناك إمكانية للتوفيق بين الشريعة و القانون الوضعي ؟

○ كيف يمكن أن يكون التوفيق ؟ إنه يكون عندما يتصالحان ( الشريعة و القانون ) كما في مسألة المرأة التي تنازعت مع أخرى على ولد لإحدها عند (سليمان ) ، فقال نقسمه بالنصف قالت ( أم الولد ) دعه لها حفاظاً على حياته و كذلك عندما نعيش مع الشريعة فلا نستطيع أن نقسم بينها و بين القانون إذا كان الأخير على خلاف الشريعة ﴿ هو ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾

نعم ربما نجد مساحة للتلاقي بين الشريعة و القانون الوضعي فيما يتصل بفقهاء المعاملات حيث يقر الفقه بما تعارف عليه - العقلاء - في الالتزام فيما بينهم بعدد من الشروط العرفية أو القانونية القائمة على التراضي كما في كثير من عقود الاجارة و الشركة و قد شرحت مفصلاً جوانب اشكالية العلاقة بين الشريعة و القانون الوضعي لطلاب بحثنا الاستدلالي لأو ما يسمى بدراسات الفقه العليا و من المتوقع أن تصدر هذه التقارير المقارنة في كتاب مستقل بإذن الله .



## مفهوم الدين و مفهوم القانون

✽ ما هو مفهوم الدين ، نرجو توضيح ذلك ، فإن بعض الناس يفهمون معناه على هواهم . و ما هو الفرق بين الدين و القانون ؟

○ إن الدين عبارة عن الإلتزام العقيدي و الشرعي و المفاهيمي و الحركي الذي ينطلق من خلال الرسالة التي يوحى بها من قبل الله سبحانه و تعالى ، و هو دين الحق و لهذا فإن الدين ليس مجرد عقيدة بل عقيدة و عبادة . و حركة حياة و الدين الإسلامي يعتبر أيضاً حالة مدنية باعتبار أنه يشتمل على القانون الذي ينظم للإنسان كل شؤون الحياة العامة و الخاصة و الفرق بين الدين و القانون هو أن القانون جزء من الدين و لكن قد يكون من الدين الإسلامي و قد يكون من غير الدين الإسلامي ، و لكن الدين ليس شيئاً بعيداً عن القانون لأن الدين يختزن القانون في داخله كما يختزن العبادة و العقيدة في منظومة متكاملة لا تفصل بين الدين و الحياة و من الطبيعي أن الاسلام الذي اعتبر - الانسان - محوراً لرسالته و تشريعاته لا بد له أن يرعى جميع شؤونه في ضوء نظرية استخلاقه الرباني على الأرض لذلك فليس ثمة مشكلة من ناحية المبدأ بين الدين و القانون إلا بمقدار ما تتحرف به بعض القوانين الوضعية عن قانون السماء و شريعته الهادية لبناء الإنسان و نظم أموره في جميع المجالات .

## لغة العلم و لغة الدين

---

✽ ذكرتم أنه يجب مخاطبة العصر بلقته ، و لغة العصر هي العلم ، إلى أي مدى يتقابل العلم مع الدين ؟

○ كلما ازداد الانسان علماً ، كلما ازداد إيماناً ، و لذلك فإن الله سبحانه و تعالى ربط الإيمان بالفكر و لم يجعل الفكر تجريدياً بل أراد لنا أن ننطلق لتفكر في خلق السموات و الأرض و لنكتشف سر أنفسنا ، و لننطلق ليرينا الله آياته في الآفاق . لذلك فإن القرآن يقول لنا : إن مشكلة الكفر هي مشكلة الجهل و لكن هناك فرق بين أن تلعق العلم بلسانك و بين أن تعيشه بكيانك ، و كمثال على ذلك هناك مخترع لبناني شيعي من الجنوب اخترع عشرات الاختراعات في " اميركا " و قتله اليهود عندما أراد المجيء إلى الشرق ليستخرج الكهرباء من الشمس باعتبار أن في الصحراء شمساً حادة و دائمة فما أن جاء حتى قتله اليهود و هو المرحوم " حسن كامل الصباح " الذي ، كان يقول : **إن العلوم الطبيعية إذا رشفت رشفاً ابعت عن الله و إذا عبت عباً قربت من الله** " لذلك فنحن نقول لا يمكن أن تكون عالماً و تكون ملحداً في آن ، و لكن قد تكون جاهلاً و تكون ملحداً في آن .

## تجديد الفكر الديني

✽ ما هو مفهومكم للتجديد الديني و إلى أي مدى يتقاطع هذا التجديد مع التطور العملي و التقني الحاصل في هذا العصر ؟

○ أنا لا أفهم كلمة التجديد الديني ، فالدين في عمقه لا بد أن يبقى كما أرسله الله في صفائه و ربما كان علينا أن ندرس الدين باستمرار و لا نكتفي بدراسة الأقدمين فلقد كانت لهم ذهنياتهم الثقافية ، و كانت لهم تأثيراتهم الفكرية و كانت لهم روايتهم ، و كانت لهم نقاط ضعفهم و نحن نحترم الأقدمين و لكنهم ليسوا معصومين ، ذلك أن كل العلماء يخطئون و يصيبون فالعلماء السابقون أنفسهم كانوا ينتقدون من قبلهم فلماذا لا يجوز لنا لأن ننقدهم ؟ علينا عندما نريد أن نفسر القرآن أن ندرسه دراسة جادة و أن نفهم القرآن و ندرس مناهج التفسير دراسة نقدية ليكون لنا من بعدها فهمنا للقرآن ، فقد نكتشف خطأ في ذلك ، و قد نكتشف إنحرافاً في فهمهم ، و قد نكتشف نخلاً . فقد يملك بعض الناس العلم الكبير و لكنهم يملكون ذهنية تقليدية ، إن علينا أن نفهم القرآن فهماً عميقاً لا أن نعيش عقدة الجدة و لكن أن نعيش استقلالية الفهم ، و علينا أن نفهم السنة النبوية الشريفة فهماً جديداً و نفهم ما يأتينا من أحاديث أئمة أهل البيت (ع) و أن ننقي الأحاديث لأن هناك ركماً من الأكاذيب و من المواضيع التي دخلت إلى واقع الناس و أصبحت حقائق .

لذلك فنحن نؤمن بالتجديد بهذا المعنى و لا نريد أن نجدد الدين لمجرد أن

الآخرين قالوا لنا : جددوا فليست لدينا نقطة ضعف أمام الآخرين فليقولوا ما يقولون ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [ الأحزاب : ٣٦ ] فلو ثبت لدينا حقيقة قرآنية و قال الناس كلهم إنها خرافة فإننا نقف لنقول أنها حقيقة ، و لكن علينا أن نوثق النصوص الدينية و نسأل : هل صدرت فعلاً عن النبي أو الإمام ؟ و كيف صدرت ؟ و ما هو مفهومها ؟



اللهم إني أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون  
علانيتي ، و تقبح فيما أبطن لك سريرتي ، محافظاً  
على رثاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه  
مني ، فأبدي للناس حسن ظاهري و أفضي إليك بسوء  
عملي ، تقرباً إلى عبادك و تباعداً من مرضاتك .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة - .





## الفكر الإسلامي بين نزعة التجريد و متطلبات الواقع

✻ يتساءل البعض ان الفكر الإسلامي الحديث يتسم بالتجريد و قلما نجد فكراً إسلامياً حركياً تفصيلياً ، كيف تفسرون هذه المشكلة ؟ و ما هي الحلول الناجعة ؟ و على الأقل ما هو دوركم في ردم هذه الهوة في الفكر الإسلامي ؟

○ أنا لا أوافق السائل على أن الفكر الإسلامي بمجمله تجريدي ، فنحن نجد أن الفكر الإسلامي قد عالج كثيراً من القضايا العملية و العلمية بشكل تفصيلي ، و قد يكون الفكر الإسلامي الفلسفي تجريدياً ، لأن الفلسفة بطبيعتها تجريدية ، و هي تمثل عملية تفسير الكون و تفسير الألوهية و تفسير الظواهر و علاقة الإنسان بالكون ، و علاقة الكون بالله . فهذه الأمور بحسب طبيعتها هي قضايا تجريدية فلسفية ، و لكن عندما نجد شخصية مثل شخصية الشهيد السيد الصدر ( رحمه الله ) يعالج المذهب الاقتصادي في الإسلام أو ( البنك اللاربوي في الإسلام ) فإنه لا يعالجه تجريبياً ، إنه يعطي حلولاً عملية ، و لكن المسألة هي أن الواقع لا يحتضن الإسلام ، فالإسلام لا يتحرك في الواقع ، لا من جهة أن الفكر الإسلامي لا ينتظم مع الواقع ، بل لأن الواقع لا يستجيب للفكر الإسلامي ليتجسد فيه .

إن كثيراً من التجارب الإسلامية هي تجارب واقعية ، و منها التجارب الإسلامية الفقهية فهي تركز على قواعد فكرية ، و يعتبر هذا اللون من الفكر

فكراً حياً و واقعياً ، و عندما نتحدث مثلاً عن " الاسلام و منطق القوة " و " الحوار في القرآن " فإن الفكر الإسلامي فيها يتحدث عن نظرية مكرسة للواقع السياسي من خلال نظريته إلى الأحاديث السياسية ، و نظريته إلى المذهب العالمي الجديد . فالفكر الإسلامي الآن يتحرك بطريقة ميدانية بحيث يحاول أن يحول الفكرة التي تتمثل في الخط العام . إلى حركة في الواقع .

و من هنا فنحن نعتقد أن المراحل الأخيرة ، و قد شاركنا في الكثير من تجاربها قد واجهت التحديات التي يتعرض لها الإسلام في ساحة الصراع ، لقد واجهنا الكثير و لدينا تجارب كثيرة و لست أتحدث هنا بطريقة ذاتية و لكن بطريقة موضوعية حتى صار بإمكان الناس أن يجدوا الفكر الإسلامي يمشي في الشارع و يتحرك مع الناس في حياتهم العملية ، لذلك أتصور أن المرحلة الأخيرة التي دخل فيها الإسلام في قلب ساحة الصراع استطاعت أن تعطينا نتاجاً فكرياً اسلامياً بشكل تفصيلي و بشكل واقعي أيضاً .

اللهم صل على محمد و آله و بلغ بإيماني أكمل الإيمان و اجعل يقيني أفضل اليقين و انته بنيتي إلى احسن النيات و بعلمي إلى أحسن الأعمال .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)



## فكر النظرية و فكر الحقيقة

✽ ما أن الآوان لنفصل بين الشريعة كنص سماوي و بين الفقه كثمرة من ثمرات العقل الاجتهادي في الاسلام أليس من الضروري وعي هذه الفاصلة لكي لا يدعي الخطاب الاسلامي انه المالك الوحيد للحقيقة المطلقة ؟

✽ هذا صحيح ، فعلىنا أن لا نعتبر النظرية الإسلامية هي الحقيقة الإسلامية ، و أن لا نفرض نظريتنا على الإسلام على أساس أنها الحقيقة النهائية ، فنحن نعتبر أن نظريتنا الإسلامية هي اجتهادنا في الفهم الإسلامي ، و لذلك فإن أي صاحب نظرية اجتهادية في فهم الإسلام سواء كانت هذه النظرية تتطرق من خلال اجتهادنا في استنباط الحكم الشرعي أو من خلال استنباط المفاهيم الإسلامية التي تمثل حركة النظرية في الإسلام من خلال مجموعة الأحكام الشرعية لا بد أن نعتبر ما يقوله هو ما يفهمه من الإسلام ، لا أن نقول هذا هو الإسلام لنغلق الباب إزاء أية نظرية اجتهادية أخرى .

و من الطبيعي أننا نحتاج إلى نظرية نسترشد بها بحيث تتطرق من الخطاب الإسلامي . و نحن ندعي بأن الخطاب الإسلامي لا يزال في مستوى القلق و المعاناة في كثير من حالاته و لا سيما الخطاب الإسلامي السياسي ، و هو بحاجة إلى عمق ينطلق حتى من النظريات الإسلامية الاجتهادية التي حاولت أن تسبر عمق الإسلام في نظرته إلى مشاكل الإنسان و إلى حركة الإنسان في الحياة .

## الفرقة الناجية و قلق المعرفة و الالحاد

---

❖ الكل يدعي أنه صاحب المذهب الأصح و أن فرقته هي الفرقة الناجية ، فكيف أبرئ نفسي أمام الله ؟ و هل البحث وحده مبرر للذمة حتى و إن اقتنعت بمذهب مخالف ؟

○ ليس في القناعة موافق أو مخالف فالله يقول ﴿ و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ فعليك أن تصل إلى الحقيقة بنفسك و نحن نعلم بأن العقيدة لا تقليد فيها . و لذلك قال الله لنبيه المصطفى (ص) : ﴿ و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ﴾ [ الكهف : ٢٩ ] .

لذلك نحن نقول إن ما ذكرت صحيح في المسألة العقيدية و في المسألة السياسية فكم لدينا من الاتجاهات السياسية و كم لدينا من الأحزاب حتى في الاتجاه الواحد ، و في المسألة الاجتماعية كم هناك من خطوط اجتماعية ، و لكن الله أعطاك عقلاً و قال لك فكر بعقلك ، و أعطاك لساناً و قال لك اسأل بلسانك و أعطاك سمعاً و قال لك اسمع ما يقوله الآخرون لك ثم اختر بعد ذلك الفكرة و الموقف . لذلك فإن عمر هذه المسألة هو عمر الحياة ، فكل يقول ليست المذهبية هي الدين و ليس عندنا يهودية و نصرانية و مجوسية و بوذية ، و معنى ذلك أن نتوقف لأن هناك تنوعاً في الآراء الدينية و تنوعاً في الآراء المذهبية أو تنوعاً في الآراء السياسية و الاجتماعية . هل نقف حائرين أو أن

علينا أن نبحث و نبحث حتى نصل إلى القناعة ، و نحن نعرف من حديث الإمام الصادق ( ع ) أن الإسلام يشجع على الشك ، الشك طرفي طريق اليقين ( الشك الموضوعي ) أو الشك العلمي ، و الشك ليس كفراً و إنما الجحود هو الكفر .

فلقد جاء شخص و سأل الإمام ( جعفر الصادق ) ( ع ) كما في ( الكافي ) قال : رجل شك في الله قال : كافر ، قال شك في رسول الله ، قال : كافر ، ثم قبل أن يقوم الرجل قال : " إنما يكفر إذا جحد " فما دمت في دائرة الشك فأنت لست بكافر . و لذلك يقول بعض علماء المسلمين ليس هناك ملحد في العالم لأن الإلحاد إثبات العدم و العدم يحتاج إلى دليل كما أن الوجود يحتاج إلى دليل و ليس هناك في العالم من يثبت بالحجة أن الله ليس موجوداً لأنه يحتاج أن ينقب في العالم بأسره .. في أنحاء الأرض و أقاصي السماء و يبحث في كل القضايا ليصل إلى النتيجة .. فلا يوجد أحد في العالم يقول بإمكانني أن أثبت بأن الله ليس موجوداً ، بل يشك و يقول أنه لم يثبت لدي وجود الله ، أما أن أنفي فلا يوجد إنسان ينفي وجود الله ، و حتى الشيوعية لا يمكن أن تقول بذلك لأنها لم تستقرىء الوجود كله و لم تبحث في الكون كله لتقول بالإلحاد.



## الثابت و المتغير من الأحكام

---

❖ هل الأحكام الشرعية جميعاً ثابتة و دائمة و لا تملك المرونة و التغيير ،  
علماً أن الحديث المشهور " حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم  
القيامة ' يشير إلى هذا المعنى ؟

○ نستطيع أن نقول بأن الأحكام الشرعية ثابتة و متغيرة . أما أنها ثابتة فإن  
ما شرعه الله لا يمكن أن يغيره أحد و لا يمكن أن يأتي تشريع آخر من أي  
بشر ينسخه .

أما أنها يمكن أن تكون متغيرة فبحسب قواعد الإسلام الشرعية ، فمثلاً الميتة  
حرام و لكن إذا اضطررت إلى أكل الميتة - كما لو توقفت عليها حياتك - فما  
من شيء إلا و قد أحله الله لمن اضطر إليه .

فهذا لا يعني أن الميتة في الأساس محللة ، فالحلال حلال إلى يوم القيامة و  
الحرام حرام إلى يوم القيامة . ومن القواعد الأخرى ﴿ و ما جعل عليكم في  
الدين من حرج ﴾ فكل حكم يلزم العسر و الحرج قد رفعه الله سواء في مقام  
امتثال الواجبات أو المحرمات ، فإذا ثبت الحرج بشروطه و بعناصره يرتفع  
الحكم الشرعي عن رسول الله (ص) أنه قال : " رفع عن أمتي تسعة : الخطأ  
و النسيان و ما أكرهوا عليه و ما لا يعلمون و ما لا يطيقون و ما اضطرروا  
إليه و الحسد و الطيرة و التفكير في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة " .  
فهذه كلها عناوين ثانوية ترفع الحكم الشرعي .

كذلك عندما تكون المصلحة أقوى فإن الأحكام تتغير ، فالكذب مثلاً حرام و لكن إذا توقف إنقاذ المؤمن على الكذب يصبح واجباً و لاصدق حلال و واجب و لكن إذا لزم من الصدق قتل إنسان مؤمن أو فضح الأسرار العسكرية و الأسرار الاقتصادية و السياسية للأمة فإنه يصبح حراماً . و هكذا فإن هناك الكثير من العناوين الثانوية التي قد تجعل الحرام في ذاته حلالاً و العكس صحيح .

فهناك داخل الشريعة الإسلامية مرونة من خلال العناوين الثانوية و تبدل الموضوعات من خلال تراحم الأحكام في المصالح و المفسدات و من خلال قاعدة (لا ضرر) و قاعدة (لا حرج) و ما إلى ذلك ، فهي ثابتة كما صدرت عن النبي (ص) بالعناوين الأولية ، و الأحكام في العناوين الثانوية كذلك فهي ثابتة في مواضع الحرج و الضرر ، كما شرعها رسول الله (ص) بعناوينها الأولية و الثانوية و هي متحركة بسبب طبيعة واقع الإنسان الذي قد يلتقي بشيء ضار في موقع و نافع في موقع آخر .

سبحانك أنت الذي قدرت كل شيء تقديراً و يسّرت كل شيء تيسيراً و دبّرت ما دونك تدبيراً .

من أدعية الامام علي بن الحسين (ع)

## اسلمة العلوم

❖ هل أن مفهوم أسلمة العلوم ، بمعنى طرح مفاهيم إسلامية لعلوم الاقتصاد و السياسة و التربية و غيرها ، هو مفهوم صحيح و أصيل ؟

○ هناك جانب من العلوم متعلق بالأمور الفنية و هناك جانب المفردات العلمية ، و لكن لا بد من طرح وجهة النظر الإسلامية في بعض تفاصيل الاقتصاد أو خطوط الاقتصاد . فليس معنى أسلمة الاقتصاد يعني تحوله إلى علم إسلامي ، فثمة فرق بين علم الاقتصاد و مذهب الاقتصاد ، نعم علينا أن نؤكد و نحن ندرس الاقتصاد وفقاً للمذهب الإسلامي في الاقتصاد على بعض النقاط الإسلامية التي قد تختلف في بعض مفرداتها عن الواقع الاقتصادي أو النظريات الاقتصادية السائدة ، و هكذا بالنسبة إلى السياسة و التربية .

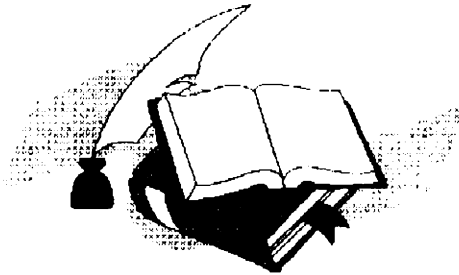
لذلك فإن مفهوم - اسلمة العلوم - يجب أن يقاس بمقياس منهج الاسلام في تحديده لوظيفة العلوم في الحياة لكي لا تصبح العلوم - وسيلة من وسائل تدمير البشر و الطبيعة كما حدث في الغرب الذي استخدم التطور العلمي بهدف السيطرة على الطبيعة على حساب إلغاء الإنسان و تهديم شخصيته الروحية و الاخلاقية و قد اعترف المفكر روجيه غارودي بخطورة عبثية العلوم و فوضاها و تأثير ذلك على المستقبل الإنساني كله بإشارته إلى أن الاعتقاد بقدرة العلوم الموضوعية و التقنيات النابعة عنها على حل مشكلاتنا و القول بأن مفتاح جميع القضايا الإنسانية في يد هذه العلوم و التقنيات .. ان هذا الاعتقاد



وهم خرافي فتاك و قد صب هذا الاعتقاد بكل غباء و لا مبالاة انتحارية في  
قالب شعار عصري كاذب يقول : لا يمكننا وقف التقدم !...

يا إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق  
صدورهم و أخذت لوحة محبتك بمجامع قلوبهم فهم إلى أوكار  
الأفكار يأوون و في رياض القرب و المكاشفة يرتعون ، و من  
حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون ، و شرايع المصافاة  
يردون ، قد كشف الغطاء عن أبصارهم ، و اتجلت ظلمة الريب عن  
عقائدهم ، و انتفت مخالجة الشك عن قلوبهم و سرائرهم ، و  
اتشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)



## الاسلام و الفن

---

❁ هل هناك مذهب إسلامي للفنون ، و ما هي أصوله التي يتميز بها عن المذاهب الفنية الأخرى ؟

○ إذا اعتبرنا تحريم الإسلام التجسيم أي حرمة تصوير المجسم عنواناً لرفض الإسلام للفن النحتي فهذا خطأ ، فلربما كان الأساس في تحريم التماثيل بسبب البداية الصنمية حيث كانت هذه النصب تمثل ألهة ، حتى أن بعض النحاتين عندما يستغرقون في التمثال الذي يصنعونه يتعبدون له بعد ذلك ، بحيث يتحول استغراقهم في جماليته و في الإبداع الفني إلى ما يشبه حالة العبادة . و هذا هو منشأ الصنمية ، لذلك فإن الإسلام يحرم التجسيم للموجود الحيواني في الحي بهذا المعنى ، و كما هو معروف بين المسلمين السنة و الشيعة من خلال رفض مبدأ الصنمية . من أن بعض الفقهاء المتأخرين راح يشكك في الموضوع ، فلا يراه محرماً و الشيء المهم الذي نستوحيه إنما هو تحريم نحت الحيوان أو الإنسان ، أما النحت الذي يعبر عن فكرة و عن رأي و عن أي رمز أو أي شيء فلا مشكلة شرعية فيه . و هناك جدل فقهي لدى العلماء حول مسألة التصوير باليد أي تصوير الإنسان أو الحيوان مثلاً . و لكن هناك الآن آراء موضوعية موجودة بالحكم بالحلية و نحن نتبنى ذلك ، و على ضوء هذا لا يحرم التصوير و الرسم باليد بل يحرم التمثيل بمعنى الصورة المجسمة ، أما الصور العادية و إن كانت باليد فهي جائزة .

فالإسلام ليست عنده أية تحفظات حول الإبداع الفني و إنما يتحفظ في هذا الجانب لصلته التاريخية بذهنية الشرك و الوثنيات ، و لذلك لا مانع من تطوير أي نوع من أنواع الفنون و تركيز الإبداع فيه ، كما أنه ليس ثمة مشكلة في المذاهب السريالية و غيرها مما لا يتناقى مع المفهوم الإسلامي للإبداع و الإحساس بالجمال .

و عندما ندرس طبيعة العمارة الإسلامية في المساجد و المراكز الدينية و غير الدينية ، كما في الأندلس في إسبانيا ، نجد أن العديد من الناس يذهبون إلى هناك للسياحة و التأمل في الآثار الإسلامية لما فيها من الإبداع الفني و صناعة الفن . لذلك فنحن نرى أن الفن قد نما نمواً كبيراً في الواقع الإسلامي ، أما مسألة التجسيم فقد إنكمشت باعتبار التحريم الإسلامي لها و تبقى الفنون الأخرى جائزة من حيث المبدأ مع التحفظ في التفاصيل .

### صغار المخلوقات

و سبحان من أدمج قوائم الذرة و الهمجة إلى ما فوقهما من خلق  
الحيتان و الفيلة ! و وأى على نفسه ألا يضطرب شبح مما أولج  
فيه الروح إلا و جعل الحمام موعده و الفناء غايته .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة - .

# الانسان المؤمن بين التغريب الوافد و غربة الذات

## خصائص المجتمع القرآني

❖ إذا أردنا أن نتلمس وجه مجتمعنا الحديث لنراه عن كثب ، فهل يتيسر لنا كنقاد، اكتشاف الجانب القرآني و الجانب الغربي منه ؟ أم أن ثمة كياناً مبهماً لهذا المجتمع ، لا يمت للقرآن و لا للحضارة الغربية بصلة ؟

○ من الصعب جداً أن نتحدث عن الطابع العام لمجتمعنا لنصفه بصفة واحدة مميزة، مثل " المجتمع القرآني " أو "المجتمع الغربي " لأننا لا نلاحظ وجود قاعدة فكرية شاملة للأبعاد الفكرية و العملية التي يتحرك بها أفرادها ، أو تتطلق منها عاداته و تقاليده ؛ بل نلاحظ - بدلاً من ذلك - وجود حالات خاصة ، قد تقترب من بعض الملامح الفكرية القرآنية في مواقع العبادة أو الالتزامات الفردية أو الاجتماعية، للأفراد أو الجماعات ، أو التقاليد و العادات العامة ، التي قد يجد فيها الإنسان مظهراً لحكم شرعي ، أو آية قرآنية أو امتداد تاريخي إسلامي .

و قد يلاحظ الإنسان في ذلك كله بعض التشوهات في بعض الأمور بحيث يشعر فيها بالتخلف و هو يزحف إلى هذه العادة أو الممارسة أو التقليد ، أو ما إلى ذلك ، ليقدمها كصورة إسلامية متخلفة قد يجد فيها بعض الشكل الإسلامي الذي يفتقد المضمون الحقيقي في الداخل ، باعتبار أن الجهل و التخلف قد يتركان تأثيرهما على ذهنية المجتمع ، فيتحرك وعيه للأشياء بطريقة جاهلة ، متخلفة في الخط السلبي للإنسان و الحياة ، فالفكر و الواقع هما صــــورة

المستوى الذي يعيشه الإنسان في انعكاسه على مستوى الفكر الذي يمثل  
و الواقع الذي يصنعه.

و ربما نجد فيه بعض ملامح المجتمع الغربي في المفاهيم السائدة في السياسة  
و الاجتماع أو العقيدة ، من خلال ما يحمله الجيل الجديد في أفكاره السياسية و  
الاجتماعية و العقيدية ، مما تعلمه أو مما قرأه أو فكر فيه ، أو في بعض  
مظاهر السلوك السائدة في المجتمعات الغربية ، كالسفور للنساء و كالميوعة  
للرجال ، و كالأوضاع العامة في العلاقات الاقتصادية كالربا و نحوه ، أو في  
بعض الأوضاع السياسية الحزبية ، المنسجمة مع خط السياسة الغربي و نحو  
ذلك ، مع بعض الاختلافات المتنوعة عن الصورة الحقيقية لما هو الفكر و  
السلوك الغربي ، مما قد يدخل فيه التخلف الذي يطبع كل شيء بصورته .

إن مجتمعنا يمثل صورة المزق المتناثرة ، التي ركبت في بعض مواقعنا بشكل  
شرقي يحمل ملامح الغرب ، أو بشكل غربي يحمل ملامح الشرق ، فكان  
صورة مشوهة حائرة بين الشرق أو الغرب ، و لكنها - على كل حال - قد  
تكون أقرب إلى تقاطيع السمات الشرقية المتخلفة ، منها إلى تقاطيع السمات  
الغربية .

مع ملاحظة مهمة في هذا الاتجاه ، و هي أنه ليس مجتمعاً قرآنياً حتى في  
صورته الشرقية المنفتحة على بعض مظاهر السلوك الإسلامي ، لأن الواقع في  
داخلها يحمل الكثير من علامات الكفر ، أو من مظاهر التخلف ، على طريقة  
الذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض ، أو على طريقة الصورة  
المتناقضة المزدوجة التي عبر عنها عمر الخيام في بعض رباعياته :

في يدي مصحف و خمراً بأخرى

بين هذا و ذاك طوراً فطورا

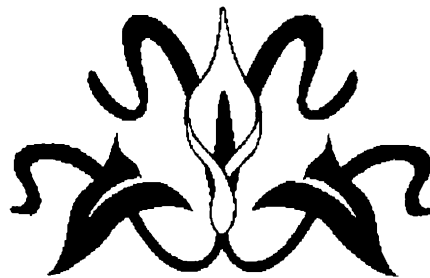
أكثر الناس لو تأملت في الناس

### فهم يحملون ديناً و كفرا

إنه المجتمع الحائر بين رواسبه الإسلامية و شكله الغربي ، في واقع لا تأخذ فيه الرواسب خصائصها الذاتية ، و لا يأخذ فيه الشكل كل ملامحه ، بل هو الشيء المبهم الحائر بين الخصائص المتناقضة و الأشكال المتنوعة .

أبين العقول المستصبة بمصابيح الهدى ، و الأبصار اللامحة إلى منار التقوى ! أبين القلوب التي وهبت الله ، و عوقدت على طاعة الله ! ازدحموا على الحطام ، و تشاحوا على الحرام ، و رفع لهم علم الجنة و النار ، فصرفوا عن الجنة وجوههم ، و أقبلوا إلى النار بأعمالهم ، و دعاهم ربهم فنفروا و ولوا ، و دعاهم الشيطان فاستجابوا و أقبلوا !

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

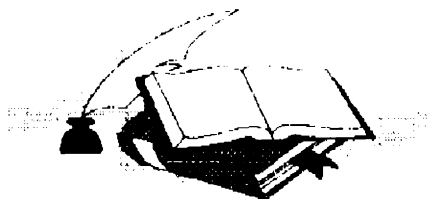


## التمايز بين الإسلام وأبنائه

❖ يسيء البعض إلى الآخرين باسم الإسلام فيرد هؤلاء بجهلهم بأن الإسلام دين ناقص أو ينقصه الكثير ، ماذا توجه لهؤلاء جميعاً وكيف يرد على هذه المسألة ، مع العلم بأن المشكلة ليست في الإسلام كرسالة سماوية ؟

○ هناك من يقول : الإسلام شيء و المسلمون شيء آخر . علينا عندما نعيش في مجتمع ، سواء كان إسلامياً أو مسيحياً ، ينتمي إلى دين معين ، أن ندرس طبيعة الدين ثم نقارن بين خطوطه العامة و بين الواقع الذي يعيشه المنتمون إليه ، و عند ذلك نستطيع أن نقول : هل أن هؤلاء هم صورة الدين أم صورة مخالفة له ؟

هل يمكن أن تلتقي الحركات الوجودية المنادية بالمادية مع الروحانيات ؟ و هل يمكن أن يكون الإنسان وجودياً و مؤمناً في آن واحد ؟  
هذا يتوقف على فهم الوجودية و فهم طبيعة المادية ، عندما يكون الإنسان مادياً بالمعنى الفلسفي للمادية ؛ فإن من الطبيعي أن لا يؤمن بالغيب ، و قضية الإيمان هي الإيمان بالغيب .





## قلق المثقفين

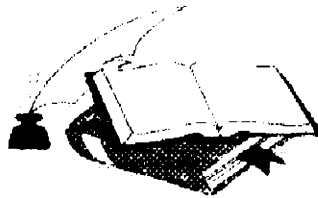
---

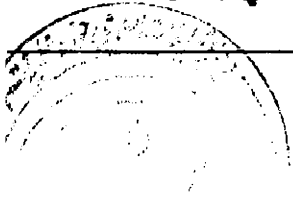
❁ بكل صراحة هل أنت راض عن الواقع الثقافي للإسلاميين المعاصرين في الحاضر ؟

❁ هناك شيء آخر ، تارة نتحدث عن فكر انتميت إليه و أخرى نتحدث عن مجتمع انتمى إلى هذا الفكر و قد يكون إنتماؤه عاطفياً ، و قد يكون إنتماؤه ضبابياً ، هذا شيء آخر ، نحن نتحدث عن الإنتماء الذي يحاول أن ينطلق من ملاحظة علامات الإستفهام و البحث في كل المفردات التي تتصل به ليقف الإنسان عند الإلتزام الذي يتحرك فيه وجدانه العقلي و حسه و شعوره و ما إلى ذلك .

❁ إذاً أنت راض عن واقع المثقفين الإسلاميين ؟

❁ أنا لست راضياً عن ذلك لأنني أرى هناك تخلفاً عند الكثيرين في فهم الإسلام و أرى أن هناك ضعفاً عند البعض في هذا المجال و أرى أشياء غير اسلامية لدى الكثير من المسلمين .





## المثقف الرسالي و مهنة المثقف

تمت

شبهت  
موضوع

هناك جدل يدور بين وقت و آخر حول طبيعة دور المثقف في المجتمع ، البعض يقول ، إن المثقف يجب أن يكون صاحب موقف نقدي و اعتراضي على حركة المجتمع و على سلبياته و على السلطة أحياناً ، و هناك رأي يدعو إلى دور تقني للمثقف ، يعني يكتفي بإنتاج المعرفة و إنتاج الأفكار ، أين أنتم من هذين المفهومين ؟

نحن نعتقد أن مسألة الثقافة هي مسألة معرفية في بعدها الموضوعي ، مما يفرض على الإنسان الذي ينتج التجربة الثقافية أن يتوافر على كل عناصر المعرفة ، و يعمل على الإبداع فيها بكل ما عنده من طاقة فكر ، لأن ذلك هو معنى الإخلاص للثقافة بأن تعطيها كل عقلك و قلبك و إحساسك و شعورك ، و أن تدخل فيها كل حياتك بالمعنى الغني للحياة أوبالمعنى الإنساني للحياة ، لكن السؤال : لم المعرفة ؟ لم الثقافة ؟ إنك لا تستطيع أن تجعل الثقافة و المعرفة شيئاً معلقاً في الهواء . إن الثقافة المعرفة ، هي الإنسان قيمتها أنها تتبع من عقل الإنسان ليكون أكبر ، و قلب الإنسان ليكون أطيب ، و حياة الإنسان لتكون أغلى .

و لهذا فإن المثقف لا يستطيع أن ينفصل عن إنسانيته ، فإذا كانت الثقافة للحياة و كانت المعرفة للإنسان ، فمن الطبيعي أن تحرك المعرفة من أجل أن تعطي الإنسان انفتاحاً أكثر و طمأنينة أكثر و استقراراً أكثر و حرية أكثر . و هكذا

بالنسبة إلى حركة الثقافة . أنا لا أستطيع أن أتصور إنساناً يعيش المعرفة و لا يفتح على كل اهتزازات الواقع و كل حركة البسوس و الشقاء و حركة المستكبرين في اضطهاد المستضعفين . لذلك أقول : كلما كنت مثقفاً أكثر ، و كلما كنت إنساناً أكثر كنت إنسان الحياة الذي تدخل الحياة إلى عقله ، ليفكر للحياة دائماً ، لا لينطلق في التجريد ليعيش بعيداً عن الواقع ، لأن مشكلة الكثير من الفكر التجريدي الفلسفي هو أنه جعل الإنسان يحلق في الفضاء من دون أن يعرف كيف ينقل أقدامه على الأرض .

و كلمتي إلى الجميع أن يعود الجميع إلى شروط الحوار الموضوعية من معيارية ثابتة و واضحة لكي لا يتورط المتحاورون بامتهان عقولهم من خلال امتهان المعرفة و تشويهها لأن الخسارة الفكرية في مثل تلك الأجواء المحمومة بالجهل و جاهليات التعصب هي خسارة للجميع .



سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله و ما أوضح الحق عند من هديته سبيله .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## غربة الإنسان المؤمن في بيئة غريبة



✽ **يعمد القرآن الكريم - فيما يشيره أماننا من مواقف في تاريخ العقيدة الإلهية في حركة الأنبياء ، و تأثيرها في حياة مجتمعاتهم الكافرة و الضالة - أن يستعرض بعض النماذج الحية التي يشبه وجودها ، الظاهرة البارزة من حيث الموقف الرائع الذي تمارس فيه عملية التحدي . كيف نقرأ تجربة مؤمن آل فرعون في هذا العصر ؟**

○ لا نجد من المستبعد أن ينشأ إنسان مؤمن في مجتمع الكفر بصورة عامة، و لكن الأمر المستبعد جداً ، أن يكون هذا الإنسان جزءاً من الجهاز الحاكم الذي يرعى حركة الكفر و ينميتها و يحارب كل من يعارضها أو يقف في وجهها ، باعتبار أن الكفر هو الأساس في امتيازات الحكم الذي حصل عليها ، إذ لا يعود لديه مبرر شرعي لدى المجتمع ، فيما إذا كان الإيمان هو الساند في حياة الناس لأنه يفقد - بذلك قداسة الشخصية و قداسة المركز .. كما نلاحظه في فرعون و مجتمعه ، فقد كان يحكم المجتمع من موقع شعور الآخرين بقداسته ، لأنه يجسد الألوهية أو يحمل جزءاً منها يبرر له مطالبة الآخرين بالخضوع له و تقديسه .

و على ضوء هذا نستطيع أن نقرر ، أن مؤمن آل فرعون يمثل ظاهرة مشرقة جديرة بالتأمل و الدرس ، و باعثة على انبثاق الأمل في ظلمات اليأس .. عندما يجد الداعية الأجواء مكفهرة أمامه .. فإنه سيلتقي بالأمال الخضراء في ظهور

وجه جديد ، غير منتظر ، ليحمل الرسالة معه ، و يجاهد من أجله من غير اعتبار للإمكانيات أو الإغراءات المطروحة أمامه ، أو الموجودة لديه .

و قد صور لنا القرآن الكريم هذا المؤمن - الظاهرة - بصورة الإنسان الرسالي الذي يمتلأ قلبه بالحزن على قومه ، فتزحف مشاعره على كلماته هادئة حذرة ، تتلمس الكلمات بحذر و هدوء ، لتفتح من خلالها نافذة على الحق هنا ، و نافذة هناك فتفسح المجال للضوء أن يخترق بعض خيوط الظلام ، لينطلق الضياء لمعة في الأعماق و إشراقة في الضمير - خطوة فخطوة - قبل أن يشعر جنود الظلام بأن جحافل الفجر تعد في مقالع الضوء أعمدة الشروق .

ثم يندفع - في رسالته - .. و تتصاعد الكلمات بقوة . و تتفجر الآلام بحزم ، و تتطلق الكلمة الحاسمة ، لتكشف عن الحق فيحسم الموقف بالنداء القوي الهادر الذي يترك الحذر خلفه ، ليستقبل المجابهة بقوة .

و لعل القيمة الكبيرة ، لهذا المؤمن ، تتمثل في هذه الانطلاقة الإيمانية التي عاشت في نفسه فعبأت داخله بكل المعاني الكبيرة في الحياة ، حتى تحول إلى إنسان لا يكتفي بالجانب الذاتي للإيمان الذي يضمن له مصيره في الآخرة من دون أن يترك أي أثر حركي في موقفه تجاه الآخرين ، كما هو حال الكثيرين من المؤمنين الذين يشعرون بأن مسؤوليتهم تجاه الإيمان تنتهي عندما يقومون بما يفرضه عليهم من أعمال و عبادات أو ممارسات فردية ... لأن ذلك هو سبيل النجاة في الآخرة .. أما الأعمال التي تعرض الإنسان للخطر ، بفعل واقع المواجهة القوية للتحديات الفكرية و الاجتماعية و العسكرية .. فهذه ليست مما تفرضه عليه مسؤولية الإيمان ، فإن لها أهلها و أصحابها .

أما هذا المؤمن فلم يكتف بهذا الجانب ، بل اعتبر الإيمان مسؤولية المؤمن ، لارتباطه بقضية الخلاص الشخصي في الدنيا و الآخرة ، و علاقته بخلاص الآخرين ، على أساس أن طبيعة الإيمان أن يعيش المؤمن - في نفسه - حركة

الرسالة و امتدادها في حساب المسؤولية التي تحول كل المؤمنين إلى رسل صغار ، بحسب طاقاتهم و قدرتهم ، كما تحول الأقوال و الأعمال إلى رسالة تتحرك في أكثر من اتجاه لتلتقي - بعد ذلك - في نطاق الهدف الواحد الكبير و هو سعادة الإنسان في ظل شريعة الله و رسالته ..

و كان يكتّم إيمانه ، لا على أساس الخوف ، فقد كان - فيما يبدو - يملك الموقف القوي الذي يكفل له الحماية من قومه .. و لكن على أساس أن يحصل على حرية الحركة في الداخل ، ليخدم الرسالة بالأسلوب الواقعي المرن في إطار الإيحاء بالحياد و الاعتدال إذا وقع التطرف المتمثل في حالة فرعون المتوترة التي توحى بكل المواقف الحاقدة المدمرة ضد الرسالة و الرسول .. فقد بدأ العمل على تفشيل مخططات فرعون ضد موسى بهدوء .. من خلال الكلمات التي توحى بالتفكير و تبعث على اليقظة ، فيما كان ينثره منها هنا .. و هناك .. مع هذا الشخص أو ذاك ، و لدى المجموعة هذه أو تلك .. حتى نستطيع أن نرجع إلى تأثيره ، مواقف فرعون الخائفة التي كان يستجدي فيها التأييد من أتباعه في اتخاذ موقف شديد ضد موسى ، و لكنه لم يحصل على شيء من ذلك ، فقد يظهر لنا من خلال دراستنا للحوار الذي كان يديره مع قومه ، أنه كان يعمل على تفريغ القوة من الداخل حتى يرتفع الضغط عن الرسالة من جهة ، و تقوى خطوات الرسول من جهة أخرى .. و كان يتابع

عمله هذا من موقع القوة التي يتمتع بها لا من موقع الضعف ، لأننا نلاحظ - فيما يأتي - من حديث القرآن عنه ، أنه كان يعبر عن رأيه في كثير من المجالات بصراحة و قوة و من غير أن يجابه بأي رد ، أو محاولة للرد من أحد .

و قد تحدث القرآن الكريم عن هذا المؤمن ، و عن مواقفه في إطار الحديث عن قصة موسى مع فرعون . حيث نلتقي به في هذا الجو الجديد من الحوار

الذي نلمح فيه فرعون مجتمعاً بقومه ، طالباً تأييدهم في إعطائه الحرية في قتل موسى متذرعاً بالأسباب التي يتذرع بها الطغاة - عادة - من أجل القضاء على خصومهم من أصحاب المبادئ و الرسائل و الأفكار الاصلاحية حيث يبررون ذلك بالمحافظة على النظام و صلاح أمر البلاد و العباد . و هنا يقف هذا المؤمن ، لينطلق صوته من الداخل ، في أسلوب لا يجابه فيه فرعون بشكل مباشر ، بل يتجه إلى قومه ليمنعهم من التجاوب مع فرعون في طلبه .. فلتلقي بالموقف الرائع المتحرك الذي يرسم لنا صورة جديدة من الحوار الذي لا يلتقي فيه المتحاورون وجهاً لوجه ، بل يطرح أحدهما الفكرة في حياة المجتمع ، و ينطلق الآخر ليتحدث مع أفراد المجتمع في رد الفكرة و رفضها و إظهار فسادها و خطأها ، لأن الطرف الأول للحوار لا يمكن أن يخضع لروح الحوار في أجواء البحث عن الحقيقة ، لأن القضية عنده قضية سلطان يجب أن تدوم و يستمر ، القضية يجب أن يقوم و ينطلق ، و لهذا فان مواجهته بالنقد و الحوار لا تحقق أية نتيجة ، لأن من الممكن أن تشارك في خنق الصوت و قتله من جهة أو إقامة الحواجز بين المجتمع و بين صوت الحق من جهة أخرى . بل الخطة العملية تنحصر في التوجه إلى المجتمع بعيداً عن أجواء الحاكم و ضغوطه ، ليلقي إليه بالفكرة التي تواجه الفكرة المطروحة ، فان ذلك هو السبيل الأفضل في الوصول إلى النتيجة ، بلا سلبيات .

و لعل من الروعة في هذا الأسلوب الرائع الجديد - في شكل الحوار - أنك لا تلتقي فيه بصوت فرعون يرن في القاعة في جانب .. و صوت هذا المؤمن ينطلق في جانب آخر ، بل تسمع صوت موسى ينساب هادئاً رسالياً في بعض الحالات لتعطينا الصورة الرائعة للرسالة ، و هي تتحرك بين الرسول و بين الطاغية ، و بين المؤمن بالرسالة ... و هم يجهدون - جميعاً - لملاحقة المجتمع من أجل أن يقودوه إلى ما يريدون .. في الوقت الذي نشعر فيه بأن

هذا المجتمع لا يمارس دوراً حركياً مضاداً بل يبقى خاضعاً للتأثيرات النفسية والفكرية التي تأتي من هنا وهناك من دون أن تجعله يمارس دوره المستقل ، لأنه لم يستطع أن يتخفف من ضغط الجو الحاكم عليه تماماً ، ولذلك ، كان يتأرجح بين رواسته ومصالحه وبين مشاعره وأفكاره ، في عملية تجاذب و صراع ..

و الآن .. نحن مع الآية الكريمة وجهاً لوجه ، لنقف مع الصوت والصورة على الطبيعة .

قال تعالى : ﴿هو قال فرعون نروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم و أن يظهر في الأرض الفساد . و قال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب . و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم و إن يك كاذباً فعليهِ كذبه و إن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد . و قال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم و ما الله يريد ظلماً للعباد . و يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم و من يضل الله فما له من هاد . و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب . الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبير مقتناً عند الله و عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً



و كذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل و ما كيد فرعون إلا في تباب . و قال الذي آمن يا قوم أتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما الحياة الدنيا متع و إن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها و من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . و يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة و تدعونني إلى النار . تدعونني لأكفر بالله و أشرك به ما ليس لي به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لا جرم إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا و لا في الآخرة و أن مردنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوқаه الله سيئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب ﴿ ٤٥-٢٦/٤٠ ﴾

إننا - و نحن نتابع هذه السورة - نلاحظ هذا المؤمن - في البداية - في مظهر الإنسان الحيادي البعيد - نسبياً - عن موضوع الخلاف ، يطرح المسألة كفرد من أفراد العائلة ، بالأسلوب الهاديء الخفيف ، فقد كانت القضية المطروحة ، من فرعون ، على قومه ، هي أعطائه الحرية في قتل موسى على أساس الدفاع عن العقيدة و النظام ، لأنه جاء ليخرب العقيدة ، و يحطم النظام . و هنا يبرز صوت موسى بأسلوبه الرسالي الهاديء الذي يحاول الإحياء بالقوة ، بواسطة قوة الله - ربه و ربهم - عندما يقف ليرد على هذا التهديد بالقتل ، بالاستعاذة بالله و الاستجارة به ، و هو الذي يقف الخلاق كلهم أمامه يوم الحساب فيحاسب المتكبرين حساباً عسيراً .

و ربما نلمح في اعطاء صفة المتكبر لفرعون ، إحياء بأن موقفه لا يصدر عن قناعة ، بل يصدر عن كبرياء و طغيان يحاول أن يغطي بهما ضعف الحجة أو الواقع .

و يتدخل مؤمن فرعون - في أسلوبه الواقعي الحذر - ليواجههم بالانكار عليهم بما يفكرون من قبل موسى ، لأنه قال لهم إن ربي الله في حشد من البيئات و البراهين التي تدعم دعواه و تؤيدها .

إنه لا يملك الرجال و السلاح لتخافوا منه على الملك ، فهو يطرح الفكرة من خلال الرسالة ، فتركوه و شأنه ... فإن كان كاذباً فسيجني جزاء كذبه دون أن يصيبكم منه شيء ، و إن كان صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ... ثم بدأ في إثارة عنصر الخوف في أنفسهم ، بالمقارنة بين ما يملكون من قوة و سطوة و بين ما يصوره موسى من قوة الله المطلقة التي لا يملكون إزاءها أي دفاع لأنها فوق ذلك كله .

و لم يشأ فرعون - فيما يظهر - أن يجيب على هذا اللون من الكلام ، بل استعمل أسلوب الحاكم الذي يطلق إرادته من دون مناقشة بأسلوب حاول أن يخفف فيه من تأثير كلام المؤمن عليهم .. فأعلن لهم أنه يريهم ما يراه ، و لن يهديهم إلا سبيل الرشاد ..

تلك هي القضية التي لا ينتظر عليها جواباً ، لأن دور الأتباع أن يتلقوا كلامه ، كحقيقة لا تناقش ، و لكن مؤمن آل فرعون وقف من جديد ليرد عليه بأسلوب جديد ، يطرح فيه قضية موقفهم من موسى ، ليخوفهم من المصير المظلم الذي قد يستقبلهم كما استقبل غيرهم من الأمم التي وقفت نفس الموقف ، فحاربت أنبياءها و اضطهدتهم ، فلم تمكنهم من الامتداد في حوار مستمر يعطي للفكرة او للرسالة ، حرية التعبير عن نفسها و تطلعاتها في جو حر رصين .

ثم يثير امامهم الفكرة الرسالية التي تشجب جدالهم في آيات الله بغير حجة أو برهان .. بل لأن فرعون أراد لهم ذلك ، فلم يناقشوه ، و لم يسمحوا لأنفسهم أن يناقشوا الفكرة - على الأقل - مما يعرضهم للمقت الكبير أمام الله . و يعود فرعون من جديد .. و كأنه استمع للحوار بين هذا المؤمن و بين قومه

فأراد الرد عليه بشكل غير مباشر ، ليخفف من تأثير فكرة الخوف التي أثارها لديهم هذا المؤمن في حديثه عندما طرح قضية الله ، كقضية في مستوى الحقيقة ..

فهو يتحدث عنه - الآن - كما لو كان مؤمناً - خلافاً لأسلوبه السابق -.. فيطرح أمامهم تاريخ الرسائل و الرسل مع شعوبهم .

و كان أسلوب فرعون يتمثل في إظهار المحاولة الجادة للصعود إلى رب موسى ليراه و يحاسبه ، تماماً كما لو كان شخصاً كبقية الأشخاص الذين يحاربهم و يحاربونه ، و يجادلهم و يجادلونه .. إنه يوحي لهم بأنه يريد أن يكشفه ، هل هو حقيقة أو وهم و خيال .

و قد كانت المحاولة من فرعون استعراضية للتأثير على مشاعر جمهوره ، بالاعلان لهم أن باستطاعته الصعود إلى إله موسى ، باصدار أوامره إلى هامان ، أن يبني له أبراجاً تبلغ به السماء .

و لكن مؤمن آل فرعون ، واقف له بالمرصاد ، يرصد عليه كلماته و يلاحظ تأثيره على الناس ، ليخفف من ذلك أو يبطله ، فنراه - في هذا الموقف - يرفع صوته من جديد ، بأسلوب زاخر بالمرارة و العاطفة ، و مملوء بالموعظة و النصيحة ، فهو يبصرهم بالحياة و فناءها ، و الآخرة و خلودها ، ثم يحدد لهم طبيعة المسؤولية و نتائجها ، فكل إنسان يتحمل مسؤولية عمله ، إن خيراً فخير و إن شراً فشر ، و لن يتحمل أي شخص مسؤولية شخص آخر ، و لذا فإن عليهم أن يواجهوا مسؤوليتهم بأنفسهم ، لأن فرعون لن يستطيع أن يدفع عنهم أي شيء .

و هنا نلمح - في الجو - حدوث تجاذب و صراع بينه و بينهم ، فقد كانوا - فيما يبدو - يحاولون أن يمنعوه من الانطلاق بعيداً في هذا الاتجاه ، ليجروه إلى حياتهم و ملذاتهم و شهواتهم .. و لكنه يظل صامداً في موقفه ، ليشرح لهم

الفارق بين دعوته و دعوتهم ، فهو يدعوهم إلى نعيم الجنة و إلى السعادة ، و إلى النجاة في الدنيا و الآخرة .. أما هم .. فانهم لا يقدمون له أي شيء ، فلا فائدة لهذه الدعوى التي يدعوهم إليها ، و لا أساس ، و لا خطط ، بل هو السير مع الشخص الذي لا يشكل الارتباط به أية ضمانة للحياة .. أي حياة .. بينما يمثل الارتباط بالله كل المعاني الخيرة الطيبة عندما يعيش الإنسان عزيزاً في ظل عزة الله ، مطمئناً إلى مصيره في ظل غفران الله ..

و في ختام هذا الفصل ، يختم حوارهم معهم ، بعد أن استنفد كل وسائله ليقول لهم .. انهم سيتذكرون كلامه كله .. عندما يصطدمون بواقع الحياة الذي يتحدى كل أوضاعهم و أعمالهم تماماً ككل الأصوات الخيرة التي لا تلامس أرواح و أفكار الناس الذين توجه إليهم نداءاتها إلا بعد حين .

ثم يعلن لهم أنه ينفذ يديه منهم و يفوض أمره إلى الله ، فهو الذي يتولى تدبيره في الدنيا و تدبيره في الآخرة .. و تأتي اللمسة القرآنية ، لتمثل استجابة الله له في هذا التفويض ، حيث وقاه الله سيئات مكرهم ، بينما واجهوا نتائج مسئوليتهم فانتهوا إلى النار . و بنس القرار .

و قد لا يفوت القارئ ، و هو يتابع هذه الآيات ، كيف يمكننا أن نطبق كثيراً من عناصر هذا الأسلوب على ما نواجهه في حياتنا المعاصرة ، في ضمن نقاط عديدة :

١- التأكيد على العمل في وجود أشخاص - غير معلنين - من المؤمنين الداعين إلى الله .. فيعيشون مع مجتمعاتهم بأسلوب يترك لديهم انطباعاً بأنهم لا يختلفون عنها من حيث الانتماء ، و من حيث طريقة الحياة ، و لكن من دون أن ينحرفوا عن الخط الصحيح .. ثم يتابعون الرسالة من أجل كسب أكبر عدد ممكن من الأفراد إليها من جهة ، و الاطلاع على الخطط التي توضع ضد الإيمان و أتباعه ، و محاولة تفشيها و القيام بعملية الدفاع و الحماية من جهة

أخرى . و هذا هو الذي تعبر الفكرة الإسلامية الشيعية المعروفة ب( التقية ) التي ينطلق الشيعة فيها من المبادئ القرآنية المتعددة ، كما في هذه القصة ، و قصة عمار بن ياسر و غيرها .

٢- ملاحقة العاملين في سبيل الله للأفكار التي يطلقها الحاكمون المنحرفون و غيرهم في أوساط المجتمع ، لتضليله ، أو لتبرير خطواتهم العدوانية و الانحرافية .. بالأسلوب الذي يربط المجتمع بالفكرة بعيداً عن أية سلبات صدامية ، توجب الدخول في مواقف عنيفة لم يستعدوا لها في مرحلتهم التي يمرون بها .. حتى يتحول الحوار بينهم و بين المجتمع في هذه القضايا ، إلى حوار غير مباشر بينهم و بين الحاكم ، كطريقة عملية من أجل محاولة أخيرة لهدايته و إيقاف ضميره أو تخويفه ، و إلقاء الرعب في نفسه ، عندما يشعر بالأصوات التي ترتفع ضد أفكاره و خطواته بهدوء و قوة و حكمة ، فلا تترك له أية حجة لمواجهةها و تصفيتها ..

٣- التأكيد على استيحاء الروح الرسالية التي تعيش في وجدان الداعية و ضميره و خطواته .. و الحكمة الرائعة في أسلوب الحوار و الدعوة ، مما يوحي بابتعاده عن أجواء التحدي العام .. حتى في أشد الحالات التي يواجهها ضدهم .. فنحن لم نلمح - في نهاية المطاف - في أسلوبه بالاعلان بانتمائه إلى موسى بل بقي على طريقته التي بدأها ، من اعتبار نفسه إنساناً يحكم للحق .. انطلاقاً من دراسته للموقف و قناعته به .. لا من موقع انتسابه إلى أحد أطراف النزاع .

٤- الإبقاء على الأسلوب الوعظي الذي يركز على التخويف من الله و من نتائج الحساب في الآخرة حتى مع المتكبرين و المتجبرين و الطغاة .. كمواجهة لتحدياتهم للناس بالقوة .. بتحديات أكبر منها في نطاق طرح قوة الله في الميدان .. باعتبارها القوة التي لا تقاوم .. ثم محاولة احداث الفجوة بينهم و بين

الناس .. عندما ترتبط قضية الحق و الباطل بقضايا الخوف من المصير لدى الناس ، مما يخلق عندهم شعوراً بضرورة الابتعاد عن مواطن الخطر مهما كانت ..

٥- التركيز على ايضاح الخط الفاصل بين الدعوة إلى الله ، و بين الدعوة إلى غيره ، بابرار الخصائص التي تتميز به كل منها ، و اظهار الطابع الأصلي الذي يطبعهما .. و التركيز على النتائج العملية التي تترتب على اختيار طريق الإيمان بالله و سلامة المصير ، بينما يؤدي السير في الطريق الآخر إلى نتائج خطيرة على الدنيا و الآخرة .. كما لاحظناه في أسلوب الدعوة لدى هذا المؤمن حيث ختم حديثه معهم بالتركيز على طبيعة دعوته التي تنتهي إلى النجاة ، و دعوتهم التي تنتهي إلى النار .

و لا بد لهذا الأسلوب ، من مواجهة المؤثرات الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، التي تساهم في توجيه الرأي العام ، من حيث اعطاء الأفكار و التيارات المطروحة ، ثقة اجتماعية أو رفضاً اجتماعياً .. لأنها قد تضلله و تحرف به عن وضوح الرؤية ، فتلبس لبوس الحق ، أو تمنح الحق ثياب الباطل .. كما نلاحظه في بعض التيارات السياسية و الاقتصادية التي توجه التفكير إلى بعض العوامل الحيوية المتحركة في المجتمع من خلال المشاكل الكبيرة المطروحة من خلالها فتوحي لنا بأنها كل شيء .. مما يعزل بقية العوامل الأخرى .. فيبدو للمجتمع - من ذلك - أنها ترتبط بقضايا المصير .. لأن فكرة المصير عادت شأناً دنيوياً لا علاقة له بالآخرة .. أو بالإيمان بالله من قريب أو من بعيد .

٦- إن ظاهرة مؤمن آل فرعون ، تؤكد الفكرة الإسلامية التي ترفض اعتبار البيئة عنصراً حاسماً يشل عنصر الاختيار و الإرادة فيما يتخذه من مواقف ، و فيما يقوم به من أعمال ، ليكون ذلك مبرراً شرعياً للانحراف من جهة ، و

دليلاً على الاتجاه الجبري الفلسفي الذي ينكر على الإنسان حريته ، من موقع البيئة التي تسيطر على تفكيره و توجه إرادته في اتجاهها المعين ، سواء منها المنحرف و المستقيم .

إن وجود مثل هذا الإنسان الذي يولد في مجتمع الشر ، أو مثل امرأة فرعون التي تعيش تحت ضغط هذا المجتمع يؤكد الفكرة التي تعتبر جو الشر عنصر تشجيع للشر .. يضعف المقاومة و لكنه لا يلغيها .. بل يبقى للإنسان مجال ممارسة الإرادة في ظل الظروف الصعبة .. التي تسمح للإنسان بتجربة الانتصار .

و نجد في الجانب المقابل... الإنسان الذي يولد في مجتمع الخير ، أو يعيش فيه كابن نوح ، و امرأته و امرأة لوط و غيرهم من الأشخاص الذين لم تمنعهم أجواء الخير التي عاشوا فيها من أن ينحرفوا كنتيجة لمؤثرات الانحراف . إن القضية - في الأساس - هي في أن البيئة لا تضع أمام الإنسان حاجز المستحيل بينه و بين الخروج عن إرادة مجتمعه و سلوكه .. بل تشارك في إقامة العقبات و الصعوبات التي يمكن للإنسان أن يخترقها بقوة الفكر و الإرادة - لو أراد ذلك - بعد جهد طويل .

و هذا هو ما يبعث في نفوس العاملين إرادة الانتصار على عوامل البيئة الشريرة و ضغوطها في دفع الإنسان بعيداً عن أفكارها و أخلاقها و سلوكها العملي العام . من أجل دفع عملية التغيير إلى الأمام بقوة الإيمان.



# نقد الفكر الديني و العلماني



## الحرية الدينية و فلسفة الجدل

✽ الفكرة الشائعة لدى كثير من الناس ، أن المؤمن لا يجوز أن يجادل في المقررات الدينية التي تقتضي التسليم المطلق ؛ بل أن فينا من يتصور أن مجرد مناقشة المتدين لأحد ممن يتكلمون باسم الدين ، جرأة و ضلال ... كيف نعي فلسفة الجدل في القرآن ؟

○ لقد أراد الإسلام للناس أن ينطلقوا من موقع التفكير للوصول إلى الإيمان و أطلق لهم الحرية في أن يتحركوا من نقطة الشك إلى قاعدة اليقين ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى القناعات الحاسمة إلا بعد أن يواجه الاحتمالات المتنوعة التي تتحرك في أكثر من صعيد ، مما يجعل من مسألة الشك الذي يثير أكثر من علامات الاستفهام مسألة حيوية في عملية القناعة . و لكن الإسلام يريد للناس أن يجادلوا من موقع العلم بالفكرة التي تقع موضعاً للجدال و هذا هو قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [ آل عمران : ٦٦ ] .

لأن الجدل من موقع الجهل يحول المسألة إلى مزيد من المهاترات و المزايدات ثم أراد لهم أن لا يتعصبوا للباطل الذين يعلمون بطلانه ليجادلوا به في عملية مكابرة و في أسلوب استهزاء ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ مَا أَنْذَرُوا هُزُوعاً ﴾ [ الكهف : ٥٦ ] .

فإن التأكيد على الباطل من خلال التعصب له يمنع الدخول في النقاش بشكل جدي بحيث يؤدي إلى النتائج الحاسمة ، و يدفع بالحديث إلى متاهات واسعة لا مكان فيها لأية قاعدة فكرية يلتقي عليها الجميع ، فيما يلتقي عليه المتجادلون من مسلمات بديهية . و هكذا يلجأ البعض إلى أساليب السخرية و الاستهزاء التي لا تثبت أمامها أية قضية فكرية مهما كانت طبيعتها في صعيد الحق و الباطل . .

إن القرآن الكريم انطلق في مسألة الحوار من موقعين فكريين على مستوى حضارية الأسلوب في الشكل ، و المضمون .

**الموقع الأول :** إخراج الذات من دائرة الجدل الفكري بحيث لا تكون المسألة صراعاً بين شخص مفكر و شخص آخر ، فيما يوحي به ذلك من التزام هذا أو ذاك بفكرته ، كما لو كانت شيئاً ذاتياً يتصل بقيمة الذات في المجال الاجتماعي العام أو الخاص ، بل تكون المسألة صراعاً بين فكر و فكر ، كما لو كانت الفكرتان حالتين موضوعيتين لا ترتبطان بالانتماء الذاتي ، أو لا تتصلان بالقضية العاطفية للإحساس و الشعور ، من خلال اللهب الشعوري الذي قد يشعل الموقف و يحرق الموقع ، فلا يتحدث هذا الفريق عن فكره أو فكر الآخر بل عن فكرة مطروحة للجدل من أجل قناعة جديدة بها ، حتى لو كانت قناعة سابقة لهذا أو ذلك ، و هذا ما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [ سبأ: ٢٤ ] .

فنحن نلاحظ أن الله حدثنا عن النبي و أسلوبه الحوارية مع المشركين ، أنه طرح الفكرة التي يؤمن بها كما لو كانت فكرة قابلة للرفض و القبول ، من خلال أنها قد تكون فكرة هدى أو فكرة ضلال ، كما جعل الفكرة التي يؤمن بها الآخرون في هذا المستوى ، فلا يشعر أحد الفريقين بالخرج في سقوط فكرته بالحوار ، لأنه لم يضمن لها منذ البداية - في الأسلوب - الحق المطلق ، و لم

يلتزم بها الالتزام الذاتي في نطاق العقيدة و الانتماء .  
و من خلال ذلك نجد أن الأسلوب القرآني في الحوار يتقدم بدرجة كبيرة على  
الأسلوب المعاصر الذي بلغه الأسلوب الموضوعي في الحوار الفكري الذي  
تعبر عنه القاعدة المعروفة :

**رأيي صواب يحتمل الخطأ و رأي غيري خطأ يحتمل الصواب .**

فإن هذه القاعدة تطرح الفكرة من موقع الانتماء للذات التي تلتزم الصواب في  
فكرها بنسبة كبيرة ، كما تلتزم الخطأ في فكر الآخر بنسبة كبيرة ايضاً ، مما  
يجعل المسألة مسألة مرتبطة بالذات ، الباحثة عن الغلبة بأية وسيلة كانت ،  
على أساس تأكيد الحالة الذاتية من الحالة الشعورية ، مما قد يسيء إلى أدوات  
الحوار و يعقد روحيته ، بحيث قد تنتهي القضية إلى الانحراف عن  
الموضوعية في كثير من الحالات .

و ربما يخطر في بال بعض الناس ، أن الأسلوب الإسلامي قد يجعل الحوار  
دون لون و يبعد المتحاورين عن الحماس الجدي للفكر الحوارية ، و يحول  
المسألة إلى ما يشبه القفز بالهواء ، لأن الإنسان كلما عاش ذاته أكثر ، كلما  
دافع عن الاشياء المتصلة بها أكثر ، بينما لا يعطي أي اهتمام كبير للقضايا  
المجردة البعيدة عن ذاته و عن حياته الخاصة ، حتى أننا نرى اهتمام الإنسان  
بالقضايا العامة من خلال ارتباطها بالقضايا الخاصة ، باعتبار أن العام هو  
الخاص في مفرداته المتناثرة في حياة الناس .

و لكننا نلاحظ على هذه المخاطرة أن الأسلوب الإسلامي لا يلغي الذات ففي  
العمق لأن المسألة لا تبعد عن واقعية الانتماء فيما هي المسألة الحقيقية في  
البعد الإنساني الواقعي ، فالإنسان يدافع عن فكرته التي يلتزمها إيمانا و عقيدة .  
و لعل مورد الآية يمثل أصدق الشواهد على ذلك ، فالنبي (ص) هو صاحب  
الحوار ، و هو الذي " جاء بالصدق و صدق به " و انطلقت حياته الرسالية

لتؤكد الرسالة في عمق الإنسان ، في فكره و روحه و شعوره و حياته ، كما خاض الكثير من التحديات و ردود التحدي الذي وجهه الآخرون للرسالة من خلال حركة الرسالة في الواقع .

و لذلك فإنه لم ينطلق في أسلوبه من واقع الشك فيما هو الخطأ و الصواب أو الضلال و الهدى ، بل انطلق من الطرح الموضوعي للقضية في صورة الشك الموضوعي الذي يوحى للآخر بالحياد العلمي أمام الفكرة ، ليقوده معه إلى حالة الشك الذي يدفعه بعيداً عن التحجر الذاتي العصبي ، و يدفعه إلى أسلوب الحياد بشكل مماثل ، و بذلك تتبدل اللغة المستعملة في الحوار إلى لغة علمية حيادية بدلاً من اللغة الانفعالية و العقلانية الذاتية ، بفعل ما يثيره الجو من حياء الذات الذي يمنعها من المبادرات العدوانية التي يبتعد عنها الفريق الآخر .

**الموقع الثاني :** الانطلاق من واقع اللقاء في بحث مواقع الخلاف فإن الأسلوب القرآني يعمل على القيام بعملية إيحائية في داخل الجو الحوارية ، بأن مسألة الوصول إلى نتيجة واحدة مشتركة ليست شيئاً مستحيلاً و صعباً في الأجواء المحيطة بالفريقين ، لأن وجود نقاط التقاء في طبيعة الواقع يعني أن اللقاء أخيراً ممكن من خلال اللقاء أولاً .

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن مواقع اللقاء توحى بأن الفريقين ليسا فريقين منفصلين بالكامل ، فهناك نقطة لقاء في موقف أو موقع لأي رأي ، مما يعني أنهما انطلقا كفريق واحد ثم افترقا بعد ذلك ، مما يجعل القضية منطلقة في أهدافها النهائية التي تستهدف الوفاق ، قضية توحى بالأجواء الحميمة غير المتشنجة ، مما يترك تأثيره الإيجابي على أجواء الحوار في نقاط الخلاف ، و هذا ما نستوحيه من قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا و إِلَيْنَا و إِلَيْنَا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [ العنكبوت : ٤٦ ]

و قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ [ آل عمران : ٦٤ ] .

فنحن نلاحظ أن الآية الثانية عبرت - ب " الكلمة السواء " التي تعني وحدة الموقع و الموقف ، الذي ينطلق منه المسلمون و أهل الكتاب بلحاظ وحدة الفكر التوحيدية في الإيمان بالله ، و رفض فكرة ربوبية البشر لبعضهم البعض ، الأمر الذي يوحي بإمكان الدخول في أسلوب مماثل من آية كلمة سواء سياسية أو اجتماعية أو ما إلى ذلك .

إن القرآن هو كتاب الحوار الذي أطلق الجدل في وجود الله و في توحيده ، و في شخصية النبي و في رسالته ، و في القرآن و في اليوم الآخر ، و تحدث عن كل أفكار الآخرين المضادة بكل أمانة و صدق و موضوعية ، و ناقشها بطريقة فكرية ، و دعاهم إلى تقديم برهانهم القائم على المنطق في كل ما يدعون إليه ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [ البقرة : ١١١ ] .

لذلك نستوحي من ذلك كله أن لا محرمات في الحوار القرآني ، لأن القرآن إذا كان يطلق الجدل في وجود الله و في توحيده ، فما هي المقدسات الأخرى التي تتمرد على الحوار ؟

ليس في الإسلام تسليم مطلق بعيداً عن الحجة و البرهان ، بل إن القرآن يتحدث عن التسليم المطلق لله من خلال ما يفرضه الإيمان بالله على المؤمن ، للتنبيه على أن طبيعة الإيمان لا تلتقي مع التوقف في الازدعان لحكم الله ، و هذا ما يوحي به قوله تعالى : ﴿ وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [ الاحزاب : ٣٦ ] .

و قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيماً ﴾ [ النساء : ٦٥ ] .

فقد نلاحظ أن الحديث في هاتين الآيتين موجه إلى المؤمنين و المؤمنات لتأكيد الترابط بين خط الإيمان و خط الالتزام المطلق ، تماماً كما هي القاعدة في الارتباط العضوي بين الأصل و الفرع .

و في ضوء ذلك ، فإن الكلام عن أن مجرد مناقشة المتدين لأحد ممن يتكلمون باسم الدين جرأة و ضلال ، هو كلام غير ذي موضوع ، بل أن من حق المؤمن أن يناقش و يسأل عن الأشياء التي لا يفهمها مما يتصل بعقيدته و أحكامه الشرعية و مفاهيمه العامة ، و مواقع قيادته في كل شؤون المسؤولية ، و نحن نلاحظ في القرآن الكريم أن المسلمين كانوا يجادلون النبي (ص) فيما يخافون منه من مشاريعه الحربية كما ورد في قوله تعالى - في حديثه عن معركة بدر -

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و إن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت و هو ينظرون ﴾ [الأنفال : ٥٠-٦] .

فهو لم يلاحظ عليهم أنهم جادلوا النبي من ناحية المبدأ ، بل لاحظ عليهم أن المضمون الذي كان موضعاً للجدال لم يكن من المفروض أن يدخلوا في جدال حوله لأنه من الحق البين الذي لا ينبغي الاختلاف فيه .

و هكذا نستوحي من قوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣] .

إن السؤال حق طبيعي للناس على أهل الذكر ، من دون تحديد للقضية المسؤول عنها ، فيكفي في شرعية السؤال أن تكون المسألة مما يجهله الإنسان و يود معرفته .

ليس في الإسلام كهنوتية مطلقة ، و لا أسرار مقدسة بل هناك الخط العقيدي الشرعي الذي أراد الله للنبي (ص) أن يبلغه للناس كافة و أراد للناس أن

يتعلموه و يعملوا به .

و في ضوء ذلك ، ليس بين الفقهاء و بين الناس فرق او تمايز ، إلا أنهم أصحاب ثقافة لا يملكها الناس ، و بذلك يتحملون مسؤولياتها ... أمام الله في العطاء الفكري كما يحصلون على بعض المواقع القيادية من خلالها في نطاق القواعد الشرعية و الضوابط العملية ، التي حددها الله لهم في علاقة القيادة بقاعدتها ، و ربما نجد في الحديث النبوي المأثور :

" إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه و من لم يفعل فعليه لعنة الله "

إن من الضروري للعالم الإسلامي أن يواجه كل علامات الاستفهام التي تطرحها البدع في الساحة الثقافية و الاجتماعية و السياسية ، لتثير في الذهن العامة أفكاراً و ملاحظات حول الإسلام في عقيدته و شرعيته ، مما يمكن أن يخلق شكوكاً و شبهات في عقول الناس ، فلا بد له من الحوار في مواقع الشبهة و الجدل في مواقف الرفض و التمرد ، لأن مهمته أن يقود الناس إلى الحق من خلال وسائل الإقناع ، لا من خلال الضغط المتعسف ، و الكلام اللامسؤول ، فإن ذلك قد يحقق لأهل البدع الكثير من حالات الاستقطاب للناس، عندما يواجهونهم بالمنطق في الوقت الذي يواجههم فيه بعض علماء الدين بالعنف و التعسف .

إن الاسلام يدعو إلى الإيمان المنفتح على الحجة و البرهان في كل قواعد الإيمان و لا يدعو إلى الإيمان الأعمى ، و لذلك فإنه يمر بالعلم و الفكر و لا يمر بالجهل و التخلف ، فمن منع مسلماً من سؤال يتعلق بإسلامه كان هو المتخلف الجاهل ، و إن سماه الناس عالماً .

## الحرية المسؤولة

❖ ما معنى الحرية في الإسلام و هل يوجد عليها قيود في استخدامها ؟

○ عندما تكون الحرية مسؤولة فمن الطبيعي أن نتقيد بحرية الآخرين و حرية القيم الإسلامية الأخلاقية التي وضعها الله ، فالإنسان ليس له أية حرية بعيدة عن البرنامج الأخلاقي ، و ليست له أية حرية في الإضرار بالآخرين ، و ليست له أية حرية في الإساءة إلى النظام العام و ما إلى ذلك .

❖ طرحت أكثر من نظرية بخصوص أفضل الأنظمة التي يمكن أن تسود العالم مثل نظرية " نهاية التاريخ " و هي النظرية التي تدعي بالأخذ بالنظام الرأسمالي ، فلماذا لا يطرح الإسلام بشكل جديد بحيث يثبت أفضليته لقيادة العالم ؟

○ من قال بأن النظام الرأسمالي أفضل الأنظمة . نحن عندما ندرس مشاكل الرأسمالية في تركيبها و مشاكل الرأسمالية بالنسبة إلى الأمم التي تحكمها الرأسمالية نجد أن أغلب مشاكل الإنسان المعاصر سواء الإنسان الغربي أو الشرقي ، أو إنسان العالم الثالث ينطلق من خلال النظام الرأسمالي ، لأن النظام الرأسمالي يقوم على الإحتكار و لا يمكن أن يبنى نظاماً بل لا يبنى أية قاعدة أساسية للإنسان . أما لماذا لا يطرح النظام الإسلامي فأنا أعتبر أن هناك



طروحات للنظام الإسلامي بشكل معاصر و بشكل جديد في قبال الأنظمة الأخرى ، و لكن المشكلة هي أن هناك القوة غير المستثمرة في الواقع الإسلامي ، بما يرتقي به إلى أن يطرح نفسه بديلاً لنظام الطروحات الموجودة.

## الناس آخر الزمان

أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ، و لم تهنوا عن توهين الباطل ، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، و لم يقو من قوي عليكم . لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل . و لعمرى ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم ، و قطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد . و اعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم ، سلك بكم منهاج الرسول ، و كفيتم مؤونة الاعتساف ، و نبذتم الثقل الفادح عن الاعناق .

من كلمات الامام علي (ع) - نهج البلاغة -

## تحديات الجدل و الصراع

❖ **هل تتصورون أن هناك حملة مخطط لها تستهدف طرح حالة التشكيك في مفردات الفكر الإسلامي ، و كيف نقف بوجهها ؟**

❖ إن الإسلام اليوم يعيش حرباً عالمية ، فهناك الاستكبار العالمي يقف بالتحالف مع الكفر العالمي ، و الإسلام يواجه حملة عالمية شعواء و نحن نعرف أنه في أول اجتماع للحلف الأطلسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و قفت ( مارغريت تاتشر ) رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك ، و كانوا قد تساؤلوا عن المبرر في بقاء الحلف الأطلسي الذي كان موجهاً ضد الاتحاد السوفيتي فقالت (تاتشر ) : إن العدو الجديد الذي يجب أن نحاربه هو الإسلام ، لأن الإسلام سيقف ضد مصالح الغرب في كل مناطقه .

و من الطبيعي أن يكون في الحملة تشكيك و تشويه للإسلام و تشويه للحركة الإسلامية ، و تشويه لكل الواقع ، خصوصاً حينما نعيش المشاكل الموجودة الآن ، كمشكلة النظام العراقي ، فمما يفرح النظام العراقي الطاغوي هو التشكيك بكل المجاهدين في أي فريق كانوا ، إن هذا التشكيك ، و هذه المعارك الجانبية أعظم هدية تقدمونها للنظام المذكور سواء ما يحصل هنا أو في إيران أو في أي مكان يثار فيه الجدل البيزنطي الذي يتحدث عن جنس الملائكة بدلاً من أن نتحدث كيف يمكن أن نسقط الطاغوي و نخلص الشعب العراقي منه .

هناك غفلة سياسية و هناك تخلف سياسي من الدرجة الأولى ، فنحن كما كان

الحال عندما كان ( محمد الفاتح ) يدق أبواب قسطنطينة و الجدل دائر :  
الملائكة ذكور أم إناث ؟ البيضة أصل الدجاجة أم الدجاجة أصل البيضة ؟  
فحطم الباب و استولى على المدينة و بقي الجدل الفارغ فارغاً .  
و لذلك فقد أخرج كل المجاهدين و الحركيين و المخلصين و العلماء من هوة  
الجدل الفارغ و نحن كما يقول الشاعر :

و نبقي نلف و نبقي ندور      و نحن نفتش عن قافية  
ألا قتل الضعف فينا      فقد أضاع الرعية و الراعية

✽ تحدد مستويات النقد للمشروع الفكري الإسلامي بثلاثة مستويات : أولها  
نقد المفاهيم ، و الثاني : نقد آليات الممارسة لتلك المفاهيم ، و الاتجاه  
الثالث : و هو الأخطر الذي يحاول نسخ كل إرتكازات العقل المسلم ، و  
السؤال هنا : كيف يمكن للفكر الإسلامي أن يصمد خاصة أن المستويات  
الثلاثة كانت كافية في الماضي لتحويل إتجاه أي فكر ؟

○ لقد صمد الفكر الإسلامي على مدى التاريخ ، و هذه التحديات ليست جديدة  
فالتحدي و نقد المفاهيم و نقد آلية المفاهيم و نقد ركائز العقل الإسلامي كل ذلك  
كان موجوداً أيام الإمام جعفر الصادق (ع) فلقد كان يجلس مع الزنادقة في  
المسجد الحرام و كان يحاورهم في كل ذلك و انطلقت هذه النقود من خلال كل  
الفلسفات المضادة التي كانت توجه للإسلام كل اتهاماتها و شبهاتها و انتصر  
الإسلام عليهم في جميع المعارك الفكرية و اليوم هناك نقد للعقل الإسلامي و  
نقد للعقل العربي و نقد للكثير من المفاهيم الإسلامية .

و اعتقد بأن هناك من المفكرين المسلمين من يقف متصدياً لذلك . و إذن نحن  
لا نعاني ضعفاً في نمو المفكرين المسلمين و لذلك نقول لكل الذين يسиров

في خط دراسة الفكر الإسلامي أن يعملوا على تنمية ثقافتهم حتى يكونوا في مستوى الوقوف في ساحة الصراع من موقع قوة ، نحن نعتقد بأن الإسلام في قواعده الفكرية و في طبيعة مفاهيمه و آلياته يملك ما يستطيع من خلاله أن يصمد في المستقبل كما صمد في الماضي ، و لكن القضية أنه لا بد أن ينشأ هناك مفكرون يعيشون في المستوى الذي يمكن أن يقف بقوة في ساحة الصراع ، فليس الضعف ناشئاً من الفكر الإسلامي ذاته و لكن قد يكون الضعف ناتجاً منه في كثير من الحالات .

## الحكم للقرآن

أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ! أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا ، و عليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه و سلم عن تبليغه و أدائه ، و الله سبحانه يقول : " ما فرطنا في الكتاب من شيء " و فيه تبيان لكل شيء ، و ذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً ، و أنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " و إن القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه ، و لا تنقضي غرائبيه ، و لا تكشف الظلمات إلا به

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## روية منهجية للاختلاف

❖ لا ريب أن فكر أهل البيت (ع) يشق طريقه للعقول على امتداد البسيطة، ولكن البعض يثير الضباب أو التشويش ليضع حواجز و أحكاماً مسبقة عند الناس ، لرفض هذا الفكر ، و من ذلك إثارة موضوع استخدام الشهادة الثالثة ليضعوا خطأ خلافاً بين المسلمين يبدأ من الآذان . و نحن نبدأ من هنا لوضع التبريرات و الأعذار الشرعية ، لذلك فمهما كانت قوة هذه الحجج لكنها تبقى دفاعية ، ألا ترون أن هذا الموضوع يعيق آمال الوحدة في أكثر الأحيان لأنه يخلق حاجزاً بين المسلم و أخيه ؟

○ في كثير من الحالات يجب أن يكون و عي المسألة بحسب طبيعتها و حدودها و بطريقة علمية يجعلنا لا نخاف من أي شيء ، فالذين يخافون هم الذين يريدون أن يسجلوا نقطاً ، كأن يسجل الشيعة على السنة نقطة و أن يسجل السنة على الشيعة نقطة حتى يقال أننا نبدأ بالاختلاف من الآذان ، فإذا كنتم تريدوننا أن نتحدث عن الوحدة الإسلامية ، هذا ليس منطق القرآن ، بل منطق القرآن هو أن يركز على نقاط اللقاء لتتحرك نحو نقاط الخلاف من خلال روح اللقاء ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] . لا نعبد إلا الله ﴿ إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [ المائدة : ٧٣ ] . لا نعبد إلا الله ﴿ إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ [ المائدة : ١٧ ] . إنهم يعبدون الله بفهم معين حتى أن بعض

الأشخاص سأل أحد الأئمة في قضية الذبيحة ، هل لا بد فيها من التسمية ؟ لأن بعض الأحاديث تدلل على جواز ذبيحة النصارى أو اليهود فاعترض على الإمام قائلًا إنهم يقولون عليها ( باسم المسيح ) و قال ( إنما يريدون بالمسيح الله ) يعني هم يذكرون الله و لكن بطريقتهم الخاصة ، و إنني أسوق ذلك كشاهد و لا أريد مناقشة المسألة .

فالله ألغى الخلاف في التفاصيل حين قال ﴿ **تعالوا إلى كلمة سواء بيننا** ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] أنتم تعبدون الله الواحد و نحن نعبد الله الواحد حتى لو تصورتم الله الواحد بطريقتكم الخاصة كما يعبر البعض ( باسم الأب و الأبْن و الروح القدس ) إلها واحداً يعني يعتبرون الأقانيم الثلاثة لا تنافي الوحدة بطريقتهم الخاصة طبعاً . و نحن نعلم أن الله ركز على الخطوط العامة في عملية اللقاء مع الآخر ، و الثاني هو وحدة الإنسانية ﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضاً** أرباباً من دون الله ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] .

و في آية أخرى نقرأ ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم و قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و أنزل إليكم و إلها و إلهكم واحد و نحن له مسلمون** ﴾ [ العنكبوت : ٤٦ ] . لذلك إذا بدأنا بنقاط الخلاف فلا نستطيع أن نتفاهم . و على سبيل الطرفة كما لو أنك تقول لشخص تعال نتفاهم فيرد عليك بالقول (أنت أبيض و أنا أسمر ، دعنا نحل مسألة بياض وجهك و سمرة وجهي و من ثم نتحاور مع بعضنا ) إن مشكلتنا أحياناً شبيهة بهذه الطرفة . فنحن نؤمن جميعاً شيعة و سنة بأن التشريع انتهى بقاء النبي (ص) بربه ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ فلا يملك الشيعة أن يشرعوا و لا يملك السنة أن يشرعوا و حتى الشيعة الذين يقولون بعصمة الأئمة (ع) يقولون أن الأئمة لا يشرعون و إنما يتحدثون عن رسول الله (ص) فيما يتحدثون ، و الإمام الصادق (ع) يقول " حديثي

حديث أبي و حديث جدي إلى أن ينتهي حديث جدي حديث رسول الله و حديث رسول الله عن جبرئيل عن الله "

لذلك قال أئمتنا (ع) " لا تقبلوا إلا ما وافق كتاب ربنا و سنة نبيه " فليس هناك تشريع بعد النبي (ص) و لا يملك أحد التشريع بالمعنى الإسلامي للتشريع أي أن يشرع حكماً جديداً لم يشرعه الله ، نعم ، من الممكن جداً أن تكون بعض الأحكام قد حفظها أو كتبها علي (ع) و لم يكتبها الآخرون و لكنه ليس تشريعاً و إنما كتب ما قاله على ضوء " علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب "

لذلك عندما نتحدث عن الشهادة الثالثة فليس هناك من علماء خط أئمة أهل البيت ، و هو مثبت في رسائلهم العلمية ، ومن يقول الشهادة الثالثة جزء من الأذان أي جزء مستحب من الأذان أو جزء من الإقامة ، فليس هناك من يقول بذلك و من اعتقد بأن من أوتي بها كما يأتي ( بأشهد أن محمداً رسول الله ) (ص) كان مشرعاً مأثوماً و على هذا أجماع كل علماء الشيعة ، و إنما يأتي بها بعض الناس أو اعتادها الناس كمن يعقب على قول ( أشهد أن لا إله إلا الله ) كبرت كبيراً لا يقاس بغيره أو ( أشهد أن محمداً رسول الله ) فيقول ( صلى الله عليه و آله و سلم ) لا بد أن يقولها بهذا القصد كما يقول (صلى الله عليه و آله ) فهي ليست تشريعاً ، بمعنى إضافة جزء من غير الأذان إلى الأذان بحيث يكون جزءاً شرعياً أساسياً في الأذان فهذا ما لا يقول به أحد أبداً .

و كما قلنا فإن هذه هي لعبة ( الأهداف ) فالسنة يسجلون على الشيعة هدفاً و الشيعة يأتون أيضاً و يقولون للسنة أنتم تقولون ( الصلاة خير من النوم ) و إن هذا لم يكن على عهد رسول الله و يشتد الجدل .

نحن نقول يجب أن نتفق على الصلاة و ليس هناك مشكلة ، ف شخص يسبل و آخر يتكثف فهذه أمور غير أساسية ، لننتق على الصلاة أولاً و لنتناور في هذا

الموضوع لاحقاً .

ما نريد تأكيده - أيها الأحبة - أمام التحديات التي تواجه الإسلام هو أن يتعلم المسلمون كيف يكونون رحماء بينهم في التعاون على فهم الحقيقة ، فلو كانت عندنا الروحية التي علمنا القرآن أن نتحلى بها في الحوار إن تنازعنا في شيء ففرده إلى الله و إلى رسوله ، نكون أكثر الناس إتفاقاً .

و لذلك علينا أن نملك روح الإسلام التي توحدنا لا روح المذهبية التي يلغي فيها كل منا إسلامه لينطلق بعصبيته .

و لقد قلنا مراراً أننا مع المذهبية الفكرية التي تجعل المذهب فكراً يدعو إلى الحوار و المناقشة و لسنا المذهبية الطائفية التي تجعل المذهب حالة عصبية لا علاقة لها بالفكر .

\*\*\*\*\*

فيهم كرائم القرآن و هم كنوز الرحمن . إن نطقوا صدقوا ، و إن صمتوا لم يسبقوا . فليصدق رائد أهله ، و ليحضر عقله ، و ليكن من أبناء الآخرة ، فإنه منها قدم ، و إليها ينقلب فالناظر بالقلب ، العامل بالبصر ، يكون مبتدأ عمله أن يعلم : أعماله عليه أم له ، فإن كان له مضى فيه ، و إن كان عليه وقف عنه . فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق . فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعداً من حاجته . و العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح . فليتنظر ناظر : أسائر هو أم راجع

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

\*\*\*\*\*



## ادونيس و النص الفقهي

✽ حول موضوع الحرية يقول الشاعر أدونيس " إن غياب الحرية مرتبط بالقراءة الفقهية للنص الديني ، و الحرية في الفقه العربي الاسلامي لم تكن مفهوماً سياسياً أو مدنياً و إنما كانت بالاحرى مفهوماً دينياً . كانت الحرية نوعاً من ممارسة الطاعة ، و مبايعة الخليفة صاحب السلطة و تفويض الأمر إليه في كل شيء . و هكذا نشأت الوحدة بين حقيقة الدين و السلطة ، أي على نحو تناقضي بين الحرية و السلطة ، بين الفكر و السلطة و لم يكن للفرد بتعبير آخر وجود إلا بوصفه طائعاً أي بوصفه جزءاً عضوياً من الجماعة ، يرى رأيها و يقول قولها . و الخروج عن الجماعة كان و لا يزال كفراً يؤدي غالباً إلى النبذ و أحياناً إلى القتل . و كان الخروج على الجماعة فكراً و لا يزال خروجاً سياسياً شرعياً بل قانونياً في الوقت نفسه ، من حيث أنه خروج على السلطة القائمة للجماعة . عندما يسلب الانسان حق الكلام فإنه سلب حق الوجود و حق الحياة ما رأيكم في هذا التحليل ؟ و تحديداً ما رأيكم في حرية الفرد داخل الجماعة الاسلامية ؟ و ما رأيكم في حرية الجماعة الاسلامية غير الموافقة على رأي السلطة السائدة في الاسلام ؟ و ما رأيكم في حرية الجماعة الاسلامية الموجودة داخل الحاضرة الاسلامية ؟

في تصوري أن أدونيس الذي نحترم مستواه الفني ، في ما هو الابداع

الشعري في بعض تجاربه على الأقل ، عندما يطرح هذه الفكرة التي نجد في بعض ملامحها الخفية اللاشعورية بعض العقد من الدين نفسه ، وربما هو طرح في هذه التعليقة ، ما يعتبره حالة من القمع . إنك ترمي الآخر الذي يختلف معك ، لأنه يحمل عقدة ضدك من دون أن تفهم فكره بالطريقة الفكرية السليمة . إنني أحلل الآن و لا أريد في هذه الملاحظة ، لأن الكثيرين من الناس حتى المتقنين الذين قد يشعرون بقيود الواقع التي تمتد إلى كثير من اغلال الماضي يتمردون عليها ، و يتحول ذلك التمرد إلى حالة في اللاشعور ، تحاول أن تنظر إلى القضية من الجانب الواحد و تبتعد عن الشمولية في نظرتها .

إن ادونيس يطرح مسألة الحرية ، من خلال أن هناك شيئاً اسمه النص الديني ، و أن هناك شيئاً اسمه الجماعة . رأي الجماعة ، الذي يعد الخروج عنه كفراً و هرطقة و ما إلى ذلك و إن الإنسان حر حتى في الوسط الاسلامي او العربي في الدائرة التي ترسم له ، حر أن يطيع ، حر أن يخضع و أن يسجد . إننا لا ننكر وجود تجارب كثيرة في الوسط العربي و الاسلامي ، على مستوى الماضي و على مستوى الحاضر ، ربما تعيش هذا الجو .

و لكننا عندما نريد أن نؤكد النص الفقهي ، فإن النص الفقهي لا يمكن أن يكون على خلاف مع النص القرآني ، لأن النص القرآني هو الأساس في كل الفقه . و من المميزات الأساسية للقرآن انه يطرح الفكر المضاد الذي يواجه فكره في العمق ، و يخلد الفكر المضاد للأجيال ، حتى في ما يتصل بشخصية النبي و بشخصية القرآن . عندما يطرح القرآن الكريم ، بأنهم قالوا عن النبي (ص) بأنه مجنون ، إنه يثير الشك في عقول كل الأجيال القادمة ، و هكذا عندما يطرح أنهم يقولون عنه إنه كاهن ، إنه كاذب ، إنه شاعر ﴿ و قد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ [ النحل : ١٠٣ ] ليس نبياً و لكن هناك من يعلمه ، عندما يطرح أن القرآن ﴿ اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلا ﴾

[ الفرقان : / ٥ ] في كل ذلك إنما يطرح الفكرة المضادة التي يقدمها الآخر في مواجهة القرآن ، و في مواجهة النبي و يخلدها في الكتاب المقدس . إن النص القرآني يحترم فكر الآخر و يريد للمسلمين أن يضعوا في حساباتهم أن النبي (ص) قال كذا ، و أن عليكم أن تفكروا بالرد القرآني ، و أن المشركين قالوا عن القرآن كذا ، و أن عليكم أن تفكروا بالرد .

إن المسألة ليست مسألة النص الذي يلغي الآخر ، و لكن من الطبيعي للنص أن يحتفظ بخصوصيته في الحكم على الآخر . بعض الناس يعتقدون عندما يقول عنهم الاسلام : انهم كفرة ، لماذا عندما يريدون المحافظة على صفة الايمان إذا كانوا لا يؤمنون ؟ صحيح أن الذي يخرج عن رأي الجماعة هو انسان كافر ، لأن الايمان و الكفر حقيقتان موضوعيتان في ما هي الحالة الفكرية و النفسية للإنسان . أن تؤمن بوجود الله، أن تؤمن بنبوة رسول الله ، أن تؤمن باليوم الآخر فأنت مسلم ، أن لا تؤمن بواحدة منها ، فأنت غير مسلم ، إن الاسلام يحترمك عندما يقول عنك إنك كافر لأنه لا يريد أن تتقمص شخصية الايمان و أنت لا تحمل مصداقيتها . إن بعض الناس يتعدون من هذه الكلمة ، من خلال طبيعة الحالة الاجتماعية التي قد تواجه بعض الناس بأسلوب معين ، رافض أو معقد تجاه ما يحملونه من صفات . إنني قلت لبعض الماركسين المفكرين : ما معنى أن تذهب لتعقد عقد زواج عند الشيخ أو في الكنيسة ؟ ما معنى أن تفكروا انه لا بد أن يأتي كاهن أو شيخ ليصلي على الميت الماركسي ما كل هذا ؟ إن المسألة هي أن الخروج على الجماعة في ما هي المسائل الفكرية الأساسية تجعلك في دائرة معاني المفردات المغايرة و هذا موجود في جميع الأنظمة الفكرية و ليس في الإسلام فقط .

✽ عندما تستخدم جهة معينة تعبير " كافر " فهي تضر نوعاً من الاحتكار

للإيمان يعني قد تكون كافراً إنما من وجهة نظر محدودة ، و قد تكون مؤمناً من وجهة نظر أخرى ؟

○ عندما تريد أن تكون دقيقاً في المصطلحات ، إن كلمة المؤمن ليست كلمة في المطلق بل هي نسبية ، و كلمة الكافر ليست كلمة في المطلق ، بل نسبية أيضاً . و على ضوء هذا فأنت في المسألة الإسلامية لست مؤمناً ، إذا كنت لا تؤمن بعقيدة الإسلام و لو فرضنا أنك كنت ملحداً ، فأنت مؤمن بالإلحاد . المسألة تتحرك من خلال طبيعة الجو الذي تضع في عنوانه مسألة المؤمن و الكافر .

✽ يعني أصبح هناك نوع من الاحتكار للعلاقة بالله ؟ قد أؤمن بالله و لكن بطريقة مختلفة ؟

○ قلت في جوابي ، و يجب أن أوضح أننا عندما نتحدث عن مصطلح ، أنت مؤمن بالإسلام بهذه الطريقة التي يعنيها الإسلام في الإيمان بالله و في الانفتاح على الله ، و ربما تكون مؤمناً بالله بطريقة أخرى ، عندما تكون مسيحياً فأنت مؤمن بالله بطريقة معينة ، أو عندما لا تكون مسيحياً و لا مسلماً و لا بوذياً و تؤمن بالله المطلق ، أنت مؤمن من ناحية ، و لكنك كافر بحقائق أو بمفردات فكرية معينة من جهة أخرى . عندما نتحدث في المجتمع الإسلامي عن الكافر و المؤمن ، نتحدث عن الكافر بالإسلام من خلال عقيدته و المؤمن بالإسلام من خلال عقيدته . القضية تعيش في هذا الإطار . و لذلك لا تكون كلمة " الكافر " للذي يؤمن بالإسلام مشكلة من قريب أو من بعيد لأي كان . كذلك قد تكون الحرية في بعض المواقع - و أقصد بالحرية اظهار الفكر الآخر

- أو في الدائرة الواسعة ربما تكون في بعض الحالات مصلحة للأمة أو للناس و ربما لا أن تقع لأنك تفكر ، هذا ليس وارداً في الحسابات ، بل ربما نجد أن الاسلام يفسح المجال لكل صاحب فكر أن يأتي و يطلب من المسلمين أن يناقشوا فكره في الساحات العامة أو الخاصة ليقنعهم أو يقنعوه . ربما يمنع الاسلام كفكر ملتزم - الحرية في الحالات التي قد يشعر فيها أنها تمثل نفياً له و خطراً عليه . و هذا أمر موجود عند كل فكر ملتزم ، حتى الذين يؤمنون بالحرية ، كيف يفكرون إزاء الآخرين الذين يريدون أن يسقطوا الحرية ؟ إنهم لا بد أن يقفوا أمامهم ليمنعونهم من أن يسقطوها .

### ❁ لكن ماذا عن الخروج عن رأي الجماعة ؟

❁ هناك فرق ، هناك خروج عن رأي الجماعة في دائرة الاساسيات التي تمثل القاعدة التي تنطلق منها هذه الجماعة . مثلاً لو أن البلد كان يعيش حالة معينة في مواجهة الذين يريدون أن يفرضوا العبودية و التبعية عليه و كان هناك جماعة يتعاملون مع العدو ، خرجوا عن رأي الجماعة ، هل نستطيع أن نعطيهم حريتهم في هذه الحالة في الخروج عن رأي الجماعة ؟ .. ربما يكون هذا الخروج في قضايا سياسية عامة و اجتماعية عامة ، لأن الاسلام لا يمنع أي انسان من أن يقول كل فكره في نقد الحاكم و الحكم و كثير من الاوضاع و في الافكار التي لا ترتبط بالجانب الذي يمثل الاساس للنظام و للمجتمع . و لهذا لاحظنا أن الإمام علي (ع) في بعض خطبه ، التي كان يتحدث فيها مع الناس ، كان يقول لهم "و لا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي و لا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما عليه أثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل " .

إن الذين يؤمنون بالحرية ، لا يفكرون في تجربتهم في مسألة الحرية بالمطلق ، بل إنهم يعيشونها في الواقع بطريقة مختلفة تماماً . اننا عندما ندرس القرآن ، نجد أنه لا يربط الناس بالماضي .. فالقول إن القرآن يريد أن يجعل من الناس امتداداً للماضي حديث غير دقيق . ربما كان الاسلام شيئاً عاش في الماضي و لكن الاسلام لا يربطك فيه ، على أساس انك امتداد للماضي بل باعتبار أنه فكر و شريعة ، تماماً كما هي الأفكار الأخرى الموجودة في الماضي التي تملك إمكانية الامتداد في الحياة .

إن الاسلام عندما يتحدث مع الناس عن كل التاريخ و عن كل الماضي ، يقول ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [ البقرة : ١٣٤ ] لهم تجربتهم و لكم تجربتكم ، صنعوا التاريخ فاصنعوا أنتم التاريخ ننطلق من بعض كلمات الإمام علي (ع) حيث يقول : " لا تقسروا أولادكم ن على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم " صحيح أن هناك نصاً فقهيّاً و لكنه يحمل المرونة التي تطل على الواقع و تفسح المجال للنقاش الاجتهادي و النقاش الفكري ، و إلا فبماذا نفسر اجتذاب الإسلام ، حتى في أصول الخلافة التي يعتبرها بعض الناس منحرفة ، اجتذاب الاسلام للفقهاء اليوناني و الفارسي و الافكار الهندية و لكل تلك الفلسفات ؟ كيف نفهم كل هذه الحرية الفكرية ، التي يعيشها المسلمون سواء في بغداد أو في دمشق أو في الاندلس ؟ و كيف انطلقت كل هذه الافكار من الفارابي الذي يستشهد به أدونيس أو ابن سينا أو ابن رشد أو غيرهم ؟ كانت هناك حالات قمعية تماماً كما هي الحالات القمعية في أي موقع من مواقع الآخر .

القمع في التاريخ لم ينطلق من نص فقهي أو ديني ، حتى في المواقع الدينية ، انطلق القمع من استغلال الموقع الحاكم و محاولته أن يفسر النص الديني بطريقة الخاصة ، كما يحاول كثير من الحكام أن يفسروا القانون بطريقة تهم

الخاصة أو يفسروا الفكر بطريقتهم الخاصة أو حتى الذين يواجهونهم في هذا المجال ، لذلك إنني اعتقد أن الشاعر أدونيس لم يكن دقيقاً جداً عندما ربط الواقع السلبي الذي كان يعيشه المسلمون بالنص الفقهي ، بل انه لو كان دقيقاً لرأى حالات الاضطهاد ، التي عاشها المجتمع العربي و الاسلامي ، مماثلة للحالات التي عاشتها المجتمعات الأخرى - سواء المجتمعات المسيحية أو الماركسية أو الديمقراطية - التي انطلق فيها الحاكم مع أجهزته ، ليستغل سلطته في سبيل فرض ما يريد على الناس باسم القانون أو باسم الدين أو باسم أي فكر آخر .

الاقاويل محفوظة و السرائر مبلوّة " و كل نفس بما كسبت رهينة " و الناس منقوصون مدخولون إلا من عصم الله : سائلهم متعنت ، و مجيبهم متكلف ، يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضى و السخط ، و يكاد أصليهم عوداً تنكؤه اللحظة ، و تستحيله الكلمة الواحدة .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## محمد أراكون الحداثة و نقد المسلمات

✽ بالنسبة إلى موضوع الحرية الفكرية ، سنتحدث عن حركة الحداثة ، دائماً نتحدث حركة الحداثة عن إعادة نقد و دراسة المسلمات ، وفي محاضرة أخيرة للدكتور محمد أراكون ، تحدث فيها عن ضرورة نقد المسلمات في الاسلام فيسأل : ما الوحي مثلاً ؟ و لماذا نؤمن به كمسلمة و من دون مناقشة و ندخل في مصطلحات عدة طرحها الاسلام كفكر من دون مناقشة ؟ فإلى أي مدى تقبلون للمفكر الاسلامي بإعادة النظر بالمسلمات الأساسية ؟

○ نحن نعتقد بالايمان المنفتح و لا نؤمن بالايمان الأعمى . الاسلام في القرآن الكريم هاجم الذين يقولون ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [ الزخرف : ٢٣ ] و اعتبر الاسلام كما في بعض أحاديث السنة " أن العقل هو رسول من الداخل ، كما أن الرسول عقل من الخارج " و اعتبر الاسلام " أن التفكير فريضة اسلامية ، و أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة " ان الاسلام يؤكد أنه لا يجوز التقليد في العقائد ، و انما يجوز التقليد في الشريعة ، باعتبار أن الشريعة تحتاج إلى اختصاص . عندما تؤمن بالله يجب أن تجتهد بحجم فكرك في الايمان بالله . و عندما تؤمن بالرسول أو بالوحي أو بالقرآن الكريم أو باليوم الآخر فلا بد لك أن يكون عندك شيء من الاجتهاد بحجم فكرك في هذا المجال . و لا يجوز التقليد في العقيدة بإجماع المسلمين . عندما نطرح هذا فإننا نعتقد أنه ليست هناك محرمات في كل مجالات الحوار في الاسلام الذي طرح في القرآن الحوار حول وجود الله ، و خلد أفكار الذين



ينكرون وجود الله ، الذي طرح في القرآن مسألة توحيد الله و تحدث عن أفكار الذين قالوا بالشرك ، إنه لا يتعد من طرح الفكر المخالف ، حتى هذه المسائل التي طرحها الاستاذ أركون ليست جديدة و لا علاقة لها بالحدثة ، هذه طرحت في علم الكلام الاسلامي و في الافكار الاسلامية و في كل كتب الجدل الاسلامي ، إذا صح التعبير ، ما الوحي ؟ ما طبيعته ؟ طرح ذلك في الفكر الاسلامي ، حتى ماهي مصادر المعرفة ؟ هل العقل مصدر المعرفة ؟ أم أن التجربة هي مصدر المعرفة ؟ أم أ، العقل و التجربة يمكن أن يتكاملا ؟ طرحت مسألة الرسول ... هذه أمور طرحت بشكل قوي و فاعل في تاريخ الثقافة الاسلامية ؟

اننا عندما ندرس مفردات التاريخ الاسلامي ، نجده ينقل لنا عن تاريخ الإمام جعفر الصادق ، انه كان يجلس في بيت الله الحرام و يجتمع إليه ابن المقفع و ابن أبي العوجاء و كثير ممن يسميهم الناس " الزنادقة " و يجادلونه في كثير من المفاهيم بدءاً بوجود الله و انتهاءً بالحج و غير ذلك و كان يجادلهم ، رغم لهجة التحدي التي يبادرونه بها ، بكل عقل و قلب منفتح .

اللهم صل على محمد و آله و سددني لأن أعارض من غشني  
بالنصح و أجزني من هجرني بالبر و أثيب من حرمني بالبذل و  
أكافي من قطعني بالصلة و أخالف من اغتابني إلى حسن الذكر و  
أشكر الحسنة و أغضي عن السيئة .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## برهان غليون و نصر حامد أبو زيد



✽ ما رأيكم بكتابات ' برهان غليون ' و ' من يحذو حذوه ، أمثال ' نصر

حامد أبو زيد ' ؟

○ هناك اتجاه في واقع العرب الفكري ينبثق من خلال كثير من العلمانيين ، و من خلال كثير من المفكرين الذين عاشوا المنهج الغربي في التفكير و يريدون أن يفرضوه على الواقع الفكري عندنا . و من الطبيعي فإن علينا أن ندرس فكرهم حتى نعرف منهجهم و علينا أن نواجه هذا الفكر بفكر مماثل ، نحن نعرف أن هناك أحكاماً إسلامية للمرتد ، و لكن إطلاق الحكم الإسلامي للمرتد في مثل هذه الظروف لا يحل كل المشكلة بل ربما يفتح لك أكثر من مشكلة ، لذلك أقول أن ساحة الصراع بيننا و بين الفكر الآخر مفتوحة و علينا أن نفهم الفكر الآخر و أن نقرأ الفكر الآخر ، و أن نناقشه و أن ندخل معه في حوار ، و علينا أن لا نعتبر أن فكره قوي و أن فكرنا ضعيف ، فمن الممكن جداً إذا أحسننا و عي مناهجهم في التفكير و أحسننا فهم روح العصر و لغة العصر و أسلوب العصر ، أن نردهم و أن نناقشهم . و أعتقد أنني بجهود متواضع أملك تجربة واسعة في هذا النطاق مع كثير من هؤلاء .

و لم أجد البتة أن فكرنا ينحني أمام فكرهم . لذلك واجهوهم بالفكر لأن مواجهة الفكر هي التي تحجب الفكر الآخر لأنني أخشى أن ترتد علينا هذه الأساليب ، لا سيما إذا أطلقت في وجهنا القوة الإعلامية و السياسية و الثقافية لخصومنا ،

إن المسألة ليست أن ننشر التحفظ حول حكم المرتد في الإسلام ، فهو اجماعي بين المسلمين ، و لكن المسألة هي أن نعرف كيف نحركه أو كيف نحرص على الدقة بالطريقة التي لا يخلق لنا مشكلة اعلامية أو سياسية أكثر خطورة على الواقع الإسلامي من المرتد نفسه لأنك عندما تريد إثارة معركة مع الآخرين الذين يملكون المزيد من القوة على صعيد المراكز الثقافية و الإعلامية و المواقع السياسية لا بد لك أن تكون مستعداً للدخول في المعركة من موقع قوي متقدم ، و لا بد أن تحسب حساب الأرباح و الخسائر على كل صعيد ، لأن بعض الإثارات قد تخدم فكر المفكر المنحرف و المرتد أكثر مما تضعفه في غياب الضوابط الواقعية للموضوع . و بكلمة واحدة إن الإنفعال لا يمكن أن يحقق أية نتيجة و إن إصدار الحكم في المطلق لا يخدم قضايانا المعرفية بأي حال من الأحوال .



**كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشذك .**

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة - .



## نقد الفكر الديني و العلماني

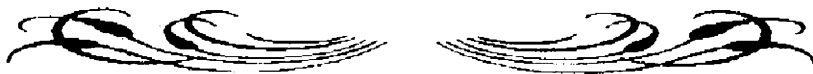
✽ المفكرون العلمانيون الذين ينصبون العداء للإسلام يجردون الإسلام من عظمته و يعتبرون الإسلام عظيماً في عهده الأول ، أما الآن فقد فقد قدرته على التعاطي مع العصر ، و بكلمة أخرى ، فإن العصر حسب تصورهم قد تجاوز الإسلام ، فما هو رأيكم ؟

✽ إن مشكلة الكثيرين من هؤلاء المفكرين أنهم ينظرون إلى القضايا من جانب واحد و يحكمون على الإسلام من خلال بعض التجارب القلقة في معالجة بعض المحسوبيين على الإسلام فهماً أو ممارسة . و لو أن هؤلاء المفكرين درسوا النصوص الإسلامية من خلال ثقافتهم كما يدرسون نصوص الفكر و الأدب لرأوا أن الإسلام يملك عناصر الحيوية و التماسك في داخله بحيث يمكن له أن يواكب الحياة و أن يطورها .

لكن المشكلة هي أن بعض الناس يحكمون على الإسلام من خلال واقع المسلمين و قد يحكمون على الإسلام من خلال بعض الاجتهادات الإسلامية القلقة ، لذلك نحن ندعوهم إلى حوار منفتح لا يطلق الأفكار دونما بحث و لا مناقشة ، بل نحاول أن ندرس ما هي العناصر التي يرونها لا تواكب العصر في الخط الإسلامي ، إن العصر مخلوق مجرد فكيف نجعل منه قياساً ؟ ذلك أن العصر الثقافي هو صناعتنا و كذلك العصر السياسي أو العصر الاقتصادي فقد صنعته نظريتنا كما أن هذه المناهج أو هذه الأساليب أو هذه الوسائل كانت

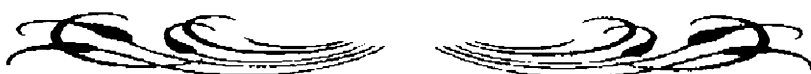
نتيجة مناهج فكرية و نتيجة نظريات استطاع اصحابها أن يفرضوها من خلال قوتهم السياسية او غير السياسية .

لذلك فإن المسألة هي مسألة أن العصر لا يمثل الحقيقة بل أن العصر يمثل تجربة لفكر من الأفكار ، و يمكن أن ينطلق فكر آخر عندما تنهيا له الظروف ليصوغ العصر على أساسه ، و إذا أردنا أن نعرف هل أن الإسلام قادر على أن يقود الإنسان بشكل سليم أو ليس قادراً فعلياً أن ندرس الحلول التي طرحها الإسلام لمشاكل الإنسان ، فهل تستطيع الحلول أن تعالج هذه المشاكل أو لا تستطيع . إننا نزع أنها قادرة على ذلك و من يقول أنها ليست قادرة فعليه أن يقدم أطروحته في هذا المقام ، و لقد علمنا القرآن أن نناقش الآخرين في كل شيء .



**لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل .**

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## الأقليات

❁ ما هو نظر الإسلام إلى الأقليات الدينية و العرقية ؟

❁ الإسلام لا يحكم على أساس قومي و لا عرقي فالناس عنده سواء . هذا إذا كانت الدولة الإسلامية تتحرك بمنطق الإسلام ، و بمفهوم الإسلام ، و بقيم الإسلام ، و بأحكام الإسلام ، فلو كان فيها اختلاف قومي او عرقي او لوني أو لغوي وجب على هذه الدولة أن تساوي بين الجميع في كل الحقوق كما تساوي في كل الواجبات فإن الدولة الإسلامية تعترف لهذه الأقليات العرقية بثقافتها التي لا تتنافى مع الثقافة الإسلامية .

كما أن الإسلام يتفاعل بالثقافة القومية و يوظفها لصالح مشروعه التوحيدي القائم على التنوع المنسجم بين قومياته لذلك إذا كانت هناك أكرية عربية في دولة

ما كالعراق أو أكرية فارسية مثلاً كما في إيران فلو طالب الأكراد أن يكون هناك برنامج لثقافتهم و لغتهم لتبقى لهم ثقافتهم ، فعلى الدولة أن تكفل لهم ذلك و لو فرضنا أنهم طلبوا بعض الحقوق التي تتمثل بوجودهم كشعب معين له خصائصه دون أن تتنافى مع المصالح العليا للشعب و لا مع كيان الدولة و وحدتها فعلى الدولة الإسلامية أن تكفل لهم ذلك ، أما بالنسبة إلى الأقليات الدينية فالإسلام اعترف بالأديان الأخرى ﴿كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و

رسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴿ [ البقرة : ٢٨٥ ] .

إن الإنسان المسلم يعترف بالتوراة و الانجيل و القرآن كما يعترف بكل الكتب الأخرى كزبور داود و صحف ابراهيم و ما إلى ذلك ، فعندما يعترف الإسلام بالديانات فإنه يحتضنها و إن اختلف معها ، فإننا عندما ندرس وضع المسيحيين في العالم الإسلامي ، و وضع اليهود في العالم الإسلامي ، فإننا نجد أن الإسلام لم يلغ اليهود ، بل استمروا حتى الآن ، و عاشوا مع المسلمين أكثر مما عاشوا مع الغربيين بعكس ما هو الحال في الغرب . حيث كان يمنع دخول الكلاب و اليهود إلى أماكن معينة . و هكذا نجد أن المسيحيين موجودون في العالم العربي و إن كانت قد حدثت مشاكل بين المسلمين و المسيحيين فهي كالمشاكل التي تحدث بين المسلمين أنفسهم و المسيحيين أنفسهم كأى مجتمع متنوع يعيش مشاكل يومية أو غير يومية .

أما العلاقة بين المسلمين و أهل الكتاب فهي قائمة على عنوانين : عنوان الذمة الذي يجعل الأقلية الدينية في ذمة الأكثرية الإسلامية المتمثلة بالدولة بمعنى حمايتها لهم و الدفاع عنهم و العدل فيهم و منحهم الحريات العامة و الحقوق الإنسانية بما يتناسب مع النظام العام و عدم فرض المشاركة في الحروب الإسلامية مع الآخرين و لاسيما إذا كانوا من أتباع دينهم إلا إذا اختاروا المشاركة بالتوافق مع الدولة . و الثاني عنوان المعاهدة التي تنظم العلاقات بين المسلمين و غيرهم فهي أساس الدراسة المشتركة لكل القضايا الحيوية المتصلة بالخط الفكري و العملي مما يقبله هذا أو ذاك و يرفضه في خط التعايش القائم على الاحترام المتبادل في نطاق الوضع العام و قد انطلقت التجربتان في الواقع الإسلامي التاريخي و تعرضت كل واحدة منها لنكسات واقعية و تعقيدات تطبيقية و لكنهما بقيتا في بعدهما الفكري الإنساني تشيران إلى ضرورة الوقوف على الكلمة سواء بينهم.

## عصر الأصوليات

❖ العالم يشهد مجموعة من " الأصوليات " فهناك أصولية يهودية و أصولية مسيحية و أصولية إسلامية ، فما الذي يميز الأصولية الأخيرة عن سابقتها ، و هل هناك إمكانية للتلاقح بين هذه الأصوليات ، طالما أنها مجتمعة ، تهدف للعودة إلى ينبع أو الأصول الأولى ، أم أنها ستتصادم ؟

○ إن الأصولية ليست مفهوماً إسلامياً بحسب المفهوم الغربي ، إنها كلمة لا تعني العنف مفهومها اللغوي و لكنها تعني مصطلحاً سياسياً و فكرياً . إن الأصولية تعني العنف ضد الآخر و إلغاء الآخر و عدم إفساح المجال أمام أي فكر يختلف عن فكر الآخر .

نحن لسنا أصوليين بهذا المعنى ، لأن الإسلام يقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتتي هي أحسن ﴾ [ النحل : ١٢٥ ] و لأنه يقول لأهل الكتاب ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] و لأنه يقول : ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم و قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا و أنزل إليكم و إلها و إلهكم واحد .. ﴾ [ العنكبوت : ٤٦ ] .

إن الإسلام لا يلغي الآخر و هو ليس دين عنف بل دين رفق . و العنف في الإسلام هو حركة وقائية أو دفاعية ضد اعتداء الآخر ، و ليس حركة هجومية ضد إنسانية الآخر . و لهذا فإن القرآن ركز مواجهته في ساحة الصراع مع



الأخرين بين خطين ، حيث لا تستوي الحسنة مع السيئة . فالحسنة أسلوب رفق و السيئة أسلوب عنف . ﴿ ارفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [ فصلت : ٣٤ ] حاول أن تتبع الاسلوب الذي يحول أعداءك إلى أصدقاء و يؤكد على صعوبة هذا الاسلوب و حاجته إلى أن يعيش الإنسان المعاناة فيه . لذلك نحن لسنا أصوليين بالمعنى الغربي للأصولية . نحن إسلاميون منفتحون على الآخر و منفتحون على البعض الآخر بالتعايش و اللقاء على الكلمة سواء . إن الأصولية اليهودية تستعلي على الآخر و تلغيه ، لذلك نجد اليهود يقولون ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ كما يقولون : نحن أبناء الله و أحباؤه و أنهم يمثلون الشعب المختار ، و أن العالم كله يقف في خدمة اليهودي .

و الإسلام لا يقول ذلك ، و عندما يتحدث بعض الناس من النصارى في الجدل السياسي عن أن القرآن قال ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] مما يعني أن هناك استعلاء على الناس ، فإنهم لم يكملوا الآية ليقرأوا بعدها : ﴿ تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] أنتم خير أمة أخرجت للناس ، بلحاظ أنكم تتحملون مسؤولية الحياة ، لتملأوا الحياة بالمعروف الذي يغني تجربة الإنسان و لتطردوا منها المنكر الذي يسقط تجربة الإنسان . و هكذا عندما يقول ﴿ ولا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [ آل عمران : ١٣٩ ] فالاعلانية تتحقق من خلال الإيمان بالله و من خلال آفاق الله .

و هكذا نجد أن الأصولية المسيحية كانت تعمل على إلغاء الآخر و على الاستعلاء على الآخر و على أن تأخذ الامتيازات لنفسها ضد الآخر . و نحن لا نعتبر كل حركة مسيحية في اتجاه التبشير المسيحي ، حركة أصولية بالمعنى الغربي . نحن أصوليون بالمعنى اللغوي للكلمة التي تعني العودة إلى ينباع ،

و يبايعنا تتطلق من أعماق رسالتنا ، لتتطلق في السواقي التي تتجمع هنا و هناك للتجمع في النهر الكبير . نحن نؤمن بموسى و عيسى و محمد و نؤمن بالتوراة و الإنجيل و القرآن و لا نفرق بين أحد من رسله ، ونحن يعون الله مسلمون .

### ❖ التطرف و العودة إلى الأصولية حالة عالمية تمس الأديان الثلاثة ، ما الفارق بين الأصولية الإسلامية و أصولية الأديان الأخرى ؟

○ في البداية أحب أن أتوقف عند كلمة الأصولية الإسلامية ، لأننا لم نطلقها من موقعنا الإسلامي العام . و لكنها كلمة تحركت في قاموس المصطلحات السياسية ، في الإعلام الغربي ، الذي يحاول أن يعطي بعض الكلمات لبعض المواقع حتى تحمل بعض الإيحاءات الجادة التي يمكن للناس أن يتفاعلوا معها تفاعلاً مضاداً باعتبار ما يختزنونه في داخل وعيهم لهذه الكلمة ، أو لتلك ، من أفكار سلبية على مستوى حركة الواقع الإنساني .

إن كلمة الأصولية تعني بما نفهمه ، في المصطلح الغربي ، الخط الذي يعمل على العودة إلى الماضي في حالة تحجر مصادر كل تطورات الإنسان في نموه الثقافي و السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي ، لينطلق هؤلاء عند نقطة معينة من الزمن في حفنة من الأفكار التي تحركت حول هذه النقطة ليختصروا كل حركة الحياة في داخلها .

و على هذا الأساس اعتبروا أن الإسلاميين الذين انطلقوا من أجل إعادة الإسلام إلى الحياة ، و عملوا على مواجهة الاستكبار العالمي من خلال ما أطلقوه من عناوين الحرية و العدالة الإنسانية ، حاولوا أن يضعوا هذه الحركة ، كلها في دائرة الجمود و التمرد و التعصب و العنف ، و ما إلى ذلك من كلمات تختزنها

هذه الكلمة .

و نحن في الوقت نفسه ، لا ننكر أننا عندما نحرك الخط الإسلامي في الحياة المعاصرة ، فإننا ننطلق من الدعوة الإسلامية الأولى التي أطلقها النبي محمد (ص) بوحى من الله . و لكن ليس معنى ذلك أن نتحجر عند تلك المرحلة ، فنجمد أمام الأوضاع التي كانت تعيش فيها ، و لكن معنى ذلك أننا ننطلق من الدعوة الإسلامية التي تحمل في داخلها الكثير من الملامح الفكرية التي تعطي الإنسان حرية التقدم الحضاري على مستوى حركة الفكر ، في مفردات الواقع و على مستوى حركة العلم ، في كل ما يكتشفه الإنسان من أسرار الكون ، و على مستوى حركة الواقع من خلال ما يمكن للإنسان أن يصنعه من خلال اكتشافاته للكون ، في ما يمكن تصنيعه على هدى القوانين السائدة .

و هكذا فإن الإسلام من خلال مفاهيمه العامة التي تعمل على تطوير الحياة و على إغنائها بكل ما يمكن أن يرفع مستواها ، و الرجوع إلى الأصل في هذا المعنى ، لا يعني التوقف عند نقطة معينة من الزمن ، و لكنه يعني الانطلاق من خلال المبادئ التي تحتوي حركة التطور في الزمن و حركة النمو في الإنسان . و هذا مما تكفله حركة الاجتهاد في فهم الإنسان و الواقع ، و فهم الإسلام في خطوطه العامة و في مواجهة كل مستحدثات الواقع التي تتصل بقضايا الإنسان بالتشريعات التي تتلاءم مع الفكر الإسلامي و الشريعة الإسلامية بشكل عام .

و لعلنا عندما ندرس حركة الفكر و الفقه الإسلاميين ، و حركة الحضارة الإسلامية من خلال الفكر و الفقه و ما إلى ذلك ، فإننا نجد أن الإسلام قد استطاع أن يطور الحياة بدلاً من أن يتجمد عندها و أن يجمدها في دائرته .

أما الحديث عن العنف و التعصب و ما إلى ذلك من كلمات ، فالإسلام ليس دين عنف و لكنه دين يعطي العنف مواقفه التي تحتاجها الحياة ، تماماً كما

تحتاج العواصف و الزلازل و البراكين من خلال المعطيات التي تتجمع حول هذه الظواهر ، كما يحتاج إلى الرفق ، مثل حاجة الحياة إلى الرياح الهادئة المعتدلة و ما إلى ذلك .

إن الإسلام ليس بدعاً من حركة التيارات الحضارية في العالم ، التي قد تعتبر العنف ضرورة في بعض مواقع الحياة ، كما تعتبر الرفق ضرورة ، في هذا المجال و على ضوء هذا فإننا لا نوافق على استعمال هذه الكلمة فـي مصطلحاتنا الإسلامية .

و من خلال ذلك ، نعتبر أن العودة إلى الأصول المسيحية ، في ما يسمى بالأصولية المسيحية ، و العودة إلى الأصولية اليهودية ، في ما يسمى بالأصولية اليهودية وفق ما نفهم فيه التوراة و الإنجيل هي عودة إلى الينابيع التي يمكن أن تغني تجربة الإنسان في الحياة .

أما إذا كانت الأصولية المسيحية أو الأصولية اليهودية ، تعني العنف لإلغاء الآخر و اضطهاده و لتخريب الحضارة ... و عدم إفساح المجال للحوار بشكل أو بآخر ، فإننا نعتبر أن الإسلام يختلف عن مثل هذه الأصوليات ، لأن الإسلام في عودته إلى الأصول يفتح على كل قواعد الفكر ، و على كل حركيته بانفتاحه على الله و الحياة و الإنسان .

❖ هل هناك حالة إسلامية واحدة أم حالات إسلامية ؟ أصولية أم أصوليات و ما الذي نراه الآن على المساحة من تنوع و تضاد بين الحركات الإسلامية و هل يمكن القول بوجود يسار أو يمين إسلاميين ؟

○ الحديث عن الإسلام يكون باتجاهين ، هناك حديث عن الإسلام الحركي الذي يعمل من أجل أن يكون الإسلام قاعدة للفكر و العاطفة و الحياة حتى يحكم

العالم ، و هناك الإسلام التقليدي الذي يكتفي من حركة الإنسان المسلم ، بممارسة العبادات و بعض الأخلاقيات و الإلتزامات النقية الورعة في اجتناب المحرمات و فعل الواجبات على مستوى فردي .

من الطبيعي أن للإسلام التقليدي نظرية تختزن في داخلها المعنى العام للنظرية المتخلفة عن الدين ، و هي أن الدين علاقة بين الإنسان و ربه ، و أنه يمثل حالة روحية أخلاقية تعني انضباط الفرد و التزامه و استقامته ، و تعطي الحياة بعض الأجواء الروحية التي تنتفسها في ساعات الشدة و في ساعات الضغط العنيف .

أما الإسلام الحركي ، فهو يخضع لاجتهادات متنوعة في فهم الأفكار الإسلامية أو في فهم بعض الوسائل الإسلامية العملية في حركة الإنسان في الواقع فهناك الإسلاميين الحركيين من يعتبر أنه من الضروري المرور بمراحل متعددة ريثما يبلغ الإنسان المرحلة الجهادية ، فهناك مرحلة ثقافية تربي الأمة على ثقافة الإسلام ، ثم المرحلة السياسية التي تجعل الأمة تتحرك في مواجهة قضاياها العامة ، ثم الحركة الجهادية التي تأتي بعد استكمال القاعدتين الثقافية و السياسية الواسعتين ، ريثما تصل إلى مواجهة الآخرين الذين يفرضون عنفهم على الواقع الإسلامي ، بطريقة العنف .

هناك تيارات إسلامية تجتهد في فهم الوسائل الإسلامية بهذه الطريقة ، و هناك تيارات إسلامية أخرى لا ترى مبرراً للجوء إلى العنف ، و ترى الانطلاق لتكون دعاء إلى الإسلام بالوسائل السلمية ، و متحركين في الخط السياسي ، بالوسائل السلمية أيضاً ، فإذا فرض علينا العنف فإبنا نهرب و نحاول أن نتخفف منه .

و هناك اجتهد إسلامي ثالث ، و هو أن أية حركة تعمل للوصول إلى أهدافها ، لا بد لها من درس كل إمكانيات الواقع الذي تعيشه في واقعية هذا الأسلوب أو

ذاك لتختار الأنسب من بينهما ، فإذا أمكن للعنف أن يختصر كل مراحل المعاناة ، فإن المصلحة الإسلامية تفرضه ، وإذا كان العنف يؤدي إلى نتائج أكثر سوءاً من النتائج الحالية فإن علينا أن نتفاداه ، و ما إلى ذلك .

المسألة تتصل باجتهادات إسلامية في الوسائل ، وربما هناك اجتهادات إسلامية في نظرية الحكم ، فهناك نظرية الشورى ، وهناك نظرية ولاية الفقيه ، وهناك نظريات ربما تمزج بين هذا الخط وذاك . ولكننا نعتقد أنه ليس هناك " إسلامات " كما يحاول بعض الناس أن يقولوا ، وليس هناك أصوليات ، لأن كل الإسلاميين الحركيين يتطلعون إلى أن يحكم الإسلام الحياة ، لكن المسألة هي في الوسائل التي توصل إلى الحكم . كما أن الإسلاميين قد يختلفون في فهمهم الفقهي لبعض مواقع الفقه الإسلامي ، على مستوى حركة الفقه السني أو حركة الفقه الشيعي ، أو ما إلى ذلك ، مما يمكن للفقهاء أن يتجاوزوا فيه الخطوط الحادة التي تحصر المجهتد الشيعي في دائرته الشيعية ، أو تحصر المجهتد السني في دائرته السنية ، ليتمكن أن ينطلق من خلال الأفق الواسع الذي قد يختار فيه السني بعض أفكار الشيعة الفقهية ، أو قد يختار الشيعي بعض أفكار السنة الفقهية .

إننا نلاحظ أن الحديث عن أن هناك " إسلامات " أو أي إسلام نريد ، و أية أصولية تتحرك ؛ إن هذا حديث يغلب عليه الطابع السياسي الإعلامي المضاد للحركة الإسلامية . دعنا نلاحظ مثلاً أنه في الاشتراكيات هناك اجتهادات مختلفة في خطوط الاشتراكية ، و هناك في القوميات خطوط مشتركة في مسألة حركة التيار القومي و نظريته الإنسانية ، أو نظريته المغلقة ، لهذا فإننا لا نعتبر أن هناك " إسلامات " متعددة ، هناك إسلام واحد تتنوع اجتهاداته و تتنوع النظرة إلى مسائله و إلى بعض مفرداته ، كأي فكر آخر و أي دين آخر إن التنوع في دائرة الوحدة لا يلغي هذه الوحدة .

## الاسلام و نهاية الايديولوجيات

❖ تقول النخبة المتنورة أن الإسلام ماهو إلا ايديولوجية و هذا عصر فناء الايديولوجيات و ظهور الرأي الآخر فهل حقاً إن الإسلام أيديولوجية ؟

○ تمثل الايديولوجية خطأ فكرياً يرسم للإنسان قاعدة ينطلق منها لممارسة الحياة في طريقة علاقته مع الآخرين . إذن كيف نواجه هذا العصر ؟... إننا كي نواجهه لا بد أن نرسم خطة فكرية من حيث حرية الإنسان المطلقة و نظامه الاقتصادي و نظامه السياسي و كيف ينبغي أن تكون علاقات الإنسان مع الإنسان ، لذلك فهذا كلام لا بد أن يبحث صاحبه بنفسه عن مصاديقه ، لأن كثيراً من الناس قد يتكلمون و لا يعيشون الفكرة ، كما يقول البعض منهم أننا نعيش نهاية التاريخ ، فما هو هذا التاريخ ؟

إن التاريخ هو أحداث الإنسان في حركته في الواقع و في الحياة و مع الإنسان الآخر ، هذا هو التاريخ ، فإذا انتهت فترة من التاريخ أو تنتهي مرحلة فسوف تبدأ مرحلة ، و لا يمكن فصل الماضي عن الحاضر لأن الحاضر هو مولود الماضي كما أن المستقبل مولود الحاضر و تبقى الايديولوجيات مع الإنسان في جميع مراحل حياته لأنها تمثل الأفكار التي تحدد طريقته في الحياة و مفاهيمه في نظره إلى الكون و الإنسان .



## الكنهوت الاسلامي

◆ هناك قضية أثارت حول مفهوم و دور عالم الدين خصوصاً في الوقت الحاضر حيث نعرف أن عالم الدين له مكانة مميزة حتى في داخل التشريع باعتباره فقيهاً ، ألا تعتقد في الوقت الحاضر خصوصاً و قد تشعبت الأمور بشكل كبير و فتحت المجال أمام مختلف الطاقات غير الدينية من رجال اختصاص إقتصاد و ثقافة و اجتماع و سياسة أن يكون لهم كذلك دور بمعنى آخر أين تقف حدود عالم الدين ؟ -

○ إن عالم الدين هو إنسان يملك ثقافة دينية مفتحة على كل ما له علاقة بحركة الدين في الإنسان و في الحياة من خلال الخطوط التفصيلية في القانون و في الأخلاق و القيم و ما إلى ذلك . لذلك ، لا بد للعالم الديني من أن يكون ملماً بكل ما يتصل بحركة الدين في وجدان الإنسان و في واقع الحياة ، أما الاختصاصات الأخرى كالكيمياء و الفيزياء و الهندسة و ما إلى ذلك فإن عالم الدين لا يدعي لنفسه الإحاطة بذلك ، بل إن طبيعة أمانته لمسؤوليته و أمانته على الناس أن لا يعطي رأياً اقتصادياً إلا بعد أن يرجع إلى أهل الخبرة في الإقتصاد و أن لا يعطي رأياً سياسياً إذا لم تكن له ثقافة سياسية إلا بعد أن يرجع إلى أهل الخبرة . لذلك عالم الدين لا يتصور نفسه إنساناً يملك كل الخبرات ، بل هو إنسان يقف في دائرة الخبرة الثقافية و العملية التي يملكها ،



حتى إن عالم الدين إذا كان اقتصادياً فإنه لا يتحرك في الاقتصاد من موقع أنه عالم دين ، بل يتحرك في الاقتصاد من خلال أنه رجل اقتصاد يعطي لنفسه الخبرة فيما يتصل بالمسألة الاقتصادية في الجانب الديني كما يعطي لغيره الخبرة في هذا المقام .

لذلك نحن نقول إن الدين يحترم العلوم الأخرى و يرى أن على كل إنسان أن يقف عند حدود معرفته و أن على عالم الدين أن يحترم أهل الخبرة الآخرين و أن لا يعطي أي رأي في مسألة لا تتصل بإختصاصه و بخبرته إلا بعد أن يرجع إلى أهل الخبرة ، و عليه أن يلتزم برأيه إذا رآه ملزماً لأن عملية الرجوع إلى أهل الخبرة ترى أن هناك رأياً آخر يجدر الاستماع إليه، لذلك لا بد لك أن تشاور ثم تحاول أن ترجع إلى نفسك لتقرر القرار من خلال ذلك و هذا ما عبرت عنه الآية الكريمة في خطاب النبي (ص) يقول " وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله "

❖ و لكن ربما الإلهام الديني أو الثوابت الدينية هي التي تجعل المثقف لا يتمرد على ما هو سائد ؟

○ القصة هي أنك التزمت بالدين أو لم تلتزم ؟ إذا التزمت فإن التمرد لا يبقى حاجة في نفسك ، تماماً كما إذا التزمت بالماركسية أو التزمت بالوجودية أو بالقومية ، بأي خط فكري أو سياسي أو اقتصادي ، إنك عندما اخترت التزامك من خلال ملاحظة علامات الإستفهام و وقفت من دون أن تجد علامات إستفهام فإن استلهاك ما اقتنعت به أنك تستلهم نفسك .

❖ ألا يعيق هذا الإبداع ؟

○ هناك نقطة أخرى : إذا ارتسمت عندك علامة استفهام حتى الدين يقول لك لاحقها ، و لكن لا تبقى حائراً ، حاول أن تجعل الشك طريقاً إلى اليقين . و هذا مما اكده الأسلوب الإسلامي في الحوار و هو ما اردده دائماً " و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " إن الطرح الإسلامي عندما يدخل في الحوار مع الآخر إنه مجرد الفكرة من ذاتية الأنا أو الآخر ، ليجعل هناك فكرة في مقابل فكرة من دون أن يكون لانتمائك إلى الفكرة أو إنتماء الآخر إلى الفكرة دخل في الخطأ و الصواب .

✽ هل يعتبر الإلتزام بالضوابط الإيديولوجية سواء كانت عقائدية أو نظرية أخرى معيقاً للإبداع ؟

○ أنا لا اعتقد أنه معيق للإبداع لأن مسألة الإبداع تنطلق من حالة القلق الفكري التي تعيشها ، فأنت إذا التزمت و لم تحدث عندك علامة استفهام جديدة فإن من الطبيعي أن لا تبحث . و لذلك يستحثنا القرآن الكريم في آياته إلى قيمة النظر و التدبر و التفكير حتى يتبين لنا أنه الحق من ربنا العزيز العليم .



أَلْهِمْ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هِجَانِ الْحِرْصِ وَ سُورَةِ الْغَضَبِ وَ غَلَبَةِ الْحَسَدِ وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ وَ قَلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَ شُكَاةِ الْخُلُقِ وَ إِحْسَاحِ الشَّهْوَةِ وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَةِ وَ مَتَابَعَةِ الْهَوَى وَ مَخَالَفَةِ الْهُدَى وَ سَنَةِ الْغَفْلَةِ وَ تَعَاظِي الْكُلْفَةِ وَ إِثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

# الديموقراطية ووعي المصطلحات الإسلامية

## الديمقراطية ووعي المصطلحات الإسلامية

❖ هل يمكن تطويع بعض المصطلحات كالديمقراطية وجعلها تتكيف مع الفكر الإسلامي؟

○ لقد ذكرنا أكثر من مرة أن للديمقراطية خلفية فكرية وآلية عملية ، فخلفيتها الفكرية هي أن الأكثرية أساس الشرعية ، فلا يمكن أن يلتقي الإسلام مع الديمقراطية في خلفيتها الفكرية ، لأن الإسلام هو الحق وهو وحى الله سبحانه وتعالى فلا يتغير سواء قبله أكثر الناس أو رفضوه ، على أن الله سبحانه وتعالى ليس دوماً مع الأكثرية ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ ، ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ ، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، و إذن لا يمكن استعارة المصطلحات المغايرة لمفاهيمنا الإسلامية واعطائها نفس الدلالة الشرعية لمصطلحات الدين ، فلإسلام منهج فكري وللديمقراطية منهج فكري مغاير ، وهناك بعض الخطوط الإسلامية التي تجد مصلحة في الأخذ برأي الأكثرية باعتباره الخيار الأقل سوءاً ، كما أخذت الجمهورية الإسلامية بها على أساس أن الولي الفقيه يرى أن المصلحة في استئطاق الناس بالمعنى الآلي التنفيذي للشورى .

فعلينا أن نفرق بين الديمقراطية كوسيلة لمعرفة آراء الناس عندما تكون هناك مصلحة في ذلك ، و بين أن تكون الديمقراطية أساس الشرعية .

و نحن نقول إن الأسلام لا يحتاج إلى الديمقراطية ولا إلى أي منهج آخر

لأجل إثبات شرعيته ، كما نقول أن الإسلام إسلام فقط ، لا ديمقراطية و لا اشتراكية و لا وجودية و لا غير ذلك .

و لكنني أتساءل : لماذا هذا الضعف ، لماذا نعيش السقوط أمام الغرب و إلا هل سمعتم بغربي يقول لافرق بين الديمقراطية و الإسلام ، أو يطالب بتطويع الديمقراطية للإسلام أو يستبدل كلمة أو مصطلحاً بآخر ، فلماذا نستعير كلمات الآخرين ؟

إن لدينا أصالة ، فالإسلام يمثل أصالتنا الفكرية و هو وحي الله و هو خط رسول الله ، فلا نحتاج أن نأخذ من غيرنا ، و لذا فأنا ضد أن نستعمل أي مصطلح من المصطلحات الملتبسة التي لا تعبر عن قيم الإسلام و تعاليمه و محاولة تطبيقها على الإسلام بحجة أن فيها شيئاً من الإسلام ، في حين أن لدينا كل الإسلام ، فلماذا نأخذ بشيء فيه ١٠٪ من الإسلام و ندعو الناس إليه . فلنخلص لإسلامنا و لنوصل إسلامنا ، فالله سبحانه يريدنا أن نحافظ حتى على دقة اللفظة ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾

**و قولوا انظرونا ﴿ فذلك كلمة تحتمل معنى و هذه واضحة .**

روي عن أبي عبد الله عليه لاسلام في قول الله تبارك و تعالى ﴿ و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون ﴾ قال : هو قول الرجل : لولا فلان لهلكت ، و لولا فلان لما أصبت كذا و كذا ، و لولا فلان لضاع عيالي ، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه ؟ قلت : فنقول لولا أن الله من عليّ بفلان لهلكت ، قال : نعم لا بأس بهذا أو نحوه .

فالهم هو أن تربط كل شيء بالله ، فكما أن لدينا توحيداً في العقيدة لا بد أن يكون لدينا كذلك توحيد في اللفظ ، أي أن لا تتوجه بقولك إلا إلى الله و أن تربط كل الأمور به ، فهذا هو التوحيد الحقيقي .

\*\*\*\*\*

## الديمقراطية و الدين

❖ لا يزال الجدل يأخذ طريقه في موضوع الديمقراطية و الدين ، والسؤال ما هي نقاط الإختلاف بين الديمقراطية و الدين ، و ما هي نقاط التوافق ؟

○ الديمقراطية في مفهومها الفكري شيء و الدين شيء آخر ، فهما لا يلتقيان وؤكد هنا على المسألة الفكرية لأن الديمقراطية هي أن يحكم الشعب نفسه من خلال ممثليه على أساس أن يكون رأي الأكثرية هو أساس الشرعية ، ذلك لأن الأكثرية قد تبنته من خلال ممثليه ، فلو أن الأكثرية تبنت الاسلام من وجهة نظر الديمقراطية و صوتت فسيكون الإسلام شرعياً ، و لو أن الأكثرية انقلبت فصوتت ضد الإسلام فلا يكون الإسلام شرعياً على أساس الديمقراطية . فالديمقراطية ، على ضوء ذلك ، تقول لك لست أيها المسلم شرعياً في خط إسلامك لأن الشعب لم ينتخبك و هو بالتالي لم ينتخب الإسلام و إذا لم ينتخب الشعب الإسلام فإن الإسلام يفقد الشرعية .

أما الدين فيقول بأن الإسلام هو الشرعية حتى لو كفر كل الناس به ذلك أن شريعته مستمدة من الله تعالى ، هذا في الخلفية الفكرية و إلا فنحن إلى جانب الديمقراطية كوسيلة من وسائل الواقع السياسي و العمل السياسي .

أما الجانب التشريعي فلا مجال للديمقراطية فيه ، فهل يمكن أن تستفتي السناس بأن تصلي أو لا تصلي ؟ و لو فرضنا أن الناس قالوا لك : لا تصل فإنك حينئذ ستقول لهم : لا دخل لكم بذلك فالله قال ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

و لكن هناك نقطة ثانية ينبغي الالتفات إليها و هي عندما تتحول الديمقراطية

إلى وسيلة من وسائل الشورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ، و ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ﴾ بحيث تجتمع فيها عناصر الشورى ، فيمكن عند ذلك أن لا نطلق عليها ديمقراطية بل "شورى" وفي هذه الحال فلا ضرورة لأن نستعير لخطوطنا الفكرية كلمات أخرى ، فبدلاً من أن نقول ديمقراطية نقول أكثرية وقد يقول القائل : ما الفرق بينهما ؟ وفي الجواب على ذلك نقول بأن كلمة الديمقراطية محملة بمضمون فكري معين .

و أتذكر أيام " منظمة أنصار السلام " التي كانت تمثل إحدى وإجهات الحزب الشيوعي في العراق قيل لأحد السياسين في لبنان ألا تحب السلم ؟ فكتب أنا أكره الحرب ، فقال أنصار السلام و ما هو الفرق ؟ قال إن قضية السلام صارت " كليشة " تعطي مدلولاً معيناً و إلتواءً معيناً .

فالكلمة لا تحمل المعنى اللغوي فحسب بل هي في مداها التاريخي تحمل إحياءات و أحاسيس عديدة بحيث أن معناها اللغوي شيء و ما تحمله من دلالات في الواقع شيء آخر .

لذلك يمكن للمسلم في بعض المجتمعات أن يستفيد من الديمقراطية دون أن يضي عليها لباساً شرعياً باسم الدين لأن الشرعية الفكرية تقوم على أساس أن الحق ينطلق من الله سبحانه و تعالى و أن حركة الناس في الحق و حتى في اجتهد المجتهدين لا بد أن تنطلق من الأصول التي تربط القضايا بالله سبحانه و تعالى . و كمثّل على ذلك تجربة الجمهورية الإسلامية أي تجربة المزاجية بين " ولاية الفقيه " و بين " الشورى " فيمكن أن تدرس هذه التجربة ، كما نجد أن بعض تجارب المفكرين الذين يحاولون أن يزاوجوا بين الشورى و بين ولاية الفقيه أو بين الشورى و بين الخط الإسلامي في العمل و ما إلى ذلك .

## الديمقراطية ليست محايدة

❖ **و إذن حتى النظام السياسي الغربي القائم على أساس الديمقراطية ترفضه ؟**

○ أنا لا أرفض الديمقراطية جملة و تفصيلاً ، ولكنني كإنسان مسلم أجد أن هناك أشياء تثبت من الله بالوحي الحاسم أنا لا اعتبرها خياراً للإنسان ليرفضها أو ليقبلها . أنا لا اعتبر أن شرعيتي كمسلم و شرعية إسلامي تنطلق من الإرادة الشعبية .

❖ **لكنك تعتبر أن الديمقراطية تختلف مع القاعدة الفكرية الإسلامية و لذلك يجب أن ترفضها ؟**

○ كيف أقول ذلك ؟ إنني أقول إن الخلفية الفكرية للديمقراطية تقول إن شرعية المضمون الفكري أو السياسي للديمقراطية تنطلق من إرادة الجماهير . و حريتهم في تقرير المصير و هي بهذا المعنى قد تلتقي في بعض الموارد التي تستمد مشروعيتها من إرادة الإنسان و حريته .

❖ **حينئذ سماحة السيد هل أنت ضد الديمقراطية كمفهوم أم ضد قاعدتها الفكرية ؟**



○ أنا ضد قاعتها الفكرية من حيث أنها تركز على أساس أن الشرعية تنطلق من الشعب في كل الأمور ، بينما أعتبر أن هناك أموراً أساسية في الإسلام تنطلق من وحي الله . أما الديمقراطية كممارسة و كمضمون حركي و آلية لحسم الصراعات و لاتخاذ الموقف السياسي فإنني أؤمن بالشورى التي هي صورة محسنة عن حركة الديمقراطية في الواقع ، فنحن لا نلغي دور الشعب . حتى أن نظرية الفقيه التي تركز على أن الفقيه هو الذي يملك الشرعية تعتبر أن الفقيه يحكم من خلال الشورى .

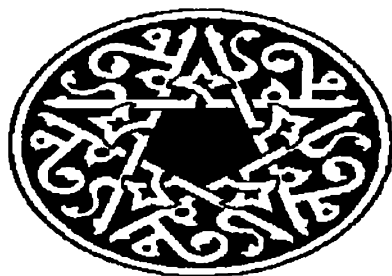
عندما نلتزم بالقاعدة الأولى للديموقراطية من ناحية فلسفية فإن على الملتزم بها أن لا يطرح أية محرمات إلا ما يسيء للنظام العام ، و عليه وفق هذا الالتزام أن يشجع العري و أن يشجع الاتفلات الجنسي و ان لا يحاسب إنسان إنساناً على أي شيء من هذا القبيل ، لأن الإنسان حر في جسده من دون فرق بين أن يكون هذا الإنسان مراهماً أو بالغاً رشيداً أو ما إلى ذلك ، لأن الجنس يكون كالطعام و الشراب و ما إلى ذلك.

أما إذا أردنا أن نلتزم بوجود ضوابط في علاقة الرجل و المرأة و وجود ضوابط في حرية الإنسان في جسده و في حياته فإن من الطبيعي أن نفرض الخطوط التفصيلية التي تحفظ لهذه الضوابط توازنها . و على ضوء هذا فإن المشكلة التي نعيشها في الشرق أن بعضنا يحاول أن يبقى في التزامه المفاهيم الأخلاقية مثل الشرف و العفة و ما إلى ذلك و يأخذ بالأساليب الغربية المنطلقة من قاعدة الحرية المطلقة ! و هذا هو الذي نلاحظه في أن بعض الناس يطلق للمرأة كل حرية التبرج و الدخول في المجتمعات اللاهية و العابثة و الراقصة و ما إلى ذلك حتى إذا انحرفت المرأة اتطلقت مسألة الشرف و العفة " و لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى - حتى يراق على جوانبه الدم " و نطلق العشيرة و العائلة و ما إلى ذلك .

إننا نعيش في فوضى القيم و فوضى المفاهيم ، فنحن نأخذ شكليات السلوك الغربي المنطلق من قاعدة فلسفية لا نؤمن بها و نترك ما تفرضه علينا قاعدة أخلاقية ، و لذلك يكون موقف الشباب و الفتاة كما قال الشاعر " ألقاه في اليوم مكتوفاً و قال له - إياك إياك أن تبتل بالماء " .

يأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر فيه على ما في يديه و لم يؤمر بذلك ، قال الله سبحانه : " و لا تتسوا الفضل بينكم " تنهد فيه الأشرار و تستذل الأخيار ، و يبائع المضطرون ، و قد نهى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن بيع المضطرين .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## الإسلام و التعددية السياسية

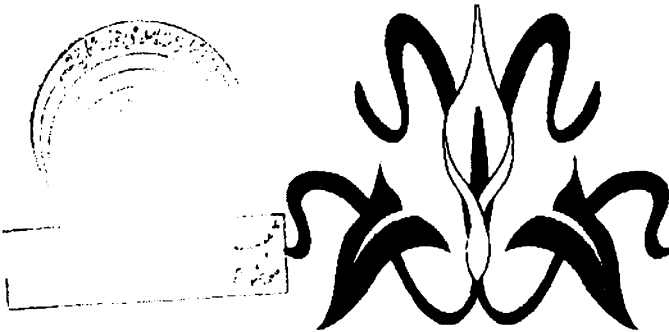
❖ كيف يطرح الإسلام مسألة التنوع في الرأي السياسي في داخل الدولة الإسلامية و هل يملك أصحاب الآراء المتنوعة الحرية في الاعلان عنها ، و هل يسمح ولي الأمر للساحة الجماهيرية العامة في الأمة أن تأخذ حريتها في التحرك على أساس التزام هذا الرأي أو ذاك ، ليعتبر الناس في الافتتاح على الاجتهادات المختلفة في القضايا العامة ، ليكون لكل اجتهاد فريق يؤيده و يلتزم به ، و ما هي الضوابط العملية التي تحفظ الأمة من الاهتزاز أمام هذا الواقع المتحرك ؟

○ هذه علامات استفهام لا بد من التوفر على الاجابة عليها من خلال فكر الإمام الخميني (رض) ، فيما نريد أن نستوحيه من نظريته الإسلامية في مسألة تنوع الاجتهادات السياسية في حركة الدولة الإسلامية ، من خلال حركة الولي الفقيه في إدارة الأمر في هذا المجال . و إننا إذ نثير هذه المسألة أمام الباحثين الاسلاميين فإننا نستهدف توجيه الفكر إلى مسألة حرية الرأي في داخل الدولة الإسلامية أو في داخل المجتمع الإسلامي باعتبارها من المسائل المهمة التي تنفتح على العنوان الكبير في مفهوم الإسلام لقضية الحرية .

قد يطرح البعض المسألة على أساس مسؤولية " ولي الأمر " في نطاق الدولة في طرح الرأي الإسلامي الاجتهادي في كل المسائل المتحركة فسي الواقع ،

فيما يتفرع عنها من المفردات المتصلة بالشؤون الاقتصادية أو الامنية أو العسكرية أو السياسية ، ثم تكون المسألة في عهدة الأمة من خلال قواعدها المتقنة او العاملة لتلتزم بهذا الرأي في خط الطاعة للولي انسجاماً مع الأمر الإلهي في طاعة ولي الأمر الذي يمثل رأيه فيما يأمر به أو ينهي عنه قول الله و الرسول ، باعتبار أنه الحجة الشرعية على ذلك ، فيكون قضاؤه و قراره قضاء الله و رسوله و قرارهما ، فيندرج تحت قوله تعالى : ﴿ و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾

و يرى البعض ان إتاحة الفرصة لاصحاب الرأي الآخر في اعلانه و في الدعوة إليه قد يؤدي إلى لون من ألوان الاربك للخط الفكري في الولاية ، و إلى اهتزاز داخلي في القاعدة الشعبية التي تتوزع بين الانتماء إلى الفكر الآخر الذي يتبناه هذا المجتهد أو ذاك ، الأمر الذي قد يترك تأثيراً سلبياً على النظام العام الذي يحفظ قوة الأمة و استمرارها و في ضوء ذلك لا بد من وحدة الرأي في خط القيادة ، و وحدة الأمة في الانتماء و الالتزام و الطاعة على أساس ذلك.



# الخيار الثالث و أسئلة الصحوة

## مناشئ الصحوة الإسلامية

✽ بماذا تعرفون الصحوة الإسلامية ، و هل ستجسر امام تحديات القرن المقبل؟

○ بدأت الصحوة الإسلامية بشكل و بأخر بعد سقوط الخلافة العثمانية ، التي كانت تمثل حركة التخلف في الواقع الإسلامي على مستوى أسلوب الحكم و على مستوى المفاهيم ، و على مستوى الواقع السياسي الذي كانت تتحرك فيه الخلافة العثمانية و تعمل على تثريك العالم بدلاً من أن تعمل على أسلمته . و عندما انطلق الاستعمار في المنطقة بدأ المفكرون يفكرون في صياغة الأفكار من جديد و بدأت المدنية الغربية تجتاح مواقفنا ، عندها بدأ المفكرون الإسلاميون يشمرون عن سواعدهم و في طليعتهم " جمال الدين الأفغاني " و "محمد عبده " و غيرهم ممن عملوا على أن يفتحوا الأفق الجديد مسن خلال المفاهيم الإسلامية . و قد اختلفت مدارسهم فكان بعضهم يحاول التوفيق بين الإسلام و بين الغرب ، و كان بعضهم يتحرك بطريقة أخرى . و لكن بدأت الصحوة الإسلامية التي حاولت إيقاظ المسلمين ليواجهوا مسؤولياتهم أمام تحديات الإستعمار الغربي و أمام تحديات الحضارة الغربية لواقع التخلف و الجهل . فحاولوا أن يدفعوا بالإسلام إلى الواجهة حتى لا يستسلم الناس لما تتحرك به الحضارة الغربية في واقع المسلمين ، و عاش المسلمون في حركة هذه الصحوة بين مد و جزر . حتى جاءت الثورة الإسلامية في إيران

فاستطاعت أن تحول هذه السواقي إلى نهر كبير ، كما استطاعت أن تحول هذه المواقع الصغيرة هنا و هناك إلى ساحة مفتوحة فضلاً عن تحويلها التوترات النفسية إلى ما يشبه الزلازل . و بذلك استطاعت الصحوة الإسلامية أن تتطرق لتواجه الكثير من ساحات الصراع في مختلف الأساليب سواء أكانت هذه الأساليب فكرية أو إجتماعية أو سياسية أو ما إلى ذلك .

و لا تزال الصحوة الإسلامية تتطرق من الخطأ نحو الصواب ، و لكننا نعتقد بأن الصحوة الإسلامية إنطلقت و لن نعود إلى الغفوة من جديد .

إلهي ما ألد خواطر الإلهام بذكرك على القلوب ، و ما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب ، و ما أطيب طعم حبك ، و ما أعذب شرب قربك ، فأعزنا من طردك و إبعادك و اجعلنا من أخص عارفيك ، و أصلح عبادك و أصدق طائعيك و أخلص عبادك ، يا عظيم يا جليل يا كريم يا منيل برحمتك ومنك يا أرحم الراحمين

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## شروط الصحوة

● نلاحظ أن المجتمعات العربية - الإسلامية تشهد اليوم تصاعداً مستمراً في نبرة الخطاب الديني الإسلامي . و بذلك هل نستطيع توكيف ذلك بما يؤدي إلى إيجاد الحلول لمشكلاتنا المعاصرة ، من التوحيد إلى التحرير إلى التحديث ؟

○ عندما تحدثنا عن الصحوة الإسلامية و قلنا إنها تتحرك في ظل أكثر من وجهة نظر - و إن كانت تلتقي في المناخ العام - فإنه من الطبيعي أن يختلف الخطاب الإسلامي في عقلانيته و انفعاليته ، في تقدميته و تخلفه ، طبعاً باختلاف المذهبية التي تحكم هذا الفريق أو ذاك من المسلمين .

نحن كإسلاميين ، منفتحون على حركة الحياة ، و نعتقد أن علينا أن نطلق الإسلام من خلال قواعده التي تؤمن بحركة الفكر و حرية الحوار للوصول بالإنسان إلى التفاهم على القواعد الفكرية المشتركة . و نؤمن بأن علينا أن ننطلق من خلال تكريم الله للإنسان ، لنحرره من كل القوى المستكبرة لتكون قضية التحرر شأناً يعيشه الإنسان المسلم كما يعيش صلاته . و نحن نعتبر أن الجهاد رديف الصلاة و رديف الصوم و الحج . و هكذا عندما نطرح الإسلام في الواقع فإن المفروض أن ينطلق الإسلام لحل مشاكلنا ، و أن يدرس كل مفردات

هذه المشاكل و يجد لها الحل . و لذلك فإننا نريد أن نقول للإسلاميين ، و نقول



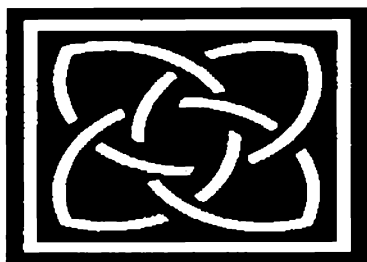
لأنفسنا : إن التحدي هو أن يتحرك الإسلام في خطابه السياسي و الثقافي و الاقتصادي و الاجتماعي من أجل أن يعيش في جنة مصغرة كمدخل للحياة في الجنة الكبرى في الآخرة .

إن هذا التحدي مطروح أمام الإسلاميين و أتصور أن الإسلام في مستوى التحدي و إن لم يكن بعض الإسلاميين في مثل هذا المستوى.



ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنه ليس لأنفسكم ثمن  
إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## الصحة الإسلامية و أسئلة الحاضر

❖ لو تخطت الحالة الإسلامية حالة إثبات الوجود ، هل تكون بذلك قد تخطت أزمتها التاريخية ، أو تدخل في عمق هذه الأزمة بحاجتها إلى الرد على أسئلة الحاضر بغير أجوبة الماضي ؟

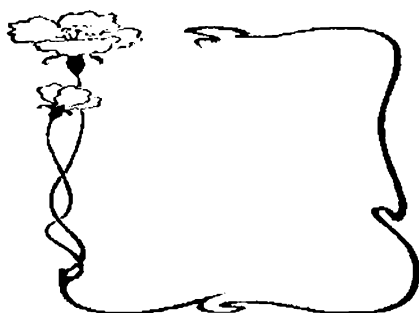
○ من الطبيعي أن الحركة الإسلامية لا تعمل على إثبات وجودها من ناحية ذاتية ، و إنما تعمل على إثبات وجودها من خلال القضايا الكبرى التي تنطلق بها ، كاية حركة أخرى ، و كوسيلة من وسائل الوصول إلى حركيتها التطبيقية في الواقع . أما قضية أنها تواجه الحاضر من خلال الأسئلة التي تطرحها المتغيرات التي يحتويها الحاضر ، و التي يمكن أن يخترنها المستقبل ، اتجيب عليها بإجابات تقليدية ، فإننا لا نعتقد أن الحركة الإسلامية تعمل على أن تجيب عن أزمت الحاضر ، و مشاكله بأجوبة الماضي ، لأن الماضي قد يطلق أجوبة في نطاق حجم المشاكل التي كانت تتحرك في داخله ، حين انطلقت المشاكل في حركة المستقبل بحجم أكبر . و من الطبيعي أن تكون الأجوبة منسجمة مع كل المتغيرات التي تحكم هذه المشاكل هنا ، أو تلك هناك ، لأن الحكم الشرعي يتغير حسب تغير الموضوع ، فالعصير العنبي عندما يتحول إلى خمر يكون حراماً ، و لكن الخمرة عندما تتحول إلى خل فإنها تكون حلالاً .. و هكذا فإن الإسلام لا يتجاوز ذاته عندما يعطي عن حلولاً جديدة ربما تختلف عن

الأجوبة التي أعطيت للمشاكل القديمة على أساس ان الموضوع الذي يتحرك به الواقع الآن ، يختلف عن الموضوع الذي تحرك به الواقع في الماضي ، مما يجعل من الشيء الذي قد يكون حلاً نتيجة خصائص معينة و ظروف معينة ، حراماً نتيجة ظروف أخرى و شروط أخرى .

❖ في هذه الحالة ، هل يكفي طرح شعار " الإسلام هو الحل " ؟ و ما أجوبة الإسلاميين على ما زق الأيديولوجيات الأخرى ، الرأسمالية و الفقر ، الماركسية و الاستثناء ، و ما رد الإسلام و مناعته تجاه ما فشلت به الأيديولوجيات الأخرى ؟

○ من الطبيعي أن هناك فرقاً بين الجانب النظري عندما نتحدث عن المشكلة و الحل ، و بين الجانب العملي عندما نتحدث عن هذه الدائرة . ربما يتحدث الإنسان في المطلق عن أن الإسلام يستطيع أن يحل مشكلة الفقر و الغنى عند الإنسان . من الممكن جداً الحديث في النطاق التشريعي الإسلامي عن الحل الكبير لهذه المشكلة في نطاق النظرية الإسلامية ، التي يركز عليها المذهب الاقتصادي الإسلامي ، الذي يبحث عن مسألة التوازن في حياة المجتمع ، فلا يغلب جانباً على جانب ، بل يعطي كل الجوانب حقها في عملية الحل ، كما أنه تجتمع في طريقة إيجاد المشكلة . و لكن هناك نقطة ثانية ، و هي أننا عندما نطلق في الواقع ، واقع التجربة ، فإن التجربة تختزن الكثير من المشاكل و التعقيدات التي قد تعطل لك حلاً هنا ، لتلجأ إلى حل اضطراري أمام الحالة الإضطرارية . و قد تواجه في نطاق هذه لامشكلة وضعاً اقتصادياً معيناً لا يمكنك من استكمال الخطة العامة .

لو كنا في بلد محدود الإمكانيات في طبيعة ثروته الذاتية في الوقت الذي تحاصره أوضاع اقتصادية و سياسية معينة تمنعه من تطوير إمكانياته و من تنفيذ خطته على هذا الأساس ، فإن من الطبيعي ألا يكون العجز عن تحقيق الأهداف الكبرى منطلقاً من أن الأيديولوجية التي يلتزمها الحل لتحقيق هذه النتائج ، لأن أية أيديولوجية ، سواء كانت اشتراكية أم رأسمالية أم إسلامية ، إنما تستطيع أن تجد الحل للمشاكل في نطاق الإمكانيات التي يحتاجها الحل . أما في غياب الإمكانيات فمن الطبيعي أن تكون النتائج في دائرة محدودة تتعايش مع كثير من مفردات المشاكل الأخرى في انتظار الإمكانيات الكبيرة . إن الإسلام يستطيع أن يثبت أمام التحدي ، و لكن الإسلام ليس بدعاً من التيارات التي قد تعطل حلولها انطلاقاً من طبيعة إمكانيات الواقع . نعم قد توجد خطة للتنمية ، لكنك قد تواجه في بعض الحالات بالجدب أو بظروف اقتصادية عالمية تؤثر عليك ، أو بشاكل إضافية تحملك من الأعباء ما لم يكن في الحساب ، لذلك إنك قد لا تنجح في تحقيق هذه الخطة خلال سنواتها المقررة ، و ليس ذلك لأن الخطة ليست مدروسة أو أنها لا تحتصن الحل ، بل لأن الوسائل التي تتحرك بها الخطة لم تتوفر انطلاقاً من الظروف المتغيرة في هذا المجال .



## عقائيل في طريق الصحوة

❁ ما هي أهم الأمور التي تعرقل مسيرة الصحوة الإسلامية المباركة ، و كيف يمكن تجاوزها ؟

○ أهم تلك العقائيل : الجهل و التخلف و الذهنية المقفلة التي ليست مستعدة لأن تفتح على مواقع التحدي التي يوجهها أعداء الإسلام للإسلام في المسألة الثقافية و الفكرية . إن الفكرة التي ما نزال نعيشها كما عاشها الجاهليون ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [ الزخرف : ٢٣ ] ، فنحن لا نزال في الكثير من مواقعنا الفكرية و الثقافية غير مستعدين أن نغير ما ورثناه و لسنا مستعدين أن نناقش ما ورثناه لأن الإرث يمثل قداسة عاطفية عندنا ، و كأن بعض الناس يتصورون أن بعض القضايا إذا ناقشناها فسوف تهدم الهيكل على الرؤوس ، بل و سوف تتسف الإسلام من الأساس . لذلك تراني اخاطب المسلمين جميعاً.

أيها الأحبة ، إن الإسلام لا ينمو في التخلف و لا ينمو في الجهل ، إنه يملك قوة الحق بحيث يمكن لك أن تتقد كل تراثه و يبقى الإسلام أصيلاً .

ثمة كلمة للإمام الصادق (ع) و قد كان يجلس و أصحابه حوله ، فجاءه شخص يريد أن يناقشه في مسألة " الإمامة " و عهد الإمام الصادق (ع) إلى تلامذته أن يناقشوه و جلس يستمع إلى تلامذته يدفع بهذا للنقاش من جانب و يدفع

بذلك ليناكش من جانب و انتهت المناقشة و بدأ الإمام ينقد تلاميذه فقال لبعضهم " إنك أخذته بالحق و الباطل و قليل الحق يكفي عن كثير من الباطل ثم قال له ما الفرق بينك و بينه إنه جدد حقاً و جدد حقاً مثله " فعندما تناقشسه بالباطل لتدافع عن حقه فإن الحق لا يثبت بالباطل إنما يثبت بأسلوب الحق ، و الفرق بينكما هو أنه جدد الحق في النتائج و أنت جدد الحق في المقدمات ، لذلك فإن بعض الناس يخافون على الإسلام إذا نقض بعض العادات أو بعض الأوضاع أو بعض المفاهيم التي لم تكن مدروسة أو التي لم تثبت أمام النقد ، إن هذا الإسلام الذي دخل القرن الخامس عشر ، و راحت كل التحديات الكافرة و المستكبرة سواء كانت ثقافية أو سياسية أو أمنية تحاول أن تسقطه و بقي قوياً في فكره قوياً بمواقفه و قوياً بتحدياته ، هذا الإسلام يكبر و ينمو و يقوى و يتصلب كلما أزلنا التلوثات و الهوامش عنه لتبقى له أصالته و قواعده الثابتة ثبات الحقيقة الصامدة أمام التحديات .



سل تفقهاً ، و لا تسأل تعنتاً ، فإن الجاهل المتعلم  
شبيه بالعالم ، و إن العالم المتعسف شبيه بالجاهل  
المتعنت .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## الخيار الثالث للنهضة

✻ بعض المفكرين الإسلاميين طرح في أوائل القرن الحالي سؤالاً يقول :  
لماذا تأخر المسلمون و تقدم غيرهم ؟ و أدى هذا السؤال إلى نشوء بضعة  
وجهات نظر مختلفة بالنسبة لتحقيق التقدم و التحديث في المجتمعات العربية  
- الاسلامية . فالبعض رأى أن النهضة لن تتحقق ما لم تتم العودة إلى  
النيابيع و إلى الأصول ، بمعنى آخر إلى السلف الصالح و الاستقواء به ،  
حين ذهب آخر إلى أن هذا السلف الصالح كان صالحاً في زمن مضى و لم  
يعد صالحاً في زمننا ، و المطلوب هو القطع النهائي معه و الاتجاه غرباً ،  
حيث كل عناصر التقدم و التطور . و على هذا الأساس فقد حدث الإنشقاق في  
البقعة العربية - الإسلامية و هو انشقاق لا يزال مستمراً إلى هذا الوقت و  
هو يعبر عن نفسه حيناً تحت اسم الأصالة و المعاصرة ، و حيناً تحت اسم  
الحداثة و التقليد ، و حيناً تحت اسم الاستقلال و التبعية ... هنا نريد أن  
نطرح السؤال نفسه لماذا تأخر المسلمون و تقدم غيرهم ؟ و هل للإسلام دور  
في كل ذلك ؟

○ عندما تطرح مسألة التقدم و التأخر في أجواء الهزيمة فإن خيارات التحليل  
الفكري تصبح ضيقة - إن لم تكن معدومة - لأنك عندما تحقق حولك في  
الواقع لتلتقط مفرداته فلا ترى إلا الواقع المهزوم . و من هنا فإنك قد تندفع

من خلال انفعالاتك ، لتصب جام غضبك على هذا الواقع على أساس أنه سبب الهزيمة و ربما تبتعد عن عقلانية الوعي و الانفعال ، لتصب جام غضبك حتى على الإسلام الذي يمثل حالة من الإحباط النفسي ، يؤدي إلى السقوط أمام حالة الانتماء في مقابل الشعور بعظمة القوي ، الفاتح ، مما يجعل الإنسان يعتقد أن نقاط ضعفه هي الأساس ، لا نقاط قوة الآخرين .

و إذا كنا نريد أن نستطرد استطراداً سريعاً في هذا المجال لنذكر أنفسنا بالواقع القريب ، فقد لاحظنا في نكبة ٦٧ أن كثيراً من المنقذين المستغربين الذين تحدثوا عن النكبة ، تحدثوا عن عواملها في شخصية الإنسان العربي ، في غيبياته و التزامه الديني و تقاليده و عاداته ، من دون أن يعطوا الدور الكبير في عملية الهزيمة للعبة الدولية و لطبيعة القيادات التي تحكم الواقع العربي و لطبيعة الأجهزة التي فرضت نفسها على الواقع . لقد كانت المسألة تنطلق من أن هناك إنساناً عربياً متخلفاً و أن هناك إنساناً يهودياً متقدماً ، و أن التخلف في الفكر العربي هو الذي قاد العرب نحو الهزيمة ، في الوقت الذي نجد شعوباً مختلفة في المسألة الحضارية تهزم شعوباً متقدمة ، كما في حركة فيتنام أمام الأمريكيين . لماذا فسر هؤلاء المسألة بهذه الطريقة ؟ لأنهم يعيشون الهزيمة أمام القوي قبل أن تقع فعلياً .

لذلك ، عندما نحقق في تحليل مسألة الهزيمة في البلاد الإسلامية ، في بداية هذا القرن ، فإننا نلاحظ أن هناك روحية هزيمة كانت تعيش بشكل تدريجي ، من خلال واقع الهزيمة الذي كانت تعيشه الخلافة العثمانية ؛ لأنها كانت مهزومة قبل أن تسقط بخمسين سنة ، مما جعل النقاط تتساقط لتؤلف الخزان الكبير بعد ذلك . و من هنا رأينا بعض رجال النهضة يعملون على التوفيق بين الحضارة الغربية و الحضارة الإسلامية ، بحيث يؤولون كل ما هو إسلامي بما هو غربي حتى يوحوا بأن الإسلام يمثل انفتاحاً ، يتفق مع هذا الفكر



الغربي أو مع هذا الاختراع الغربي .

و هكذا انطلقت المسألة في هذا الخط و انطلق في مقابله تيار آخر ، يتمرد على المنهج التوفيقي و ذلك بالتمرد على الأساس : لماذا نتعب أنفسنا في التوفيق بين فكرنا و فكر الغرب . لننطلق إلى الغرب إذا كانت القيمة هي في أن يكون فكرنا متوافقاً مع الفكر الغربي ؟ فلنكن المسألة أن ننطلق مع الغرب . لأن مفاهيمه هي التي أطلقت حركة القوة فيه و هي التي غدت عناصر الحضارة في داخله . و قد قاد هذا التيار مفكرون مصريون و لبنانيون و سوريون . و امتدت المسألة بعد ذلك ، للتحرك في واقع يختلط فيه الجانب الفكري بالجانب السياسي و يطلان معاً على الجانب الاجتماعي ، بحيث أصبح هناك تداخل بين جميع هذه الجوانب . فنحن نبحث عن التخلف الاجتماعي و السقوط السياسي من خلال المفردات الفكرية ، و هكذا انطلقت مسألة الأصالة و الحداثة و التبعية و الاستقلال و ما إلى ذلك من الكلمات المترجمة اساساً عن ثقافة الغرب و مشاكله الفكرية ، التي انطلقت في أجواننا الفكرية ، لتحدث عن طبيعة العقل العربي و ضرورة تحديثه ، و عن مسألة التراث و ضرورة مواجهته بطريقة نقدية ، و اعتبرت الأصالة عودة إلى جذور التخلف ، و ما إلى ذلك .

و لكننا عندما نواجه هذه المصطلحات ، لا بد لنا من أن نتحدث عن حدود هذه المفاهيم ، لأن المفاهيم قد تتسبب إحياءات معينة ، تجعلك تعيش معها في حالة ضبابية لا تعرف أين تقف . إن الذين يتحدثون عن العودة إلى الينابيع و إلى الأصول ، فإنهم يتحدثون عن العودة إلى الينابيع الجاهلية و إلى أصول التخلف و الأصالة التقليدي ، لأن القرآن حارب هذا المفهوم جملة و تفصيلاً . فالقرآن يؤكد أن قناعتك تؤكدها إرادتك و عناصر العقل فيك و عناصر الهدى في تجربتك . إن الذين يقولون بالعودة إلى الينابيع و إلى الأصول و إلى الجذور ، يتحدثون عن ينابيع الفكرة الأساسية باعتبارها مساً و جهاً للحقيقة ؛ و

الأصول التي تمثل القواعد الفكرية التي أثبتت و لو من وجهة نظر الذين يدعون إليها ، صحتها و مصداقيتها ، لذلك فإنها ليست دعوة لتقليد الماضين و ليست اجتراراً ، و إنما هي دعوة للقواعد الفكرية الأساسية التي يمكن أن تغني الحاضر و المستقبل ، كما أغنت الماضي ، تماماً كما يتحدث عن العودة إلى الأصول الأساسية للإنسان أو للحضارة الإنسانية ، التي انطلقت من أفكار مفكرين كانوا في الماضي . هل معنى العودة إلى أصول الحضارة هو العودة إلى الماضي ؟ و إذا كنا نتحدث عن السلف الصالح ، عندما لا يكون من الأنبياء أو في أجواء الأنبياء فإنهم يكونون بشراً كبقية البشر ، يخطئون و يصيبون و ينحرفون ، مما يجعلنا نواجه تجربتهم ، كما نواجه تجربتنا الآن بعملية نقد و تمحيص و تحليل .

لذلك أن تكون مسألة الأصالة مسألة سلبية فهذا يختلف حسب اختلاف مفهوم هذه الأصالة . فإذا كانت الأصالة تعني جموداً على التجارب الماضية فنحن نوافق أنها سلبية ، لأن الحياة تتقدم و الإنسان يتقدم مع تقدم الحياة . غير أننا نؤكد على الأصالة انطلاقاً من القواعد الثابتة التي أسس ثباتها على عناصر الفكر ، الذي يفرض هذا الثبات ، بقطع النظر عن موافقتك لذلك أو عدم موافقتك له ، لأن ما تطرحه أنت من فكر بديل هو فكر يختلف عن الآخر و قد لا يوافق عليه الآخر ، يعني ليست هناك فكرة ثابتة تشمل الوعي الإنساني كله و على هذا الأساس نقول : عندما نتحدث عن مسألة العودة إلى الغرب و طرح الأصالة ، فهل الغرب فكر واحد ؟ الغرب فكر متحرك و متنوع ، و هل نستطيع أن نقول بأن الغرب يمثل الإيجابية المطلقة في حركته الحضارية ؟ أو أن هناك سلبيات كثيرة يعترف الغرب بها ؟ مشكلة البعض منا أنه يؤخذ صاحب التجربة بالاعتراف بسلبياتها و ينظر إلى السلبيات على أنها إيجابيات . نحن نقول - كإسلاميين - هناك فكر إسلامي نؤمن به ، على أساس الإيمان

المنطلق من الحجة ، و نحن نطرح هذا الفكر بانفتاحنا على الحوار بالطريقة التي انفتح فيها القرآن عليه ، ليكون حوارنا بدون مقدسات . فنحن مستعدون أن نبدأ الحوار في أصل وجود الله و في توحيده و في انتماء القرآن إلى الله و في نبوة النبي (ص) و في كل شيء ، لأننا لا نؤمن أن الإيمان فوق العقل بل نعتقد أن العقل هو الذي يثري الإيمان ؟ هو الذي يغذيه ، لذلك نقول للذين يقولون تعالوا إلى الغرب : أي غرب تكصنون ؟ و أي فكر غربي و أي فلسفة غربية ؟ و عندما تريدون أن تتحدثوا عن الإسلام بسلبية نقول : ما مفهومكم للإسلام ؟ و لذلك نقول : حددوا الكلمات و المفاهيم و المصطلحات كيما يكون الحوار مثمراً لصالح اخراج العقل الانساني من الظلمات الى النور .

**لاخير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل**

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



# من مشكلات الخطاب الاسلامي

## أزمة المثالية و الخيال في الخطاب الاسلامي

✽ عندما نسعى إلى تغيير مجتمعنا و النهوض به ، فإننا لا يمكن أن نتطلق من فراغ و نرسم صورة لمجتمع المستقبل كما يحلو لنا ، لأننا نعيش ضمن ظروف مادية و معنوية معطاة ، يتعين علينا البدء منها ، و إلا سقطنا في تفكير خيالي لا يمكن أن يحقق شيئاً على أرض الواقع .. و إذن كيف نكون واقعيين في حركة الإلتزام بالنص القرآني ؟ ثم كيف نتعايش مع العالم الذي نحيا فيه كشرط للخروج من أزمة المثالية و الخيال ؟

○ هل الإسلام خيالي في نظره إلى المشكلة و هل هو مثالي في تطلعه نحو الحل ؟

لو درسنا الإسلام - الفكرة - الشريعة - الحركة ، في البنية الفوقية أو التحتية لرأينا أن الإسلام واقعي جداً في النظرة للمشكلة و الحل ، فهو عندما يدرس الاوضاع السلبية في المجتمع فإنه لا يربطها بالغيب ليعيش الإنسان في حركة لاهثة خلف خفايا الغيب ليتعرف مواقع المشكلة في هذه الاوضاع ، بل يربطها بالواقع الاجتماعي في سلوك الناس و في علاقاتهم ، و في اوضاعهم الفكرية و العملية فنراه يتحدث عن مشكلة الجوع و الخوف لدى الناس في قوله تعالى : ﴿ هو ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [ النحل : ١١٢ ] .

فقد اعتبر السبب في تقدير الله الجوع و الخوف لهذه القرية ، هو ما يصنعونه من الأعمال التي يجمعها عنوان الكفر بأنعم الله ، المتمثل في توجيه الثروات العامة والخاصة نحو الفساد في المجال الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي ، مما قد نستوحيه من حديث الله عن قصة قارون كقوله تعالى : ﴿ إِنْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَمْسُ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [التقصص: ٧٦-٧٥-٧٧].

و نراه يتحدث عن أسباب الفساد الكوني أو الاجتماعي في قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفُسَادَ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١].

فنحن نرى أن الله يربط بين الفساد الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي في البر و البحر ، و بين اختيار الناس السيئ في كسبهم العملي ، كما يعتبر النتائج السلبية نتيجة للمقدمات الصادرة منهم .

و في ضوء ذلك نفهم أن الإسلاميين ، الذين يعملون على تغيير المجتمعات ، سوف يدرسون المشكلة في نطاق الواقع ، و يعملون على التعرف على الحل من هذا المنطق الواقعي الذي لا يبتعد فيه الإسلام عن الحياة ، و هذا هو الذي يجعلنا نقرر في بعض أبحاثنا الإسلامية أن الغاية الكبيرة تبرر الوسيلة و تنظيفها و تحولها من حالة سلبية في عنوان الفكرة إلى حالة إيجابية في مضمون الهدف فقد يجوز قتل الأسير المسلم لتحقيق النصر للمسلمين إذا تترس الكفار بأسرى المسلمين ، و قد يملك ولي الأمر الكثير من التصرفات على مستوى حاجة النظام العام ، فيما لا يملكه من ناحية ذاتية خاصة . الأمر الذي يجعلنا نقرر أن الإسلاميين الذين ينطلقون من وعي المصلحة الحقيقية ، و المفسدة الحقيقية للإنسان فـسـي التشريع و دراسة الحالات الطارئة فيما هو الأهم و المهم ،

وملاحظة العناوين الثانوية الشرعية بالاضافة إلى العناوين الثانوية ، لا يجدون مشكلة في تغيير للواقع بأدوات الواقع ، من دون أن - يشعروا بالحاجة إلى الابتعاد عن حكم شرعي واحد ، فيما يعنيه ذلك من الانحراف عن خط الله .

### وصف الإيمان

سبيل أبلج المنهاج ، أنور السراج ، فبالإيمان يستدل على الصالحات ، و بالصالحات يستدل على الإيمان ، و بالإيمان يعمر العلم ، و بالعلم يهرب الموت ، و بالموت تختم الدنيا ، و بالدنيا تحرز الآخرة ، و بالقيامة تزلف الجنة ، " و تبرز الجحيم للغاوين " و إن الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## اولويات الخطاب الاسلامي

---

✽ يؤكد الخطاب الإسلامي على القيم أكثر من تأكيده على الوظيفة الاجتماعية للإسلام بشكل يظهر معه الإسلام معلماً و واعظاً أكثر مما هو قيم على شؤون الإنسان المسلم و السؤال كيف نواجه حالة التفكيك بين الفكر و التربية ، بين القيم و وظيفتها الاجتماعية في الاسلام ؟

✽ صحيح أن الإسلام يركز على القيم ، و لكنه يركز على القيم الواقعية الحركية فعندما يتحدث عن الصدق يتحدث عنه في السياسة ، و في معاملات الناس ، و في ساحات الصراع . و عندما نتحدث عن القيمة و عن ضدها بحسب طبيعة حركية الواقع الذي نعيش ، فإننا نجد أن القيمة ليست شيئاً تجريدياً ، بل هي تتحرك في عمق الواقع ، مما يجعل القيمة واقعية ، إن الغالب في الخطاب الإسلامي لدى الكثير من الذين يمارسونه على مستوى الوعاظ و المرشدين و العلماء غالباً ما يصاغ بطريقة فوقية و بطريقة كلية لا بطريقة حركة الجزيئات في الميدان العملي .

لذلك أتصور أن هناك عدة تجارب تتحدث عن طبيعة حركة هذه القيم في الواقع ، و لحل المشكلة التي يواجهها المفكرون و العلماء في خطابهم الذي يعمل على ربط القيمة بالواقع ، انهم قد يواجهون الكثير من حالات الرفض الغوغائي أو الكثير من المناقشات الانفعالية . لأن الناس غالباً ما تحب أن تبقى في الخطوط الكلية التي لا تلامس نقاط ضعفها و لا تلامس ضعف تصوراتها .



انني أتصور أن هناك تجارب أخيرة تتحرك في الخطاب الإسلامي على أساس رصد الواقع و رصد حركة القيمة في الواقع و محاولة تقريب القيمة أو المصالحة بين القيمة و بين الواقع ، بحيث يمكن للقيمة أن تتجسد واقعاً و يمكن للواقع أن لا يبتعد عن القيمة .

كما أتصور أن هناك تجارب جيدة في هذا المجال . و أنا معكم في أن الخطاب العام الإسلامي هو خطاب وعظي فوقى لا يلامس الواقع بل يمثل هروباً من الواقع ، لأن الكثيرين من الوعاظ لا يريدون أن يضعوا أيديهم على الجرح بل يريدون أن يعطوا الجراح في أن يدبر أمر نفسه . و لا يخفي أن قلة مراكز الأبحاث الاسلامية - الاستراتيجية - قد ساعدت على انتشار مثل هذه الظاهرة الأمر الذي يملئ علينا في ظروف المرحلة الراهنة من مشكلات الفكر الاسلام و تحديات العصر الدعوة الى ضرورة التفكير بمتطلبات الواقع دون أن نفرط بأساسيات القيم في جميع جوانب الحياة .

**اللهم إنا نعوذ بك أن نعصد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول في العلم بغير علم و نعوذ بك أن ننطوي على غش أحد وأن نعجب بأعمالنا و نمد في آمالنا .**

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## المرحلة و هواجس التغيير

✽ جاء في كتاب " خطاب الإسلاميين و المستقبل " في مناقشة اتخاذ المراحل في حركة التغيير قولكم إن هذه الحركة في التغيير لا يمكن أن يعتمد عليها بشكل مؤكد ، حيث أن الغرب أو الإستكبار العالمي يفرض عليك المرحلة التي تكون هي الخطوة الثانية في عملية التغيير ، و إذن ما هو الحل لو فرض عليك الانتقال من مرحلة و أنت لم تكمل المرحلة الأولى ؟

○ في تصوري أنك لا تستطيع أن تفرض المراحل ، الواقع هو الذي يفرض عليك المرحلة . إن بعض الناس يقول هناك مرحلة ثقافية تربية ، و هناك مرحلة سياسية ، و هناك مرحلة جهادية ربما يقول البعض أن علينا ان نصوغ خطابنا الاسلامي على اساس التجربة المكية لتماثل ظروف المرحلة معها كما يقول البعض الآخر : ان علينا أن نصوغ خطابنا على أساس التجربة المدنية لنفس التعليل و الواقع أننا عندما ندرس الإسلام الذي يستوحي منه هؤلاء تجربة المرحلة يقولون أن النبي (ص) عاش في مكة مرحلة الدعوة ، ثم انطلق إلى المدينة ليعيش المرحلة السياسية و مرحلة صنع الدولة ، فلو درسنا ذلك لرأينا أن النبي (ص) انطلق في المرحلة الأولى لأن الظروف كانت تسمح له بذلك باعتبار أن أسلوبه الذي تحرك في الواقع كان لا يحمل أية فرصة أو أية ظروف يمارس فيها المسلمون التحدي ، كانت هناك تحديات و لكن لم يكن المسلمون آنذاك بالحجم من القوة بحيث يواجهون بها التحديات ، كانوا قلة ، و

كانوا ضعافاً ، و كانوا يعيشون في مكة التي تشكل القاعدة بالنسبة لقوة قريش .  
لذلك لا يمكن للمسلمين أن يخوضوا في ذلك الوقت أية معركة ضد المشركين  
لأن المشركين أقوى منهم و بإمكانهم تصفيتهم تماماً ، فكان النبي (ص)  
يأمر المسلمين بالصبر أو كان يوجههم نحو الهجرة الأولى و الثانية إلى الحبشة  
و كان يبحث عن موقع قوة ليدبر الصراع من حوله .

و نلاحظ أنه (ص) بعد أن هاجر إلى المدينة كان يتحرك في خط الدعوة فقد  
بقيت هناك المواقع الكثيرة التي لم تصلها الدعوة ، و كان يتحرك في خط  
السياسة ، إذا صح التعبير و كان يتحرك في خط الجهاد لأن التحديات جاءت  
من جميع الجهات ، و لذلك تحرك بالدعوة الثقافية و بالتقافة و التربية و الجهاد  
و السياسة و بناء الدولة في وقت واحد .

بل إنني أزعم أن العمل السياسي هو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله . و أن  
العمل الجهادي هو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، لأن كل هذه الوسائل  
تفتح لك أفقاً في عقول الناس و تفتح لك أفقاً في قلوب الناس . فربما لا يفتح  
عقل بعض الناس إلا إذا حدثته عن الإسلام عن طريق الأدب ، و ربما يفتح  
عقل إنسان ما عندما تحدثه بأسلوب الفلسفة أو بأسلوب العاطفة ، لذلك نحن  
نعتبر أن العمل يختلف عن البناء في وضع الأساس أولاً ، ثم بعد ذلك يهندس  
الأرض ثم ينطلق براحة إلى الطابق الأول ثم الثاني ، كلا ، فإن العمل يتزامن  
مع الدراسة و العمل في ساحة الصراع الذي لا يسمح بالمرحلة التي يخطط  
لها بعض الناس لأنه بمجرد أن يحس الآخرون بخطرهم فإنهم سيفسدون كل  
أساليبك و أوضاعك و عند ذلك تكون قضيتك أن تخطط لحركتك في مواجهة  
التحديات التي يفرضها الآخرون عليك .



## الانسان المسلم و مشكلة الفراغ العقائدي الاسباب والنتائج



✽ يعيش الفكر الاسلامي في هذه المرحلة من تاريخه في قلب المعركة معركة الحق و الباطل بين تيارات شتى من هنا و هناك و في مقدمتها التيارات التي نفذت الى داخله فبعثت فيه القلق و الحيرة و الارتباك ليعيش مشكلة جديدة من نوعها هي مشكلة الفراغ العقائدي و السؤال كيف نقرأ واقع هذه المشكلة في اسبابها و نتائجها ؟ و ما هي وظيفة الانسان المسلم امام تحدياتها المستعصية و المعقدة في أكثر من مجال ؟ و هل ثمة أمل يرتجى لعقد مصالحة شاملة بين الفقيه و المثقف و السياسي لينهض الجميع على قاعدة الاتفاق لمواجهة تحديات العصر الجديد ؟

✽ من مشاكلنا الرئيسية ، التي نعيشها بمرارة و ألم ، و نعانيها في وعي و يقظة مشكلة الفراغ العقائدي .

و نعني بهذا الفراغ الذي يشيع في حياتنا العامة كمسلمين ، فراغ الانسان المسلم من الايمان باسلامه كعقيدة تملأ جوانب نفسه و تسيطر على وجوده ، و نظام يدفعه إلى العمل و الكفاح في سبيل احتلال مركزه القيادي في حياتنا العملية بشتى مراحلها و ألوانها .

إنه لا يعي إسلامه إلا على شكل صور مبهمه مطموسة الألوان ، و كليات لا

يعرف كيف تطبق ، و أين تطبق ؟ الأمر الذي سهل مهمة اعداء الاسلام في الوصول الى هدفهم في عزل الاسلام عن المركز القيادي في حياة العالم الانساني .

فتم لهم ما أرادوا بسبب هذا الفراغ و الضياع ، اللذين عانتهم الشخصية الاسلامية مدة غير قليلة من الزمن .

و بدأت الدعوة الى فصل الدين عن الدولة تأخذ مكانها من تفكيرنا الحديث كدعوة اصلاحية تقدمية ..

و بدأ الكثيرون من شبابنا يعارضون وقوف علماء الدين امام بعض التيارات الحديثة المادية بدعوى : انهم لا يفهمون وجه معارضتها للدين بعد ان كانت تفسح في المجال لحرية العبادة و لا تمنع الانسان من ان يعتقد بما يريد في ما بينه و بين نفسه ما دامت العقيدة لا تمنعه من أن يكون مواطناً صالحاً .

و يضيفون بعد ذلك قولهم و ماذا تريدون غير هذا ؟ و هل الدين إلا الصلة الروحية بين الانسان و ربه ؟ و أي صلة له بالانظمة الاقتصادية و الاجتماعية الحديثة ؟

ثم تطورت المسألة فبدأنا نسمع الكثيرين - ممن استهوتهم التيارات الحديثة فاندفعوا وراءها بدون وعي - يقولون : ان الاسلام قد مثل دوره التطويري لحياة الانسان - مشكوراً - في مرحلة من مراحل التاريخ ، و انتهى بانتهااء تلك المرحلة ، ليفسح في المجال أمام الدعوات الاخرى التي تخضع لمتطلبات التطور أكثر منه بسبب انها عاشت في صميم الواقع .. واقع - المرحلة التاريخية التي عاشها الانسان بعد ظهور الاسلام - و التي لم يعد الاسلام يستجيب و يقدم الحلول لمشاكلها الكثيرة ، نظراً لاتساع تلك المشاكل و اختلافها عما كانت عليه في الدور الذي حكم فيه الاسلام .

و هذا هو بعض ما يعتبره الكثيرون من شبابنا من القضايا المسلمة أو القضايا

التي قياساتها معها حسب التعبير المنطقي - بوحى ما درسوه و قرؤوه من الدروس و القراءات التي أراد لهم المستعمر الكافر أن يدرسوها و يقرؤوها على أساس انها تمثل الفكر التقدمي المتحرر ، الذي يهدم الواقع الفكري المتأخر الذي نعيشه في خمول و استكانة - كما يقول .

و ليس ذلك إلا لأنهم لم يكونوا قد عاشوا اسلامهم في وعي ، و لا انفتحوا على الحياة التي يحاول الاسلام ان يبنيتها و يشيدها للإنسان في هذه الدنيا و على الحلول التي وضعها الاسلام لمشاكل الانسان الآنية و المستقبلية و مدى ما تحمله هذه الحلول من مرونة و واقعية و أصالة .

أما السؤال الذي يدور في أذهاننا و يلح علينا فيحاول أن يكشف لنا عن المسؤول عن هذا الفراغ ، و ما الذي نستطيع صنعه لمجابهته و مجابهة الغزو الفكري او العقائدي الذي وجد في هذا الفراغ مجالاً رحباً لبث سمومه و أفكاره ، فبدأ يدفع كثيراً من شبابنا الطالع الى احضانه ، ليعتقوا مبادئه و يسيروا في حياته على ضوء تفكيره .

اننا نعتقد ان المسؤولية في تكوين هذا الفراغ ، لا تقع على عاتق فرد او هيئة خاصة ، بل ان هناك عوامل و ظروفأ و ملابسات كثيرة شاركت في تكوينه ، و غذاها اعداء الاسلام .

#### ١ - اسباب سياسية

و في مقدمة هذه العوامل الشكل الذي عاشه الحكم الاسلامي في بعض مراحل التاريخية ، و الذي لم يكن يمثل طبيعة الروح الاسلامي النقي في خطواته و أعماله . الأمر الذي جعل الكثيرين يتصورون أن معنى عودة الاسلام الى الحكم و هو عودة السلطنة و الطغيان و التأخر و الانحطاط .. الى حياتنا الحاضرة .

و لم يلتفتوا - أو لم يحاولوا ذلك - الى ان الاسلام لا يتحمل مسؤولية الاعمال

التي يقوم بها بعض المنتسبين اليه ، ممن لا يلتزم بحدوده و اهدافه .

## ٢ - اسباب تربوية

و من العوامل التي شاركت في تكوين هذا الفراغ ، فقدان التربية الدينية بالشكل الواقعي للدين .

اما في البيت ، فإذا كان الابوان يشعران بالمسؤولية تجاه ولدهما فلن يلقناه غالباً بحكم جهلهم بحقيقة الاسلام إلا الامور العبادية فحسب و هذا ما يركز في نفس الطفل - بطريقة لا شعورية - اقتصار الدين على النواحي العبادية .

و الى جانب ذلك نجد الاساليب الخاطئة التي يتبعها كثير من الآباء تجاه أبنائهم في طريقة تعليمهم الدين ، مما يخلق في نفوس هؤلاء الابناء عقدة نفسية تجاه الدين ، ربما تؤثر في المستقبل أثرها في حسهم الديني .

كما في المدرسة ، ان نظرة واحدة الى كتب الدروس الدينية تكفينا لنعرف كيف يلقن الطلاب الدين في دور العلم فليس هو إلا عبارة عن طقوس معينة و اخلاق مثالية و هذا كل ما في الامر .

و الى جانب ذلك فإن المدرسة تشعر الطالب - بوحى الطريقة التي تتبعها في دروس الدين - بأن هذه الدروس لا تملك من الاهمية ما لبقية الدروس ، الامر الذي يبعث في نفسه فقدان الاهتمام بالدين ، و يضعف الحس الديني في أعماقه و يبعده تماماً عن المطالعات الدينية ، و عن الكتب التي تتحدث عن الدين و عن نظامه ، و اسلوبه العملي في الحياة .

## ٣ - شيوع الانحلال

فإذا تركنا المدرسة الى الواقع الذي يعيشه الشاب في آفاقه ، نجد امامنا السينما و الراديو و التلفزيون و الصحف الخليعة ، التي تخاطب غرائز الشباب و تدفعهم الى تقديس تلك الغرائز ، مما يساعد كثيراً على اشاعة الروح الانحلالية و التمتع في نفوسهم .

#### ٤- طبيعة الانظمة الحاكمة

و إذا حاولنا أن نبعد كثيراً ، نجد امامنا الحكم الذي يسيطر على مجتمعاتنا الاسلامية ، و يتصرف في مقدراتها بطريقة تتعمد الاساءة الى القيم و المفاهيم الاسلامية ، و تحاول أن تبعد الاسلام عن حياة المسلمين ، بما تشرعه من قوانين و نظم تتناقض و صراحة القرآن الكريم ، و السنة المطهرة .

#### نتائج حتمية

و من الطبيعي أن يحدث مثل هذا الواقع في نفوس الناشئة تأثيراً كبيراً ، يشعرهم بأن الاسلام لا يتصل بحياتهم في قليل او كثير ، فإن من العبث أن يشغلوا انفسهم بمعرفته و دراسته .

و هنا تكون المقاومة مفقودة بفعل هذه الاساليب المسمومة و يتجسم الشعور بالفراغ امامهم ، فهم في حاجة الى أن يعيشوا حياتهم في اتجاه محدد ، و الى أن يندمجوا في الاجواء المختلفة التي تهيئها لهم الحضارة الحديثة .

و هنا تمتد الأيدي الكثيرة لتلتقف هذه المشاعر القلقة ، لتحول هذا القلق الى اطمئنان للحلول التي تقدمها ، و الافكار التي تدعو لها ، في الوقت الذي تحولها عن أي حل آخر أو فكرة أخرى .

و هكذا قدر لها أن تدفع مع التيار بجنون وقوة ، و هكذا تبرز النتيجة المفزعة أمامنا عندما تنفض الناشئة أيديها من الدين ، بحجة أنه لم يعد يمثل مشكلة في حياتنا الحاضرة ، لأنها لا تحتاجه من قريب أو بعيد .

هذه بعض العوامل التي شاركت مشاركة فعالة في تنمية هذا الفراغ و توسيعه و تعميقه في نفوس الجيل المسلم الحاضر . و قد كان للاستعمار في تكوينها و في تسهيل مهمتها حصة الأسد .

بقي علينا أن نفكر في الحلول العملية التي تساعدنا على انقاذ جيلنا الطالع من هذا الفراغ العقائدي المدمر .



### لندرس مشاكلنا .. بصراحة

ما نطلبه - كضرورة لتقدمنا الحياتي - أن نكون صريحين مع أنفسنا ، أن تكون الصراحة هي السبيل الذي نجابه به مشاكلنا التي يعيشها واقعنا الديني و الاجتماعي و الفكري فلا نسلك السبيل الملتوية ، في بحث هذه المشاكل و لا نتناولها بطريقة اللف و الدوران .

فإننا إن فعلنا ذلك فلن نجني إلا التسيب و الضياع و البعد عن واقع المشكلة و جوهرها .

و ان ما نحاول أن نتلافاه هو انتشار الطفيليات ، و هذا ما نريد أن نتخلص من آثاره و عواقبه . فهناك الكثير الكثير من الطفيليات ، التي نشأت في أحضان ظروف معينة نتيجة مؤثرات خاصة ، فلم تقتصر فيها على تلك الظروف و على تلك المؤثرات ، و انما مددناها الى ابعد مجال من مجالات العملية و العقائدية ، حتى أصبحت و كأنها ضرورة من ضرورات واقعنا الحياتي ، في الوقت الذي قد تكون خطراً على كيانتنا و ثقافتنا و عقائدنا .

و توغلت هذه الطفيليات في نفوس السذج من أبناء الأمة ، حتى عادت لديهم جزء لا يتجزأ من العقيدة و قضية حيوية من قضاياها ، الأمر الذي جعل مناقشتها و محاكمتها ، على أساس منطقي ، شيئاً خطراً على الدين و العقيدة في نظرهم . و لذا فهم لا يمتنعون عن أن يلصقوا أية تهمة ظالمة بأي انسان يحاول أن يسلط الاضواء على مثل هذه الامور .

و هكذا بدأنا نلمح في حياتنا العامة الكثير الكثير من هذه الطفيليات من دون أن نجرؤ على تحليلها و تناولها بشيء من الدقة و العمق و الاتزان . مما أدى الى أن يعتبرها الكثيرون - ازاء هذا السكوت - جزءاً من عقيدتنا و ديننا . فهاجموا هذه العقيدة و هذا الدين على أساس وجود هذه الطفيليات فيه .

\*\*\*\*\*

و هذا ما نجده في كثير من مؤلفات المستشرقين ، و أصحاب العصبية العمياء ، ممن قد تمنعهم عصبيتهم و أغراضهم الشخصية من أن يبحثوا و يتعمقوا ، لتكون أحكامهم أكثر عمقاً و اتزاناً في ميزان البحث و التحليل .

إننا نعرض هذا امام المصلحين الدينيين الذين يعون دقة المرحلة التي نمر بها ، لننبه الى خطر هذا السكوت و هذا الاهمال على الاسلام ، نظراً الى بقاء هذه الامور على قدسيتها في نفوس العامة من الناس ، و تأثيرها على مجرى حياتهم العملية ، يوجب تشويه الاسلام في النفوس .

كما ان عقدة الخوف من العامة قد تجرنا الى مزالق خطيرة في ميدان الفكر و العقيدة ، لأنها لا تصدر في معارضتها عن وعي و اتزان ، و انما تصدر عن عاطفة بدائية ، و عن خوفهم من تغيير الحالة التي درجوا عليها ، و التفكير الذي عاشوا في افقه .

و إذا نظرنا الى التاريخ ، وجدنا العامة قد شاركت مشاركة فعالة في عرقلة الكثير من المشاريع الاصلاحية التي قام بها المصلحون الدينيون . فقد وقفت امام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) عندما كان يحاول إزالة بعض الزوائد التي علقت بالاسلام ، نتيجة بعض المؤثرات و بعض الظروف و منعتة من تنفيذ خطته الاصلاحية التي لو قدر لها أن تنفذ لوفرت علينا الكثير من الجهد الفكري ، الذي لا نزال نبذله في تنقية ما علق بالاسلام و ما شاب أحكامه من شوائب .

و لم يكن الوقوف امام معارضتها - في ذلك الوقت - أمراً عملياً بالنظر لما أحاط به من مشاكل داخلية و خارجية .

في الأيام القريبة الماضية التي مرت بنا تأثر البعض من العامة - بالنظر الى ضعف تفكيرهم - بدعاية الشيوعية و احاييلها .. فلم يهضم موقف العلماء من الشيوعية و الحكم بكفرها و الحادها بحجة أن هذا يعتبر تدخلاً في السياسة .

و هذا ما يحظره الدين على العلماء - في نظرهم - ثم يضيفون الى ذلك ان الشيوعية لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد ، و لذا فليس من مهمة العلماء و لا اختصاصهم الوقوف امامها أو امام أي تيار سياسي آخر .

و لولا الجرأة التي تحلى بها علماءنا الاعلام ، و لولا الصراحة النقية التي جابهوا بها هذه المشكلة الخطرة ، لما وقف هذا التيار عند حده ، و لما وضحت القضية لهؤلاء السذج بعد ذلك .

و هكذا نرى أن علينا أن نكون صريحين في مجابهة مشاكلنا التي يثيرها ما علق بأذهان العامة من طفيليات و خرافات ..

و إلا .. فقد يجيء الوقت الذي لا نستطيع فيه معالجة هذه القضايا ، فضلاً عن الوقوف أمامها .

ففي كل كلمة قلناها -كنا نحاول أن نشير و ننبه الى بعض الانحرافات و الأخطاء التي نلمحها في مجتمعنا الصاعد .

و كان بودنا أن لا يلون الضباب بعض ملامحها الاصيلية ، لأن هدفنا هو "الكلمة المضيفة" التي تعيش في صحو مبدع ، فلسنا من رواد ( الاساليب الضبابية ) .

و كنا نود أن نقول كلمات و كلمات في ما يتصل بحياتنا و واقعنا من أحداث و ملابسات ، أن نصرح حيث يجب التصريح ، و نوميء حيث يكون الايماء هو المنتج .

فما زالت هناك كلمات لم نقلها ، و لا بد أن نقولها ، لأنها تمثل جزءاً حياً من رسالتنا النبوية .

كنا نود و نود ذلك ، لولا أن هناك بعض العقبات التي تكمن في الطريق ، و ليس من صالح رسالتنا أن نصطدم بها في الوقت الحاضر . فإن ذلك يعوقنا عن عملية البناء التي نحن بصددتها الآن .

و الآن نحن امام قضية تتصل بوجودنا - كمسلمين - و هي قضية — بحث " الكيان الاسلامي " من جديد . فإن مما يبعث على الاهتمام الشديد ، أن فكرة بحث هذا الكيان من جديد بدأت تتلاشى من نفوس الكثيرين من ابناء أمتنا الاسلامية ، و ان الصور القائمة التي مر بها هذا الكيان في بعض الادوار المظلمة من تاريخنا ، و ما أصابها من انحرافات و أخطاء نتيجة ظروف شاذة ، قد شوهت الصورة الحقيقية له ، حتى كأن تلك الانحرافات و تلك الاخطاء ، كانت نتيجة انطلاقه في حياتنا العملية ، لا نتيجة الظروف الشاذة .

و يعود السبب الرئيسي في تضخيم الاخطار التي تنشأ من اعادة الكيان الاسلامي الواحد و تشويه صورته في نفوس مجتمعنا الحاضر - الى المستعمرين الذين تقض مضاجعهم هذه الفكرة و تهددهم بالخطر الأكبر على مصالحهم و اطماعهم . و لذا فهم يحاربونها بكل وسيلة ، فيحاولون تصويرها كفكرة خيالية غير قابلة للتطبيق من ناحية ، و كمحاولة للعودة الى العهود السود التي عاشها الانسان في بعض ادوار الخلافة الاسلامية من ناحية أخرى ، و كوسيلة من وسائل إثارة النعرات الطائفية - على حد تعبيرهم - من ناحية ثالثة . فإن اعادة مثل هذا الكيان تشكل - في نظرهم - خطراً على مصالح الأقليات غير المسلمة التي تعيش في الوطن الاسلامي ، لأنها ستقع تحت رحمة الأكثرية المسلمة و اضطهادها .

هذه بعض التعليقات التي يروج لها الكثيرون من أبواق المستعمرين و عملائهم و على هذا الاسلوب جرى الكثيرون من ابناء أمتنا ، فلم يعد الاسلام في حياتهم سوى تاريخ نعتز به و نفخر ، كما تفخر كثير من الامم و الشعوب بالفترات المضيئة من تاريخها و ليس هناك إلا الفخر و الاعتزاز .

و إذا أرادوا أن يصلوه بحياتنا - فهو - عندهم مجرد فكرة مثلت حيوية الأمة و أصالتها ، و دلت على قابليتها لحمل الرسالات الى العالم . و الى جانب ذلك

فإنها تستطيع أن تقدم لنا و تعطينا الدروس و العبر في خطوطها العامة .

### الدين بين سندان الشرق و مطرقة الغرب

و تبدل الاسلوب من جراء انقسام العالم الى كتلتين ( غربية ) و ( شرقية )  
تنصارعان و تتسابقان في سبيل السيطرة على العالم .

و يتمثل في هذا التسابق ، الصراع بين النظامين اللذين يحكمان هاتين الكتلتين  
و هما : النظام الرأسمالي و النظام الشيوعي

و من الطبيعي جداً - في هذا اللون من الصراع - أن يستغل كل من الطرفين  
نقاط الضعف عند الطرف الآخر .

و كانت الحرب على الاديان و الدعوة الى الالحاد هي نقطة الضعف لدى  
الجانب الشيوعي . فاستغلها الجانب الغربي بكل قواه . فبدأ العالم الغربي و هو  
يلبس المسوح ، و يرسل دموع التماسيح حريصاً على الاديان و الشرائع  
السماوية التي ينتهكها الجانب الشيوعي ، و انطلق يعقد المؤتمرات المتعددة  
للدعوة الى تركيز القيم الروحية و محاربة الالحاد في العالم .

و كان من ابرز هذه المؤتمرات في شرقنا الاسلامي هو المؤتمر المنعقد في  
( بحدون ) بلبنان، بين جماعات قيل انها تمثل الطوائف الاسلامية و  
المسيحية.

و قد نجح الى حد كبير في خطوته هذه و لكن الى وقت قصير ، انكشفت للعالم  
فيه ما ينطوي عليه من زيف و خداع و دجل و تضليل ، نظراً لما يقوم به هذا  
الجانب من انتهاك للقيم الروحية و الانسانية و محاربة لأروع قيمه ، فكان مثله  
مثل الذنب الذي يدعو الحمل الى السلام ، في الوقت الذي يستعد فيه لاقتراسه .

و إذا كان قد فشل في حمل الناس على تصديقه في جدية دعوته للقيم الروحية ، فقد نجح - الى حد بعيد- في طعن الدعوات الاسلامية من الخلف ، فإن تنبيه الدعوة الى الروح و الى القيم الروحية ، سهل للكثيرين من اعداء الاسلام تشويه الدعوة الى الاسلام و اتهامها بالتعاون مع الاستعمار بحجة ان الاستعماريين يتبنون مثل هذه الدعوة .

و أصبح من القضايا التي يتندر بها ، أن يقول قائل : إن اميركا قد أصبحت حامية حمى الاديان في العالم .

و قد لاقى هذا التشويه ، و هذا الاتهام القبول و التحمس لدى الكثيرين من السذج و المغفلين ، و قد ساعد في رواجها أن بعض المؤسسات التي تحمل اسم الإسلام ، و بعض الاشخاص الذين يتظاهرون بالعمل في سبيله يتعاونون مع الاستعمار و عملائه .

و نستطيع التأكيد أن هذا السبب يعتبر من أخطر الأسباب التي عاقت و لا تزال تعيق سير الدعوة الى الاسلام ، لأنه يشكك المسلمين في أهمية الدعوة و اخلاصها و قيمتها بإثارة العوامل الوطنية و التحررية ضدها في الوقت الذي تبلغ فيه الحماسة لقضية التحرر ذروتها لدى الشعوب الضعيفة و المستعمرة .

و لا يمكننا القضاء على هذا الخطر إلا بإبعاد العناصر الهزيلة و الدخيلة و الخائنة ، عن ميدان الدعوة و التدقيق في شخصية الدعاة و الفحص عن ماضيهم و حاضريهم ، قبل أن نتفوه بكلمة تأييد تجاههم بل السير وراءهم في المجال العملي .

و الى جانب ذلك ، فلا يسعنا اغفال أهمية عنصر التوعية الشاملة للمسلمين ، بابرار المصالح الكثيرة التي يجنيها المسلمون من وراء اعادة كيانهم الموحد و فضح الاساليب الملتوية التي ينهاجها اعداء الاسلام ضد فكرة الدعوة للإسلام و كشف حقيقتهم و أغراضهم العدوانية تجاه الاسلام و المسلمين ليفكر المسلمون

بعد ذلك طويلاً قبل أن يصدقوا حرفاً واحداً مما يقوله هؤلاء الاعداء .  
 و كلمة مخلصه نوجهها الى ابناء امتنا المسلمة اينما كانوا :  
 ان العصر الحاضر الذي نعيشه الآن يتميز عن العصور التي سبقته بنجاحه في  
 ميدان الدعاية ، و في طغيان الدعاية على جميع مرافقه ، حتى صبح لنا أن  
 نطلق عليه اسم ( عصر الدعاية ) قبل كل شيء .  
 و الدعاية تعتمد على ترويج الاشاعات و نشر الاكاذيب و تشجيع الزيف و  
 الخداع و التضليل ، و كال اسلوب من الاساليب التي قد تخدم القضية التي  
 يدعى لها ، على أساس أن ( الغاية تبرر الوسيلة )  
 و قد سبق أعداء الاسلام في هذا المضمار ، فاستحدثوا للدعاية الى أغراضهم و  
 أهدافهم و مشاريعهم شتى الاساليب الجهنمية .  
 و كلمة أخرى نقولها لأعدائنا الذين لا تزال نخوض معهم معركة العقيدة و  
 الحياة :

لكي يكون الصراع الذي نخوضه موضوعياً و عقائدياً - كما تتشققون - يجب  
 أن نبعد عن مجال المهارات و الاتهامات الكاذبة . أما إذا اردنا الاتهام فعلينا  
 أن نقدم أمامنا الوثائق التي تدعمه و المستندات التي تؤكد و تثبت صدقه ، و  
 إلا .. فمن السهل على أي انسان أن يتهم الآخرين بأي شيء ، بكل شيء يوحيه  
 خياله ، و من السهل أيضاً أن ينكشف الزيف و الخداع و التضليل في مثل هذه  
 الاتهامات ، كما انكشف الكثير الكثير منها في أمسنا القريب .  
 هذه هي بعض القضايا التي نعيشها في واقعنا الحاضر ، نعرضها أمام أبناء  
 امتنا الاسلامية الخالدة ، ليكون موقفهم أكثر عمقاً و اتزاناً و أرحب أفقاً و  
 أشد وعياً أمام خطوات الاعداء و أساليبهم الشيطانية .

## الممانعة بالعقيدة و الموقف من ذهنية الوجدان الشعبي

---

❖ هناك فكرة تتردد كثيراً على لسان بعض العاملين للإسلام من علماء الدين ، و من الوعاظ و خطباء المنابر و هي التأكيد على ضرورة حفظ عقائد العوام و رعايتها من كل ما يزلزلها مما يدعو إلى الشك أو يثير الارتياب .. و السؤال كيف نواجه مسؤولية التغيير على خط الفصل بين العقائد الثابتة الصحيحة و العقائد الناشئة من بعض الطقوس و التقاليد التي لا تستند على آية من كتاب أو حديث شريف ؟ و بالتالي ما هو موقف الداعية من ذهنية الوجدان الشعبي حينما تختلط فيه قيم الفكر بقيم العادات ؟

○ و الفكرة صحيحة في طبيعتها و في مدلولها و معطياتها العملية .. فإن العامة من الناس يمثلون القوة الضخمة التي تتحرك فتحرك العمل الديني في كل مجالات الحياة التي تتحرك فيها ، لأن التزامها الديني و اصرارها عليه ، يحقق ذلك كله .. و هذا ما يجعل القيمة الكبيرة لحركة الدعوة الإسلامية في توجيههم و تركيزهم و اثاره مشاعرهم الدينية في هزة روحية فاعلة .. تحرك العاطفة لخدمة العقيدة و تثير المواقف لحماية الايمان ..

و لكن هؤلاء الذين يثيرون هذه الفكرة لا يقصدون منها ذلك ، بل يحاولون أن يصلوا بها إلى نتيجة خطيرة تتعلق ببعض القضايا المنحرفة التي يمارسها العوام



باسم الدين حتى أنهم اعتبروها من شؤون العقيدة الاساسية التي تصل إلى مرتبة القداسة ، فلا يجوز المس بها من قريب أو من بعيد ..

و خلاصة ما يريدونه هو أن يبقى هذا الانحراف، في طبيعة الممارسة لمثل هذه القضايا سواء في جانب الشكل و المضمون ، ما دام ذلك لا يضر بالعقيدة الاساسية بل القضية - على العكس من ذلك - فانها تفيدها و تخدمها لأنها تربط الناس بها من خلال ما اعتادوه و ما ألفوه من أوضاع و عادات و معتقدات أما إذا حاولنا أن نجارب مثل هذا الانحراف ، و نبعد الناس عنه ، عندما نجعل من رسالتنا الدعوة إلى تركه. و تغيير الناس منه ، فإن الناس سيعيشون الاهتزاز الفكري بالاساس القوي للعقيدة لما يعتقدونه من الارتباط بينهما حتى إذا اتهار احدهما اتهار الآخر معه ..

و لكننا نختلف عنهم في ذلك .. فإننا نعتقد أن من مهمة الرسالة أن تضع منهج التفكير ، و منهج العمل كما تضع العمل نفسه في إطاره التشريعي المناسب ... و بذلك كان الاسلوب جزءاً من العمل ، فلم يترك الاسلام للإنسان في كثير من المبادئ العامة الحرية في اختيار الاسلوب الذي يناسبه في تحقيقها و تطبيقها على الواقع ، فقد شرع للإنسان العبادة ، و لم يتركه ليعبد الله كيف شاء بل رسم له طريقة العبادة و اعتبرها توفيقية لا مجال فيها للزيادة و النقصان ، سواء في أقوالها و أفعالها " و شرع للإنسان القواعد العامة للنشاط الجنسي ، و لكنه لم يترك الأمر للإنسان ليمارسه تحت أي عنوان ، بل جعله في إطار العلاقة الزوجية .. ثم حدد الطريقة التي تتحقق فيها هذه العلاقة من حيث كلمات العقد التي تقال ، و شروطه فلا يجوز انشاء العقد بكلمة الهبة كأن تقول المرأة للرجل وهبت لك نفسي .. بل لا بد من انشاءه بكلمة الزواج كأن تقول المرأة مثلاً .. زوجتك نفسي ، و ما أشبه ذلك، لأنه يريد للعلاقة الزوجية أن تتطلق في نطاق التعاقد الذي لا يخضع لفكرة الملكية التي تعطيها كلمة الهبة ، بل يريد لها أن تعيش في نطاق معنى الزواج ، السذي يجسد معنى الحياة التي تستمر من خلال الارادة المتبادلة الخاضعة لقانون

التعاقد الارادي في ظل الاحكام الشرعية ... و هكذا نجد الطريقة نفسها ، في موضوع الطلاق الذي يمثل انتهاء العلاقة الزوجية فقد أريد له أن يتحقق في كلمات معينة لا تقبل التغيير و التبديل ..

و على ضوء ذلك فإننا نفهم ضرورة التوفر على دراسة الاسلوب كما تتوفر على دراسة العمل نفسه .. لأنه ربما يسيء الى نفس الفكرة من حيث المعنى الذي يطبعها بطابعه ، كما رأيناه في موضوع الزواج في كلمة 'الزواج ' و في كلمة 'الهيبة ' .. فنواجه الأساليب التي تضر بالفكرة ، لننقدها بقوة من أجل ابعادها عن محيطنا الفكري و العملي .. أما الأساليب التي تتسجم مع جو الفكرة و معانيها فنشجعها و نحضنها و نسير عليها .

و قد يتمثل هذا المنهج فيما تعارف عليه المسلمون الشيعة في تعبيرهم عن حب أهل البيت ، و تعاطفهم مع أجواء المأساة التي تجسدت كأقسى ما يكون ، و كأوجع ما يكون ، في تاريخ الأئمة عليهم السلام و اعلانهم الاحتجاج المستمر على ذلك التاريخ المصبوغ بالدم ، المتفجر بالآلم ، المتجسد في الصورة الوحشية و الهمجية التي مارسها طغاة تلك العهود ضد هذه الصفوة الطاهرة التي كانت تعيش الاسلام وتجسده في كل ما تطلق من فكر و دعوة و في كل ما تمارس من عمل و جهاد .

و هذا شيء رائع و ضروري .. لجهتين .. الأولى : ابعاد الناس عن التعاطف مع تاريخ الطغيان و ربطهم بتاريخ التضحية و الشهادة ، كطريقة تربوية لمواجهة الإنسان المسلم بتاريخه في سلبياته و ايجابياته بعيداً عن كل القداصات الزائفة التي يثيرها الماضي في نفس الانسان لاغفال الاخطاء الكبيرة أو تحويلها إلى مقدسات اجتهدية تبرر الخطأ باسم الاجتهاد .. فإن الانسان إذا واجه التاريخ الذي يعيش معه الاجواء الحميمية ، بعقلية الناقد الذي يملك روح الحياد و عقلية ، استطاع أن يواجه الواقع الحاضر بنفس الروح التي تنقد السلبيات و تحتضن الايجابيات على أساس إيمانه و عقيدته ..

**الثانية :** انطلاق الجانب العملي في اتجاه تحويل الصور التاريخية المشرقة التي تصور لنا معاني التضحية و مواقف الاستشهاد الرائعة ضد قوى الطغيان و الكفر و الضلال ، التي صنعت مأساة الانسان في التاريخ ، إلى صور حية تتحرك في مواقف العملية المتحركة أبداً ضد أنواع الطغيان و الظلم و الانحراف سواء في الداخل ، الذي يتمثل في حكم الطغاة الظالمين ، المتسلطين على العباد و البلاد بالقهر و الغلبة ، أو في الخارج ، الذي يتمثل في القوى الاستعمارية و الكافرة التي تعمل للسيطرة على الناس كطريق من طرق السيطرة على مقدراتهم الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، ليستغلوا ذلك كله فيما يفكرون به من قضايا و ما يضعونه من مخططات ، و ما يتحركون من خطوات ، و ما يستهدفونه من أهداف ..

فإن الإلحاح على التاريخ و متابعتة بالاستحياء و الإيحاء .. يؤدي إلى انطباع الشخصية الانسانية المتأطفة معه بطابعه الانساني الرائع .

و في الجانب المقابل لذلك .. يتحرك الانسان المسلم الذي يعيش الاحتجاج الدائم على خطوات الظلم التي صنعت المأساة الدامية ، من أجل أن يمنع القوى الظالمة من صنع المأساة الجديدة للإنسان المعاصر .. و ذلك عندما يتحول مفهوم الثورة على الظلم إلى فكر و احساس و حركة .. كنتيجة طبيعية للتوجيه المستمر ، و للتربية الواعية المتكررة ..

إننا نشجع اثاره التاريخ لتحقيق هذين الهدفين ، مما يجعل من التاريخ معنى يتحرك في الحاضر و يتجسد في الواقع ، لا مجرد ماض يثير في داخلنا الزهو بأمجاده ، أو يفجر في أعيننا الدموع حزناً على مآسيه .. فأننا قد نفهم أن يتحرك الماضي من مشاعرنا بشكل عفوي طبيعي لارتباطنا العاطفي و الروحي به ، كما تتحرك مشاعر الانسان أمام أية حالة مأساوية ترتبط بالذات و لكننا لا نفهم الدعوة إلى الانفعال بالمأساة لذاتها ، من دون هدف محدد يرتبط بمعطياتها الحاضرة و المستقبلية على

صعيد الرسالة .. لأن الماضي لا وجود له في الحاضر كمرحلة زمنية من مراحل الحياة ، أما أبطاله فقد وقفوا أمام الله .. و انتهت المأساة بكل آلامها و انفعالاتها معهم .. فما معنى ان تحزن عليها من ناحية ذاتية ..

اننا نشجع الموضوع من ناحية المبدأ .. و لكن ماذا عن الاسلوب المتبع في ممارسته .. إن الاساليب المتبعة كتعبير عن هذا الحزن الخالد .. تتمثل في عدة ألوان ، منها اقامة المجالس التي يتقدمها الخطباء الذين يتحدثون عن المأساة بطريقة معينة ليثيروا بها المشاعر و الانفعالات ، و منها الخروج بمواكب جماهيرية تتشدد الالهازيح الشعبية و غير الشعبية ، مما يتضمن قيمة المأساة و احياءاتها بأسلوب مثير ، قد يصاحبه اللطم على الصدور العارية و غير العارية ، و منها ، ضرب الظهر العارية و غير العارية بالسلاسل الحديدية التي قد تجرح و قد تترك آثاراً سوداء على الجسد .. و منها ، جرح الرؤوس بالسيوف و غيرها حتى تسيل الدماء الغزيرة ، فتصبغ الاكفان البيضاء التي يلبسونها على أجسادهم .. و منها اقامة الحفلات و الندوات الخطابية التي تتحدث عن المأساة من ناحية مداليلها الاجتماعية و السياسية و غيرها ... مع استثارة الجوانب المأساوية بطريقة فنية رائعة تستثير المشاعر بالصورة و اللمحة و الفكرة ، لا بالصوت المثير للطرب المتعرج من الحان القارئ للمأساة ، و منها ، ما يصنعه بعض الهنود من اضرام نار كبيرة ثم المرور عليها بدون أية معاناة للألم .. كذكرى للنار التي أضرمها الأمويون و انصارهم في خيام الحسين في كربلاء ..

هذه هي الالوان البارزة لاساليب التعبير عن الحزن المقدس إزاء مأساة كربلاء .. و قد شاركت في حدوثها و انتشارها ، تقاليد و عادات شعبية عاشتها الشعوب في طريقتها في التعبير عن احزانها .. أو عواطف جامحة صدرت من بعض الأشخاص ، فاستحسنها الآخرون ، فأصبحت عادة من خلال ذلك .. و لم يثبت وجود أسباب شرعية تستمد معناها من نصوص دينية ، أو احياء من شخصيات دينية

معصومة و لكنها مع ذلك عاشت و فرضت نفسها على الواقع الديني الشيوعي ، كأقوى ما تكون التقاليد ، و أعمق ما تكون العادات لانها انطلقت من موقع القداسة الدينية لا من موقع العادات و التقاليد المجردة .. و استطاعت - من خلال ذلك - أن تحدث تأثيراً كبيراً في ايجاد رابطة قوية بين الناس و بين أهل البيت ، سواء في ذلك الاطفال و الشباب و الشيوخ من الرجال و النساء ، لأن هذه الاساليب تخاطب العاطفة و الشعور فتتغذى إلى الاعماق بشكل عفوي طبيعي .. و تأصلت هذه المحبة حتى تحولت إلى شيء يرتبط بالذات كما ترتبط به علاقاته الشخصية ، و ربما انفصلت عن جذورها الدينية لدى بعض الاشخاص الذين لا يمارسون الالتزامات الدينية في أفكارهم و اعمالهم ، و لكنهم يتعاطفون مع مأساة أهل البيت و يحبونهم من الاعماق.

و كان لهذا الاثر الكبير الذي احدثته هذه الاساليب في النفوس ، دوره البارز في ولادة الفكرة التي تربط بين استمرار هذه الاساليب المأساوية ، و بين بقاء الدين أو علاقة الناس بأهل البيت ، في النفوس حتى عادت إثارة الجوانب السلبية في هذه الاساليب ، تشبه الحديث عن القضايا التي تدعو إلى الكفر أو المروق و الخروج عن الدين .

و تطورت الفكرة ، فأصبح بعض الناس يخافون على الذين يستتكرونها ، أو ينتقدونها ، أن يصابوا ببلاء أو بضربة سماوية في الدنيا من قبل أهل البيت (ع) لأنهم يقفون في مواقف العداوة لهم ، و لاهياء شعارهم .. و لم يقتصر الامر على ذلك بل أصبح بعض علماء الدين يصرح بأنني أخاف من الحسين عليه السلام على نفسي ، إذا تعرضت لبعض هذا الحديث .. و كأنما الحسين (ع) و هو يعيش في رحاب الله ، انسان يفكر في القضية من ناحية ذاتية ، كما يفكر الناس في قضاياهم الذاتية ، فيثار كما يثارون من الشخص الذي يعاندها حتى ولو كان ذلك نتيجة اجتهاد فكري أو موقف نفسي صادر عن حسن نية .

اننا نريد أن نناقش هذه الفكرة من جانبين :

الاول : الجانب الذاتي لهذه الاساليب و علاقتها بالفكرة من ناحية سلبية أو ايجابية .  
الثاني : الجانب الرسالي .. من حيث علاقتها بالامتداد الديني في حياة الناس .  
أما الجانب الاول .. فأننا لا نريد أن ندخل في الجوانب التشريعية الفقهية في هذا الموضوع لننتحدث فيه من خلال الحلال و الحرام ، فنقف كما وقف البعض ، لنثير قضية الضرر الذي يترتب من هذه الاساليب على الانسان حينما يجرح نفييه ، أو يدمي صدره و ظهره فيجيب فقيه ، كما أجاب البعض ، بأن الضرر ليس محرماً على الاطلاق ، بل المحرم منه هو الضرر الذي يؤدي بالنفس إل التهلكة انطلاقاً من الآية الكريمة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَنفُسِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ و غيرها من النصوص الدينية التي تحرم الاعمال التي تشارك في نهاية حياة الانسان مهما كان نوعها ، ولا نريد أن ندخل في هذا البحث .. لاننا نود أن نعالج القضية من زاويتين

١- زاوية الانسجام بين طبيعة المأساة و بين طبيعة الاساليب

٢- زاوية النتائج السلبية التي تنتج عن ممارستها في واقعنا الحاضر .. مما يحدث تشويهاً في صورة الدين و اتباعه ..

أما قضية الانسجام بين المأساة و الاسلوب .. فأننا نقرر انها مقفودة تماماً لأن الحجة الكبيرة التي يقدمها أنصارها ، هي المواساة .. فإن الحب لأي انسان كان أو اعزازه يتمثل في مؤاساتك له في احزانه ، و مشاركتك له في آلامه .. لأن المشاركة و المواساة تخفف عنه الكثير مما يحس به و يعانیه .. و لنا مع هذه الحجة وقفات ..

١- اثاره السؤال : لمن المواساة .. هل هي للشهداء ، او لمن يتعلق بهم .. فان كانت للشهداء فما معناها في الدنيا بعد انتقالهم منها ، و ما معناها في الآخرة ، بعد أن كانوا في شغل شاغل عنها .. و عن كل ما تثيره من انفعالات و احساس ..

و إن كانت لأهاليهم فلمن هي .. للنبي (ص) او لعلي (ع) أو لفاطمة (ع) فلا نحسب أن القضية تعيش في هذا الاطار من اهتماماتهم ، لأنهم في رحاب الله - كما كانوا

في الحياة لا يفعلون بالمواقف الذاتية التي تربط الناس بعضهم ببعض ، كما أن قضية الحسين في كربلاء .. عاشت في طريق الرسالة و انطلقت في التضحية و الاستشهاد من خلال شعاراتها العامة ، لا من خلال شعارات الذات .. فكيف يمكن أن نخضعها للاطار الذاتي لاصحاب الرسالة و مجاهديها ..

٢- إن طبيعة المؤاساة تتبع المأساة .. فإذا كانت المأساة ذاتية كانت المشاركة من موقع الذات بالاساليب الذاتية ، أما إذا كانت المأساة منطلقة في طريق الرسالة .. فلا بد أن تكون المؤاساة منبثقة عن ذلك .. فإذا كانت آلام الإمام الحسين و احزانه .. من خلال ما كان يفكر به من قضايا الناس و مشاكلهم ، من حيث الحكم الظالم الذي يسيطر عليهم ، و من حيث النظام المنحرف عن خطا الاسلام ، الذي يطبق عليهم باسم الاسلام .. و إذا كانت الثورة الحسينية .. نتيجة لهذا الاحساس العظيم بالمسؤولية الرسالية الاسلامية في التحرك نحو احداث التغيير الجذري في المجتمع .. و لو بأن تشق الطريق إلى حركات أخرى و ثورات جديدة .. فان المؤاساة تتمثل في الآلام التي تمر بهذا الطريق فإذا كان الحسين قد تألم و هو يقاتل في سبيل الله .. فإن مؤاساتنا له أن نتألم و نحن نجاهد في سبيل الله .. لأن ذلك هو معنى المشاركة .. بأن تشارك في موقع الألم و ضعفه ، لا من خلال طبيعته الذاتية المجردة .. فلم تكن ثورة الحسين .. من أجل أن يتمخض التاريخ عن أشخاص ،

يعيشون في بيوتهم بكل استرخاء و كسل .. و لا يضحون في سبيل الرسالة بأي شيء بل ربما تكون حياتهم في الموقف المضاد للرسالة .. ثم يوحون لأنفسهم بقداسة الشعور ، فيذرفوا الدموع حزناً على الحسين الذات .. لا على الحسين الثورة في سبيل الفكرة .

٣- اننا لا نوافق على علاقتنا بأهل البيت في اطار العلاقة الذاتية لنعمل على توثيق هذه العلاقة من الجانب الذاتي ، بل العلاقة الصحيحة هي علاقة الولاية ، التي تمثل المحبة العملية ، و هي الاتباع و القدوة في السير على الطريق الذي ساروا فيه ، و

العمل على تحقيق الاهداف التي عاشوا لها ، في توضيح الصورة الحقيقية للأسلام حتى لا يبقى هناك مجال للشبهة و لا يبقى هناك موقع لزيف .. بل هي الحقيقة الاسلامية الواضحة التي نزلت على قلب النبي محمد (ص) فأوضحها القرآن بآياته و جسدها محمد بأقواله و أفعاله .. ثم الجهاد في سبيل افساح المجال للتطبيق العملي السليم الذي لا التواء فيه و لا انحراف . و على هذا الاساس فان الاسلوب الذي ينسجم مع الفكرة .. هي اعتبار الحزن " سبيلاً للتعبير عن التفاعل بالمأساة من خلال القداسة الرسالية لابطالها مما يعطي لمعنى الشهادة طابعاً اسلامياً مقدساً ، يتمثل في صورة المأساة السائرة في طريق الألم مع خطى الرسالة ثم .. الاتجاه في اعتبار العلاقة بين أبطال الاسلام و المسلمين علاقة روحية تتفاعل بالأمهم من خلال تفاعلها برسالتهم .. باعتبارهم التجسيد العملي الحي المتحرك لهذه الرسائل فلا تبقى العلاقة بهم جامدة جافة ، بل تتفجر بالمحبة و الحزن العميق المتطلع لآلام الماضي على أساس آلام الحاضر و المستقبل .

و في هذا الاتجاه ، لا بد من أن يكون الاسلوب منسجماً مع مفهوم هذا الحزن و ذلك بالانطلاق مع المأساة بالصورة الفنية الرائعة التي تجسد المأساة بالكلمة الموحية ، و بالحركة المعبرة .. التي لا تفترق فيها المأساة عن وحي الرسالة ، أو عن تطلعاتها الانسانية الاسلامية فيشعر الانسان بأن هذه المأساة ليست مأساة الانسان التاريخي ، بل هي مأساة الانسانية في كل مراحل الحياة .. لانها نتيجة موقف القضية التي تجسدت في الذات و ليست نتيجة لموقف الذات في اطار القضية .

ثم تحويل مجلس المأساة الى ندوات يعيش الانسان فيها قضاياها و مشاكله و آلامه في عملية مقارنة بين الماضي و الحاضر ليظل الإحياء بالعبارة و الحركة في كل مجالاتها .. ثم محاولة استغلالها في الدعوة الاسلامية التي ضحى الحسين من أجلها ، و كانت ثورة كربلاء سبيلاً لتحقيق بعض اهدافها الكبيرة في الحياة ..

و لا ندرى كيف نوفق بين هذا كله .. و بين ضرب الرؤوس بالسيف أو جرح



الظهور بالسلاسل أو ادماء الصدور باللطم .. و لا ندرى ماذا تحقق كل هذه الامور من الهدف الكبير الذي عاشت له كربلاء و استمرت من أجل أن يعيش أو يستمر في حياتنا .. انها لا تحقق إلا هدفاً عاطفياً يفعل بشخصية الممثل ، و لا يفعل بشخصية البطل ، فضلاً عن أن يعيش هذه الشخصية ، ثم يزول كل شيء .. لتبقى العاطفة التي لا تلبث أن نزول امام عصف الرياح الهوجاء المضادة .

٤- ان الدعوة التي أطلقها أئمة أهل البيت عليهم السلام ، لاحياء هذه الذكرى ، او لحزن العميق على المأساة كانت تمثل خطة اسلامية للربط العاطفي بين الانسان و المأساة .. من خلال المفاهيم الاسلامية العامة التي كانت المأساة من أجل أن تعيش و تستمر .. و قد عبر احد الأئمة عن ذلك بقوله : احيوا أمرنا رحم الله من أحيانا أمرنا .. و بذلك ينعدم الاساس الذي ترتكز عليه هذه الاساليب في تمثيلها للمعاني التي تثيرها هذه الذكريات في حركة الاسلام في الحياة .

و أما النتائج السلبية التي تتمثل في ممارستها في الواقع المعاصر ، فهي اننا نعتقد أن مثل هذه الاساليب تعتبر من وسائل التعبير عن العاطفة .. و نحن نعلم أن الوسائل التعبيرية ، سواء منها ما كان بالكلمة أو ما كان بالفعل تتطور تبعاً لتطور الزمن .. فربما تتحول بعض هذه الوسائل إلى صورة من صور التخلف و البدائية بالنظر إلى انها اطلقت من المستوى البدائي الذي عاش فيه الآخرون و تجاوزه الزمن .. فإذا كان الزمن الماضي يسمح بوجودها لانسجامها مع مستواه ، فإن الزمن لا يسمح بذلك فقد أصبحت مثل هذه الامور مثيرة للنقد لأنها تعبر عن جانب الضعف في اسلوب التغيير في حين أن قيم الاسلام تدعونا إلى وعي حقيقة الصبر على المأساة كمرأة لجانب القوة في شخصيتنا المتماسكة عند هزاهز الألم و نواب التحديات ، فما نلاحظه في ردود الفعل التي تحدث عند الكثيرين من الناس ، من دون أن يكون للجانب الديني أثر في ذلك .. و لذلك فقد أصبحت ممثلة للتخلف في حياة الفكرة و اصحابها في نظر الناس مما يلزمنا تغييرها إلى أساليب جديدة و

استحداث وسائل أخرى تختلف عنها في الشكل و الجو و الفكرة . لانها فقدت قيمتها العملية من خلال ذلك .

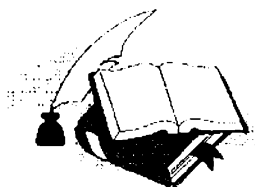
و أما الجانب الثاني .. و هو علاقتها بالامتداد الديني في حياة الناس .. فاننا لا نمانع في تأثيرها العميق في ذلك في الماضي و لكننا نتساءل : هل يقدر للنتائج الدينية التي تنطلق من هذه الاساليب أن تتجمد عندها ، فلا تتنفس خارج نطاقها في أفق جديد و أسلوب جديد ، و هل نقف عند التفكير بتجديد الوسائل الكفيلة لاعطاء هذه النتائج بشكل أفضل و محتوى أعمق .. و ماذا نفعل إذا جاءت بعض الظروف الشديدة القاسية فسيطرت على هذه الاساليب و قضت عليها .. هل نترك العمل الدائب الذي يفتش عن الجديد الذي يدعم الفكرة و يفسح لها مجال البقاء و الاستمرار و نستسلم للرياح الهوجاء التي تعيث بنا في كل اتجاه .

هذه بعض علامات الاستفهام التي تبحث عن جواب ، لنحدد على ضوءه الموقف الحاسم ، و لن يكون الجواب إلا رفض التوقف عند هذه الوسائل ، ليتجمد التطور العملي في الاساليب ، وفي هذه الاشكال و في هذه المرحلة .. فان للدعوة في كل زمان أكثر من أسلوب ، و أكثر من وسيلة ، فيجب البحث عما يمكن أن يحقق الاهداف الاساسية ، ثم يفسح لها المجال لتعيش مع الوسائل القديمة المشوهة ، ليتعود الناس على الاجواء الجديدة فينشأ لديهم ذوق مرهف ، يألف الاشياء الموضوعية الرائعة ، و ينسجم مع الاساليب الهادئة الوديمة التي تنطلق في حياة الناس ، لترفع من مستواهم الفكري و تربطهم بقضاياهم الكبيرة من خلال ما توحيه المعاني الحية التي تملأ العقل و الروح و الحياة .. و بذلك تزول الاساليب القديمة المشوهة عندما ينفر الناس منها فيتركوها بشكل عفوي طبيعي هادئ كما نجد حدوث ذلك بالتجربة عندما انطلقت الوسائل القديمة و الوسائل الجديدة جنباً إلى جنب في كثير من المناطق ، مما أدى إلى زوال القديمة في بعض المناطق ، أو زوال جمهور كبير من جماهيرها في مناطق أخرى ، و اقتصر اقامتها في بعض منها

على التجار الذين ينتفعون باقامتها .. و هكذا استطعنا أن نعطي فكرة جيدة عما يمكن أن تحققة الوسائل الجديدة من أهداف أو تجسده من معان .. و بذلك نتفادى سلبات الصدمة العنيفة التي يحدثها العنف القاسي في طريق ازالتها من الوجود .  
ثم اننا نعتقد أن الخوف من الضلال لا أثر له إذا انطلق من شخصيات معروفة بالدين و الاستقامة مع القيام بحملة توعية و توجيه في ضمن خطة مدروسة مركزة تشرح ظروف نشوء مثل هذه الاوضاع ، مقارنة بالظروف الجديدة التي تقتضي استبدالها بأوضاع أخرى ، و ربما كان للتقدم الثقافي و الاجتماعي أثره في ذلك .

إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً و إذا كان خطأً كان داءً.

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



# صيرورة الفكر و اخلاق الملف التاريخي

## القطع مع التاريخ

✽ نكرتم: إن أمة لها مثل هذا التاريخ لا تقف عنده ولا ترجع إليه وإنما تصنع مثله " فما الضير في الرجوع إليه إذا كان فيه ما يغني الحاضر ، فالأمة تصنع تاريخاً جديداً و ترجع إلى تاريخها المشرق في محاولاتها لصناعة حاضرها المشرق ؟

○ كنت أقول لا ترجعوا إليه كما قال الشاعر :

إن الفتى من يقول هاأنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

لذلك يجب ان نقدم تفسيراً موضوعياً لحركة التاريخ لنصح علاقتنا به و موقفنا منه لقد فتح آباؤنا العالم و انتصروا على كل الطغاة و أعطوا العالم علماً و ثقافة و نحن نؤمن أن الله خلق الكون على أساس ما أودعه في داخله من قوانين و تحدث عن هذه القوانين بشكل مجمل جداً كما في هذا القانون مثلاً ﴿ و من كل شيء خلقنا زوجين ﴾ إنه ( قانون الزوجية ) في الكون فحتى الذرة تخضع لقانون الزوجية ، ففيها السالب و الموجب ، فليس هناك فوضى ، و حتى غير المؤمنين من المكتشفين و المخترعين و هم يبحثون في أسرار الظواهر في دراساتهم و أبحاثهم عن الكون أثبتوا أنه ليس هناك ظاهرة إلا وراءها سر ، فالكون كله مبني على الحكمة لا الصدفة كذلك للتاريخ قوانينه و من السنن التي تتحرك في الكون قوله تعالى :

﴿ ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ هذه المشاكل السياسية و الاجتماعية التي تنشأ من الاختلال الاجتماعي و السياسي هي من عند الإنسان لأن الإنسان لا يأخذ بالأسباب التي تنظم حياته. من هنا و لكي نحفظ بعقلانية و عينا للتاريخ علينا ان نبتعد عن التفسير الاحادي لعوامله مع التأكيد على ضرورة قراءة أحداثه و تراكماته بعقولنا لا بعواطفنا كذلك نلاحظ أن القرآن يحدثنا عن حركة التاريخ الإنسانية كنتاج و حصيلة لأعمال الإنسان ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ﴾ في كل انتاجها و في كل علاقاتها و في كل أوضاعها ﴿ و لكم ما كسبتم ﴾ أيضاً فأنتم الآن تصنعون التاريخ من خلال كسبكم و هكذا ( قانون التغيير ) ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ فهذه سنة : غير نفسك تغير الواقع و تغير التاريخ ﴿ تلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ﴿ و لو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض ﴾ فالتقوى تنتج حياة طيبة رحية و تنتج علاقات اجتماعية جيدة و علاقات سياسية مستقيمة و ما إلى ذلك . و السؤال هل خضعت الكتابة التاريخية عند المسلمين لهذا المنهج العلمي القرآني ؟ هل أجابت على اشكالياته وفق الأسس القرآنية ؟

و في هذا المجال لعل أفضل من درس السنن التاريخية بشكل موضوعي و علمي هو السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) في كتابه " السنن التاريخية في القرآن " .



## اغلاق الملف التاريخي

✻ من الناس من يقول لا لإعادة فتح صفحات الماضي و نبش الأحداث التاريخية مثل ( الجمل ) و ( صفين ) و ( واقعة كربلاء ) لأن هذه القضية تشكل تفرقة بين الأمة الإسلامية ، هل هذا الكلام صحيح أو لا بد من ذكر الأحداث و الوقائع ؟

○ أنا لست مع الذين يوافقون على إغلاق ملف التاريخ ، لأننا صناعة التاريخ فنحن صنعنا من التاريخ مفاهيمنا ، و ما نرثه من عادات و تقاليد هي من خلال التاريخ فنحن نتحرك فيه من خلال مواقفه و علاقاته ، لذلك فالتاريخ يعيش في ذاتنا ، و لكننا مع الذين يقولون يجب أن نعيد كتابة التاريخ ، لا بد أن نوثق التاريخ لأن الكثيرين عبثوا بالتاريخ و أدخلوا الكثير من الأكاذيب و الخرافات في التاريخ لذلك لا بد أن نعرف ماذا في التاريخ ، و أين هو التاريخ ، لأن التاريخ ليس مجرد صفحات صفراء نقرأها في الكتب بل لا بد لنا أن نوثقه ، هل حدث هذا أو لا ؟ كيف كانت حادثة كربلاء ؟ كيف كانت واقعة الجمل و صفين ؟

إن علينا أن ندرس تاريخنا لنوثق الصحيح من الفاسد ، و نفرز الحقيقة من الخرافة ، و إذا أردنا أن نعيد كتابة التاريخ فيجب ألا نعيده من موقع العصبية بل نستعيده من موقع المسؤولية فنحن نعرف في تاريخنا أن علياً ( عليه السلام )

سكت عن أشياء كثيرة و ابتعد عن صراعات كثيرة لأنه كان يقول " لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولو لم يكن فيها جور إلا علي خاصة " و تحدث عن ما مر به في خطبة ( الشقشقية ) و تحدث عن تجربته بمرارة ليعبر عن طبيعة موقفه مماحدث ، و أنه لم يكن ليوافق عليه و لكن عندما رأى الأخطار تواجه الإسلام تحرك إيجابياً حتى مع خصومه .

إن مشكلتنا أننا نقرأ علماً لنعيش العصبية باسمه لا نقرأ علماً لنعيش المسؤولية من خلائه ، فأنا أحب لكل شخص يوالي أمير المؤمنين ( سلام الله عليه ) و ينال شرف الولاية أن يعرف أن علماً إنسان يرتفع به و أن علماً إنسان تستطيع أن تعيش في آفاقه الرحبة الواسعة بأي مجال و عندنا نقرأه تحبه و تلتزمه ، و لا تملك إل أن تحبه لأن كل شيء فيه يوحى بالحب و التعظيم و التقدير ، إني أحب أن نقرأ دائماً في ( نهج البلاغة ) كتابه إلى أهل مصر الذي يقول فيه " فما راعني إلا انشغال الناس على فلان ، يبائعونه فأمسكت يدي (أغمدت السيف) حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محق دين محمد (ص) فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه التي أنما متاع أيام قلائل يزول منه ما زال كما يزول السراب ، أو كما ينقشع السحاب فنهضت حتى زال البطل و زهق و اطمأن الدين و تنهه "

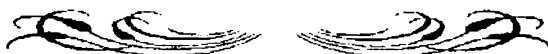
علينا أن نقرأ في التاريخ الحقيقة و نستعيده و لكن بشرط ألا نستعيده عصبية و بغضاً و حقداً و أن نقول " علي و علي أعدائي يا رب " بأن نفتح المجال للعالم المستكبر و العالم الكافر بأن يعملوا معاً على بعث هذه الاختلافات الإسلامية من أجل أن يثير إنساناً هنا و ليكفر جماعة هناك و لتكون النتيجة أن المسلمين يقتلون بعضهم بعضاً و يكفرون بعضهم بعضاً باسم التاريخ ، و يبقى المستكبر يقهقه و يضحك و يعتبر أنه انتصر من خلال أننا هزمتنا أنفسنا بأيدينا ، فكيف



يمكن لنا أن نفكر في ديننا .

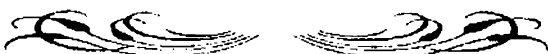
إن علينا أن لا نخاف من حقائق التاريخ بل نواجهها بصراحة و مسؤولية ليكون لنا مصدر غنى في تصحيح الكثير من الإنحرافات و الأخطاء و مصدر وعي في الانفتاح على النتائج السلبية أو الإيجابية التي نحن جزء منها بقدر علاقة التاريخ بمفاهيمنا التي نعيشها و بعاداتنا التي ورثناها و بأوضاعها التي درجنا عليها .

إن التاريخ ليس شيئاً حيوياً في مضمون وجودنا و ليس حركة مسؤوليتنا بل هو شيء صنعه الآخرون في نطاق مسؤولياتهم سواء كانوا ممن نحب أو لا نحب فقد حدد الله لنا التاريخ كمنطلق للعبرة ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ و كذكرى و دراسة قاموا به ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم و لا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [ البقرة : ١٢٤ ] . إنه مسؤوليتهم لا مسؤوليتنا فلماذا نتقاتل باسمه ؟



لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا ، فإنك تخلقه لأحد رجلين : إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، و إما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له ، فكنت عوناً له على معصيته ، و ليس أحد هذين حقيقةً أن تؤثره على نفسك .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## نحو منهج نقدي للتراث

✽ ما موقفكم الخاص من التراث ، و هل كل قديم يعد تراثاً؟

○ من الطبيعي ، أننا عندما نريد أن نقف عند مصطلح الكلمة ، فإن كل ما تركه الآخرون يمثل تراثاً. أما قيمة التراث فإن القدم لا يصلح أساساً لتقديره إيجابياً على أساس أن كل قديم يمثل قداسة خاصة في وعينا ، لكن الله علمنا أن ندرس كل شيء ، من خلال ما نملكه من المقاييس العقلية و الإسلامية ، التي تميز بين الصحيح و الفاسد .

✽ ما رأيكم في التراث من حيث قيمته ، و هل يحق لأحد مصادرة التراث .. و في تقديركم ماذا نأخذ و ماذا نترك ؟

○ هناك اتجاهان متطرفان في هذه المسألة ، فهناك من يدعو إلى مصادرة هذا التراث و إهماله كلياً باعتبار أنه يعطل نمونا و تقدمنا الفكري ، لأنه يجعلنا مشدودين إلى الفكر الماضي و أسلوبه ، و آفاقه ، بحيث يخلق لنا شخصية تاريخية ، تنظر للحاضر بعين الماضي و تعتبر التاريخ أساساً لكل النظرة العامة للأحداث و المتغيرات و بذلك يضع التراث شخصيتنا في قالب جامد ، تحاصرنا فيه كل أفكاره و كل قواعده و كل أوضاعه و أساليبه ، و لذلك فإن هؤلاء يقولون إن علينا أن نتطلق إلى جو الحداثة ، الذي يفتح عــــلى

تطورات العصر ، لينشأ لدينا فكر جديد ينطلق من المعاناة الفكرية المعاصرة و ينشأ عندنا أسلوب جديد في ما استحدثته التقدم الفكري في دائرة الأساليب . و هكذا تولد لدينا شخصية جديدة تملك الحداثة في قاعدتها الفكرية و في تطلماتها الروحية ، لنستطيع أن نعيش عصرنا من خلال خصائص هذا العصر و نستطيع أن نواكب حركة التطور في العالم من حيث أخذنا بكل وسائل هذا التطور ، و لذلك فإن علينا أن نعتبر التراث ، فكر الماضين ، الذين عاشوا خصائصهم الفكرية و أخلصوا لها و علينا أن نحقق نتاجاً جديداً لفكرنا ، من خلال ما نعيشه في عصرنا . و هناك رأي آخر متطرف يدعو إلى الاستغراق في التراث ، و ذلك بأن نعتبر الذين تقدمونا من علماء و مفكرين و فلاسفة هم أقرب إلى الحقيقة ، باعتبار أنهم أقرب إلى مصادرهم و منابعها في الرموز الروحية و الفكرية ، التي كانت تجسد لنا الحقيقة و لا سيما الحقيقة الإسلامية - و هكذا نجد أن هذا الاتجاه يقول : إنه كلما كان الصحابة أو العلماء أو المفكرون أقرب إلى العصر الأول للإسلام أو العصر الثاني للإسلام ، الذي عاش فيه الأئمة عليهم السلام ، كلما كانوا أقرب إلى الحقيقة ، و لذلك فإن علينا أن ننفتح على التراث و أن ننظر إلى الواقع من خلال المفاهيم التي يؤكد هذا التراث - سواء في نظريته الفقهية أو الكلامية أو الفلسفية أو السياسية أو الاجتماعية - و علينا أن نرفض كل ما جاءت به المعاصرة و الحداثة من أفكار و أساليب ، لأنها انطلقت من مواقع كافرة ، تعتبر المادة أساساً و قاعدة فكرية و تتحرك في مفاهيم الضلال التي تغفل دور الحقائق الدينية ، و لا سيما الإسلامية ، و ذلك في دائرة العلمانية و لهذا فلا بد أن يحكم الماضي الحاضر . و هناك فكرة في تأكيد هذا الاتجاه نقول " ما ترك الأول للآخر من شيء " في مقابل من يقول " كم ترك الأول للآخر " .

نحن عندما نواجه هذه المسألة بطريقة عملية واقعية فإننا لا نقف مع الذين

يهملون التراث بالكلية ولسنا مع الذين يؤكدون أن التراث هو كل شيء بحيث يقف التقدم عنده . إننا ننظر إلى التراث على أساس أنه يمثل الخطوط الفكرية المتنوعة في قواعدها وأساليبها ومضمونها ، من خلال اجتهادات الذين حركوها ، سواء كان ذلك في المجال الكلامي أو الفقهي أو الفلسفي أو السياسي أو في المجالات الأدبية والفنية المتنوعة ... إنه جهد الآخرين الذين عاشوا في الماضي ، وجهد الآخرين لا يمثل الحقيقة إلا من خلال قناعاتهم ، في ما يرونه . إننا كمسلمين نرى الحقيقة في كتاب الله ، من خلال أنه النص ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] فليس هناك شك في أن القرآن كتاب الله و لكن كلمات القرآن تبقى خاضعة لاجتهاد المفسرين والعلماء ، مما لا يسمح لنا بالتوقف عند ما اجتهد به العلماء وما فسر به المفسرون القرآن باعتباره يمثل الحقيقة الكاملة ، فقد نستطيع أن نكتشف كثيراً من الأخطاء في هذا التراث ، كما اكتشف الذين عاشوا في داخل حركة هذا التراث في الماضي أخطاء بعضهم البعض ، وهكذا فإننا لا نستطيع أن نعتبر الأفكار ، التي انطلقت من خلال الاجتهاد في أحاديث النبي (ص) ، تمثل الحقيقة ؟ فهناك منطقتان لمعالجة مسألة السنة النبوية الشريفة ، هناك منطقة الصدور هل هي من النبي (ص) ؟ و المنطقة الثانية هي منطقة المضمون ، كيف نفهم مضمون كلام النبي (ص) من خلال أحاديثه ؟ و هكذا بالنسبة إلى الأئمة ( عليهم السلام ) في دائرة الشيعة الإمامية ، الذين يرون أن الأئمة (ع) هم خلفاء النبي (ص) و أنهم معصومون عن الخطأ ، فإن المسألة هنا هي هل صدر هذا عن الإمام ، أو لم يصدر ؟ و كيف يصدر ؟ و كيف نفهم ما صدر منه ؟ .

و نحن نعتقد من خلال ذلك ، أن كل ما جاءنا من تراث فقهي و كلامي و فلسفي هو نتاج المجتهدين و الفقهاء و الفلاسفة و المفكرين ، من خلال

معطياتهم الفكرية و لا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة ، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة ، و بهذا فإننا نعتبر أن كل الفكر الإسلامي - ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية - هو فكر بشري ، و ليس فكراً إلهياً ، قد يخطئ فيه البشر في ما يفهمونه من كلام الله و كلام رسول الله (ص) و قد يصيبون . و على هذا الأساس فإننا نعتقد أنه من الضروري جداً أن ننظر إلى التراث المنطلق من اجتهادات المفكرين - أينما كانت مواقع تفكيرهم - نظرة بعيدة عن القداسة في حياتهم و مؤهلاتهم الروحية و العلمية في حياة الناس الآخرين فيمن قد يكونون على مستوى المراجع أو الأولياء في تقواهم لله سبحانه و تعالى ، لأن ذلك شيء و مسألة الفكر شيء آخر . و لذلك فإننا ندعو إلى دراسة التراث دراسة ناقدة ، نعيش فيها شخصيتنا الفكرية و نعيش فيها انفتاحنا الفكري الذي عاشه الأقدمون في ما مارسوه من تجربتهم الفكرية .

و نعتقد أن إغفال التراث هو خطأ كبير كما هو الحديث عن الاستغراق في التراث خطأ كبير . فمن الضروري أن نتفتح على كل معطيات عصرنا ، سواء تلك التي انطلقت في دائرة الفكر المادي أو التي انطلقت في دائرة الفكر الديني أو في أية دائرة من الدوائر الحائرة بين ما هو الدين و ما هو الكفر ، حتى ندرس كل ركائزها و قواعدها و معطياتها من موقع الحرية الإنسانية ، التي تبحث عن الأصالة من موقع القناعات الأصيلة للفكر ، و من خلال ذلك لا بد من الدخول في المقارنة بين ما لدينا من تراث ، استطاع أن يؤثر تأثيراً لا شعورياً في تركيبتنا الذهنية و الشعورية و العملية ، و بين ما عندنا من معطيات فكرية جديدة في الواقع المعاصر ، لنستخلص من خلال هذه المقارنة المنهج الجديد الذي يملك الأصالة في مواقفه الفكرية و يملك الحداثة في أساليبه و تطلعاته .

إننا نطلق من فكرة حاسمة ، في هذا المجال ، و هي أن القداسة تكون للحقائق،

التي لا يختلف فيها الناس ، و كل شيء ممكن أن يقع فيه الخلاف فلا بد للناس أن يدرسوه من قاعدة الاستقلال الفكري ، الذي يبحث عن الحقيقة من خلال قناعاته ، و بذلك فإن كل شيء قابل للنقد و كل شيء قابل للدراسة ، و كل شيء قابل للافتتاح - سواء كان قديماً أم حديثاً - و نحن عندما ندرس القرآن الكريم ، فإننا نجد فيه دراسة لكل الماضي و نقداً للكثير منه ، و تأكيداً على الحقائق الجديدة و توجيهها للإنسان لأن يبقى في حالة افتتاح فكري دائم متحرك، و تأكيداً لكل الناس بأن الجيل الحاضر لا يتحمل مسؤولية الجيل الماضي ، كما أن على كل جيل أن يكسب فكره و عمله بنفسه ، و ذلك ما توحى به الآية الكريمة ﴿ تِلْكَ أَمَةُ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ البقرة : ١٣٤ ] هنالك إحياء في الآية أن لكل أمة كسبها ، و عليكم أن تكسبوا أنتم كما كسبت تلك الأمة و تتحملوا مسؤولية كسبكم ، كما تحملت تلك الأمم مسؤولية كسبها - سواء كان الكسب كسباً فكرياً أم عملياً - نحن نعتقد أن الذين يتحدثون عن مصادرة التراث هم المنبهرون بمظاهر الحضارة الحديثة ، التي هي نتاج حضارات قديمة ، استطاعت أن تركز لها قواعدها حتى أمكنها أن تتحرك و أن تتطلق ، و إن الذين يتحركون في دائرة الاستغراق في التراث هم أناس يعيشون قداسة الماضي و يغفلون عما حفل به الحاضر من تطورات إنسانية ، و إن كان للماضي دخل فيها ، و لكن كان للطاقت الإنسانية المفتحة على الله و على الحياة و على الإنسان الدور الكبير في هذا المجال .



## الخطاب الإسلامي و محاكاة الخلافة الأولى

❖ منذ مطلع النهضة و رجال الإصلاح الإسلامي لا يكفون عن البحث عن تعبيرات مطابقة لمرحلة الخلافة الأولى ، بوصفها المرحلة الحية لتكوين المجتمع القرآني ، فهل نحن ملزمون - قرآنياً - بهذه المطابقة كشرط من شروط الإصلاح و الثورة و التغيير ؟

○ لقد كان لمرحلة " الخلافة الراشدة " ظروفها الموضوعية التي فرضت بعض العناوين الاجتماعية و السياسية ، و لذلك فإن - في الوقت الذي لا نمانع من اعتبارها مرحلة حية لتجربة المجتمع القرآني - لا نعتبرها المرحلة المطلقة التي لا بد من تغليب عناوينها على الحياة كلها ، التي قد تختلف في خصائصها و ظروفها الموضوعية مما قد يختلف فيه الحكم الشرعي ، مع ملاحظة التأكيد على الخط الاخلاقي العام الذي يحكم كل الخطوط التفصيلية في كل زمان و مكان ، كما أننا لا نجد لها المرحلة المعصومة ، حتى و لو كان أحد رموزها معصوماً ، لأن عصمة الخليفة أو الإمام ، لا تعني عصمة الناس الذين يعملون معه في فهمهم لأوامره و نواهيه، و في تطلعاتهم لأفكاره و أهدافه .

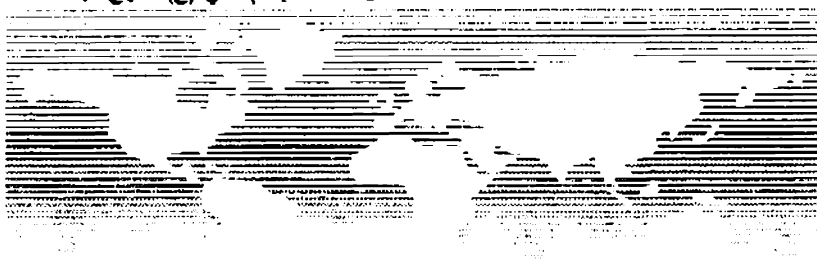
إننا ملزمون بالخطوط القرآنية العامة في فهمنا الاجتهادي لها ، في خط العناصر الاجتهادية السليمة التي يفتح فيها القرآن على السنة النبوية الشريفة الثابتة ... أما اجتهاد الآخرين فلا بد من دراسته على ضوء القواعد العامة التي

قد تلزمنا بهم و قد لا تلزمنا بهم ، تبعاً لأصول التشريع الإسلامي .  
إن المرحلة المتقدمة من تاريخنا الإسلامي قد تحمل لنا الكثير من التجارب  
الحية في مختلف القضايا التي قد تكون موضعاً لابتلائنا ، فيمكن أن نستفيد منها  
أو نستوحىها أو نقنن بها ، أو يكون لنا رأي آخر مخالف لما رآه الناس الذين  
عاشوا فيها ، أو قد تكون لمرحلتنا خصوصيات تختلف عن الخصوصيات التي  
عاشتها ، لذلك لا بد من أن نأخذ ذلك في حساباتنا ، عندما نريد الاطلاعة  
الواعية على كل ذلك التاريخ ، من دون أن نتجمد فيه ، وهذا هو ما قد  
نستوحىه من قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و  
لا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [ البقرة : ١٣١ / ١٤١ ] .



## صواب الرأي بالدول : يقبل بإقبالها ، و يذهب بذهابها

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -





## المسيرة النبوية اشكالية النص و منهج الدراسة

❖ لم يكن العمل الاسلامي بدءاً من الاعمال ... لتبحث له عن جذور جديدة أو بالاحرى ، لنعمل من أجل أن نمد له جذوره في أعماق الحياة ، بل هو امتداد العمل الرسالي الذي تمتد جذوره إلى الأعماق البعيدة في غور التاريخ، لأنه يرتبط بتاريخ الرسالات و النبوات الغنية بالتجارب العملية في مجال الدعوة ، اسلوباً و حركة و جهاداً و توضحية في سبيل الله ، و يرتبط بالرسالة الاسلامية في حركتها المنطلقة في حياة النبي محمد (ص) في رسالته و جهاده و توضحيته و طريقته في الحياة و في اسلوب العمل و طريقة التبليغ و في حياة الأمة و الصحابة و المجاهدين و الطماء العاملين و الدعاة المسلمين في كل زمان و مكان. و السؤال كيف نحدد اشكالية النص و منهج الدراسة في تاريخ السنة النبوية الشريفة ؟

○ و إذا كان للعمل هذه الجذور العميقة الممتدة ، من حيث هو حركة دينية اسلامية ، فلا بد لنا أن نلتفت إلى كل التجارب الماضية في مجال الحركات الرسالية ، و لا تغفل ما رافقها من نكسات و انتصارات و ما تبعها من ارباح و خسائر و ما طرأ عليها من مفاهيم موافقة للخط الرسالي أو مخالفة له .. و ما حدث فيها من انقسامات على أساس اختلاف الفكر ، أو اختلاف الموقف ، أو اختلاف المصالح و الاطماع .. فقد يكون لذلك كله تأثير على طبيعة العمل في

اطار الفكرة أو على طبيعة الحركة في اطار الاسلوب ، او على طريقة الممارسة في نطاق التطبيق ، لأن ذلك يمثل بعضاً من ثقافة أفراد الأمة و من انتماءاتها ، و من رواسبها المختفية في اللاشعور التي تترك بصماتها على حركة العمل المعاصر تبعاً لخضوع الانسان المسلم لتلك التأثيرات و لأن ذلك من جهة أخرى ، يرسم الفكرة الدينية و صورتها في وعي الناس و فكرهم و يولد لهم المشاعر المتناقضة تبعاً لتناقض الصور التاريخية ، للتجربة الدينية المتنوعة ، و يحدد لهم مواقفهم الايجابية و السلبية على أساس ذلك و لأن ذلك يمتد في عمق الفكرة و شمولها ، فيغنيها بالحياة ، تارة من خلال اتجاه أو تفسير أو تجربة حية و يفقرها ، تارة من خلال الاتجاهات التي لا تملك الغنى الروحي في المعاني الحية للحياة و قد يجمدها في بعض المفاهيم و الافكار و يحركها في بعض آخر .. و ربما يعزلها عن الأمة في جانب أو يدخلها ، في جانب آخر ، إلى ضمير حياتها . و هكذا يبقى للتاريخ الرسالي بكل جوانبه المشرقة و المظلمة دوره الكبير في حركة الرسالة و امتدادها في نطاق الحاضر و المستقبل ...

فكيف نواجه ذلك التاريخ ، و كيف نرتبط به و كيف نستفيد من تجاربه ...؟  
ذلك هو السؤال الذي يواجهنا في هذا الحديث .. و نحاول الاجابة عنه ... و لكن لا بد لنا - قبل ذلك - من استعراض الاسلوب الذي نعالج فيه ، ذلك التاريخ و الطريقة التي نحاول أن نستخدمها في فهم قضاياه ..  
اننا نلاحظ اننا ندرسه بشكل تقريري جامد ، ينقل القصة من خلال استيعاء قداسة الرسول لا قداسة الرسالة ، بالأحرى من خلال تنفيذها بشخصية صاحب الدعوة ، من غير اللغات إلى حركة الرسالة و شخصيتها في حركته و شخصيته .. و في هذا الجو ، تبدأ القصة كسيرة ذاتية للرجل لا للرسول - حتى أن الرسالة ، تمثل في طريقة العرض - حدثاً من أحداث حياته الخاصة ،

أما أخلاقه و أساليبه في العمل فهي من مميزاته الفريدة التي لا يمكن لأحد أن يبلغ شأوها أو يقترب من مستواها ، فلذا فلا مجال لدى هذا الاتجاه ، من الاحتجاج على اتباع الاسلام بأخلاق النبي و أعماله ، لأن تلك المميزات من خصائصه الذاتية و ليست ميزة اسلامية يمكن للآخرين أن يحتذوها و يقتدوا بها في حياتهم العامة كمسلمين يعملون على التدرج في مدارج الكمال ...

و قد شارك هذا الاتجاه في تركيز العلاقة بين الانبياء و اتباعهم على أساس شخصي مما جعل التقديس الروحي يتجه إلى الاشخاص ، أكثر مما يتجه إلى الرسالة .. فنراهم يمارسون الكثير من الطقوس التي تمثل الاخلاص للنبي ، في الاحتفال بذكراه و زيارة قبره ، بينما لا نجد مثل هذا الاهتمام بممارستهم لواجبات الرسالة و طقوسها و التزاماتها ... و قد تطور هذا الوضع إلى نشوء نوع من انواع المدح النبوي الذي يتغزل فيه المادح بحسن النبي و جماله و يقف ليثبت فيه وجده و لوعته و شوقه تماماً كما يتغزل أي حبيب لحبيبه فلا تشعر بالرسالة في هذا الجو إلا من خلال الجانب الذاتي الذي يثير الحب المنفصل عن حب الرسالة و السؤال كيف نوازن بين حب النبي الشخص ثم بين حب النبي الرسول و بين حب النبي الرسالة . إن هذا الاسلوب التقريري التقليدي في فهم علاقتنا بالرسول هو الذي أدى إلى هذه النتائج الفكرية و العملية .. لأننا لم نشعر بالرسالة و هي تتحرك في مراحل القصة و أدوارها بل كان كل شعورنا يتركز على الرسول ، و هو يتحرك ، فتتحرك الرسالة من خلاله ، لنفهم تبعاً لفهمه ، و هذا ما نتحفظ فيه ، و نرفضه انطلاقاً من منهج القرآن الكريم الذي كان يتحدث عن الرسول من خلال الرسالة ، سواء في ذلك أخلاقه أو محاوراته ، أو في حربه و سلمه ، و علاقاته بالناس و بأهل بيته و أزواجه ... ثم اطلق الفكرة الاسلامية الواضحة التي تدفع المسلمين إلى الانتماء إلى النبي من خلال صفته الرسالية ليكون الانتماء إلى الرسالة بالذات و ذلك

في قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

٤٠/٣٣

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ﴾ ١٤٤/٣٠

و نجاه في حديثه عن الاتبياء الذين تقدموا على النبي محمد (ص) في الزمان .. ينطلق من الفكرة التي لا تخرجهم من اطار البشرية ، إلا في نطاق الرسالة و ارتباطهم المباشر بالله ، من طريق الوحي ... فهم يمرون في حياة الناس مروراً خفيفاً ، من خلال رسالتهم التي هي رسالة الله و ارادته الخالصة في الحياة ، فهي التي تبقى و تخلد ، أما هم فيسموتون كما يموت سائر الناس ، و لذلك فانهم يعملون لتحقيق ارتباط الناس بالرسالة، الأمر الذي جعلهم لا يتحدثون عن أنفسهم إلا من خلالها و لا يوجهون الناس إلى أي نوع من أنواع التقديس الذي اعتاده الناس في أية كلمة أو اشارة عمل مما استحدثوه من بعدهم من دون ان يكون لهم دخل فيه .

و قد نجد ذلك في الآيات التي تتحدث عن حوار نوح عليه السلام مع قومه .. حيث نلاحظ انه وقف أمامهم وقفة الرسول الناصح الأمين الذي يبلغهم رسالات ربه و لا يملك لنفسه أي شيء خارج هذا الاطار و لا يستطيع أن يغير أو يبدل في مهمته و في التعليمات الموجهة إليه لأنه يخاف من المسؤولية و من العقاب تماماً كأي مسؤول آخر يتجاوز حدود مسؤوليته أو يتمرد عليها ...

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَاقِ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا

مثلتنا و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي و أتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون و يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا إنيهم ملائقوا ربهم و لكني أراكم قوماً تجهلون و يا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون و لا أقول للذين تردري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً

الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ﴿١١٤/٢٥-٣١﴾

فاننا نلاحظ انه لم يحاول أن يربطهم بذاته من خلال أي شيء غير عادي ، بل حاول أن يبعدهم عن احتمال أي شيء من هذا القبيل ، مما اعتاد الناس أن يظنوه أو يرغبوه أو يزعموه للأنبياء من قوى خارقة مادية و روحية ... ثم انطلق يدافع عن موقفه من اتباعه الفقراء ، من موقع الرسالة التي تحترم أتباعها ، و من مركز الرسول ، الذي لا يخذل المؤمنين ، بل يخشى الله لو أراد أن يفعل ذلك خضوعاً لضغط القوى المسيطرة في المجتمع .

و إذا اتبعنا القرآن الكريم عن الاتبياء لوجدنا نفس الفكرة و نفس الروح و نفس الاسلوب ..

و على ضوء هذا نبدأ الجواب عن السؤال : كيف نواجه ذلك التاريخ ... فقصد نجد اننا نواجهه كتاريخ للرسالة التي نحملها ، من حيث تجسيده للتجارب الأولى في حركتها الصاعدة ، و من ثم فان علينا أن ندرسه بالروح التي تعمل على أن تستلهم تجاربه الناجحة ، في تجاربنا العملية ، و نستوحي من خطواته المتعثرة ما يجنبنا من الوقوع في عثرات الخطوات المماثلة ، مع استبعاد القضايا التي تخضع لحدود الزمان و المكان فلا تمتد إلى غير مرحلتها الزمانية، و لا تتسع لغير ظروفها المكانية .. لتبقى لنا النتائج العامة الشاملة التي تحتضن كل تطورات الحياة ، و تظل في عناصرها الاساسية فوق قوانين

التغير و الزوال . لأنها تخاطب الانسان في حدود انسانيته و جوهرها الأصيل و في ضوء ذلك لا تعود شخصية النبي في نطاق التاريخ ، مجرد شخصية تاريخية مقدسة تتعاطف معها في خشوع كما يتعاطف الانسان مع مقدساته في غيبوبة صوفية غائمة ، تجتر الألفاظ و العواطف و المعاني التقليدية ، بشكل تقليدي ممل ... بل تعود إلى وعينا ، لنمثل دور القوة الفاعلة المحركة للرسالة في حركة التريخ ، فتكون صلتنا بها صلة رسالية سواء في ذلك جانب الفكر و جانب الشعور .

و تشمل دراسة التجربة النبوية ، في هذا المجال ، عناصر النجاح في شخصية النبي الداعية ، من حيث هي عناصر لنجاح الدعوة و عناصر الفشل ، في طبيعة الواقع الموضوعي الذي يحيط بالتجربة من حيث هي عقبات أمام تقدم الدعوة و نموها و أساليب الدعوة ، و طريقة العمل ، و نوعية الحركة و ما تشتمل عليه من إيجابيات و سلبيات و تنوع المؤثرات التي تحكم التجربة ، في أسلوبها العملي ، باستبعاد المؤثرات الآتية المنبثقة عن الظروف الموضوعية المحدودة ، و استبقاء المؤثرات المنطلقة من طبيعة الدعوة ، ثم دراسة ردود الفعل الناتجة عنها ... و تأثيرها على سير الدعوة في مناطقها التي تحركت فيها و في خارجها .. و في انعكاس النجاح و الفشل على شخصية اتباع الدعوة و اعداءها ، و على امتدادها إلى خارج حدود الزمان في أجيال جديدة و مواقع متقدمة .

و قد ينبغي لنا التأكيد في هذا المجال على جانب الصمود و الصبر في التجربة النبوية ، بتصوير الأوضاع الصعبة و الظروف القاسية ، و ألوان العذاب و الاضطهاد و التكيل ، و الأساليب المتنوعة من الحرب النفسية المتمثلة بالسخرية و الاستهزاء و التخويف و التهويل .. و غير ذلك من الأمور التي كان يعانيها الانبياء و اتباعهم .. من طغاة عصرهم من القادة و اشياعهم .. فقد

نخرج من التأكيد على هذا الجانب و الافاضة فيه بفوائد ثلاث : الاولى : التركيز على قيمة الدين في اغناء المؤمنين بالرصيد الروحي الكبير المتصل بالله ، الذي يشحنهم بالقوة على مجابهة مواقف الاضطهاد بالصبر الهادى و النفس مطمئنة ، وعلى الارتفاع بالمشاعر القوية فوق حدود المأساة فلا تملأ المأساة - التي تحيط بهم - عيونهم بالدموع ، بل تملأ قلوبهم بالرضا و عيونهم بالفرح الروحي و مواقفهم بالاصرار على تحويل المأساة في واقعهم الذاتى إلى تجربة تتحرك لمنع حدوث المأساة في حياة الآخرين ، الثانية : الايحاء للدعاة المسلمين بواقعية المواقف الصامدة الصابرة ، و قيمتها في تحقيق النتائج الايجابية في نهاية المطاف على أساس من التجربة و الإيمان .

الثالثة : اغناء التاريخ الرسالي الحركي بالابطال في حركة النبوات ، سواء في ذلك ما يتمثل في بطولات الانبياء او في المواقف البطولية لاتباعهم من المؤمنين . فاننا نشعر بالحاجة الملحة إلى الابطال التاريخيين الذين يمتزج فيهم جانب البطولة بجانب القداسة ، أو الذين تجتمع فيهم معاني البطولة و مواقف التضحية في نطاق العقيدة لئلا نحتاج إلى استعارة اسماء ابطال آخرين لا يمثلون خط الرسالة ، في أساليبنا التربوية التي تعتمد في بعض مجالاتها ، على أسماء الابطال ، و مواقف البطولات ليجتمع للأمة عنصر القدوة إلى جانب عنصر الفكرة .

و قد كان من بين الأهداف للقصة في القرآن الكريم ، هو تثبيت النبي و الذين آمنوا معه على ما كانوا يلاقونه من العذاب و الاضهاد و الحرب النفسية ، بالاسلوب الاستعراضى لتاريخ النبوات السابقة .. و نتائج مواقفها الصامدة الصابرة ، ليجدوا في ذلك العزاء و الأمل بالنصر من جهة من خلال الواقع التاريخي و لينفتحوا على ما في الإيمان بالله من غنى روحي يبعث الحياة و الطمأنينة و السكينة في قلوب المؤمنين .. كما نجد في الايات التالية :

﴿و لقد استهزى برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ ١٠/٦

﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون فأتهم لا يكذبونك و لكن الظالمين بآيات الله يجحدون و لقد كذبت رسلك من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أولوا حتى أتاهم نصرنا و لا مبدل لكلمات الله و لقد جاءك من نبأء المرسلين و إن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبقي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتهم بآية و لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ ٣٥-٣٣ /٦

﴿و كلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك و جاءك في هذه الحق و موعظة و نكرى للمؤمنين﴾ ١٢٠ /١١

﴿و إن يكذبوك فقد كذبت قبلك قوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و قوم لوط و أصحاب مدائن و كذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ ٤٢/٢٢

﴿و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين و كفى بربك عادياً و نصيراً﴾ ٣٠/٢٥

﴿و كم أرسلنا من نبي في الأولين و ما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ ٦/٤٣



وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَ رَسَلْنَا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رَسَلْنَا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رَسَلْنَا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِنَلَّا بِكُنْ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٤/

١٦٣-١٦٥

هُوَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يُفْتَرُونَ ١١٢/٦

فاننا نلاحظ في هذه الآيات استعراض أساليب الاستهزاء و الايذاء و التكنيب ، بشكل عام ، التي قوبل بها الانبياء السابقون من قبل شياطين الأنس و الجن فكانت مواقفهم تمثل بالصبر و الصمود ، حتى جاءهم النصر من عند الله .. لتوحي للنبي أولاً ، من خلال الإيحاء إليه بأن عليه أن يكون امتداداً لهذا التاريخ العظيم ، و إلا فليحاول أن يبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء لأن ذلك هو سنة الله في الحياة في رسالاته و في رسله ، و لن تجد لسنة الله تحويلاً و لن تجد لسنة الله تبديلاً فلا رسالية إلا بالجهاد و لا جهاد إلا بالصبر . و لعننا نخلص - من هذا العرض الطويل - إلى النتيجة العملية في الدراسات الدينية التي يحتاجها الداعية في ثقافته الذاتية ، و فيما يقدم للآخرين من عطاء ثقافي اسلامي يستهدف ربط حركة الدين الحاضرة بالحركة الدينية الممتدة في أعماق التاريخ ... و ذلك في قصص النبيين كتجربة للدعوة و كمنطلق للحركة و كموقف للتنفيذ ... مع مقارنة واعية ، بين واقع الرسالات في تصوير القرآن لها بالصورة الدقيقة المشرفة ، و بين ما أضيف إليه من تزوير و تشويه و تزييف ، في التاريخ الموضوع الذي أريد له أن يقدم لنا الصورة المشوهة

القائمة لحركة الرسالات و لشخصية الرسل ...

اننا نؤكد على هذا الجانب الثقافي من دراساتنا الدينية ، لأنه يمثل أحد العناصر الحية لبناء الشخصية الثقافية الدينية ، فيما تملكه من انطباعات ، و فيما تحمله من تصورات ، و فيما تؤمن به من تفاصيل العقيدة ...

و قد يبدو للبعض من الناس ، أن هذا الجانب القصصي ، لا يرتبط بنا بشكل مباشر لأن علاقاتنا بالانبياء السابقين تقتصر على الإيمان في مستوى أخذ العلم و الخبر بوجودهم و برسالاتهم من دون أن يكون لذلك أثر عملي في حياتنا العامة و الخاصة ، لأن علاقاتنا الرسالية تبدأ و تنتهي بالنبي محمد (ص) و برسالاته و شريعته ، فهي المنطلق الوحيد لنا من ناحية فكرية ، و هي المصدر الاساسي من الناحية التشريعية ...

و لكننا نرفض هذه الفكرة لأن القرآن الكريم قد أكد على وحدة الرسالات ، كما أكد على وحدة الإيمان بالرسل ، كما يشهد بقوله تعالى :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ مَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٦/٢

و بهذا فان المسلمين يتبنون كل ما جاء به الانبياء مما حدثنا عنه القرآن الكريم و السنة الصحيحة إلا ما ثبت نسخه لارتباطه بظروف موضوعية محدودة بزمان و مكان معين ، لأن الاسلام يتبنى ذلك و يزيد عليه انسجاماً مع كلمة النبي محمد (ص) " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " .

و قد عرفنا في بعض من الحديث المتقدم السر الذي يربط الحركة الدينية المعاصرة بحركة الدين في التاريخ ... الأمر الذي يجعل من الخطأ في فهم هذا التاريخ ، انحرافاً في فهم الاسلام و من النقص في هذا الجانب الثقافي نقصاً في الثقافة الاسلامية لدى الداعية المسلم ... في المضمون و الاسلوب هذا في

تاريخ التجارب الرسالية الدينية من وجهة عامة ...

أما قصة التاريخ الاسلامي و التجربة الاسلامية النبوية ، و ما يتفرع عنها من تجارب الامة و الصحابة و التابعين فان لنا منها موقفاً آخر باعتبارها التجربة الام لكل حركة اسلامية سابقة و لاحقة ، والنبوع الصافي الذي يرتوي منه الظامئون الذين يعانون من ظمأ المعرفة المحرق الذي يحس به كل من استقبل الحياة بعوة الاسلام و واجه مشاكلها بحلوله ، مما يجعله في كل مشكلة جديدة رغبة شديدة في معرفة طبيعة الحل ، من خلال التنايع الأولى ، و الجذور الثابتة في أعماق الأرض ..

أما تجربة النبي محمد (ص) بالذات فهي شريعة اسلامية ، لأن عمله رسالة و مصدر تشريعي كما ان قوله رسالة و مصدر للشرعية .. انطلاقاً من الآية الكريمة التي تدعونا الى التأسى به و الإقتداء بعمله :

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و نكر الله كثيراً﴾ ٢١/٣٣

و لقد جاء القرآن الكريم ليؤكد لنا على عمق هذه التجربة و دورها الكبير ، فقد كان يرعاها و يوجهها بالتأييد تارة و بالنقد أخرى ، و الإيحاء بالتوجيه الروحي و العملي في مجالات أخرى حتى تحول القرآن إلى وثيقة أمينة مقدسة للتجربة الاسلامية الرائدة فقد جاء في السيرة النبوية الشريفة أن النبي كان يواجه المشكلة في حياة المسلمين ، في شؤون الحرب و السلم ... و كانت المشكلة تتفاعل في واقعهم حتى تتحول إلى قلق ينتظر كلمة النبي الذي كان ينتظر كلمة الله .. و ربما تمتد القضية إلى وقت غير قصير ... و النبي ينتظر و المسلمون ينتظرون و ربما يبدو من بعض المسلمين الرأي الذي يحلو للأخريين فيتحركون للتنفيذ ، و يهم النبي بموافقتهم على ما يريدون فينزل الوحي بعد ذلك ليصحح الخطأ الذي وقعوا فيه ، أو يبارك الخطوة التي ساروا عليها ، و

يحل لهم المشكلة التي تخبطوا فيها .. و بهذا كانت كل آية تمثل موقعة حرب أو واقعة سلم أو خلافاً وقع بين المسلمين أنفسهم ، أو بينهم و بين الكافرين ، حتى أوضاع النبي العائلية و مشاكله الخاصة ... كان لها جانب كبير في القرآن لأنها تمثل تجربة اسلامية رائدة في السلوك العائلي للأسرة المسلمة في مسؤولية رب العائلة أمام أسرته و مسؤوليتهم أمامه ... و قد جاءت الآية الكريمة التي ترد على سؤال أو اعتراض بعض الناس حول السبب في نزول آيات متفرقة و عدم نزوله دفعة واحدة ككتاب شامل ...

**هو قال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه تترجلاً ٢٥١٤/٣٢**

و قد نواجه في القرآن الكريم المواقف الحادة الحاسمة التي كانت تواجه النبي و المسلمين ، بخشايب المسؤولية الدقيق فيما يأخذون و فيما يتركون ، حتى انك لا تشعر و أنت تقرأ الآيات الكريمة في هذا المجال بالاجواء الهائلة الساكنة التي تلف الواقع ، بل تنفجر أمامك الاجواء لتراقب بقلق و اهتمام ، امكانات الانحراف أمام حالات الضعف فتبادرها بالتهديد و الوعيد أو باللوم و العتاب أو بغير ذلك من الأساليب التي تنطلق من الله سبحانه و خطابه إلى النبي ، كإحياء للامة ... مما يجعلك تعيش جو الدعوة و هي تتحرك في نطاق المسؤولية ، تماماً كأي داعية أمام أي مسؤول ، فيوحي إليك بأن قصة الرسالة لا تحتمل المجالات الشخصية و الحسابات الذاتية لأنها قضية الانسانية التي لا يمكن أن تستجيب لأي انفعال عاطفي على حساب مصالحها الحيوية ، مهما كانت الظروف و الاعتبارات و الاشخاص.

و ربما كان من القضايا التي يجب أن تتوفر عليها في دراستنا ... طبيعة المجتمع الذي عاش فيه النبي في بدء الدعوة ، و عقائده و ثقافته و علاقاته و طريقة مواجهة الأحداث ، و اسلوبه في الجدل ... لنستطيع فهم التجربة

النبوية بشكل عميق مستوعب ، و نفهم - إلى جانب ذلك - كيف يمكن لنا أن ننقل هذه التجربة إلى حياتنا عند مواجهتنا المجتمع الذي نتحرك فيه فيما إذا كانت الاوضاع و المعطيات العامة متوافقة في سلوك كلا المجتمعين - مع استبعاد المؤثرات الخاصة التي تحكم بعض الاساليب المطروحة في التجربة .. و ربما تظهر قيمة هذه الدراسة ، في تحديدنا الخطوط الفاصلة بين النظرية و التطبيق ، فقد تنطلق التجربة في سلوك النبي من حيث هو مشرع يرسم خطأ عريضاً لا يخضع للحدود المعينة التي تحدد الفكرة في إطار المناسبة و قد تنطلق في سلوكه ، من حيث هو داعية ينطلق في حركته من دراسة المبدأ و الواقع في عملية تطبيقية تستمد عناصرها من الظروف و الاوضاع الآتية المحيطة بالتجربة ... و قد تتمثل في التجربة سلوكية الحاكم الذي يتحرك من خلال السلطة التنفيذية الممنوحة له من الله بما أراه من وجه الحق في القضية .. إن علينا أن ندقق كثيراً في هذه الجوانب عندما نريد أن نقرر أي حكم أو مفهوم أو موقف على أساس التجربة لنلا نفع في خطأ الخلط بين جهات انطلاق التجربة من حيث الصفات المتنوعة التي تحكم شخصية النبي الذي اجتمع له ما لم يجتمع لنبي من قبله ، من الصفات العملية فقد كان يتحرك من خلال صفة الرسول و الداعية و المشرع و الحاكم ، و لكل واحدة من هذه الصفات أسلوب يختلف عن أسلوب الآخر و حكم يختلف عن حكمه ...

و قد يكون من بين القضايا التي يجب أن ندرسها في التجربة الاسلامية الأولى هي التفرقة بين تجارب النبي بالذات التي مارسها بنفسه ، أو أقر عليها غيره ، و بين تجارب غيره من المسلمين في عهده ، و بعد وفاته ، لأن التجربة النبوية معصومة عن الخطأ لا سيما في مجال الدعوة بينما لا مجال للقول بعصمة تجاوب غيره ما لم تكن مقرونة بموافقة و اقراره ( إلا في أئمة أهل البيت علي و أولاده الاحد عشر الذين ثبتت عصمتهم بصريح القرآن الكريم ) .. فلا بد من

عرض هذه التجارب على المبادئ الاسلامية العامة ، و ممارسة عملية الاجتهاد فيها ، لنستطيع اعتبارها تجربة اسلامية رائدة للحركات الاسلامية الأخرى .. و إلا فان اجتهاد اصحاب هذه التجربة قد لا يكون حجة علينا ، و لا يكون مسلم الحجة عند جميع المسلمين .

و ربما كان من الاخلاص لهذه الدراسة ، أن نترك الطريقة التي اعتمدناها في دراستنا لابطال التاريخ الاسلامي من حيث التأكيد على الجانب الذاتي و اعتبار الجوانب الرسالية مجرد صفات ذاتية ترفع من مستوى البطولة فيه .. مما قد يؤدي إلى قبول أي حديث مهما كان ضعيفاً إذا كان متعلقاً بجانب من جوانب العظمة الشخصية في حياته ، حتى و لو كان على حساب القيم الاسلامية كما نراه في الابحاث التي تتوفر على دراسة السيرة لكثير من ابطال هذا التاريخ من الأئمة و الصالحين و غيرهم فينسبون إليهم بطولات لا أساس لها ، و فضائل و كرامات لا مبرر لها استناداً إلى احاديث ضعيفة يرويها الكاذبون و الوضاعون و الغلاة ممن لا يخافون الله فيما يرون و فيما يحدثون ، لقاء عقدة نفسية أو ثمن بخس يبيعون به دينهم و ضميرهم .و ينقل الباحثون و الدارسون و المترجمون ذلك كله .. لأنهم يريدون أن يحققوا زهواً بالعظمة و القداسة فيمن يحبون أو ينتمون إليهم و لو على حساب السيرة و الحقيقة و التاريخ و العقيدة ، و يعتدرون عن ذلك بأنها ليست أحاديث الحلال و الحرام حتى يندقق فيها المدققون ، أو يرفضها الذين لا يقبلون إلا ما كان خاضعاً لميزان الجرح و التعديل في علم الحديث و الرجال ... و لكن هذا العذر غير مقبول لدى الذين يشعرون بأن من مسؤولية المسلمين أن يحافظوا على مقياس الحق في الأشياء في كل المجالات سواء في ذلك جانب الحكم أو المفهوم أو الموقف فلا يسمحوا للزيف أن ينفذ إلى شيء من ذلك لأن الصورة الاسلامية لا تكتمل إلا من خلال استكمال كل الجوانب العامة و الخاصة .. و ليست القضية كما يزعم

هؤلاء من أنها لا تشكل خطورة على الاسلام .. بل ربما كانت الخطورة فيها بشكل أكبر و أشد ، لأن الارتباط بالأشخاص من خلال هذه القيم المفتعلة الموضوعية ، يوجب ارتباطاً بكل ما يفكرون به أو يعملونه أو يقولونه ، و لأن افتعال القيم يفسح المجال لولادة تقييم منحرف يعكس على طريقة الحكم على الاوضاع و الأشخاص مما يوجب الاساءة إلى بعض الذين يفتقدون هذه الصفات و اعطاء الذين يجدونها أكثر مما يستحقون و نعتقد أن كثيراً من هذه البطولات أو الفضائل الوهمية التي أضيفت الى تاريخ هؤلاء بدون حساب ، لو حذفوها و اقتصرنا على الامور الحقيقية منها ، لكان في ذلك كفاية للأبطال الحقيقيين ، فإن الحقيقة تكفي صاحبها من دون حاجة إلى زيادة أو افتعال .

اننا نريد أن نتخلص من ذلك ليكون ارتباطنا بالرسالة طريقاً للارتباط بالأشخاص الرساليين ، و تقدسنا لمعناها سبيلاً لتقديس الأشخاص الذين تعيش تلك المعاني في نفوسهم ، لتظل الرسالة قاعدة رئيسية للانتماء و للمشاعر و تحديد العلاقات في بدايتها و نهايتها ...

أما الطريق إلى الوصول إلى ذلك ، فهو التركيز على الرسالة في دراسة تاريخ أبطال الاسلام لتكون الدراسة سبيلاً إلى معرفة تأثير الرسالة على حياتهم و سلوكهم و قيمته و مقداره ، و أثرهم في حركتها و قوتها و تطورها مما يجعل مفتاح الدخول إلى حياة الشخص رسالته و ليس العكس ... و قد نستطيع بذلك أن نفهم أبطالنا فهماً جديداً لا يبتعد عن الواقع و لا يقترب من الاسطورة ، مما يؤدي إلى فهم جديد لبعض مفاهيم الرسالة و أوضاعها من خلالها ، و يخلق الباب أمام عبادة الشخصية لدى المسلمين .







# المساحة المشتركة لقاعدة الحوار

## الثابت و المشترك في حوار الأديان

---

❖ ثمة ظواهر تخرج عن سيادة أية أمة و العالم يعيش قضايا مشتركة ، فهل انتهى عصر صراع الأديان و جاء زمن التعايش بينها ؟ و ما هو موقفكم من التعددية خاصة و أن كل الأصوليات تتباعد و تتنافر و تتصارع على الأرض ؟

○ نحن نعتقد أنه ليس من المفروض أن يكون هناك صراع بين الأديان بل التقاء على القواعد المشتركة لها ، و حوار في القضايا التي تختلف فيها ، و أن مسألة الصراع بالشكل الذي يحاول فيه كل دين أن ينظر نظرة سلبية مطلقة للدين الآخر ، نحن نعتقد أن هذا شيء خاطيء . عندما ندرس الإسلام نرى أنه ركز على القواعد المشتركة بين الأديان و أدار الحوار في المواقع التي يختلف فيها مع الأديان الأخرى ، و دعى إلى الحوار بالتتي هي أحسن و بالحكمة و الموعدة الحسنة ، و لذلك فإننا لا نتصور أية ضرورة في ربط دفاع الإنسان عن دينه ، او في التزام الإنسان بدينه ، مع الأديان الأخرى ، بل إننا نتصور أن على الأديان جميعاً أن تلتقي على أساس وحدانية الله ، و على أساس وحدة الإنسانية أمام الاستكبار العالمي ، الذي يريد أن يضطهد الإنسانية في كل حاجاتها و في كل مواقعها .

من هنا فإننا نعتقد أن الإسلام لا يزال قادراً على مواجهة التيارات الأخرى و قادراً على أن يتعاون مع كل التيارات في العالم ، حتى غير الدينية منها ، في

القضايا المشتركة كقضية مواجهة الاستكبار العالمي ، و الظلم العالمي ، و ما إلى ذلك من قضايا .

و إنما ينبغي لأهل العصمة و المصنوع إليهم السلامة أن يرحموا أهل الذنوب و المعصية ، و يكون الشكر هو الغالب عليهم و الحاجز عنهم ، فكيف بالعائب الذي عاب أخاه و غيره ببلواه ! أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به ! و كيف يذمه بذنب قد ركب مثله ! فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ، مما هو أعظم منه . و أيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير ، و عصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس أكبر !

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## الآمال المعقودة على الحوار الإسلامي - المسيحي

---

✻ يجري حديث دائم عن حوار مسيحي - إسلامي ، أين بلغ هذا الحوار ، و ما الأسس التي يجب أن تعتمد لكي يأتي بالنتائج المرجوة ؟

○ إنني أتصور أن المرحلة التي يعيشها ما يسمى بالحوار الإسلامي - المسيحي هي مرحلة إيجاد المناخ الملائم للقاء ، لأن هناك فترة طويلة من الزمن عاش فيها المسيحيون و المسلمون في حالة تباعد و تنافر و انحراف عن مواطن اللقاء . و لا يزال الإنسان يختزن ، بتلك الذاكرة التاريخية المعبأة ، الكثير من الحساسيات و السلبية ، و من الأوضاع التي تجعل شعور الواحد منهم ضد الآخر . لذلك كانت المسألة هي أننا بحاجة إلى مناخ نستعيد فيه الأجواء الرسالية في الإسلام و المسيحية ، ليشعر المسيحيون و المسلمون أنه من الممكن لهم أن يتنفسوا هواء واحداً و أنه من الممكن لهم أن يجدوا كلمة سواء ، و أنه من الممكن أن يفتحوا على درب مشترك مع كل الخصوصيات التي تميز أحدهما عن الآخر . إنني أتصور أن مرحلة الحوار هذه هي مرحلة إيجاد المناخ الملائم للقاء مسيحي - إسلامي يزيل الكثير من الحساسيات و يفتح الكثير من المشاعر الحميمة و أتصور أن الحوار المسيحي - الإسلامي على مستوى العالم - و على مستوى لبنان - قد استطاع أن يحصل على نتائج جيدة و لو على مستوى الخطاب المجامل . لقد أزيلت الكثير من الكلمات السلبية

الحاقدة العنيفة و حلت محلها كلمات ايجابية حميمة ، و اعتقد أن النتيجة هي نتيجة واقعية جيدة و علينا ألا نكتفي بهذا المناخ الوحدوي الوفاقي ، بل لا بد من أن نتابع و الطريق طويل ، لأن مسألة الحوار المسيحي - الإسلامي تماماً كما هي مسألة الحوار الإسلامي - الإسلامي من بين الممنوعات التي ركزها الاستكبار العالمي في خطط أجهزته الثقافية و الاستخباراتية . و نحن نعتبر أن معركتنا في الحوار المسيحي - الإسلامي أو في للحوار الإسلامي - الإسلامي أو في الحوار الوطني أو القومي ، تتصل بمعركتنا ضد الاستكبار العالمي .

يا عبد الله ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعله مغفور له ، و لا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه . فليكشف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، و ليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلى به غيره .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## مشكلات الحوار

❖ في سيرة النبي - ص - و سنته الشريفة نقف على نماذج رائعة من أشكال الحوار في قضايا العقيدة و التشريع و الحياة فكان النبي - ص - يجيب على أسئلة الذين آمنوا به و أسئلة الذين لم يؤمنوا بروح النبوة الصابرة على نهج التركية و تعليم الكتاب و الحكمة و نحن نطمح ان طريق الحوار هذا لم يكن مفروشاً بالورد .. فقد كان ثمة مشكلات و عقبات تعترض آمال الرسول و الرسالة و السؤال كيف ندرس واقع تلك المشكلات و خلفياتها في ضوء النص القرآني الكريم ؟

○ قد نلتقي في القرآن الكريم بالكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تعالج قضية العقيدة و تفاصيلها ، بأسلوب الحوار الذي يتسلم النبي زمام المبادرة فيه ... فنراه يبدأ عملية إثارة بعض علامات الاستفهام أمام تصوراتهم المنحرفة في قضايا العقيدة و الحياة ... فيواجههم ببعض الأمور التي لا ينكرونها - في أنفسهم - أو لا يستطيعون انكارها ... و لكنهم يدركون ارتباطها بالخط الصحيح للعقيدة ، ليكون إقرارهم بها ، إقراراً ملزماً بالعقيدة ، كنتيجة طبيعية لرابطة الثقة التي تربط بينهما ... و لذا فإن القضية تدخل في إطار محاكمة تفكيرهم بأسلوب تستيقظ فيه فطرتهم على دعوة الحق من حيث لا يشعرون . مما يجعل العناد أو المكابرة أمراً لا يستند إلى شيء مما يحترم فيه الإنسان نفسه .

و نجد أمامنا - في هذا المجال - بعض النماذج القرآنية لهذا الأسلوب في

الآيات الكريمة التالية :

﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ . إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٩٦/٦١-٦٢

﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمْ مِنْ نَزْلِ السَّمَاءِ مَاءً فَأُحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢٩٦-٦٣

﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ غَزِيرَ الْعَطِيمِ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ . وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ٤٣٦/٩-١٣

إننا نلاحظ في هذه النماذج الثلاث من الآيات ، محاولة لإدارة الحوار مع هؤلاء الذين يشركون بالله ، مع اعترافهم بقدرته و سيطرته ، و لكنهم يفقدون التصور الصحيح لافكرة الألوهية .. و لذا فإن الأسلوب يسير في الخط الذي يريد توجيه السؤال حول ما يعرفونه من شؤون الإيمان بالله ، ليكون جوابهم أساساً للإنطلاق في إفاضة الحديث حول قدرة الله و تصرفه في الكون و ارتباط كل شيء به ، مما يتصل بحياة الإنسان أو بغيره .. لتكون النتيجة - الموقف .. أن يحاكم المشرك نفسه ، ليشعر بضلاله و إفكه دون حاجة إلى مواجهته بذلك بشكل صريح .

و قد نجد بعض الآيات القرآنية الماثرة في هذا الاتجاه من حيث المبدأ... و لكنها تختلف عنه في التفاصيل ، فهي تحاول - في نطاق إثارة السؤال - أن تطرح الفكرة في عملية مقارنة صريحة بالفكرة المضادة ، لمواجهة الانحراف

في التصور بقسوة تبعاً لما يوحيه ذلك من فظاعة الفكرة المنحرفة إزاء وضوح واقع المقارنة .. مما يجعل أسلوب الحكمة القرآني متمثلاً في مواجهة الإنسان بالحقيقة بشكل حازم ، من دون أن يسمح له بالتقاط أنفاسه .. لنلا يضيع في متاهات الضلال أو يتخبط في رواسب الماضي . و هذا ما نواجهه في الآيات الكريمة التالية :

﴿ قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمن يملك السمع و الأبصر و من يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلکم الله ربکم الحق فمالذا بعد الحق إلا الضلال فأتى تصرفون . كذلك حقت کلمت ربک علی الذین فسقوا أنهم لا يؤمنون . قل هل من شركائکم من یبدؤا الخلق ثم یعیده قل الله یبدؤا الخلق ثم یعیده فأتی توفکون . قل هل من شركائکم من یهدی إلى الحق قل الله یهدی للحق أفمن یهدی إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا یهدی إلا أن یهدی فما لکم کیف تحکمون . و ما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا یغنی عن الحق شیئاً إن الله علیم بما یفعلون ﴾ ٣٠/١٠٤-٣٦

ففي الآيات نواجه السؤال عن الكون و ما يتمثل فيه من دقائق الصنع و أسرار الإبداع في الخلق ، مما يوحي بالقدرة المطلقة فإذا كان الجواب يشير إلى الله - كما هو المنتظر لأن هؤلاء لا يؤمنون به - فسيعود السؤال من جديد ليوجه إليهم عن هؤلاء الذين جعلهم شركاء ، هل يستطيعون ذلك ، أو بعض ذلك .. و هنا يتولى القرآن الجواب عنهم .. لأنهم سيواجهون الشعور بالعجز المطلق هنا، أمام القدرة المطلقة هناك حيث يتطلعون إلى كل ما أثاره السؤال و ما لم يثره ، مما يحيط بهم من أكوان و موجودات فلا يجدون إلا الله .. فيلونون بالصمت .. و قد يكون الصمت - في كثير من الحالات - أبغ من الكلام . ثم ينطلق القرآن الكريم في التعقيب على ذلك بالنتيجة الحاسمة التي توضح لهم



تفاهة تصوراتهم و اعتقاداتهم بأسلوب عنيف يواجههم بمثل الصدمة التي تهز داخلهم بقوة ، و تتحدى الكرامة فيهم بعنف ، لتجعل من قضية الإيمان بالحق ، و التوحيد الخالص ، قضية العدالة في الحكم ، كما تجعل من قضية الشرك ، إفكاً و ضللاً لا يلجأ إليه الإنسان الذي يحترم عقله و فكره عندما يواجه بديهيات الأمور التي يلتقي فيها الإنسان بالحق ليتركها لظنون و تخرصات لا تستند إلى شيء واضح متين .

و ربما نحتاج إلى هذا الأسلوب في حياتنا المعاصرة التي تصطدم فيها الدعوة الإسلامية ببعض العناصر ، الذين ينكرون على الإسلام مسيرته نحو قيادة الحياة ، فيتجهون - لذلك - إلى بعض المبادئ الأخرى ، بحجة أنها تحقق للإنسان حاجاته الأساسية في الحياة ، و تحل مشاكله المعقدة ، و يغفلون عما في الإسلام من حلول لمشاكل الحياة و استجابة لحاجاتها .. فيمكن للداعية أن يثير أمامهم تلك القضايا بهذا الأسلوب الذي يعتمد على الإفاضة في التفاصيل بشكل مستقل ، أو بطريقة المقارنة بين الإسلام و بين المبادئ الأخرى .. مع توضيح الفكرة المميزة التي تجعل الإسلام في مركز القوة أمام تلك المبادئ .. مما يهيء المجال لإثارة التفكير الذاتي الهادئ من جهة ، أو للصدمة الفكرية العنيفة التي تعتمد على عناصر الإثارة القوية من جهة أخرى .

و ربما نحتاج إلى السير مع هذا الأسلوب ، في قضايا الحوار المذهبي الذي يدور في نطاق المذاهب الإسلامية حول قضايا تفضيل بعض الشخصيات الإسلامية على بعض ، ممن يتميزون بالصفات الأساسية التي تجعل لهم ميزة رسالية في مجال القيم و التفضيل في الجوانب الحيوية للعقيدة و التشريع التي لا تحول الحوار الدائر إلى مجرد إثارة للتاريخ في عملية تأكيد للحالات الاجتماعية القلقة ، و الامتيازات الطائفية الضيقة ، التي يعيشها الحاضر ، بل ينطلق به في أسلوب يضع التاريخ في إطار الفكرة ، و يبتعد به عن الحالات

الشخصية المعقدة لتبقى القضية خاضعة للفكرة في كل ما تثيره من نوازع و مشاعر ، و ما تفرضه من تصور للموقف و عمل في سبيله .. و بذلك يرتفع الخلاف في هذه القضايا بالأسلوب الحكيم المرن ، إلى مستوى الفكر العقيدي المنفتح ، فيبتعد عن الأحاسيس التاريخية الذاتية .

و قد لا تقتصر الحاجة إلى اتباع هذا الأسلوب ، على الحوار حول الأشخاص الذين يعيشون في أعماق التاريخ .. بل أننا نشعر بالحاجة إليه فيما نختلف فيه من قضايا حول القيادات و المرجعيات التي قد تدور في أكثر من جانب ، و تنجبه إلى أكثر من شخص ، تبعاً للنوازع الذاتية و غيرها التي تدعو إلى تعيين هذا أو ذاك ، أو الدعوة إلى شخص أو غيره مما يفقدنا التركيز في الأسلوب الذي نتبعه لحل المشكلة و إنهاء الخلاف ، فنقع من خلال ذلك في الدوران في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها ، أو منازعات لا نعرف كيف تنتهي و إلى أين ؟

و لعل من أوضح الآيات دلالة على هذا الاتجاه في الموضوع الذي أشرنا إليه هي الآية الكريمة المتقدمة .

**﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ٣٥/١٠**  
فقد ركزت هذه الآية على الابتعاد عن الجانب الذي يرتبط بالشخص ذاتياً كان ، و عائلياً أو اقليمياً ، ليرتبط بالجانب الرسالي الذي يخضع لقاعدة الكفاءة و الفضل ، في حركة الشخص في المجال الرسالي من ناحية الاكتفاء و العطاء .  
و هناك مشكلة تواجه العاملين في سبيل الله ، في قضية الحوار ، و هي إثارة بعض المواضيع التي لا فائدة منها للعقيدة و لا للحياة ، بل هي مجرد ترف ذهني يستجيب لنوازع الفضول الشخصية التي تردد لدى الإنسان إزاء بعض القضايا .. فيتحول الحوار إلى جدل فارغ و عبث تافه .. ككثير من الأسئلة

التي تدور حول أسماء آباء الأنبياء و امهاتهم ، أو اعداد بعض المجموعات التي يتحدث عنها التاريخ أو يحدث بها القرآن الكريم و قد عاشت الفترات الإسلامية المظلمة مرحلة من مراحل هذا الجدل في كثير من القضايا الفكرية التي لا تمس العقيدة و الحياة .. من قريب أو بعيد ، مما جعل التفكير لديهم يتجه إلى التحرك في دائرة عقيمة لا تقدم للمعرفة العملية أي نتاج مفيد .. الأمر الذي أدى إلى تخلف المسلمين عن ركب الحياة ، عندما تركوا ما يفيدهم و يثير فيهم روح التقدم و انصرفوا إلى ما لا يغني عنهم شيئاً .

و ربما يكون من ، هذا القبيل ما اشار إليه الشيخ محمود شلتوت في تفسيره ، "أما الاستغال بالسؤال عن النظريات البحتة التي لا تتعلق بها نفع في الدنيا و لا ثواب في الآخرة ، فهذا ليس من شأن المؤمنين العاملين ، فلا ينبغي أن يسأل عن الأرواح بعد مفارقتها للأجساد أين تكون ؟ و ماذا تعمل ؟ و لا ينبغي أن يسأل عن كيفية عذاب القبر للجسم و للروح ، أم الروح فقط ، و لا كيفية الوزن ، كاملة أو ناقصة ، و لا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، و لا كيفية الوزن ، و لا عن الموزون ، و لا عن أرض الجنة و لا عن سمائها و ما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم و ملأ كثير من علمائهم به كتبهم و صرفوا به الناس عن معرفة الخير و عمل الخير "

و قد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى مواقف عاشها النبي محمد (ص) مع أصحابه ، فيما كانوا يسألون عنه ، و يثيرونه من قضايا في بعض الأمور التي لا تؤدي معرفتها إلى نتائج عملية ملموسة .. فكانت سيرته (ص) في ذلك أن يهمل الجواب في حالة ، أو ينصرف به إلى جانب آخر في حالة ثانية ، للإيحاء إليهم ، بأن من واجبهم أن يسألوا عن ذلك الجانب ، لأنه يحقق لهم الفائدة ، دون ذلك الذي أداروا الحوار حوله .

و ربما يقتضي الموقف أن يلامس القضية التي يثيرونها ملامسة بسيطة يخلق -

بعدها - باب الحوار ، لاتعدام الفائدة في الاستمرار به إلى ما يريدون .  
فقد سألوه - فيما يحدثنا القرآن به - عن الروح .. و عن الساعة .. فلم يرد  
الله - سبحانه - أن يفيض في الجواب .. لأنهما مما استأثر الله بعلمه .. و  
لأن الروح - بالذات - مما لا يستطيعون إدراكه ، لأنه لا يخضع للحس و لا  
يقع تحت التجربة ، بل يعرف بآثاره ، أو لأن معرفة الروح لا تحقق لهم أية  
فائدة علمية أو عملية ..

أما سؤالهم عن الروح .. فقد حدثنا عنه الآية الكريمة ..  
﴿و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا  
قليلاً﴾ ٨٥/١٧

و أما السؤال عن الساعة فقد تحدث عنه عدة آيات .  
﴿يسئلونك عن الساعة أيان مرسها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها  
إلا هو ثقلت في السموات و الأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي  
عنها قل إنما علمها عند الله و لكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ١٨٧/٧  
﴿يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة  
تكون قريباً﴾ ٦٣/٣٣

﴿يسئلونك عن الساعة أيان مرسها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها .  
إنما أنت منذر من يخشها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية و ضحاها﴾

فليست مهمة النبي (ص) أن يتحدث إليهم عن تحديد وقتها .. بل مهمته أن ينبه  
الناس إلى وجودها من أجل أن يستعدوا لها في عملهم .. كما ن تعيينها لا يخدم  
الفكرة التي يستهدفها الدين في واقع الناس .. من التركيز على الانضباط العملي  
من خلال الخوف من النتائج السيئة للأعمال الشريرة في يوم القيامة .. و لهذا  
لم يعرفها لنبيه و لم يعرفها للآخرين من خلقه

و قد نحس - في اسلوب الآية الأخيرة - بعض العنف في الخطاب ، و التدنيد بالسؤال .. مما لم نحس به في الآيتين السابقتين ، و لعل السبب في ذلك .. أن هذه الآية جاءت رداً على العناد المكابرة التي تمثلت في تكرار السؤال مع سبق الجواب الذي يحدد للسائلين اتجاه الخط المحدد للمعرفة في هذا الموضوع .. مما يقتضيهما السكوت . أو السؤال من جديد عن السبب في تحديد هذا الخط ، و لكنهم لم يفعلوا ذلك بل كرروا نفس السؤال ، مما يدل على أن القضية لا تعيش في إطار السعي إلى المعرفة .. بل في إطار المشاغبة و المكابرة .

و قد نلتقي ببعض الاسئلة التي كانوا يثيرونها ، بحثاً عن بعض الأشياء ، فيجيبهم النبي (ص) بغير ما سألوه إرشاداً إلى ذلك هو ما يجب أن يسألوا عنه كما أشرنا إليه في بداية البحث ..

فقد سألوه عن الأهلة .. عن القمر كيف يولد صغيراً.. ثم يكبر .. ثم يرجع صغيراً.. و يغيب .. و هكذا .. و لم يكونوا في مجال الاستفادة من المعرفة الفلكية .. مما يجعل الدخول في تحليل ذلك .. اقتحماً في عملية لا تتسع لها أفكارهم من جهة .. و لا تخدم حياتهم من جهة .. و لهذا أعرض عن الجواب حول هذا الموضوع .. لينتقل إلى السؤال عن فوائد ذلك و حكمته في الحياة .. من حيث أنها تضبط لهم مواقيتهم في أعمالهم ، و تحدد لهم وقت الحج بالخصوص في الوقت لاذي تتميز فيه عن الشهور الشمسية ، بسهولة تناول التاريخ القمري لكل الناس لأنها لا تحتاج إلا إلى النظر و الملاحظة ، بينما يتوقف التاريخ الشمسي على الحساب فلا يعرفه إلا الحاسبون .

و قد عقب القرآن على ذلك .. بالدعوة إلى أن يواجه الإنسان القضايا من أبوابها ، و لا يواجهها من ظهورها ، بالأسلوب الكنائي الذي عبر فيه عن ذلك بالبيوت و ذلك هو قوله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

البيوت من ظهورها و لكن البر من أتقى و أتوا البيوت من أبوابها و اتقوا  
الله لعلمكم تفعلون ﴿ ١٨٩/٢

و قد سألوا عما ينفقون ، عن نوعه .. و جاء الجواب ليحدد لهم نوعية  
الأشخاص الذين ينفقون عليهم ، و يصرفون لهم النفقة للتنبيه على أن هذا هو  
الأولى و الأجدر بالسؤال .. لأنه لا أهمية لما ينفق ، بل الأهمية الكبرى .. لمن  
ينفق عليه .. لأن ذلك هو مشكلة الحياة .

﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين و الأقربين و اليتامى  
و المساكين و ابن السبيل و ما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ ٢١٥/٢

و يجيب عن هذا الموضوع - في آية أخرى - بإهمال الحديث عن نوعية  
الاشياء التي يسألون عنها .. و الاكتفاء بكلمة واحدة هي كلمة العفو ، التي  
تعني الفضل .. و هو الذي يفضل عن ضروريات الإلتزام و معاشه .

﴿و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ..﴾ ٢١٩/٢

و ينطلق القرآن ليتحدث عما كان يفيض فيه المسلمون و غيرهم ، في موضوع  
عدد أهل الكهف .. و يثور الجدل فيما بينهم .. و ربما يسألون النبي عنه ، أو  
يبدو لهم أن يسألوه .. و قد يخيل لنا - من الآية - إن النبي كان في معرض  
السؤال عن ذلك ..

﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب  
و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا  
تمار

فيهم إلا مراء ظاهراً و لا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ ٢٢/١٨

و يريد القرآن الكريم من ذلك أن يضع القضية في نطاقها الصحيح من قضية  
المعرفة و مواردها التي ينبغي للناس أن يقصدها ليعلن بكل هؤلاء المجادلين  
من خلال خطابه للنبي (ص) .. أن القضية لا أهمية لها ، ليبينها الله للرسول ،  
حتى يبينها الرسول للآخرين ، ليختم الجدل بالرأي الفصل .. لأن العبرة - في

قصة أهل الكهف - بمدلولها الديني الذي نواجه فيه هؤلاء الرجال المؤمنين الذين لم يستسلموا لضغط الكفر و أرادوا أن يسلموا بدينهم ، و لم يكن لهم قوة على المصادمة و المقاومة ، فهربوا بدينهم إلى الكهف . فرعاهم الله سبحانه برعايته ، و جعل لهم المخرج ، و اكرمهم بكرامته ، فجعل من حياتهم آية للآخرين ..

ذلك ما يجب معرفته من القصة ، للمؤمنين الذي ينبغي أن تكون المعرفة لديهم سبيلاً للحياة الرسالية الكبيرة .. لا مجرد وسيلة من وسائل إرضاء الفضول الذاتي نحو اكتشاف المجهول .. أي مجهول كان .. و على هدى ذلك .. لا يبقى لمعرفة عددهم أو خصائصهم الذاتية أي معنى فيما نريد .. لأن ذلك كله ليس مشكلة لنبحث لها عن الحل في نطاق الجواب .. لهذا أراد الله أن يبقى الغموض حول هذه النقطة ، ليرشدنا إلى أن الجهل فيما لا فائدة من معرفته ، لا ضرر منه في حساب الخي و الشر و الحسن و القبح .. ثم لم يكتف بذلك بل أرشد النبي إلى أن يبتعد عن الخوض في إثارة الجدل حول ذلك إلا بشكل خفيف .. و طلب أن لا يتفتي أحداً في ذلك ، سواء أهل الكتاب أو غيرهم ، ليوحي للآخرين بأن لا يسألوا عنه .

و هكذا .. تتضح لنات الفكرة الإسلامية في الحوار .. أن لا يدخل الإنسان في أجواء الجدل ، في أية فكرة تثار أمامه .. لئلا يتحول إلى جهد ضائع ، و عبث سخيف .. بل يحاول الداعية أن يتحكم في الموقف ، بإغلاق باب الحوار فيما لا يؤدي إلى نتيجة ، و توجيه الحوار إلى الفكرة التي تنفع العقيدة و تبني الحياة . و هناك جانب كبير الأهمية في حركة الحوار .. التي تحدث عنها القرآن الكريم في إطار ما كان يوجه إلى الأنبياء من سؤال .. و ما كانوا يجابهونه به من جواب .

هو أن الموضوع الذي قد يثيره خصوم العقيدة في مجال الحوار .. ربما يكون قريباً إلى حساسيات المجتمع ، بحيث تولد إثاراته جواً انفعالياً يعطل مهمة الحوار و يمنع من الدخول في جدل حولها ، حولها ، و حول طبيعة الموقف منها .. و ينتهي بالتالي ، إلى أن يجمد حركة الدعوة إلى الحياة ، كنجمة طبيعية للأساليب الغوغائية التي قد يثيرها ذلك

فقد يكون من الخير للدعاة ، أن يواجهوا الموقف بأسلوب ذكي يخلق باب الحوار في الموضوع بلباقة .. بحيث لا يخرج عن الخط الفكري الذي يسير عليه ، و لا يحاول إثارة المشاعر المضادة من جهة أخرى ، و هذا ما نفهمه من الآية الكريمة التي تحدثت عن بعض الجوانب الحساسة التي أراد فرعون أن يثيرها أمام موسى ليعبئ الجو ضده ، بإثارة الإنفعالات العاطفية المضادة .

﴿ قال فما بال القرون أولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا

ينسى ﴾ ٢٠ - ٥١ - ٥٢

قد نفهم من الآية أن فرعون كان يحاول أن يقود موسى إلى الجواب الذي تفرضه طبيعة الانحراف الديني لدى أهل القرون الماضية الذين هم أجداد معاصري فرعون من الناس .. بأنهم كانوا كفاراً .. أو أن مصيرهم النار .. أو غير ذلك من الكلمات التي تثير كرامة أبائهم ، فيثورون ضده ، لاساعته إلى آبائهم .. و ربما كانت المحاولة شيئاً آخر .. يصرف الموضوع إلى غير الجهة الأساسية التي انطلق الحديث منها في قضية الإيمان و الكفر .

و لكن موسى فوت عليه تلك الفرصة ، بإغلاقه باب الحوار فيما أراده من الإثارة ، أو فيما حاوله من الابتعاد عن الموضوع .. فترك الأمر إلى الله سبحانه ، فهو أعلم بهم و بظروفهم و ليس لنا من أمره شيء لنفيض فيه أو نتحدث عنه .

و لحل الدعاة إلى الإسلام يواجهون الكثير من هذا .. عندما يحاول البعض أن



يثير أمامهم بعض القضايا السياسية و الاجتماعية ، أو الشخصية التي تخلق جواً من الإثارة لدى الجمهور الذي يستمع إلى ذلك ، أو يحاول أن يصرف الجو إلى قضايا جانبية قريبة إلى عواطف الناس و مشاعرهم من أجل إبعاد الداعية عن الغرض الأساسي الذي بدأه في حديثه ، و صرف انتباه الناس عنه أو يحاول الإفاضة في تفاصيل مصير الأشخاص الذين يدخلون الجنة ، أو الذين يدخلون النار ، في عمليات إحصائية تفصيلية ، قد تربك الموقف في بعض الحالات ، و قد تعقده في حالات أخرى .

فربما يكون من الحكمة في هذا السبيل ، إبعاد الحوار عن مثل هذه القضايا ، و إرجاع الأمر فيه إلى الله سبحانه ، باعتبار أنه مالك الأمر كله في يوم القيامة .. ثم إثارة جوانب رحمته الواسعة من حيث علاقة ذلك بالنتائج الحاسمة لمستقبل الأشخاص ، مع التركيز على القواعد العامة لقضية الثواب و العقاب ، أو دخول الجنة أو النار ، التي تجعل العقاب في مورده عدالة ، كما تجعل من قضية العفو ، في هذه الحالة ، إحساناً و لطفاً و مغفرة ، على أساس بعض الأعمال ، أو بعض الصفات .. ليكون ذلك كله حافزاً على تصحيح الموقف من جهة ، و على الارتباط بالله من جهة أخرى ، لتلا يتحول الإيمان برحمة الله إلى مبرر للتقصير و دافع للمعصية .

و قد و قد واجه النبي (ص) الحوار في الجواب عن بعض القضايا الشرعية التي كان المسلمون و غيرهم يكثرّون السؤال عنها ، باعتبارها من القضايا التي تتصل بحياتهم اليومية كعادة متأصلة الجذور ، كشرب الخمر و لعب القمار أو من القضايا المقدسة التي بلغت قداستها حداً ، يمنعهم من التجاوز عليها و يدفعهم إلى اعتبار ذلك خطيئة كبيرة ، كالقتال في الأشهر الحرام رجب ، و ذي القعدة و ذي الحجة و محرم " .

و قد كان جواب النبي (ص) على ذلك ، منسجماً مع الخط الإسلامي العريض

الذي يتمثل في اعتبار المعرفة في كل ما يمكن معرفته ، حقاً طبيعياً مقدساً للناس أجمعين .. فإن من لاحق للناس أن يسألوا عن أي شيء في العقيدة أو في التشريع ... و عن كل شيء .. و من واجب الرسالة أن تفتح لهم نوافذ المعرفة عن ذلك كله .. لأن الرسائل جاءت من أجل أن تخرج الناس من الظلمات إلى النور فلا بد لها من أن تنقلهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم و المعرفة .

فقد سألوا عن الخمر و الميسر ، و هما من العادات المتأصلة الجذور في حياة الناس آنذاك .. مما يجعل من تحريمهما .. أو الاتجاه نحوه ، مشكلة اجتماعية صعبة .. و كانوا يعتقدون ، أو يخيل لهم أن التحريم لا يخضع لمصلحة الناس الحياتية .. لأن شرب الخمر يخفف كثيراً من أثقال النفس و همومها ، و يبعد بها عن أحزانها و واقعها السيء .. و ربما يجدون في أنفسهم بعض الحاجة إلى الهروب من الواقع المرير إلى عالم لا أثر فيه للمرارة أو للمشاكل ، تماماً كما هو النوم في حياة الإنسان .. حيث تستريح فيه الأعصاب و يهدأ - معه - الفكر و تتجدد فيه القوى .

و حاول القرآن الكريم - في جوابه عن ذلك - أن لا يتكرر لهذه التصورات ، و لا يتعسف في توجيه الحكم الشرعي إليهم .. فبدأ في إثارة الجوانب السلبية ، بإزاء الجوانب الإيجابية ، ليفكروا فيها بهدوء ، ليتحقق لهم التوازن في تصورهم للأشياء و حكمهم عليها ، لأن ذلك هو السبيل القويم في سلامة المعرفة من الانحراف تحت ضغط المادة ، أو المنفعة ، أو الشهوة .. و ذلك في قوله تعالى :

**﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ٩١-٩٢﴾**

فإنه يضع أمامهم التأثيرات السلبية ، في الحياة الاجتماعية العامة و لخاصة ..

و في الحياة الروحية التي يعيش فيها الناس مع الله في لحظة العبادة و التأمل .. لأن الخمر تذهب بالعقل ، فيتصرف الإنسان - معها - بفعل الغريزة التي تجمع الأحقاد و تفجرها في طريقة لا شعورية ، بينما يساهم القمار في شعور الخاسر بالحدّ تجاه الرابح ، لأنه قد أخذ منه ماله دون مقابل ، هذا من جهة .. و من جهة أخرى يشارك الخمر و القمار من خلال الإدمان عليهما ، في إبعاد الإنسان عن ذكر الله و الصلاة .. و على هذا وجه القرآن الكريم سؤالاً يقصد منه الاستنكار و طلب الكف عن هاتين المادتين .. بقوله تعالى : فهل أنتم منتهون ... كإيحاء خفي بأن العاقل هو الذي يبادر بنفسه - من دون حاجة إلى تعليمات خارجية - إلى ترك ما يفسد عليه أمر حياته و قضية مصيره .

ثم حاول القرآن الكريم أن يوازن بين الإيجابيات و بين السلبيات ، فيحضرهما في وعي الناس في البداية .. ثم يرشدهم إلى الحقيقة الموضوعية و هي زيادة نسبة الجوانب السلبية في ممارستها على الجوانب الإيجابية ، و يترك للعقل الواعي عملية استخلاص النتيجة التي ستكون إلى جهة التحريم لأن العقل لا يقبل للإنسان أن يرتكب الفعل الذي يضره بنسبة كبيرة ، لتحصيل منفعة ليست بذاك المستوى من الأهمية .

أما كيف ذلك ، فإننا قد نجد إلى جانب منفعة الخمر و القمار ، مفاصد لا تمثل المنفعة القليلة - معها - شيئاً ، فهناك المشاكل الصحية و المشاكل الاجتماعية التي قد تحدث ، كنتيجة طبيعية لغياب العقل في بعض الحالات مع بقاء الإنسان جزءاً من الحياة الاجتماعية في تصرفاته و حركاته مما يسبب كثيراً من الجرائم و الانحرافات العامة و الخاصة ، إذ ليس - في المجتمع - محاجر عقلية تحجر على المدمن حريته في حال سكره .. فلا تدعه يمارس قيادة السيارة أو غيرها ، أو يحمل السلاح ، أو يعيش في بيته مع أطفاله ، لتجنب المجتمع من نزوات السكر و انحرافات ، كما تفعله مع الذين يفقدون عقولهم

نهائياً ، في مدة قليلة أو كثيرة .. هذا في الخمر ..

و أما القمار فقد نجد فيه - إلى جانب ما ذكرته الآية السابقة - انحرافاً اجتماعياً خطيراً عندما يتحول الإنسان إلى كسب قوته من طريق القمار تاركاً وراء ظهره ، مما يفقد المجتمع طاقة كبيرة أو صغيرة نافعة ، و يؤدي - بالتالي - إلى تدمير حياة المقامر و حياة أسرته لأنها لا تتركز على أساس متين لاعتمادها على ( الشطارة الذهنية ) للمقامر ، أو على غياب ملاحظه .. و هكذا تنتهي عملية التوازن بين الربح و الخسارة ، إلى انخفاض نسبة الربح بشكل كبير جداً ، بإزاء ارتفاع نسبة الخسارة بشكل مماثل أو أكبر .. ليضع القرآن الناس أمام الحقيقة الكبيرة التي غفلوا عنها ، تماماً ، كما يغفل الذين يتذوقون حلاوة السم .. فينشغلون بلذة الحلاوة عما في السم من خطر مميت على الحياة .. ثم يوحى - من خلال ذلك - إليهم - بأن التشريع - فيما يخطط من تحريم و تحليل ، لا ينطلق من نقطة العبث و الالتاذ بتقييد حرية الآخرين .. بل تبدأ انطلاقته و تنتهي ، في حدود مصلحة الإنسان الخاصة و العامة ، فلا تحريم إلا عندما تكون المفسدة أقوى من المصلحة و لا تحليل إلا عندما تكون القضية ، على العكس .. سواء في ذلك ما اعتاده الناس ، و ما لم يعتادوه ، لأن الحرية في التشريع الإلهي ليست مزاجية تخضع لانفعالات المزاج في حالات اللذة و الألم ، بل هي واقعية أساسية ، تخضع للمصالح و المفسدات الحيوية للإنسان في حركة الحياة ، و قاعدتها الرئيسية .

و على ضوء ذلك لم يزد القرآن الكريم شيئاً على تقرير هذه الحقيقة الواقعية في الخمر و الميسر ، فلم يقل لهم ما يجب عليهم أن يفعلوه ، بل ترك الأمر للإحساس الفكري الصافي ببداية النتيجة التشريعية التي تلتقي بالحكم الإسلامي الحاسم بتحريم الخمر و القمار بشكل أساسي و نهائي .. و ذلك في قوله تعالى:

﴿يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منفع للناس و إثمهما

أكبر من نفعهما .. ٢ / ٢١٩

و قد سألوا عن القتال في الشهر الحرام ، على أثر حادثة بين جماعة من المسلمين و جماعة من المشركين ، اقتتلوا فيها فقتل المسلمون أحد المشركين ، وأسروا اثنين منهم ، فاستغلت قريش ذلك للتشهير بالنبي محمد (ص) .. و عظم الأمر على المسلمين الذين قاموا بهذا العمل ظناً منهم أنهم قد أهلكوا لأنهم رأوا من رسول الله كراهة ذلك ، مع تعنيف بقية المسلمين لهم .. مما أوجب أن تأخذ القضية مجالها في الأخذ و الرد - فيما يبدو - .. فكان سؤالهم النبي (ص) من أجل تحديد الموقف و بيان الأساس الصحيح الذي يشمل أبعاد القضية و أطراف الموضوع .. و كان الجواب القرآني في مستوى المعرفة الذي ينطلق منه الإسلام ، و يدعو له ، و ذلك هو قوله تعالى :

**﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ﴾** ٢ / ٢١٧

فقد يبدو لنا أن الأمر التبس على المؤمنين لمبدأ حرمة الأشهر الحرام ، و أنه يرفض استمرار المنع عن القتال فيها ، في المعركة الدائرة بينه و بين المشركين .. و قد يميل إلى تشريع الرخصة في ذلك .. و لذا لم يعاقب النبي أولئك المسلمين الذين قتلوا المشرك و أسروا صاحبيه .. مما يوحي بأن انكار النبي (ص) ليس في مستوى الإلزام ..

و كان السؤال من أجل ذلك كله .. حتى يعرفوا وجه الحكم الصحيح في الأمر ليجابهوا الحملة المضادة بعلم و إخلاص و قوة .

و كان الجواب حاسماً و قوياً .. فهو يؤكد المنع عن القتال في هذا الشهر و يعتبره صدأً عن سبيل الله ، و عن عبادته و كفراً عملياً به و بالمسجد الحرام .. و لكنه يعقب على ذلك ، بأن ما فعلته قريش ، أكبر من القتال .. فقد

أخرجت أهل المسجد الحرام ، لأنهم قالوا كلمة الإيمان ، وحاولت أن تفتتهم عن الدين .. ثم يضيف ليركز القاعدة التي تعتبر الفتنة عن الدين و الوقوف في طريق تقدمه أكبر من القتل ، لأن القتل عمل فردي لا يترك وراءه إلا تأثيرات فردية في أغلب الأحيان .. و لكن الفتنة عن الدين ، تسيء إلى المجموع ، لأنها تخلف وراءها الدفاع عن الخط المنحرف ( خط الشرك و الإلحاد ) ضد الخط المستقيم ( خط الإيمان و التوحيد ) و مهاجمة اتباع الحق ، بكل وسيلة ممكنة في هذا المجال .. و لهذا .. فإن المسلمين الذين قاموا بهذا الخطأ ، و لو كان ما صدر منهم خطأ ، لا يعتبرون ، ممن انحرفوا عن الخط الصحيح ، لأنهم كانوا يهدفون إلى تهديم العقبة الكبيرة التي تمنع الإسلام عن الحركة و التقدم إلى الأمام .. و بهذا كانت المصلحة فيما فعلوه ، أقوى من المفسدة التي ارتكبوها و هي قيامهم - بالاساءة إلى حرمة هذا الشهر ..

و قد نستوحي من الآية الكريمة ، أنها لم تكن سائرة في اتجاه في اتجاه الاعتراف بخطأ هؤلاء المسلمين فيما قاموا به .. بل يخيّل إلينا - خلافاً لما فهمه المفسرون - أنها كانت تقرر المبرر الشرعي لهذا العمل ، و هو قطع دابر الكفر و الكافرين .. و تؤكد على الاستمرار فيه ، و تقرير شرعيته ، كما تشير إليه آخر الآية الكريمة .

هو لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا و من يردد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فأولئك حبّطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . إن الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله و الله غفور رحيم ﴿٢١٧/٢١٨﴾  
فقد نلاحظ - في الآية - أنها وازنت بين فريق الكفر و بين فريق الإيمان في ممارستهم العملية .. فالأولون يواجهون كلمة الله ، بالتمرد و العدوان ، بينما يواجهها الآخرون بالخضوع و الهجرة إليه و الجهاد في سبيله .. مما يوحي

بأنها في مجال تكريم هؤلاء فيما عملوه ، و ارتفاع المنع عنه ، و توبيخ لأولئك فيما قاموا به من انحرافات و جرائم .. و ليس في التعبير بكلمة أكبر من القتل دليل على المساواة في بعض نتائج المسؤولية ، و زيادة حصة الكافرين في ذلك .. بل هي جارية على أسلوب المحاكاة لكلامهم في تحميل المسؤولية ، في الانحراف عن حرمة الشهر للنبي و للمسلمين .. و ليس في كلمة " يرجون رحمة الله " ما يدل على الاعتراف باخفاً .. لأن رجاء رحمة الله ، لا يتمثل في حالة الخطأ فقط ، بل يتمثل - في بعض الحالات - بانتظار الطافه و نعمه و ثوابه .. فإننا ننتظر رحمة الله - بعد المعصية - كما ننتظرها - بعد الطاعة - برفع درجاتنا و لعل في التركيز على وصفهم بالإيمان و الهجرة إلى الله و الجهاد في سبيله ما يؤكد الفكرة التي نستوحىها من الآية ، أو نتخيلها من أجوائها العامة .. و الله العالم . و لعل قيمة هذا الجواب .. أنه استجاب لتساؤلات المؤمنين .. حتى التي يلوح منها أسلوب الإنكار .. و واجه بهدوء الرسالة و واقعيتها و إيمانها بالمعرفة الممتدة في جميع جوانب التشريع ، التي تجعل من المؤمنين ، دعاة يفهمون ما يقال لهم و ما يقولون فيما يسمعون من كلام ، و فيما يبشرون به من تعاليم و مبادئ .. و ليسوا دعاة ببغائين ، يتلقون التعليمات دون فهم و ينقلونها دون وعي .

و الآن .. قد نستطيع الخروج ببعض المعطيات العملية لهذا الأسلوب في حركة الدعوة الإسلامية في الحياة .

• اعتبار المواجهة الإيجابية ، للأسئلة التي تثار من أي فريق كان ، و في أي مجال كان ، حقاً طبيعياً من حقوق الناس على الداعية الذي يضع نفسه في مركز المسؤولية الرسالية لديهم .. فليس له أن يتذمر أو يتهرب ، أو يشكو من كثرتها أو تعقيدها .. لأنه لا يتحرك في المجتمع ، كشخص يخضع لمزاجه و نزوته ، ليتصرف - مع الناس - من هذه الزاوية ، بل تتمثل

• حركته من حيث الصفة الرسالية التي أرادها لنفسه ، حيث تفرض عليه أن يخضع طبعه و مزاجه لحاجات الرسالة و متطلباتها . و قد واجه العمل الديني ، في عصور الإتحطاط المتخلفة ، و لا يزال كثيراً من سلايات بعض علماء الدين الذين اعتبروا المهمة الأساسية لهم ، هي ، القيام بالشؤون الدينية المتعلقة بالأحوال الشخصية للناس من زواج و طلاق و مشاكل تتبع لهما ، و رعاية لحاجاتهم ، في حالات الموت من صلاة و غيرها .. ثم المواجهة للأسئلة باقتضاب .. فلا يتسع صدورهم للإقاضة فيها، لا سيما إذا كانت علامات الاستفهام تتركز على فلسفة التشريع و فوائده ، و منطلقاته و أسرارہ .. و لا يملكون إلا دفاعاً واحداً عن ذلك .. و هو أن على الناس أن تتقبل أحكام الله دون اعتراض .. و دون فهم لما وراء الحكم من حيثيات .. انسجاماً مع قوله تعالى :

﴿هو ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ٣٦/٣٣ و قوله تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً﴾ ٤٤ / ٦٥

و لكنهم يغفلون عن أجواء الآية و توجيهاتها .. فهي تتوجه إلى المؤمنين بالخضوع و التسليم لأمر الله و نهيه ، و التقبل لأحكامه حتى إذا كانت مخالفة لرغباتهم و مزاجهم الالذاتي ، أو مصالحهم لخاصة . و ليس فيها ، أية إشارة من قريب أو من بعيد ، إلى موضوع السؤال عن معنى الحكم و فلسفته و فائدته .. فضلاً عن أن تمنع عنه .. بل ربما تجد في الأسلوب القرآني المتنوع اتجاهاً إلى الإيحاء بضرورة التوفر على ذلك من أجل أن تقود الناس إلى القناعة الوجدانية بارتكاز التشريع الإسلامي على قواعد متينة ، من مصلحة الإنسان الأساسية في الحياة ، أو تدفع بهم إلى التعمق في ذلك كله ليحصلوا



على الرؤية الواضحة التي تتيح لها مجال المقارنة بين الإسلام و بين الديانات و المبادئ الأخرى .. مما لا يتحقق إلا بالاحاطة بأسرار التشريع و منافع . و قد لاحظنا هذا الاتجاه ، و هذا الإحياء في كثير من الآيات القرآنية الكريمة التي عرضت لبعض الأحكام الشرعية ... كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمَشْرِكِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَٰئِمَةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ تَكْفُرُوا الْمَشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢/ ٢٢١ .. فإننا نلاحظ أن ختم الآية ببيان الأساس التشريعي لهذا الحكم ، و هو التباين في النظرة بين المؤمنين و بين المشركين مما يوجب التباين في السلوك و في الهدف ، فينعكس على الحياة الزوجية ، التي يجب أن تخضع للمودة و الرحمة ، القائمة على وحدة التصور ، و وحدة الشعور و الهدف .. فالمؤمنون يسرون في اتجاه دعوة الله إلى الجنة التي تقتضي نمطاً في السلوك و التفكير يختلف مع النمط في السلوك و التفكير الذي تقتضيه دعوة المشركين إلى النار .. فكيف يمكن أن يتحقق الإخلاص للحياة الزوجية مع الالتزامات الروحية و الفكرية و الحياتية التي تفرضها العقيدة . و قد يجدر بنا أن نفهم من الآية الكريمة ، أنها تجعل النهي عن الزواج - هنا - على أساس التعسف ، كما ربما يتوهمه بعض الناس ، حيث جعل الحكم ثابتاً حتى و لو كان على خلاف رغبة الناس و إعجابهم .. بل حاولت أن تقود الإنسان إلى الموازنة بين الرغبة العاطفية ، و بين المصلحة الواقعية للعقيدة و الحياة .. لينتهي بالنتيجة ، إلى الاقتناع بأن الرغبة لا تمثل شيئاً كبيراً ، بإزاء قضية المصير للإنسان في الدنيا و الآخرة .. ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ ٤/ ٣٣ .. فإننا نلاحظ أنه لم يكتف بإعطاء حكم القوامة للرجال ، بل أتبعها بالحيثيات التشريعية في

جهتين :

الأولى .. تفضيل الله بعضهم على بعض ، من كثير من النواحي الجسدية و العقلية .

الثانية : حمل الرجل مسؤولية الإنفاق على البيت الزوجي .. ﴿و لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة و ساء سبيلاً﴾ ٣٢ / ١٧

و في هذه الآية تبرير لحرمة الزنا ، بالعناصر الثلاثة التي ذكرها بعد التحريم .. ليجري الإنسان على التشريع من خلال لراكه للمفسد و المضار التي تترتب على الزنا ، من الوجهة الاجتماعية و الروحية . ﴿قل للمؤمنين بغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ ٢٤ / ٣٠

قد اعتبر الأمر بغض البصر و حفظ الفرج ، مرتكزاً على أساس الطهارة الروحية و الجسدية للإنسان ، كما توحيه كلمة ذلك أزكى لكم ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين ينين عليهن من جلابيبهن ذلك أنسى أن يعرفن فلا يؤنين و كان الله غفوراً رحيماً﴾ ٥٩ / ٣٣ و في هذه الآية إرشاد إلى أن هذا الأمر باتخاذ الزي المعين لعيال النبي و لنساء المؤمنين ، خاضع للرغبة في إبعادهن عن الأذى الذي قد تتعرض له النساء من قبل كثير من الفسقة ، كنتيجة لعدم معرفتهم بمركزهن و صفتهم .. فقد ذكر الحكم ، و ذكر وجه الفائدة أو الحكمة فيه ، لتسعر النساء بأن الحكم يعيش في نطاق المحافظة على كرامتهن و راحتهم .. و قد رأينا فيما تقدم من الحديث عن الخمر و الميسر ، بعض التأكيد على هذه النقطة المهمة في أسلوب الدعوة في الإسلام . إننا نضع كل هذه الآيات و غيرها أمام هؤلاء الذين لا يريدون الخوض في هذا الموضوع ، على أساس أن أحكام الله لا تخضع لفهم الناس " و إن دين الله لا يصاب بالعقول " .. كما ورد في الحديث الشريف عن أئمة أهل البيت - لنشير

إلى أن ذلك لا يمنعنا من محاولة السعي للفهم من جهة ، و من الاقتراب من معرفة الفوائد و النتائج ، إذا لم نفهم الحيثية الواقعية للتشريع ، من جهة أخرى لتصب علامات الاستفهام ، في المعرفة التي تزيد الإنسان ثقة بشريعته ، بدلاً من أن تبقى ، نذير قلق ، و مبعث حيرة تتردد في الأعماق لتتهاها - في بعض الحالات - بعوامل الانحراف و عواصفه . و قد نستطيع ارجاع الكثير من أسباب التخلف الفكري الذي يعاني منه المسلمون ، في وعيهم للإسلام ، إلى هذا الأسلوب الجامد الذي يسير عليه هؤلاء الممثلون الرسميون للدين .. عندما يغلقون على الإنسان المسلم باب المعرفة الدينية من أوسع مجال .. و مما يزيد الموضوع كآبة و غرابة .. أن بعض هؤلاء يفرضون الإيمان الذي يتصف به المؤمن ، قوة فكرية إلهامية تمنحه القدرة على إزالة كل الشبهات و حل كل المعضلات ، و مواجهة كل التحديات التي توجه للعقيدة و الإيمان .. و لذا فإنهم لا يسمحون للإنسان أن يتحدث عن نوازع شكه و عواطفه ، و لا يعطونه الحرية على أن يناقش الفكر و العقيدة و التعليمات بحجة أن المؤمن لا ينبغي له أن يسأل عن هذا أو ذاك .. لأن هذه الاسئلة ' هرطقة ' و ' كفر ' و " زندقة " مما يوحي للمؤمن بالهرب من السؤال ، ليبقى متردداً في أعماقه حيث يجره إلى مزيد من الحيرة و الارتباك و التعقيد ، أو إلى مزيد من الشك أو الكفر و الإلحاد . إن رجلاً جاء إلى النبي فقال له : لقد هلك يا رسول الله ، فعرف النبي مشكلته فقال له جاءك الخبيث فقال لك من خلقك فقلت له الله فقال من خلق الله .. قال الرجل أي و الله يا رسول الله .. فقد عاش الإنسان الحيرة المدمرة من خلال هذا الخاطر ، حتى لقد خيل إليه أنه هلك و انتهى من ناحية إيمانية .. و كان الموقف النبوي منسجماً مع خط الرسالة التي تعمل على تبديد الشك و إزالة الحيرة و معالجة الحالة المعقدة .. حتى قاله في نهاية المطاف - و هو يحدثه عن هذه المشاعر الخائفة - إن هذا محض الإيمان .. ليحـول

الموقف من السلبية إلى الإيجابية ، و من الخوف و الحيرة إلى الأمن و الطمأنينة ..

الاتجاه بالأسلوب التربوي إلى المجالات العملية ، فيما يريد النفس أن يحصلوا عليه من علم ، و فيما يريدون أن يثيروه من سؤال .. على أساس التوعية الفكرية ، باعتبار أن القضايا النظرية المحضة من القضايا التي لا فائدة منها للحياة بشكل مباشر أو غير مباشر ، و هكذا في الأمور الكثيرة التي تدخل في باب الفضول الذي لا جدوى منه و لا منفعة ، مما يجعل صرف الجهد فيه ، تضییعاً للعمر و إهداراً للطاقة .. لأن قيمة الفكر ، إنما هي ، بمقدار ما يحقق من نتائج عملية تفيد الإنسان في حياته و بعد مماته ، أو من نتائج نظرية تتعلق بالنتائج العملية .. إن مثل هذا الاتجاه التربوي الذي نستوحيه من الآيات الكريمة التي صرقت الاسئلة عما لا ينفع إلى ما ينفع للتدليل على مدى العلاقة بين المعرفة و بين الحياة .. حتى لتعتبر المعرفة البعيدة عن الحياة شيئاً ميتاً ، كما هي الحياة عندما تموت .. إن مثل هذا الإتجاه في التربية ، يستطيع أن يقود الحياة الإسلامية إلى الاهتمام بالجوانب العملية حتى في الفكر ، و يخلصها مما خلفته عصور الإنحطاط في وعيها وأسلوبها ، من التركيز على الجوانب النظرية .. حتى وصلت أوضاعها إلى المدى الذي لم تجد لديها فيه ما يملأ فراغها سوى المشاكل اللفظية ، و التفسيرات المختلفة لها من قبل الآخرين فناً قائماً بذاته ، و علامة على الدقة و العمق .. و انتهى الأمر إلى أن يقول قائل ، إن تسهيل التعبير عن الأفكار باللجوء إلى الأساليب الواضحة السهلة ، يسيء إلى كرامة العلم و يقلل من قيمته .. و تطور البحث العلمي في القضايا الفقهية ، إلى السير في متاهات الفروض المستحيلة أو الصعبة التحقق و محاولة بحثها و التدقيق في الاحتمالات الكثيرة المطروحة في الموضوع .. و يعتذرون عن ذلك بأن فرض المحال ليس بمحال و أن ذلك يساعد على " تشريح الذهن " و تعميقه و توسيعه

.. و لكنهم لا يلتفتون إلى أنهم يضيعون على أنفسهم و على الناس فرصة البحث في القضايا العملية التي يبتلى بها أكثر الناس ، و يغفلون - في الوقت نفسه - عن الصفة العملية للفقہ الإسلامي التي تفرض الاقتراب من الواقع العملي . و من الفروض القريبة الوقوع .. لأن ذلك هو السبيل إلى حل المشاكل الحياتية للناس .. أما تشريح الذهن و تعميقه و توسيعه ، فيمكن أن يحصل الإنسان عليه من خلال العلوم الرياضية و الفلسفية و غيرها ..

• توجيه الناس إلى الثقافة الشرعية العملية المتعلقة بفروع الدين ، من قضايا العبادات و المعاملات و غيرها .. حتى يستطيع الإنسان المسلم أن يطمئن إلى حياته الخاصة و انسجامها مع الخط الإسلامي الصحيح .. و يبقى - في نطاق ذلك - للإسلام دوره العملي في حياة الناس الفردية ، حيث يشعر الإنسان بحركته و حضوره في حياته ، و إن غاب عن حياة المجتمع ككل ..

• الأول : التعليم المباشر الذي يتمثل في الحلقات و الندوات و المدارس العامة و الخاصة ، و الدعوة إلى التفقه بحضورها .

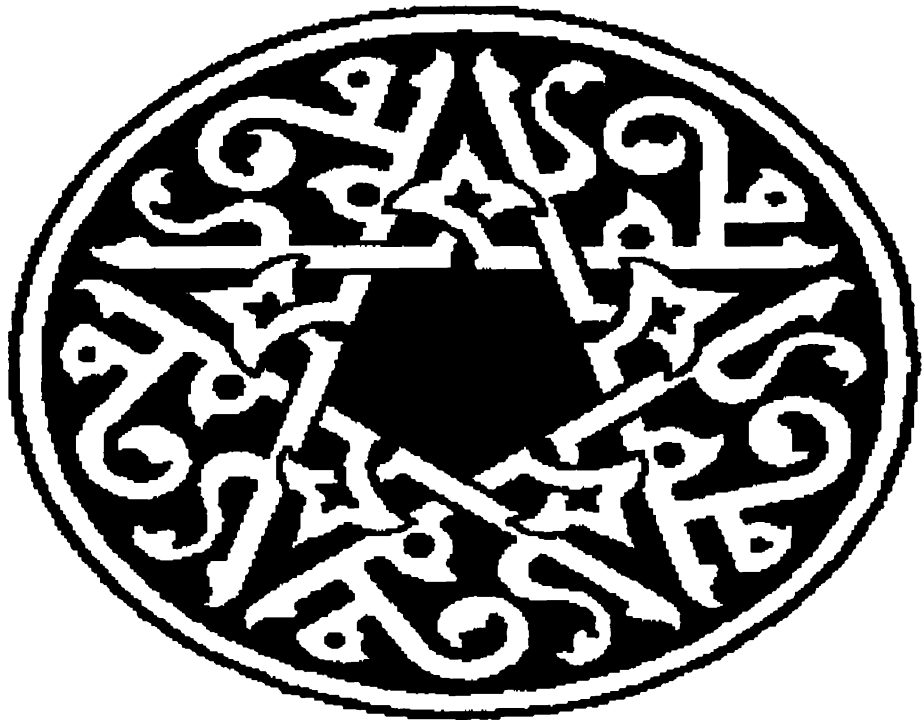
• الثاني : التشجيع على إثارة السؤال عن الحكم الشرعي في كل قضية من قضايا الحياة حتى يصبح الحكم الشرعي شغله الشاغل في الجزئيات و في الكليات ..

و قد تجسد هذا كله في القرآن الكريم في آياته التي عرض فيها للقضايا الجزئية و الكلية للأحكام ، سؤالاً و جواباً ، و تعليماً ابتدائياً مباشراً كما رأينا فيما تقدم من حديث ، في أساليب القرآن الحكيمة نحو ترغيب الناس للإنسجام مع الحكم الشرعي بتحصيل القناعة لهم بفوائدها و منافعها . و إننا - إذ نشير إلى هذه النقطة - نحاول أن نتخلص من الاتجاه الشائع لدى العاملين للإسلام و غيرهم ، من فقدان الاهتمام بتعليم الأحكام الشرعية و اعتباره أسلوباً تقليدياً لا يصلح إلا للتقليديين .. و توجيه الأهمية ، إلى المبادئ العامة للإسلام ، و

المفاهيم الاجتماعية و السياسية و غيرها .. مما يجعل أكثر العاملين للإسلام أميين أو شبه أميين في معرفة الأحكام العملية المباشرة ، بعيداً عن الخطوط العامة .

إننا نشعر بخطورة هذا الاتجاه ، لأنه سيفرغ الساحة من المؤمنين الملتزمين بالخط العملي للإسلام في قضاياهم الجزئية الصغيرة .. من دون أن يوجد البديل الذي يجمع بين الالتزام الفكري بالخط الإسلامي الكبير للحياة ، و بين التطبيق العملي للمبادئ العامة في الحياة الفردية أو الاجتماعية ..

إن حاجتنا إلى الفكر الإسلامي في أصالته و نقائه و إنفتاحه لا تقل عن الحاجة إلى العمل الشرعي المتحرك في داخل الحياة و الضمير ، لأن الفكر يعطينا الامتداد الإسلامي في حركة الفكر بينما يحقق لنا العمل الشرعي الامتداد الحركي للإسلام في مسيرة الحياة .. فلكل منهما دوره و لكل منهما مجاله و فائدته .. و مهما ضعف أحدهما ، فإن وجود الآخر يعطيه قوة جديدة و شمولاً عظيماً ..



## الأمانة العلمية و الفكر الآخر

✽ ربما تدعو الحاجة إلى عرض الأفكار المضادة للإسلام أمام الناس من قبل الداعية ، و ذلك في الحالة التي تفرض الدخول في عملية مقارنة بين الأفكار المختلفة ، لتتركز الدعوة الإسلامية بين خط إيجابي يقدم المفاهيم الأساسية للإسلام في عرض مفصل دقيق ، يوضح الصورة و يصبق الفكرة ، و يفتح المجال لولادة القنوات الجديدة و بين خط سلبي يبين فيه الأسس التي ترتكز عليها العقيدة المضادة ، و يدخل في موازنة و مقارنة بين العقيدتين ، تنتهي بالنتيجة إلى الفضلية الإسلام ، كعقيدة سماوية ، على العقيدة الأخرى .. أما القضية التي نريد إثارتها في هذا المجال .. فهي الطريقة التي تعرض فيها الأفكار المضادة ..

فهل يكون من الضروري أن نحافظ على الموضوعية و الحياد في ذلك ، فننتحدث عنها كما لو كنا خارج حلبة الصراع العقيدي تملأ ، كما نتحدث عن أية قضية أخرى لا ندخل لها بالصراع فنندقق في كل مقدرات الفكرة و تفصيلاتها لنتناولها بكل أمانة و وضوح و هدوء ؟..

أو نكتفي بالعرض البسيط الذي يعطي الآخرين لمحة عنها ، و لو بشكل خاطف لأننا غير مسؤولين عن الدفاع عنها من وجهة نظرها ، أو ابداء الجوانب الإيجابية التي تترك في النفس انطباعاً جيداً عنها .. لأننا لسنا دعاة لها لنفعل ذلك ، بل ربما يكون من واجبننا الديني أن لا نفعل ذلك كله لئلا نخدع البسطاء من المؤمنين في ذلك فيخيل إليهم أن وجود جانب من الحق في عقيدة الآخرين ، يوحي أو يثبت أنهم على الحق و لهذا نجد العامة من

الناس لا يوافقون في قضايا العقيدة أو الحقيقة على مواجهة التفاصيل بحكم مختلف ، بل يطلقون موقفهم على أساس الرفض المطلق أو التأييد المطلق .. فلا مجال في موقف الرفض لأي كلمة تأييد ولا موقع في موقف التأييد لأي كلمة نقد ؟!..

○ نحن نلتقي ، في رأينا في الموضوع ، بالخط الموضوعي الذي يحافظ على عرض الفكرة بأمانة و إخلاص انطلاقاً من مبدئين اسلاميين ، هما مبدأ العدل ، و مبدأ القوة ...

أما مبدأ العدل ، فانتنا نعرف تأكيد الإسلام على هذا المبدأ في كل شيء سواء في ذلك الحكم و الشهادة و الكلمة و العلاقات الزوجية و المالية و الاجتماعية و غير ذلك ، في حالة الرضاء و الغضب مع الاولياء و الاعداء لأن قوام الحياة على أساس العدالة ، فلا بد من شموله لكل شيء لتتركز الحياة ، كل الحياة ، على أساس قوي و ثابت و نحن نعرف أن من العدالة أن تعرض فكرة خصمك و وجهة نظره كما هي ، فتعطيها حقها من الجوانب المشرقة و الجوانب المظلمة ، و بهذا يلتقي العدل مع الصدق ، لأنك لو انحرقت فنكرت ما ليس موجوداً فيها ، أو نسبته إليه ما لا يقر به ، لكنك كاذباً في حديثك ، أو خاضعاً لعملية الإيحاء بالكذب ، و قد تحدث القرآن في بعض آيات العدل عن العدل في اطار علاقات العداوة و الصداقة في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ١٥٣/٦

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالْأَمْرُ إِلَيْهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ١٣٦/٤

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَايُنَا قَوْمَ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ٨/٥



فإننا نلاحظ في الآيتين الأولى ، التأكيد على العدل في القول و الشهادة حتى ضد القريب و الاصدقاء فلا يسمح الانسان لعلاقة القريب أن تتحرف به عن كلمة العدل و الشهادة . و في الآية الثالثة : التأكيد على مبدأ العدل - بشكل عام - في جميع الاشياء . مع الاعداء مع التركيز على أن العدالة بهذا الشكل الشامل أقرب للتقوى .

و قد ورد في دعاء الإمام زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية ، الابتهاال إلى الله سبحانه و تعالى في أن يرزق الانسان الروح المتوازنة ، التي لا تتحرف مع الأهواء الموافقة و المخالفة مهما كانت الظروف ، للإيحاء بأن هذا الطلب يعتبر من المطالب الحيوية التي يقدمها الانسان إلى ربه ، كما يقدم أي شيء آخر يرتبط بحياته :

" اللهم ارزقني التحفظ من الخطايا و الاحتراس من الزلل في حال الرضا و الغضب حتى أكون بما يرد علي منها بمنزلة سواء ، عملا بطاعتك مؤثراً لرضائك على ما سواهما في الأولياء و الاعداء حتى يأمن عدوي من ظلمي و جورى و ييأس ولى من مبلى و انحطاط هواي " ...

و قد نجد في الفقرة الأخيرة إيحاء بأن ذلك ليس مجرد عمل يقوم به كحالة طارئة بل هو جزء من تركيب الشخصية الإسلامية ، التي ينطلق معها الإنسان في مناعة نفسية لا تطمع فيه الصديق في جانب الانحراف ، لمصلحة الصداقة و لا تمنع العدو من أن يأمن من ظلمه و جوره بعيداً عن أي اعتبار لوجود العداوة بينهما ...

و على هذا الأساس ، فإن القضية العامة تشمل الفكرة المطروحة لأنها مظهر عملي لهذا المبدأ الاسلامي الشامل لأن الإنسان قد يتطلب العدالة في الحكم على عقيدته أكثر مما يتطلبها في الحكم على أي شيء آخر من شؤون ذاته و حياته .. لأن للعقيدة امتداداً و عمقاً في شؤون المصير أكثر من القضايا

الأخرى ..

و قد يكون من أقرب الشواهد على ذلك ما نلاحظه في الشكوى التي تطلقها بعض المذاهب الاسلامية من اتباع المذاهب الأخرى ، لانها تتسبب إليها ما لا تعتقده و لا تقول به من عقائد و مفاهيم و احكام ، استناداً إلى اقوال خصومها ، أو إلى بعض الكلمات التي قد تعني شيئاً لا يقصده قائلها أو إلى غير ذلك من الأمور التي تشارك في اعطاء العقيدة صورة ليست لها و لوناً غريباً عنها ... و لا يقتصر ذلك على الإطار لاديني في العقيدة ، فان هناك التيارات الفكرية للسياسية التي تتصارع فيما بينها في حرب الاعلام ، حيث يبادر كل الأطراف إلى اعطاء الصورة عن الآخر بما لا يتفق مع الحقيقة و لا يتسجم مع الواقع ، لتسويه الفكرة في انظار الناس ، فيكون سبباً في ابتعادهم عنها و انتقالهم إلى الآخر عندما لا يكون هناك خيار ثالث خارج عن الخيارين .

أما مبدأ القوة ، فان الاسلام قد اعتبره نقطة ارتكاز في واقع الدين ، و في حركة المسلمين في أنفسهم و في مواجهة أعدائهم ، و في مجابهة الحياة ، و على هذا جاء الحديث أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف و جاءت الآيات القرآنية التي توحى باعتبار القوة قيمة كبيرة ، في المستوى الاعلى للقيم في الاسلام ، و تحدثت بعض النصوص على أن من مظاهر الضعف ، هو الظلم ... لأنه يعبر عن حالة الخوف من المظلوم و ان القوي لا يخاف أحد لذا فلا يظلم لأنه لا يخشى من حرية الآخرين و قواتهم ...

و بهذا ندخل إلى قضيتنا بالذات فان الإنسان الذي يجد نفسه قوياً في الدفاع عن عقيدته في مركز القوة الذاتية التي تملك كل عناصر القوة ، لا يخاف من قوة العقائد الأخرى ، و لا من الجوانب الايجابية الموجودة فيها ، و لا من مظاهر الخير التي تنف في قلب التواجهة من مفاهيمها و مبادئها و شعاراتها ... أما الذي يخاف من كل مظهر ايجابي لعقائد الآخرين ، فانه لا يعيش الثقة بنفسه

و بعقيدته في قدرته على الدفاع عنها ، و في قدرتها على الصمود و الثبات ..  
و إلا فأي معنى للخوف ... هل هو الخوف على البسطاء أن يضلوا و يخدعوا؟  
.. و لكن ما هو دوره كعامل في سبيل الاسلام في تقويم أسباب المناعة الذاتية  
لاتباع العقيدة من الخداع و الضلال ...

ثم أن القضية لا تخلو من عنصر ايجابي قوي لمصلحة العقيدة ، فيما إذا وقف  
الانسان ليعرض فكرة خصمه بكل أمانة و دقة و اخلاص ، جامعاً بين  
إيجابياتها و سلبياتها .. ثم يتبع ذلك بعرض فكرته بنفس المستوى من الامانة و  
الدقة و الاخلاص .. فان ذلك يزيد المؤمن ثقة بإيمانه كما يخفف من ثقة  
الخصم بنفسه و يوحى له بقوة موقف الإيمان في مواجهته .

و لعل ذلك هو السبب في موقف القرآن من عقيدة خصومه ، و تقدم له ، و  
للرسول و لبعض الاحكام الشرعية فقد نقلها بكل تفاصيلها بكل دقة و أمانة ،  
فقد تحدث عن المشككين و عن الملحدين و عن المنكرين للبعث و اليوم الآخر  
.. و عن القرآن من حيث التشكيك بمضمونه و محتواه و من حيث التشكيك  
بمصدره و انه من غير الله ... و عن النبي ، من حيث اثارة الشك حول صفة  
الرسالة فيه بتفريق التهم ضده ، بالسحر و الكذب و لاشعر و الجنون ... و  
بالتشريع من حيث اثارة علامات الاستفهام حوله ... و بذلك يعتبر القرآن وثيقة  
امينة لتاريخ الدعوة و الرسالة و الرسول ، في كل ما أثير حوله و حولها من  
شكوك و اتهامات .. مما يوحى بثقة الرسالة بنفسها ، و ثقة الرسول بنفسه و  
بطلان كل ذلك ، و قدرته على اثبات البطلان بكل الاساليب القوية الهادئة ...  
و قد تساعد هذا الشعور إلى المستوى الذي طرح القضية من الأساس ليجعل  
الاتجاهين في مستوى واحد ، من حيث التشكيك ، و الشك الذي يبحث عن  
اليقين في قوله تعالى :

﴿هو إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾

و لكن هل معنى " الموضوعية " أن تعرض الفكرة بشكل محايد لا أثر فيه للموقف الذي تتبناه .. و بكلمة أوضح : هل معنى ذلك ، هو طرح الفكرة المضادة إلى جانب الفكرة الموافقة ، كفكرتين يتنازعان قناعة القارئ أو السامع من دون أن يكون لطبيعة العرض و أسلوبه أي أثر في ترجيح القناعة لمصلحة إحدى الفكرتين .. ليكون دور الداعية ، بمثابة دور الباحث الذي يقدم الأفكار دون تعليق أو ترجيح ليتولى الآخرون مسؤولية اتخاذ الموقف الذي يناسبهم ..

إن الجواب على هذا السؤال بالرفض " للموضوعية " بهذا المعنى لأن الداعية ليس مجرد باحث في علم الأديان أو تاريخ الأديان ، كأي عالم أو مؤرخ يعرض النظريات و الأحداث كما هي ، دون أن يكون له مصلحة في دائرة اختصاصه ، في ترجيح بعضها على بعض .. بل هو داعية و رسول أو بالاحرى صاحب رسالة ، يتعامل مع كل شيء من خلال رسالته .. و يتحرك في كل طريق لمصلحتها .. و على هذا الأساس تحدد معنى " الموضوعية " بالعرض الأمين الذي لا يغفل إيجابيات الفكرة ... و لا ينصب إليها سلبيات غير موجودة فيها ... و لكن لا مانع من أن يطرحها ، مع التعليقات القصيرة أثناء العرض لتوجيه السامع إلى نقطة الضعف ... ليدخل إلى الفكرة في هذا الجو المشبع بالإيحاء ليكون ذلك أقرب إلى الوصول إلى قناعته كما نلاحظ في قوله تعالى :

هو ضرب لنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم توقدون أو ليس الذي خلق السموات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى : و هو الخالق العظيم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿ ٣٦/٨٣ ﴾

في عرض الفكرة و نقدها من خلال الاسس التي ارتكز عليها الإيمان بالمعاد .  
في هذا الخط الموضوعي ، الرسالي ، يمكننا أن نسير في اسلوبنا العملي في  
الدعوة إلى الله و إلى دينه القويم ( الاسلام ) فنخلص في عرض الأفكار افكار  
الآخرين بكل أمانة و دقة ... و لكن مع اعطاء العرض الجو الذي يفتح عيون  
الناس و أفكارهم على ما في الفكرة المضادة من ضعف ، و ما في الفكرة  
الرسالية من قوة و عطاء ...

و لا بد لنا في سبيل الوصول إلى ذلك ، من التوفر على دراسة الافكار  
المضادة بكل دقاتها و تفاصيلها مع التعرف على افضل الاساليب في استخدام  
هذه المعرفة و التكم في السليبيات و الايجابيات من أجل الوصول بحركة الدعوة  
إلى الهدف الافضل ..

أما قضية الخوف من من ضلال العامة ، الذين يعتبرون الاقرار للخصم ببعض  
الايجابيات اقراراً له بالجميع فهذا ما يجب ان نتحفظ فيه و نتجاوزه ، لأن دور  
ارسالة أن لا تستسلم الذهنية السطحية الساذجة فتجعل من أساليبها امتداداً  
لاساليبها ، أو تترك بعض مواقفها حذراً من انفعالاتها بل ربما كان من  
مسؤولية الرسالة أن تخلق للمجتمع ذهنية جديدة تعي الواقع من خلال العمق لا  
من خلال السطح ، و تضع في حساباتها الفكرية و العملية الحقيقة التالية ، و  
هي أنه ليس هناك فيما نعيش من أوضاع و فيما نؤمن به من مبادئ ، و فيما  
نقوم به من اعمال و شر لا خير فيه أو خير لا شر فيه لأن الالتزام بشيء و  
الالتزام به لا ينطلق من الخير المحض الثابت في الاشياء بل من الخير الذي  
يتغلب على الشر و يرجح عليه ، كما ان رفض شيء و تحريمه لا يرجع  
إلى الشر و رجحانه على جانب الخير و لهذا نجد التشريع الاسلامي في الخمر  
و الميسر يتجه إلى تفسير الحرمة بغلبة الإثم على النفع مع اقرار وجود المنفعة  
فيه و ذلك في قوله تعالى :

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما  
أكبر من نفعهما ٢١٩/٢٤﴾

ليكون ذلك قاعدة عامة في التحريم والتحليل والرفض والتأييد وفي النظر إلى طبائع الأشياء من حيث هي خير أو شر ... وهذا هو ما يجب أن نتجه إليه التربية الإسلامية في صنع الشخصية الإسلامية على أساس المفاهيم الحقيقية للإسلام ... وبذلك نتخلص من الوقوع تحت ضغط العقليات المنحرفة للعامة من الناس في جانب العقيدة ، أو في جانب التشريع .. حيث نلاحظ أن بعض العاملين للإسلام من فقهاء وعاظ وموجهين يخفون كثيراً من اجتهاداتهم وآراءهم ونظراتهم للواقع خوفاً من العامة الذين لا يوافقون عليها لاختلافها مع ما ألفوه من فتوى ، وما اعتادوه من عمل ، وما قد قسوه من عقيدة أو واقع ... الأمر الذي أدى إلى بقاء الاتحراف وامتداده ، أو اختفاء بعض الفتاوى التي لو انطلقت لوفرت على المؤمنين كثيراً من الجهد والارتباك في علاقاتهم ومعاملاتهم لا سيما الأحكام التي تتعلق بغير المسلمين من أحكام الطهارة والزكاة وغيره .. فنحن نعلم أن بعض المجتهدين يرون بعض الآراء المتسامحة في هذا الجانب أو ذاك ، ولكنهم إذا جاؤا إلى مقام الفتوى اجتمعوا وتحفظوا وقيدوا العملية بين التحليل والتحريم في الرأي فإذا فتشت عن السبب في ذلك وجدت الخوف من العامة مبررها الشرعي الذي يحكم الموقف كله ، لأنهم يخافون من أن تزول الثقة بهم أو يثور التشويش عليهم من خصومهم في مجالات الصراع على الزعامة لو غيرها .. ولا يزال الواقع الإسلامي يعاني الكثير الكثير من هذا الأسلوب ، على الصعيد العملي في الممارسات الفردية ، فيما يتعلق بالأفراد أو في الممارسات الجماعية فيما يتصل بالجماعات ... ولا يزال الكثير من الأوضاع الشاذة والأساليب المنحرفة التي يقوم بها المسلمون في التعبير عن حبهم لله كالأساليب الصوفية في بعض

مظاهرها أو غير ذلك مما يشوه الصورة الحقيقية للمجامع الاسلامية و للمعاني الكبيرة التي يراد التعبير عنها بهذه الاساليب ... فلا نجد إلا الاصوات الخافتة غير الفاعلة تستكرر ذلك ، أما الاصوات الفاعلة المؤثرة فانها تغلف الكلمة بألف غلاف و غلاف ، حذراً من أن تمس ما لا يمس أو تعترض على ما لا يقبل الآخرون و توجيه الاعتراض إليه ... و لا مانع من أن يبقى الجهل و نتفاعل في النفوس فيضرب بأصل العقيدة في نهاية المطاف لينسف الاساس من خلال نفس الصورة المشوهة التي يربطها هذا الواقع المرير ، بالاساس ظلماً و عدواناً .

الحلم غطاء ساتر ، و العقل حسام قاطع ، فاستر خلل  
خلاقك بحلمك ، و قاتل هواك بعقلك .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



# الوحدة الإسلامية الإشكالية و المنهج



## مرجعية البيت الإسلامي

✽ إذا حاولنا إعادة ترتيب أوراق البيت الإسلامي التي ستحظى بإهتمامكم  
بماذا سنخرج ؟

○ مشكلة البيت الإسلامي أنه يفقد المرجعية الفكرية التي تلاحق الواقع في جميع تطلعاته ، ليدرسها و ليجمع مفرداتها و ليعمل على إيجاد لقاء فكري بين مختلف أفراد العائلة الإسلامية ، لنقوم كل جهة أفكارها و تصوراتها و مشاكلها و قضاياها ... و ذلك مقارنة بالقضايا التي تقدمها الجهة الأخرى ، ليخرج الجميع من خلال هذا الحوار الإسلامي المتميز بدراسة الخصوصيات العميقة التي تمثل تنوع واقع الحركة الإسلامية بعيداً عن الأضواء ، و بعيداً عن الشعارات ، و ليخرج الجميع باستراتيجية واحدة تتوزع فيها المواقع الإسلامية المتعددة الألوان حتى يكون لنا خط إسلامي واحد في مواجهة التحديات التي يطلقها موقع الكفر الواحد و الاستكبار الواحد . إن المشكلة التي نواجهها في هذه المرحلة ، هي أن كل فريق إسلامي حركي يعيش مشاكله الخاصة بعيداً عن الاهتمامات التي تربطه بالآخر ، مما يجعل من كل طرف أو جهة فريقاً ، و إن أراد الاهتمام بمشاكل الفريق الآخر ، فإنه يريد لها من خلال خدمة خصوصيته لا من خلال خدمة الجو العام . إنني أزعم أنه ليست هناك حركة إسلامية واحدة ، هناك حركات إسلامية قد تكون متباعدة في الفكر أو في الخط المياسي أو في أساليب العمل السياسي ، و من الضروري لأية قيادة إسلامية

أن تعمل على تجميع هذه المواقع و ترتيبها ، و العمل على إيجاد حالة من التعارف في ما بينها .

و علينا في هذه المرحلة بالذات ، إذا لم نستطع الوصول إلى الأولوية الاستراتيجية الأولى ، أن نعمل على إيجاد تواصل بين الإسلاميين يوحد إعلامهم في مواجهة الإعلام الاستكباري العدوانى الواحد ، المتعدد الأصوات ، المتنوع الأدوار ، الذي يشن حرباً عالمية - إعلامية سياسية على كل المواقع الإسلامية .

إن علينا أن نعمل على إيجاد قاعدة إعلامية موحدة ، يمكن أن تواجه هذه الحرب الموحدة ، حتى نستطيع أن نحمل أنفسنا من هذا الهجوم الصاعق ، لتبقى لنا مواقفنا في الوجدان العالمي ، و لنتمكن بعد ذلك من أن نرتب أمورنا في وضع طبيعي أو قريب إلى الوضع الطبيعي .

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بَكْتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَاتِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ . وَ إِنَّ الْمُبْتَدِعَاتِ الْمَشْبَهَاتِ هُنَّ الْمَهْلَكَاتِ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا . وَ إِنَّ سُلْطَانَ اللَّهِ عَصَمَةَ لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَ اللَّهُ لَتَفْعُلْنَ أَوْ لَنَنْقِلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلْهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرُزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## التقريب الموضوعي بين المذاهب

❖ في هذا المجال هل يمكن الحديث عن تقريب حقيقي بين المذاهب الإسلامية ؟

○ إن مسألة التقريب تحتاج إلى نوعين من العمل ، الأول في الحركة الفكرية بمعنى أن يبحث كل فريق من المسلمين بالدائرة الفكرية العلمية ، عقائده و خطوطه الفكرية من جديد ، بحيث يعرف الشيعة ما هو خط التشيع في العمق ، بالمعنى العلمي الذي يمكن لهم أن يدافعوا من خلاله عن أفكارهم و عقائدهم و مذاهبهم الفقهية و مفاهيمهم الإسلامية استناداً إلى المصادر الإسلامية الأصلية ؛ و أن يدرس السنة كذلك عقائدهم و مذاهبهم الفقهية ، بحيث يشعرون أن بإمكانهم أن يدافعوا عن المذهب بطريقة إسلامية منفتحة على كل المصادر الإسلامية ، لأن المشكلة التي تواجهنا هي أن كل فريق يحاول أن ينطلق بالحجة مذهبياً لا إسلامياً بالمعنى المنفتح ، و لهذا لا نجد هناك لغة للتفاهم بينهم ، لأن كلاً منهم يتحدث مع الآخرين باللغة التي يحركها في دائرته الخاصة بعيداً عن اللغة الإسلامية الأشمل ، لذلك فإننا نلاحظ أن ما يتحدث به السنة و الشيعة في خلافتهم هو ما كانوا يتحدثون به قبل أكثر من ألف عام .

لم تتغير مفردة واحدة لا على مستوى الإشكالات التي يوجهها كل فريق للآخر و لا على مستوى الأسلوب ... و لا على مستوى الحجج التي يقدمها هذا الطرف أو ذاك بالرغم من أن الحياة الفكرية تطورت و طرحت أشياء كثيرة

يمكن أن نستخدمها في حل الكثير من المشكلات .  
و المشكلة هي أن السنة لا يريدون أن يتأزلوا عن شيء مما ورثوه ، الشيعة  
أيضاً لا يريدون أن يتأزلوا عن شيء مما ورثوه بغض النظر عما إذا كان ما  
ورثوه يخضع للبرهان او للدليل . و من هنا علينا أن ندرس ما عندنا ، و عليهم  
أن يدرسوا ما عندهم بطريقة علمية موضوعية ، بعيداً عما إذا كانت هذه  
المفردات الفكرية السطحية مما التزم بها الأكثمون او مما لم يلتزموا به ، حيث  
لدينا كمسلمين قاعدة أساسية و هي أن نرجع في كل ما نتنازع حوله إلى الله و  
إلى الرسول ، مما يجعلنا نحتاج إلى فهم قرآني منفتح و إلى توثيق الأحاديث و  
فهمها فهماً منفتحاً . هذه هي النقطة الأولى ، و إن لم نعالجها فمن الصعب أن  
يكون هناك تقارب فكري بين السنة و الشيعة ، لأن التقارب إنما ينطلق من  
خلال الحركة الذاتية مع النفس التي تكون أساساً للحركة الذاتية مع الآخر .

إلهي فاسلك بنا سبيل الوصول إليك و سيرنا في أقرب الطرق  
للوفاة عليك ، قرب علينا البعيد ، و سهل علينا العسير الشديد ، و  
أحققنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## القواسم المشتركة لأمة واحدة

❖ ألا يمكن أيضاً محاولة دراسة قواسم مشتركة يلتقي السنة و الشيعة عليها ؟

○ تماماً و من هذه النقطة الثانية التي أشرت إليها ، نحن نستهدي بالقرآن في ذلك ، فعندما نقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] و كذلك عندما نقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [ العنكبوت : ٤٦ ] عندما نقرأ هذين النصين نجد أن القرآن أراد أن يدعو أهل الكتاب من اليهود و النصارى إلى الكلمة السواء ، وهي التوحيد و الإيمان بالرسالات ، و نحن نعرف كم هي المفردات التفصيلية التي يختلف المسلمون مع النصارى و اليهود في ما يتعلق بعقيدة التوحيد و في تفاصيل عقيدة النبوة و لكن الله سبحانه و تعالى عندما أراد لنا أن نلتقي على الأرض المشتركة قال لنا: انطلقوا من الخط العام للمبدأ و لا تدخلوا في التفاصيل ، فإذا وضعت أرجلكم على الأرض المشتركة وقفت و أطلقتكم كلماتكم على أساس

الكلمة السواء فإن بإمكانكم أن تناقشوا المفردات بروح اللقاء بدلاً من مناقشتها بروح الفراق .

و إذا كانت المسألة هي أن نبحث التفاصيل في البداية ، و أن نجعل منها حاجزاً بيننا لئمنعنا ذلك من اللقاء ، فأية تفاصيل بين السنة و الشيعة بالنسبة للتفاصيل بين المسلمين و بين أهل الكتاب ، إننا نستطيع أن نستهدي بهذا الأسلوب القرآني في مسألة اللقاء و التقريب بقوله سبحانه ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم﴾ ...إنه يدعوهم إلى لقاء على قاعدة الاتفاق لا الى مجرد حوار فقط .

إن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فإنه " حبل الله المتين " و سببه الأمين ، و فيه ربيع القلب ، و ينابيع العلم ، و ما للقلب جلاء غيره ، مع أنه قد ذهب المتذكرون ، و بقي الناسون أو المتناسون ، فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه ، و إذا رأيتم شراً فانهبوا عنه فإن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يقول : "يا بن آدم اعمل الخير و دع الشر ، فإذا أنت جواد قاصد .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## المسلمون قلق الداخل و تحديات الخارج

● يعيش المسلمون في كل مكان حالة من الاعتزاز و التمزيق في آن واحد : الاعتزاز بهذا الدين الكبير الذي ما زال يعمر قلوبهم ، و التمزيق بسبب النزاعات و التحديات التي تعصف بهم ، كيف يمكن للمسلمين أن يحتفظوا بالجنوة في قلوبهم ، على الرغم من كل هذا التمزيق الذي يعيشونه ، و هذه التحديات التي تسعى إلى تفجير إيمانهم و إظهاره بمظهر التخلف و الشقاق؟

○ للمرة الأولى يقال للمسلمين ، و بصيغ مختلفة إن المعاصرة تقتضي التخلي عن الإيمان و اختيار بديل عنه

في تصوري هناك مشكلتان في الواقع الإجهادي في العالم أجمع : المشكلة الداخلية المتمثلة في قضية التصور الوجداني للإسلام ، خاصة في بعض أصوله ، و المشكلة الخارجية المتمثلة في حركة القوى المحيطة بالمسلمين و الظروف الإجتماعية التي تحدق بهم ، لتفرض عليهم المزيد من السلبات .

و في ما يتعلق بالمشكلة الداخلية ، نلاحظ أن المسلمين المعاصرين ورثوا وجهات النظر المتنوعة في الإجهاد الإسلامي التاريخي بطريقة مختلفة ، و لذلك كان التعصب هو عنوان استنباط الحاضر الإسلامي من الإرث التاريخي . نحن نعرف جميعاً أن المذهبية الفكرية ، على مستوى علم الكلام و علم الفقه ، هي مسألة طبيعية في التصور الإسلامي للفكر و الشريعة ، و ليس الإسلام بدعة من الأديان أو من الأفكار في هذا المجال . نحن نعرف أيضاً أن

النصرانية تحتوي عدة مذاهب في المفاهيم العامة العقيدية و الطقوسية و كذلك اليهودية ، و إذا أردنا أن ننفذ إلى العناوين العلمانية المتحركة في عالمي القومية و الماركسية ، نجد أكثر من خط قومي و ماركسي يختلف عن الآخر ، و يمكن أن يقال الشيء ذاته عن الديمقراطية التي يكثر الحديث عنها .

لقد انطلقت المذهبية الفكرية في الإسلام من موقع اختلاف المسلمين في فهم النص و التأويل و القواعد العامة ، التي تحكم المتغيرات الحادثة في الواقع، مما لم يكن له نص محدد حوله ، و لذلك كان بالإمكان أن يكون هذا التنوع المذهبي في المسألة الفكرية و الفقهية مصدر غنى للمسلمين ، يثري التجربة الإجتهادية الإسلامية و يفتح من خلال الخلاف الفكري أكثر من أفق ، مما قد لا نحصل عليه لو كان الاجتهاد واحداً . لأنه سيعيق تطور النتائج الفكرية و الفقهية في الإسلام من خلال تصور الفهم الاحادي المجافي لامكانية تنوع المذاهب الجديدة في داخل الواقع الإسلامي الفكري.

الفكر مرآة صافية و الاعتبار منذر ناصح . و كفى أدباً  
لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## العروبة إطار يبحث عن صورة

● **تنطلق إلى أزمة الهوية . إذا كانت العروبة هي ————— الإسلامية وفق قولك . فلماذا هذا الصراع الذي يفتتله البعض بين العروبة والإسلام؟**

○ إنني أتصور أن الصراع المطروح بين العروبة والإسلام هو صراع يتحرك في ما يشبه " حوار الطرشان " لأنه صراع لا معنى له ، إلا من خلال اختلاف مفهوم الكلمات عند هذا الفريق أو ذاك ، فنحن نعتبر أن العروبة إطار إنساني للعرب ، تماماً كما هي الذات إطار للفرد ، و كما هي العائلة إطار إنساني للشخص . إن الإسلام لا يلغي للإنسان خصوصيته الذاتية - والعائلية و الجغرافية و القومية ، هذا ما لاحظناه في قوله سبحانه و تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ** ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] كما أن الإسلام تحدث عن الصفة العربية عندما قال : ﴿ **أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا** ﴾ [ الرعد : ٣٧ ] ﴿ **قَرَأْنَا عَرَبِيًّا** ﴾ [ طه : ١٣ ] ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ [ الشعراء : ١٩٥ ] و ما إلى ذلك ، مما يعني أن هذه الصفة عندما تطلقها على كتاب أو لسان ، أو حكم أو إنسان فإنك لا تبتعد عن قيمك الإسلامية - الفكرية في ذلك .

العروبة إطار يبحث عن صورة ، العروبة لغة ، و العروبة أرض ، العروبة تاريخ و نسب ، و لكن المكونات ليست أيديولوجية ، و قد التقت العروبة في

انطلاقها الحضارية بالإسلام و تفاعلت معه ، أعطته في حركيته بعض خصائصها ، و أعطاهما في مناهجه الفكرية و التشريعية و الحركية شخصيته التي تفاعلت به شخصيتها ، حتى إننا نرى أن الكثيرين من المسيحيين العرب الذين عاشوا في الجو العربي - الإسلامي ، يحملون معاني إسلامية كثيرة في فكرهم و عاداتهم و تقاليدهم . لذلك نحن نريد أن نقول للعرب الذين يبحثون عن خصائص عروبتهم ، أو عن مواقع القوة لقوميتهم ، إننا نقول لهم إن الإسلام يقف ضد العرب الذين يختارون لعروبتهم و قوميتهم أيديولوجية تختلف عن الأيديولوجية الإسلامية .

إن القوميين العرب عندما اختار بعضهم الماركسية كأيديولوجيا للحركة القومية و عندما وقف المسلمون ضد الماركسية ، فإنهم لم يقفوا ضد القومية و التحرر و الاكتفاء الذاتي و ما إلى ذلك من كلمات لا علاقة لها من ناحية عضوية بالعروبة ، لأن بعض العرب اختاروها . و هذا ما كنا نقوله للمسيحيين ، إن المسيحية عندما لا تلتزم بشريعة في تكوينها الفكري و تكوينها الثقافي ، و عندما يختار المسيحيون أيديولوجيا معينة تختلف عن الأيديولوجية الإسلامية ، فإن الإسلام لا يقف ضد المسيحية عندما يقف ضد هذه الأيديولوجية ، و إنما يقف ضد فكر شخصي للمسيحيين و ليس ضد فكر المسيحية في هذا المجال .

ربما يقول العرب إننا لا نستطيع أن نختار الإسلام لأن في العرب غير مسلمين و لكننا نقول إن الإسلام استطاع أن يكفل لغير العرب إنسانيتهم و حريتهم في ممارسة هذه الإنسانية . لذلك نحن نعتقد أن الذين يتحدثون عن صراع بين العروبة و الإسلام يتحدثون

من خلال مفاهيم مختلفين ، فالذي يتحدث عن العروبة يقصد الأيديولوجيا ، و الذي يتحدث عن الإسلام يقصد الجانب التقليدي في الإسلام .

## الإسلام لا يعادي العروبة

❖ إذا كانت القومية غير بريئة عندما خرجت عن الإسلام ، فهل أن بعض  
الذهنيات الإسلامية بريئة في عدائها للقومية و العروبة بالذات ؟

○ نحن نرفض عدااء الإسلام و الإسلاميين و المسلمين بشكل عام للعروبة ،  
لأن الإسلام لا يعادي العروبة كيف يمكن أن نعادي العروبة و الإسلام عاش  
في قلب العروبة و تفاعل مع تاريخ العروبة و مع شخصية الإنسان العربي ، و  
لا تزال العروبة تفرض نفسها على الواقع الإسلامي من خلال القرآن العربي و  
من خلال الصلاة العربية و من خلال الحج العربي ... و ما إلى ذلك من أمور  
إننا نرفض أن يعادي المسلمون أو الإسلاميون العروبة ، و لكن علينا أن نفرق  
بين معاداة العروبة ، التي نرفضها ، و بين معاداة الأيديولوجيا التي يخرّجها  
القوميين ، أو معاداة الانغلاق القومي الذي قد يعيشه بعض القوميين ، الذين  
يحبسون العروبة في قنقم يبعدها عن أن تكون عنصراً إنسانياً مفتوحاً على  
القوميات و المواقع الإنسانية الأخرى .



## قمة طهران التضامن العربي - الإسلامي لمواجهة التحدي

---

✽ أين أصبح مشروع التضامن العربي الإسلامي ينظركم و ماذا تفعلون من أجل تحقيق هذا الهدف ؟

○ في تصوري أن العالمين العربي و الإسلامي يعيشان في مرحلة فوضى سياسية ، لأننا عندما ننفذ إلى عمق هذين العالمين فإننا نجد كل دولة مشغولة بنفسها و في مشاكلها ، حتى أن التجمعات الاقليمية لا تمثل في العمق أي نوع من معنى التجمع ، لأن التعقيدات العالمية و المتغيرات الدولية و المخططات الاستكبارية استطاعت أن توزع الألغام السياسية و الأمنية و الاقتصادية بشكل غير معقول في العالم الثالث و في العالم الإسلامي بالتحديد ، لذلك فإنني أتصور أن من الصعب جداً الوصول إلى عناوين التضامن الإسلامي و العربي. إنه ليس طموحنا الواقعي على مستوى المرحلة ، إن طموحنا الآن هو عدم التقاتل العربي الإسلامي . طموحنا هو ألا تقف دولة عربية لتخريب دولة عربية أخرى أو أن تعمل دولة إسلامية لتمزيق دولة إسلامية أخرى . طموحنا هو في هذه الدائرة ، لأن مسألة التضامن أصبحت تحتاج إلى شروط صعبة جداً لا سيما و أننا نلاحظ أن الكل لا يحركون ساكناً الآن بانتظار الحدث الكبير و هو التسوية في المنطقة ، بحيث إنني لاحظ أن هناك جموداً سياسياً لدى أغلب

الدول العربية و الإسلامية لأهم ينتظرون ماذا سيحدث باعتبار أن هناك كلاماً يطلق في الساحة السياسية عن تحويل التسمية بطريقة تختلف عما قبلها ، كما كانوا يتحدثون قبل ولادة " اسرائيل " و بعد ولادتها . إن هذا الواقع جعل كل نظام يفكر كيف يستطيع أن يحمي قواعده ؟ فإذا كنا نرى أن هناك بعض المصالحات ، التي كانت غير واردة سابقاً و وردت الآن . فإن علينا أن لا نحدق بهذه الخصوصيات الإقليمية أو تلك ، و إنما علينا أن نحدق بالضغط الدولية التي فرضت هذا أو ذاك .

من المأساة السياسية أن أي تطور إيجابي في العلاقات العربية و الإسلامية أصبح يحتاج إلى علاقة وثيقة بإسرائيل لأن رابين قال كلمة قبل ذلك " إن على جميع العرب أن يعرفوا أن طريق أميركا تمر بإسرائيل " و لذلك فإن عليك عندما تلاحظ بعض التطورات في حركة العلاقات في المنطقة ، فإن عليك أن تعرف ما هو حجم العلاقات مع اسرائيل ، لتعرف ما هو حجم العلاقات مع اميركا .

يبد أن قمة طهران استطاعت فيما حققته من نجاحات اعادت الاعتبار إلى امكانية التضامن العربي - الاسلامي على أسس صلبة عبر عنها بنود اجماع القرار الاسلامي في بنود الاتفاق الاقتصادي على مشروع السوق الاسلامية المشتركة و الاتفاق الامني على ادانة الارهاب بعد تصحيح مفهومه الملتبس و الاتفاق الفكري على بعث الاسلام كثقافة داعية الى حوار الحضارات و الاديان و الافكار و غير ذلك مما يدعو الى التفاوض الواعد بمستقبل العلاقات العربية - الاسلامية شرط حماية هذه النتائج و الانجازات من مخالب العدو الاسرائيلي المتربص الخائف دائماً من قوة العرب و قوة المسلمين .



## الفقهاء و شرعية الاعتراف بالوجود الإسرائيلي

❖ تشهد منطقتنا العربية حالة اتهامات و توقيع اتفاقيات مع العدو الصهيوني ، و بصفتمكم أعداءبرز المراجع الدينية العربية ، ما هو الحكم الشرعي لمثل هذه الاتفاقات؟

○ إن العنصر الأساسي في المشكلة هو أن الاعتراف بشرعية وجود " إسرائيل " كدولة يهودية على أرض فلسطين هو أمر محرم شرعياً لنقطتين : الأولى : فقهية بالمعنى القانوني للمسألة ، فإن الفقهاء مجمعون على أنه لا يجوز التصرف في مال امرئ مسلم إلا برضاه و لا يجوز تملكه إلا بموافقته و من هنا فإن استيلاء اليهود على أرض المسلمين و غير المسلمين الداخلة في عهد المسلمين بالقوة هو أمر غير شرعي ، حتى و لو دخل اليهود في الإسلام ، لأن هذا ما لا تقبله من المسلمين فكيف تقبله من غير المسلمين ؟ فلا يجوز لمسلم أن يتصرف في مال مسلم إلا بإذنه .

الثانية : هي سيطرة غير المسلمين على بلاد المسلمين فنحن نقرأ في القرآن الكريم ﴿ وَلَنَجْعَلَ لِّلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [ النساء : ١٤١ ] و قد فسرت هذه الآية بأنها تشمل أي سبيل ، بمعنى السلطة و الحق الذي يجعله الكافر لنفسه على المسلمين ، فإن ذلك مرفوض إسلامياً ، و إذا كان المسلمون يخضعون لغير المسلمين في بعض البلدان فإن ذلك لا يمثل حالة طبيعية في منهج السلوك الإسلامي ، بل يمثل حالة اضطرار ، و لذلك فإن سيطرة اليهود

على المسلمين في فلسطين و مصادرتهم لأرض فلسطين لحسابهم ، هو أمر مرفوض من ناحية القاعدة الإسلامية .

على هذا الأساس لا يمكن لأي مسلم أن يعترف بشرعية هذا الوجود لأنه لا يمكن لمسلم أن يحلل الحرام ، كما لا يمكن لمسلم في العالم أن يعترف بحلية الغصب غصب الأرض و غصب السلطة ، هذا بالإضافة إلى القوانين الأخرى، التي يمكن أن تحدث من خلال شرعية الوجود الاسرائيلي و هو سيطرة اليهود على مقدرات المسلمين في المنطقة العربية و الإسلامية ، باعتبار أن هذه الاتفاقات تتحول بفعل الضغط الأمريكي ، الذي يريد للصلح أن يسير جنباً إلى جنب مع التطبيع ، الذي يشمل كافة العلاقات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الأمنية .

و إذن فالواقع الذي يعيش فيه العالم العربي الآن يمثل حالة انعدام الوزن أمام التحالف - الأمريكي - اليهودي الاستراتيجي ، مما يربك كل الواقع العربي و الإسلامي و يؤدي في النتيجة إلى إذلال المسلمين . و هذا أمر غير مسموح به في الخط الإسلامي ، لأن الله سبحانه و تعالى يقول : ﴿ و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ﴾ [ المنافقون : ٨ ] و قد فسرهُ الإمام جعفر الصادق (ع) بقوله : " إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها و لم يفوض إليه أن يكون ذليلاً "

إلهي أشكو إليك عدواً يضلنني ، و شيطاناً يغويني ، قد ملأ بالسواس صدري ، و أحاطت هواجسه بقلبي يعاضد لي الهوى ، و يزين لي حب الدنيا و يحول بيني و بين الطاعة الزلفى .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

# قضايا المرأة و مشكلات التنمية



## قضايا المرأة في مجتمع متطور

❖ هناك بعض الدعوات داخل الفكر الإسلامي التي تدعو إلى التجديد في التعاطي مع الأحكام الفقهية و فيما يتعلق بالمرأة . المرأة هي امرأة بلا شك و لكن واقع المرأة في الوقت الحاضر يختلف عن واقع المرأة فيما سبق و فيما سلف من التاريخ . نحن الآن ارتأينا أو ارتضينا أن تكون المرأة قاضية و محامية و أستاذة جامعية و وزيرة و رئيسة وزراء و مع ذلك ما تزال توجد بعض الأحكام التي ربما يعتبرها البعض مقيدة لوضع المرأة كالميراث و حقها في الطلاق و الشهادة ، ارتضينا أن تكون المرأة محامية و قاضية و لم نرتض أن نغير حكماً على سبيل المثال بأن شهادة الرجل توازي شهادة إمرأتين ؟

❖ عندما نريد أن ندرس هذه المفردات التفصيلية بالنسبة إلى المرأة فعلياً أن ندرس كل مفردة من خلال القاعدة التي ترتبط بها . عندما نطرح مثلاً شهادة المرأة مقارنة بالرجل فإن النص الإسلامي يفلسف المسألة بقوله تعالى : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ فنحن نلاحظ هنا أنه يفرض إمكانية أن تخضع المرأة لعاطفتها أو تنسى باعتبار أن الجانب العاطفي لدى المرأة أقوى من الجانب العاطفي لدى الرجل من خلال حاجة الامومة و الأنوثة في حركتها الإنسانية لهذا الهم الكبير او لهذا الفيض العاطفي .

نلك فإننا نلاحظ أن شهادة امرأتين ، مقابل شهادة رجل باعتبار أن المرأة قد تضل سواء تنسى ، تتحرف ، تخطيء ، تقودها عاطفتها ، فتذكر احدهما الأخرى فتأتي امرأة لتذكرها ، فالمسألة لا تمثل انتقاصاً من كرامة المرأة و إنسانيتها و إنما تمثل احتياطاً للعدالة .

### ❖ و بالنسبة للرجل كذلك يمكن أن يخطيء ...

○ الظاهرة العامة كما قلنا أن كمية العاطفة لدى المرأة أكبر من كمية العاطفة لدى الرجل مما يقتضي أن يكون احتياط هنا أكثر . و هكذا نجد مثلاً في التشريع الاسلامي لا تقبل شهادة رجل واحد ، إن أقل عدد في الشهادة و هو ما يسمى بالبينه رجلان ، لأن المسألة تتطرق مع كون الرجلين عدلين في دينهما ، لكن لا بد من رجلين من خلال الاحتياط للعدالة لإمكانية أن يكون هناك شيء خفي في شخصية هذا الإنسان الذي نراه عادلاً حتى نستعين لتقوية موقع الحق في العدالة برجل ثان في هذا المقام . لا تقبل شهادة رجل واحد في هذه المسألة، و قد تقبل شهادة امرأة واحدة في بعض القضايا التي تختص بالنساء مثلاً .

### ❖ هل المسألة تخضع لظروفها ؟

○ المسألة تخضع لمفرداتها التي تجمعها فكرة واحدة و هي الاحتياط للعدالة و التحرك للعدالة فيما تقتضيه من خلال الظروف الواقعية التي تحيط بحركة العدالة هنا و هناك . فالقضية ليست انتقاصاً لشخصية المرأة . و ربما كان هذا الجانب العاطفي من شخصية المرأة هو الذي يجعل الفقهاء يتحفظون في أن

تكون المرأة قاضي ، إن المسألة تتصل بهذا الجانب لا من خلال انتقاص شخصيتها و إنسانيتها و لكن من جهة الاحتياط للعدالة باعتبار أن علينا أن نحمي العدالة من نقاط ضعفنا لأن القضية تتصل بالآخر و لا تتصل بنا في الذات .

أما مسألة الإرث فإن الإرث انطلق من التوازن في الحقوق و الواجبات لأن المرأة لا تكلف شيئاً في البيت الزوجي و قد شرع الإسلام المهر للمرأة و لم يشرع المهر للرجل تدفعه المرأة ، لذلك فإن بعض الظرفاء يقولون إن على الرجال أن يطالبوا بالمساواة بالمرأة في مسألة الإرث لأن المرأة تأخذ أكثر من الرجل ، فلو فرضنا رجلاً - على طريقة هذه الظرافة - ورث من أبيه ألفي دولار و ورثت أخته ألف دولار فإن هذا الرجل إذا تزوج سيدفع الألفين و أكثر مهراً خصوصاً على طريقة غلاء المهور في هذه الأيام ، و سيحتاج إلى أن يستدين ليمتأجر بيتاً و لينفق على المرأة و إذا جاء هناك أولاد فعليه أن ينفق عليهم ، بينما يبقى الألف دولار لدى المرأة إذا تزوجت على حاله و تستريد من ذلك . فالمسألة لا بد أن لا تتظر من جانب واحد بل لا بد أن تتظر من أكثر من جانب . و من جهة ثانية فإننا لا نتصور أن المرأة خارج نطاق هذه المفردات التي تتصل بالاحتياط للعدالة ، لا نجد أن الإسلام قيدها في هذا الجانب ، بل إننا نتصور أن الإسلام لم يحدد للمرأة عملها و لم يحدد للمرأة نشاطها في إمكانها أن تنطلق في أي موقع من المواقع المتصلة بالجانب السياسي و الاجتماعي و الثقافي و حتى الأمني و لكن في النطاق الأخلاقي الذي فرضه الإسلام ، و لم يفرضه عليها وحدها بل فرض أن يعمل الرجل في نطاق أخلاقي مماثل .

❖ من الأشياء المطروحة هي مسألة حجاب المرأة ، هناك ثلاثة آراء

برزت هناك رأي يقول أنه لا ضرورة لارتداء الحجاب خارج المجتمع الإسلامي ، و هناك رأي آخر يقول : لماذا بالأساس يفرض على المرأة الحجاب و الرأي الثالث يعتبر أن هذا الأمر فيه تشييء للمرأة من خلال الاهتمام فقط بجسدها ، والسؤال ما هي فلسفة الحجاب و كيف نوازن بين حجاب الجسد و ظاهرة احتجاب دورها و تغيبه عن واقع الحياة ؟

○ إن النقاط التي أثرت : هناك من يقول بأن الحجاب يشيء المرأة و انه يحبس المرأة في جسدها و يجعلها تشعر أن الجسد قيمة ، و لذلك لا بد من حجب هذه القيمة عن الآخرين حتى لا يفسدوها و ما إلى ذلك من كلمات .  
إنني أتصور أن النظرة الإسلامية كانت بالعكس من ذلك ، فالإسلام عندما أراد أن يرتفع بالمرأة فإنه أراد للمرأة أن لا تبرز كجسد يثير الغرائز و يدفع إلى الإشتهاء باعتبار الطبيعة التي تعيش في وجدان الشاب تجاه الفتاة لأن التاريخ أو طبيعة الأشياء جعلت من المرأة مركزاً للاغراء و لم تجعل من الرجل مركزاً للاغراء في نظر الفتاة ، قد يكون هذا شيئاً ناشئاً من التربية و قد يكون ناشئاً من طبيعة أن المسألة تمثل عنصر الانفعال لدى المرأة بالنسبة إلى الجانب الغريزي و عنصر الفعل بالنسبة إلى الرجل أو لغير ذلك .

إن الإسلام أراد للمرأة أن تخرج في المجتمع كإنسانة لا يشغل جسدها الشاب عن عقلها و عن التعامل معها كما يتعامل الإنسان مع رجل آخر ، لا يريد لشخصية الأنثى كأنثى أن تكون هي الرابط الذي يربط الرجل بها ، بل يريد أن يشيئها و يسجن جسدها و لكن لا يريد لجسدها أن يطغى في الوعي العام على عقلها و لا يريد لجسدها أن يحاصر إنسانيتها في النظرة العامة .

لو أردنا أن نقوم بإحصائية شاملة في الواقع الإنساني في كل العالم لنسأل الشاب عندما ينظر إلى المرأة فما هو الشعور الأول الذي ينطبع في ذهنه من

نظرتة إلى المرأة ؟ من الطبيعي أننا من خلال قراءتنا لكثير من المواقع نجد أن مسألة الإشتهاء و هذه المسائل هي التي تطبع ذهن الشاب ، و إلا فكيف تفسر حوادث الاغتصاب التي تحدث بأرقام قياسية في المواقع التي يملك فيها الشباب و الفتيات حرية الجنس ؟ لأن طبيعة الأجواء التي تظهر بها المرأة في نطاق هذه الحرية تجعل الإنسان يتحرك طبيعياً بالتهاب غرائزه ، إن الغريزة طبيعية، حتى لو تفتت الغريزة فإنها تفرض نفسها عليك . نحن لا نتكلم بالخيال و لا بالمثال ، نحن نتكلم في الواقع . و نحن عندما ندرس الأدب الغزلي فإننا نجد أن الغزل يحاول دائماً أن يستثير الجوانب الجمالية للمرأة في خط الجوانب الجنسية .

و هكذا نجد صورة الإعلان و ثقافة التجميل و ثقافة ملكات الجمال و الأزياء و ما إلى ذلك . إنني أزعم أن أسلوب العصر الذي يتحرك هو الذي جعل جسد المرأة عنواناً يشيؤها ، إنه ليس تشييء المرأة بأن تستر جسدها و إنما تشييء المرأة بأن تنظر إلى جسدها كما لو كان منطلقاً للإغراء ، أن تحقق بجسدها ليكون جسدها هو القيمة في وجدانك ، لا أن يكون عقلها هو القيمة . هل هناك انتخاب لملكات العقول و ملكات الذكاء ؟ إن الانتخابات دائماً في العالم لملكات الجمال ، نحن لا ننكر أن الجمال يمثل قيمة إنسانية خلقها الله ، و من الطبيعي أن الجمال قيمة في مواجهة القبح ، و لكن هناك فرق بين جمال تتفتح عليه من خلال عناصره الجمالية و بين جمال تعتبره جسراً للعبور إلى الجانب الغريزي هذه هي المسألة .

أما بالنسبة إلى نظرة المرأة إلى الرجل فإنني لا أتصور أن الذهنية العامة للمرأة هي ذهنية النظر إلى الرجل من مواقع الإغراء ، لأن الرجل ليس رمزاً للإغراء و لو على مستوى الثقافة التاريخية أو على مستوى أن قضية العنصر الغريزي لدى المرأة أكثر تعقيداً من العنصر الغريزي لدى الرجل ، لأن

العنصر الغريزي لدى الرجل هو سريع الإثارة بينما المسألة للمرأة تختلف عن ذلك . و ربما لهذا دور في طبيعة التفاعل في هذه المسألة في النظرة هنا و النظرة هناك.

لذلك نجد أن الإسلام هو الذي لا يريد أن يشيء المرأة و لا يريد أن يستغرق الآخرون في جسدها من خلال الحجاب و إنما الآخرون هم الذين يشيئونها . إن الإسلام يحترم عقل المرأة. إنني أسأل سؤالاً آخر لكل هؤلاء و هو أننا لماذا نفرض الحجاب على الرجل و المرأة في المواقع الحساسة من جسد المرأة و الرجل ؟ أليس هذا تشيئاً للرجل و المرأة معاً ؟ لماذا ؟ إذا كانت مسألة حجاب جزءاً من الجسد هو ضد القيمة الإنسانية فلماذا يكون حجاب الجزء الآخر للمرأة و الرجل معاً مع القيمة ؟

## من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## حضور المرأة

❖ **يلاحظ أن موضوع المرأة يأخذ حيزاً من إنتاجكم المعرفي و الفكري و الفقهي، فما هو الدور الذي تلعبه المرأة في حياتكم و كيف ترونها ؟**

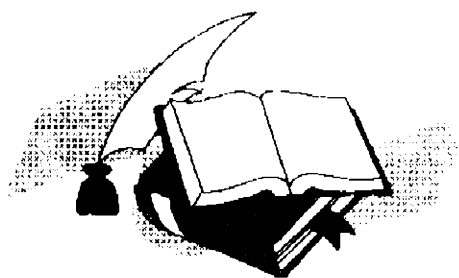
○ من الناحية الفقهية علجت قضايا المرأة الأنثى و قضايا المرأة الانسان و من الناحية الفكرية غالجت مشكلاتها الأسرية و الاجتماعية و السياسية لذلك اعتبر المرأة إنسان مضطهد من قبل الرجل ، و لا يزال يضطهده حتى من خلال الحرية التي أعطيت للمرأة فإنها - الحرية - جعلت منها شخصاً معلقاً في الهواء لا يملك القاعدة التي يستقر عليها . لاتزال قيم الرجل هي قيمه ، و عندما أعطاهما الرجل بعض قيمه في الحركة أبقاها محكومة لقيم المرأة التاريخية في البيت و تربية الأطفال ؛ فالرجل في أغلب مواقعه ليس مستعداً لأن يقوم بما تقوم به المرأة تقليدياً في المنزل . و هكذا نجد أن الرجل لا يزال يقدم المرأة كجنس ، و لا سيما في السياسة الاعلانية ، أو في السياسة الفنية في المسرح و القصة ، و من خلال وسائل الاعلام كالتلفزيون ، و لا يقدمها كرمز للفكر و للابداع إلا في بعض التجارب التي تأتي على الهامش . إنني أتصور المرأة إنسانة تختلف عن الرجل بفعل الخصائص الإنسانية في التنوع الإنساني، و لكنها تملك عقلاً كعقله و قلباً كقلبه و طاقات كطاقاته .و لذلك أتصور أن المرأة عندما تتاح لها الفرصة لأن تعبر عن طاقاتها كما أتاحت الفرصة للكثير

من النساء ، فإنها قد تستطيع التفوق على الرجل مع إبقاء هـذه الخلفيات التاريخية ، باعتبار أنها تترك تأثيراً في قوة حركة الارتفاع عند المرأة مقارنة بالارتفاع الرجل . أعتقد أن المرأة إنسان لا بد أن يعيش إنسانيته ، و لكن في مستوى خصوصياته النوعية ، كما يعيش الرجل في مستوى خصوصيته النوعية .

من هنا نحن نرفض تأنيث الذكر و تذكر الأنثى إذا صح التعبير . تبقى المرأة امرأة في عناصرها الإنسانية ، و يبقى الرجل رجلاً في عناصره الإنسانية ، من دون أن نخلط أو أن نلغي شخصية هذا أو شخصية ذاك في عملية خلط الأنواع، لهذا فأنا من الناس الذين عملوا على إبراز الفكر الإسلامي في تأكيد إنسانية المرأة و معالجة مشاكلها والأمر الذي ، مما جعلني أشعر بأنها جزء من رسالتي الأساسية .

## قطع العلم عذر المتعطلين

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -





## مؤتمر السكان و التنمية

✽ مع انعقاد مؤتمر السكان و التنمية برزت الكثير من الافكار ، التي تحدثت دينياً بطريقة غير مسؤولة و تحدثت علمانياً بطريقة غير دقيقة . فالكثيرون من الناس يقولون و هم يمثلون المسألة الدينية : ما معنا ؟ الله خلق الخلق و تكفل بالرزق و الله هو الذي يصنع لنا المشكلة و هو الذي يحلها لنا فلماذا نحسب و ندقق و نتحدث عن الاحصاءات هنا و عن كل النظريات الاقتصادية و الاجتماعية هناك ؟ و هناك من يتحدث في الجانب الآخر بطريقة أخرى ، ليقول : لماذا تقحمون الله في الاقتصاد و في مشاريع التنمية ؟ سواء وجد الخلق صدفة أو اوجدته الطبيعة أو ما إلى ذلك . نحن موجودون في هذا العالم و هناك قوانين و شروط موضوعية ، لا تدخلوا الله و لا تدخلوا لنا الايديولوجيا و لا الفلسفة في المسألة ما هو تقييمكم لهذه المشكلة العالمية على ضوء قرارات المؤتمر ؟

○ تتخذ القضية شكل المطلق هنا و هناك و مشكلتنا في حركة الفكر هي الحديث عن المطلق ، فنحن دائماً نتحدث عن السلبية المطلقة في هذا الجانب الايجابي و الايجابية المطلقة في ذاك الجانب ، الكثيرون منا لا يتحدثون عن سالب يختزن ايجاباً و عن ايجاب يختزن سلباً ، و عن خير يختزن شراً و عن شر يختزن خيراً ، و نحن نعرف حتى في العقيدة الدينية أن لا مطلق إلا الله ، كل ما عدا الله محدود ، و المحدودية تعني أن الوجود في داخل حدوده ، هو أن يفقد شيئاً من بعض خصائص وجوده ، الخير يختزن بعض الشر ، و الشر

يختزن بعض الخير ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير و  
منافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة : ٢١٩] ، أن يكون الشيء  
خيراً ، أن تكون نسبة الخيرية في داخله أكثر من نسبة الشرية ، و المسألة في  
الشر صحيحة ، و هكذا في السلب و الإيجاب .

و بهذا نعرف أنه ليس هناك في الحياة بياض لا سواد فيه ، و سواد لا بياض  
فيه . اللون في الحياة هو اللون الرمادي ، الذي يأخذ البياض فيه بعضاً من  
السواد و إن غلبه السواد في الصورة ، و أن يأخذ السواد شيئاً من البياض و  
إن غلبه البياض في الصورة أيضاً .

من خلال ذلك نحتاج أن ندخل في الموضوع ، هل يمكن أن نقول أن كثرة  
السكان هو ضد القيمة مطلقاً ؟ هل يمكن أن نختصر العالم في مشروع واحد ،  
ليس مشروع فكر و لكنه مشروع خصوصيات حياة و عناصر حياة ؟ العالم  
متنوع ، متنوع في إنسانيته و في أرضه و في ما تختزن أرضه ، و في  
شمسه، إن كلمة التنوع تختصر صورة العالم و مضمون العالم . و من الطبيعي  
أنه عندما يكون هناك تنوع في الكم أو في الكيف كما يقولون فإن من الطبيعي  
أن تختلف الخصائص و ان تختلف الخطوط التي تتحرك هنا و هناك . و من  
الطبيعي أن تختلف المشاريع أيضاً . لهذا هل يمكن أن نعطي قاعدة للعالم  
تصوت الامم المتحدة عليها و مفادها أن على الناس كلهم في هذا العالم أن  
ينظموا عددهم ، في أن يقللوا هذا العدد ؟ هل يمكن أن نقول للعالم كله إن على  
الاسرة أن تختصر عددها ، لتكون ثلاثة أو أربعة أشخاص دون زيادة أو  
نقصان ؟ هل يمكن أن نفرض ذلك على كل البلدان و المجتمعات في العالم ؟ .

إننا نعرف أن عدداً من مجتمعات العالم تشكو من قلة عدد السكان و لذلك فهي  
تستورد السكان من بلدان أخرى . في عالمنا العربي عندما نستشفي مصر و  
بعض بلدان المغرب ، قد لا تجد هناك خلاً في المسألة السكانية ، بالطريقة

التي يتحدث فيها الكثير من الناس ، بل ربما نجد أن منطقة الخليج العربي تعاني من قلة السكان ولذلك عندما ندرس عدد السكان المقيمين في منطقة الخليج ، نرى أن عدد الاجانب القادمين من بلدان أخرى يزيد على عدد أبناء البلاد الأصليين . و نحن نعرف أن الخليج في ثرواته المخترنة يمكن أن يوزع - بقطع النظر عن اللعبة السياسية الدولية او غير الدولية - الثروة على أكبر عدد ممكن من الناس في المنطقة على الأقل . و هكذا نلاحظ أن هناك بلداناً تملك الكثير من السكان ولكنها لا تملك الكثير من فرص التنمية من الناحية السياسية ، لانه عندما ندرس - و لست خبيراً في الاقتصاد و لكننا ندرس القضية من خلال بعض الملاحظات أو بعض الخبراء - ان المنطقة التي يتحدث فيها عن جنون السكان و هي مصر و وجود الخلل بين حركة التنمية و حركة السكان ، نجد ان القضية ليست قضية كثرة السكان بل القضية - في كثير من عناصرها - تتطرق من فقدان مشاريع التنمية أو عدم توازنها ، في الوقت الذي يمكن فيه لهذه المشاريع أن تغطي ذلك .

إنني لا اريد أن اهون من هذا الموضوع ، و نحن في مقام عرض الآن ، و لكنني أريد أن أقول : إن اعتبار كثرة السكان هو المشكلة ، بحيث إذا استطعنا أن نسيطر عليها فإننا نستطيع أن نمسك بعنق المشكلة لنخنقها أو لنحلها ، هذا كلام غير دقيق ، هي بعض المشكلة و لكن بعضها ، ينطلق من عدم التركيز أو عدم توفر مسألة التنمية ، و عندما نريد أن ندرس مسألة التنمية ، فإن القضية ليست هي ذاتية العناصر السلبية ، التي تحول دون هذا الشعب أو ذاك ، بل هي مشكلة اللعبة السياسية الدولية ، التي تعمل على اخلال التوازن في هذا البلد أو ذاك .

لا نقول ذلك لأننا نعيش عقدة الغرب ، لنعتبر أن كل شيء غربي هو سلبي و كل شيء شرقي هو ايجابي ، بل إننا نعتبر - كما قلنا في أكثر من مرة - لأن

للغرب ايجابياته و سلبياته و أن للشرق الكثير من سلبياته و ايجابياته . إن المسألة ليست عقدة غرب ، نكون من الناس الذين يتحدثون عن مشاكلهم ، ليحملوها للغرب و ينسبون عناصر المشكلة في داخلهم ، لكننا نعتبر أن السياسة الموجودة في الدول الكبرى - سواء كانت في الغرب أو في الشرق - تعمل على تحقيق الرخاء الاقتصادي لبلدانها على حساب رخاء البلدان الأخرى التي تختزن الثروات الطبيعية و ذلك بمصادرة هذه الثروات أو بمحاصرتها ، سواء من ناحية حركة التصدير أو حركة التسعير أو ما إلى ذلك ، أو من ناحية إثارة المشاكل و الحروب التي تنطلق من بعض الاوضاع التاريخية و الحاضرة التي يمكن إثارتها في ما يعيشه هذا البلد أو ذاك ، حتي يمكن لها أن توفر الاقتصاد الجيد .

كنا نسمع أخيراً رئيس وزراء بريطانيا عندما ذهب الى بعض بلدان الخليج و عقد صفقة أسلحة تقدر بأربع مليارات دولار يقول : إنني استطعت أن أحصل على العمل لعشرين الف عامل بريطاني . و هكذا نجد أن امريكا عملت و لا تزال تعمل على أن تفرض على بلدان الخليج شراء كثير من الاسلحة و المشاريع التي لا تحتاجها من أجل ان تشغل العمال الامريكيين و ما إلى ذلك . هذا هو واقع موجود و نحن نعرف الصراع الأمريكي - الاوربي الآن أو الصراع الأمريكي - الياباني يحمل في داخله بعضاً من الصراع حول ثرواتنا . لمن البترول و من الذي يسيطر عليه و على طريقه ، حتى أصبحت حركتنا السياسية و الاقتصادية و الامنية خاضعة للصراعات التي تعيش هناك في ما بينهم .

لذلك نقول ان القضية لا بد ان تدرس من خلال اعتبار مشاكل التنمية عناصر حقيقية في المشكلة ، كما ان علينا أن ندرس موضوع تكاثر السكان الذي قد يحمل في داخله بعض المشكلة ، و بهذا لا يمكن لنا أن نواجه المسألة بهذا

التبسيط الذي أراد أن يواجهه مؤتمر السكان ، من أجل أن يجعل هذه المواد التي يقدمه في مشروعه قانوناً في الامم المتحدة يحكم كل بلدان العالم .

ان المشكلة التي تتحرك سواء كانت في كثرة السكان أو في قضايا التنمية ، ليست في النظرية و انما في التطبيق ، لو اننا في العالم العربي - و نحن نعيش في هذا العالم أو في العالم الثالث - لو اننا استطعنا أن نقلل عدد السكان على ما تريده لجان تنظيم النسل ، لو اننا فعلنا ذلك و لم يمكننا الآخرون من أن نحقق سياسة الاكتفاء الذاتي ، فهل يمكن أن نحل المشكلة ؟! ان قضية التنمية ليست منطلقاً من مسألة ذاتية و انما هي منطلقاً من مسألة الظروف الموضوعية التي تحيط بحركة التنمية هنا . لذلك عندما نريد أن نؤسس مشروعاً يتوازن فيه الناس في انتاج النسل و الحاجات أو عناصر الحاجات فإن علينا أن نفكر بعالم يعيش انسانيته ، بحيث لا يمكن لقوة كبرى أن تضغط على قوة صغرى و لا يمكن أن تستغل أية دولة كبرى مصالح دولة صغرى .

و من خلال التجارب نعرف ان مثل هذا العالم ليس موجوداً حتى في الخيال ، لذلك فإن المسألة التي ينبغي لنا أن ندقق في بحثها ، ليست هي مسألة الاحصائيات الجنونية هنا و الاحصائيات المتواضعة هناك ، بل لا بد أن نلاحظ في هذا المجال أن المشكلة التي يعيشها الانسان الآن ، مشكلة المجاعة في بعض مناطق الهند و في بعض مناطق افريقيا . هل المشكلة الموجودة هي مشكلة تكاثر السكان أم هي مشكلة عدم توازن توزيع الثروة في العالم في هذا البلد أو ذاك ؟ المشكلة تكمن ما بين الانتاج و التوزيع ، تماماً كما ينقل الاديب "برنارد شو" عندما سئل عن العالم كيف تصوره ؟ قال : " كلحيتي و صلعتي كثرة في الانتاج و سوء في التوزيع " . المشكلة هي هذه ان القضية هي هذا النوع من التوازن بين الانتاج و التوزيع - سواء كان انتاج البشر أو كان انتاج الغذاء أو ما إلى ذلك - فقد ترى هناك بلداً يملك كثيراً من انتاج البشر و لكنه لا

يملك الكثير من انتاج الحاجات الاستهلاكية.

اننا نعرف كيف تدار اللعبة الاقتصادية ، فأمريكا كانت في وقت من الاوقات تحرق الآف الاطنان من القمح ، من أجل أن يبقى سعر القمح العالمي محافظاً على مستواه . هذا ربما نجده في بلدان أخرى . نحن الآن في الشرق الاوسط، في البلاد العربية ، في لبنان نملك ثروة مائية ، نستطيع أن تحول لبنان الى أرض خضراء في كل جباله و سهوله ، و لكننا في الوقت نفسه من خلال المسألة السياسية و من خلال الضغوط الاسرائيلية التي تلتي مع الضغوط الامريكية ، نحن نمنع من القيام بأية عملية تسمح بالاستفادة من مياه نهر الليطاني و غيره و تنفيذ مشاريع انمائية في كل بلادنا ، و لذلك نحن نعيش في الجنوب و الليطاني يصب في البحر و نحن ( كالعيس في اليبداء يقتلها الظمأ و الماء فوق ظهورها محمول ) المسألة تعيش في هذا الاطار .

لهذا ، نحن لا نريد أن نرجم الذين يتحدثون عن ضرورة تنظيم النسل في العالم و أن نتحدث عن الزندقة و أن نتحدث حتى عن المشاريع الاستعمارية الكامنة وراء ذلك ، لا نريد أن نتحدث بهذه الطريقة الاستهلاكية في الحديث و ان كنا نجد من الممكن جداً لبعض الدول الكبرى ان تفكر بهذه الطريقة ، لأن مشكلة الهجرة من العالم الثالث بفعل المشاكل الاقتصادية و السياسية الموجودة فيه - هجرة الكثير من شعوب العالم الثالث الى أوروبا و أمريكا - اصبحت تمثل مشكلة تضغط على اقتصاد هذا البلد و ذاك ، و نحن نعرف أن فرنسا تعيش هذه المشكلة و ربما بدأ بعض الناس في بريطانيا يتحدثون عن هذه المشكلة أيضاً . لذلك نحن لا نعفي بعض الدول من بعض الخلفيات السياسية التي يعيشون فيها الخوف من اخطار الفقر ، الذي يمكن أن تتحسسه شعوب العالم الثالث ، عندما ينفس عن ذلك بالهجرة لتلك البلدان أو بالثورات التي تجعل القوى المتحالفة او المتعاملة معها في وضع حرج . نحن لا نعفي بعض الدول من ذلك و لكننا

نريد أن نتحدث عن المسألة من الناحية الموضوعية و هي أن لا ننظر الى القضية بشكلها المطلق فربما نجد أن بعض البلدان تحتاج الى تكثير عدد السكان ، كما أن بعضها الآخر قد تحتاج الى تقليله .

من المفارقات أن الكيان الصهيوني ، عندما حضر مؤتمر السكان ، قدم مطالعة بأن عليكم أن تعذرونا ، لأننا بحاجة الى زيادة عدد السكان و نحن نقوم بكل الخدمات الصحية و الاجتماعية و ما الى ذلك في هذا المجال ، باعتبار ان اليهود يعانون الآن في داخل فلسطين من امكانية فقدان التوازن بينهم و بين الفلسطينيين و لذلك هم يعملون على زيادة عدد السكان .

حتى أننا قرأنا انه في فرنسا يتم التعويض على كثير من العائلات ، التي يمكن أن تتجب عدداً من الافراد أكبر من العدد الطبيعي ، لأنهم شعروا أن أوروبا بفعل الافكار المطروحة أصبحت تعيش ضموراً في عدد السكان و أصبحت المسألة تمثل مشكلة في هذا الجانب لا في ذلك الجانب .

لذلك لا يمكن أن ننظر الى العالم نظرة واحدة ، و القضية أن العالم أصبح يعيش حركة اقتصاد واحدة ، فنحن نتأثر اقتصادياً بالازمة الاقتصادية التي قد تعيش في أمريكا أو في أوروبا أو في أي بلد من البلدان ، و هكذا هم يتأثرون بالقضايا السياسية و الاقتصادية التي تحدث ، و نحن نعرف أنه عندما هدد العالم بالحصار البترولي تأثرت كل الاوضاع في امريكا و أوروبا . قد يقول قائل : اننا نتحدث عن العالم كوحدة اقتصادية لكننا نقول : ان الحديث عن وحدة اقتصادية في العالم ليس حديثاً واقعياً ، لو كان العالم يمثل وحدة قانونية و سياسية و اقتصادية على طريقة الحكومة العالمية التي كانت تفكر بها في بعض التيارات فيمكن أن يقال : لتجمع ثروات العالم كله و ينظم عدد الناس بهذه الطريقة و عند ذلك لا تحتاج المسألة الى ابحاث كثيرة ، لأن القضية تعتمد على الحسابات الدقيقة في هذا المجال ، و لكننا لا نملك عالماً يعيش

الصراع الاقتصادي و يعيش الاستكبار الاقتصادي و الاستضعاف الاقتصادي و يعيش الحركة الاقتصادية التي تتحول الى فوضى في هذا البلد أو ذاك . بفعل المسائل الأمنية على العالم كله ؟ ان المسألة دقيقة في هذا المجال .

و لذلك فإننا نقول : علينا أن ندرس المسألة دراسة واقعية في حركة تقليل عدد السكان أو تكثيرهم ، من خلال ظروف هذا البلد و ظروف ذلك البلد ، سواء في دائرة وطنية أو في دائرة قومية أو اقليمية أو ما الى ذلك .

في هذا المجال ، كيف نفهم رأي الاسلام في المسألة ؟ لا بد لنا قبل أن ندخل في تفاصيل الرأي الاسلامي في مسألة كثرة عدد السكان و قلته ، من أن نلاحظ شيئاً و هو أن هناك اختلافاً حقيقياً بين مفهوم الغرب أو المفهوم المادي بشكل عام للإنسان و للكون ، و بين المفهوم الاسلامي أو الديني بشكل عام ، لأن مسألة المفاهيم - في ما يختزنه الناس - تتحول إيجاباً أو سلباً في حركة الواقع ، و هذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى : { **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [ الرعد : ١١ ] { **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [ الانفال : ٥٣ ] .

في النظرية الاسلامية ، الانسان هو صانع حركة الحياة ضمن السنن الكونية و الاجتماعية التي تمثل القوانين التي أودعها الله في الكون ، و في حركة الانسان في المجتمع ، و بهذا نحب أن نؤكد على حقيقة ، - بشكل سريع - و هي أن النظرية الاسلامية لا تتنافى مع نظرية السببية ، فنحن عندما نقول : إن الله أنزل المطر ، ليس معناه إن الله أنزل المطر بطريقة مباشرة ، أو عندما نتحدث عن أية ظاهرة كونية ، أو عن أية ظاهرة تاريخية في حركة الحضارات أو عن أية ظاهرة إنسانية في حركة الانسان في بعده النفسي و في بعده الخارجي ، ليس معنى ذلك أن الله يتدخل في الامور بشكل مباشر ، تماماً كما نقول خلق الله الانسان ، مع ان الله خلقه من خلال نظام التناسل ، أو ان



الله خلق الزرع ليس معناه انه قال للأرض : ائبتي فنبئت و لكن من خلال طبيعة القوانين التي أودعها الله في الارض و في البذور و الهواء و في الشمس و ما الى ذلك من الامور.

لذلك لا فرق أن يكون الانسان مسلماً أو أن يكون انساناً يفسر كل الظواهر الاجتماعية و التاريخية و الكونية تفسيراً علمياً دقيقاً ، فذلك لا يخرجهم عن اسلامه قيد شعرة .

لذلك نقول : عندما يجلس المادي و الإلهي - اذا صح التعبير و هو غير دقيق جداً - عندما يجلسان أمام المختبر و يدرسان حركة العناصر التي تؤدي الى النتائج العلمية فإنهما لا يختلفان في ذهنيتهما أبداً في المرحلة الاولى . فكل منهما يرصد الظاهرة ، ويعرف سببها ، الفرق بين المادي و غير المادي يبرز في المرحلة الثانية أي في مرحلة ببيان العلاقة السببية عن الظواهر و مرجعيتها .

و هنا أحب أن ابين أنه ليس في العالم ملحد - باعتبار الكلام يجز الكلام - كل الملحدين الذين يقولون عن انفسهم انهم ملحدون هم مشككون لأن النفي يحتاج الى اثبات ، كما هو الاثبات يحتاج الى اثبات . عندما تقول : ليس هناك إله ، لا بد ان تطوف كل الكون في كل ابعاده ، لترصد المسألة لنقول : هل هناك إله أو ليس هناك إله . حتى الغيب انت لا تستطيع أن تنفيه ، بعض الناس يقولون : هذا غير معقول ، هذا تعبير غير علمي ، لأن العقل كما يقول ابن سينا " كل ما قرع سمعك فخره في بقعة الامكان حتى ينفذك عنه واضح البرهان " العقل يقول : الطريق لي الى هذا و لكنه يقول : يمكن هذا . و انتم تعرفون ان حركة العالم كلها انطلقت من الخيال العلمي ، من امكانية تحقق الفرضية ، و لذلك ليس في العالم ملحدون ، في العالم مؤمنون و مشككون و لكن المشككين قد يغفلون عما في انفسهم فيتحدثون عن الإلحاد في هذا المجال ، والإلحاد حركة

إيجاب و هم لا يعيشون إيجاب الإلحاد و لكنهم يعيشون سلبية الإيمان .  
على هذا الأساس نحن كمسلمين و كمؤمنين نعتبر أن المشاكل الاقتصادية و  
المشاكل الاجتماعية و الامنية و النفسية ليست مجرد بلاء نزل علينا من الله بلا  
مناسبة أو من دون ارتباط عضوي ، قد تحدث هناك أشياء خارج نطاق المألوف  
و لكن حركة العالم ركزها الله على حسب الواقع الطبيعي ، حتى أن بعض  
الفلاسفة المسلمين يقول : حتى المعجزة الخارقة للعادة ، هي لا تخترق قانون  
السببية و لكنها تنطلق من سبب خفي في مقابل الأسباب ، لأن قانون السببية هو  
قانون أشبه بالقانون الحتمي هكذا يقولون .

لذلك يمكن أن نتحدث عن المشكلة في العالم بأن الإنسان يمكن أن ينحرف و  
يمكن أن يستقيم . الإنسان يتحرك في حياته من خلال افكاره و حركة الافكار  
هي التي تمثل حركة الحياة ، لأن حركة الحياة هي صورة ما نفكر به .  
من خلال ذلك نقول : ان الخط الفكري المادي يقول : ان قضية الانسان ، تماماً  
كأي شيء من الأشياء الموجودة ، لا بد ان تخضع للأشياء المادية من حولها ،  
فعندما تريد أن تدرس سعادة الانسان فإن عليك ان تدرس مسألة اللذة ، مسألة  
الاكتفاء ، تدرس هذه الامور المادية في حياته . لكن عندما نعيش نحن - مثلاً -  
المفهوم الديني الذي يتحدث عن القناعة - و نحن لا نريد أن نفلسف معنى  
القناعة سلباً أو ايجاباً - يعيش معنى الرضى بما قسم الله ، نعيش معنى  
التضحية هذه المفاهيم الروحية التي يمكن للإنسان أن يختزنها في داخل  
شخصيته ، تجعله يستطيع أن يوازن حركة المشاكل في حياته بطريقة لا  
يستطيع الآخر ان يوازنها ، لأنني عندما احتاج عشرين بالمائة و لكنني لا اكتفي  
بعشرة بالمائة فأنني لا اعتبر نفسي غير سعيد ، باعتبار ان القيمة التي احملها و  
التي قد تنعكس ايجاباً على انسان آخر ، قد تجعل عندي سعادة روحية تعوض  
ما أفقده من السعادة المادية .

ان المفاهيم الروحية يمكن أن تدخل في حركة الحل للمشكلة الاقتصادية . لا ادعي ان المفاهيم الروحية هي الحل و لكنها احدى العناصر الواقعية للحل . عندما نريد ان نخطط لاقتصاد في مجتمع يؤمن بالله فان هذا التخطيط يختلف عن الاقتصاد في المجتمع الذي لا يؤمن بالله ، لأن مثل هذا يمكن أن تفرض عليه بعض التضحيات ، من دون أن تفقده الشعور بانسانيته و سعادته ، بينما يعيش الطرف الآخر حالة اليأس و السقوط و ما الى ذلك .

و عندما نعيش في الحياة على أساس ان الانسان ليس مجرد بضاعة أو قطعة أثاث ، ليس صخراً و ليس شيئاً جامداً و انما هو شيء متحرك ، و هذه الحركة تنطلق من المكونات الفكرية و الروحية و من المفاهيم التي تتفتح على كثير من قيم السعادة في الحياة عند ذلك لا بد لنا أن نوازن القضية من هذه الجهة . و هناك نقطة ثانية هي اننا كمسلمين او كمؤمنين نؤمن بأن الله - سبحانه و تعالى - خلق الكون . خلقنا و لم ينفصل عنا ، هو الرازق و ان كان يرزقنا بالوسائل الطبيعية و عندنا نص يقول { و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب } [ الطلاق : ٣ ] يظل الانسان يفكر بأن ما حوله ليس كل شيء ، هو يعمل في دائرة ما حوله و لكنه ، عندما يقف أمام المشاكل الصعبة و امام الطريق المسدود ، لا يشعر بأن الطريق مسدود أمامه { و من يتق الله يجعل له مخرجاً } - حيث لا مخرج { و يرزقه من حيث لا يحتسب } .

و على ضوء هذا فان الانسان المؤمن الذي يؤمن بأن الله هو مدبر الكون و راعيه و هو الرازق { و ما بكم من نعمة فمن الله } [ النحل : ٥٣ ] سواء كان بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ، فان الانسان الذي يختزن هذه الفكرة في داخل شخصيته فمن الطبيعي أن حاله في النظر الى طبيعة المشاكل الاقتصادية أو غيرها تختلف عن نظرة الانسان الآخر في هذا المجال .

و من هنا نجد أن الله سبحانه و تعالى لا يريد في احياءات القرآن أن نقوم

بعملية عبر عنها { **و لا تقتلوا اولادكم خشية املاق** } [ الاسراء : ٣١ ] ربما كان هذا في الواد و بعضهم يعتبر بعض وسائل المنع كالعزل الذي كان موجوداً سابقاً كالواد الخفي ، الله يقول لستم مكلفين { **نحن نرزقهم و ايالكم** } [ الاسراء : ١٣١ ] من الناحية الایمانية عليك ان لا تحسم المسألة في هذا الجانب ، على أساس أن هناك طريقاً مسدوداً لا يمكن أن تخترقه ، لكن لو فرضنا أنك أردت أن تفكر في القضية من خلال الآخذ بالاسباب العادية ، ربما تفكر من ناحية الراحة ، من ناحية بعض الاوضاع و الرفاهية من جهات أخرى من الاسلام لا يحجر عليك ذلك ، هناك تحفظات في هذه المسألة التي أثرت على أساس أن تنظيم النسل يلتقي بوسائل منع الحمل و بمسألة الاجهاض ، و من هنا كانت الضجة التي قادها الفاتيكان و قاداتها الكثير من القيادات الاسلامية ، نحن ربما نختلف مع الفاتيكان لأن وسائل منع الحمل في النظرة الاسلامية ليست محرمة ، إلا أن هناك تحفظاً في وسيلتين ، الوسيلة الاولى التعقيم باعتبار أن التعقيم يمثل قتل الطاقة ، و الله رخصنا في أن ننظم طاقاتنا و نجمدها و لم يرخصنا في قتل الطاقة التي تمثل جزءاً من الحياة فقتلها قتل لجزء من حياتك . أنت قادر أن تخمض عينك مدة طويلة و لكن لا يجوز لك أن تفقأ عينك . أنت قادر أن تغلق سمعك و لكنك لست حراً في أن تقتل سمعك و هكذا . التعقيم سواء كان تعقيم الرجل او تعقيم المرأة ، محرم لأنه قتل لجزء من حياة الانسان و الله لم يسلط الانسان على أن يقتل نفسه بالتقسيط في هذا المجال ، و بعض الفقهاء يقولون : اذا كانت المرأة في وضع صعب جداً مرضي أو ما شابه الى ذلك و ليس هناك طريق إلا التعقيم فيجوز التعقيم في هذه الحالة . هذه نقطة .

النقطة الثانية هي الاجهاض . قضية الاجهاض تصور بالنسبة الى المرأة بطريقة مأساوية ، هناك حمل لا ترغب به المرأة لماذا تريدون أن تفرضوه عليها ؟ او لا ترغب به الابوان ، لماذا لا تكونون انسانيين ؟ هذا هو الكلام

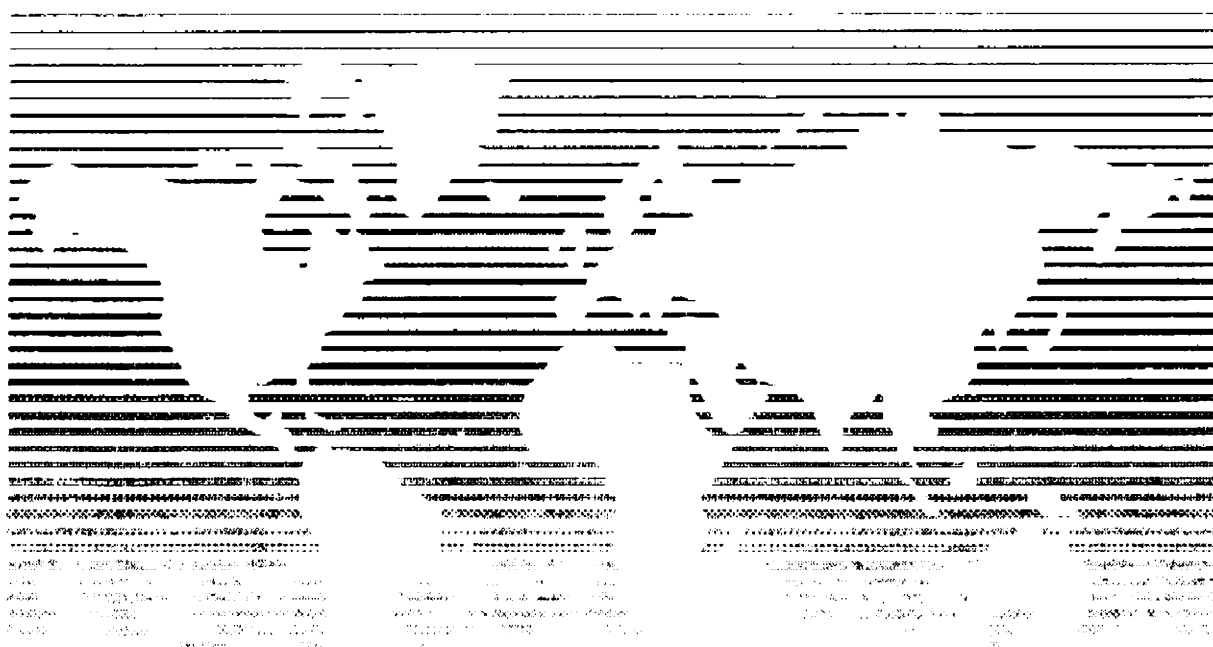
الذي يطرح لدى هؤلاء ، لماذا لا تكونون انسانيين ؟ لماذا تفرضون على المرأة أن تتحمل هذا الولد الذي جاء خطأ - سواء من علاقة مشروعة أو غير مشروعة - لماذا ذلك ؟ كان المسألة تتصل بالجانب الذاتي للمرأة أو المرأة و الرجل في وليدهما ! لكن هناك شخص ثالث هو الحمل ، يمكن للمرأة ان لا تحمل هذه حريتها ، يمكن أن تستخدم كل وسائل منع الحمل هذا شأنها ، و لكن عندما يكون هناك حمل فهناك حياة جديدة ، قد تكون هذه الحياة بدأت رحلتها في اليوم الاول أو في الشهر الاول أو في الشهر الثاني ، لكن هناك انسان آخر قد لا يكون انساناً متكاملأ و لكنه مشروع انسان . عندما نفكر بهذه الطريقة - و أحب أن تفكروا معي - ان المرأة اذا لم ترغب في الولد بعد انجابها يمكن لها أن تقتله ؟ انه الجانب الانساني المأساوي نفسه و النظرة المأساوية الشاعرية الخيالية نفسها في هذا المجال ، الآن اذا كان المبرر أن نقتل حياة عمرها شهر أو حياة عمرها أربعة أشهر ، أو أن نقتل حياة عمرها عشرة أشهر أي فرق إذا كانت المسألة هي عدم الرغبة ، إذا كانت المسألة أن الانسان حر في أن يقتل الجنين الذي لا يرغب فيه ؟

كما أن هناك بعض الاجتهادات تقول : اذا فرض أن الحمل كان يضر المرأة ضرراً بالغاً جداً و ان لم يصل الى الخطر على الحياة يجوز ذلك . - و لكن حسب التعبير الشرعي - قبل نفخ الروح أي قبل الاربعة أشهر .

فالمسألة تعيش في هذا الاطار ، فأنا أحب أن نفكر في هذه النقطة عندما نثار أمامنا المأساة كيف يمكن أن نفرض على المرأة شخصاً لا ترغب فيه ؟ لم يفرض أحد عليها ، لكن لكن هي فرضت على نفسها أو أن الظروف الاجتماعية فرضت عليها فأصبح هناك شخص ثالث ، لهذا لا بد أن نفهم المسألة على هذا الاساس . فالقضية من الجانب الديني هي أن الاسلام ليس ضد تنظيم النسل ، بل ضد الذهنية التي تتطلق في تنظيم النسل من عدم الثقة

بالله و من اليأس من وجود أية فرص ، هذا يسيء الى الروحية الدينية ، اما بالنسبة الى الجانب الآخر فيمكن للإنسان أن يفكر بتنظيم النسل ، إذا خرج عن هذين التحفظين : التعقيم و الاجهاض مع الملاحظات التي ذكرناها حول الاجهاض .

و من الطبيعي ، عندما نفكر في مسألة تنظيم النسل فعلياً أن لا نستغرق في هذه المسألة ، تحت تأثير دعوات لجان تنظيم النسل بل علينا كشعب كأمة ، كمجتمع علينا أن نتحرك من أجل مواجهة قضايا التنمية في مجتمعنا - سواء كانت هذه القضايا تتصل بالمسألة الاجتماعية في حركة المجتمع أو كانت تتصل بالمعائل السياسية الداخلية و الخارجية - لا بد لنا أن نوازن لتكون المسألة موازنة بين مشاكل السكان و مشاكل التنمية فلا نعيش في المطلق و لا نعيش في الاحكام غير المدروسة بل نواجه كل موقع من مواقع الواقع ، تبعاً لطبيعة المشكلة و الظروف الموضوعية التي تحيط بهذا الموضوع أو ذاك.



# يتحدثون عنك فماذا تقول ؟

## الرأي المخالف



❖ هناك من يعزو أسباب الحملة على شخصك إلى الاجتهادات التي أصدرتها بخصوص جملة قضايا ؟ ما هي أبرز هذه الاجتهادات ؟

○ هناك بعض الآراء التي لا يتقبلها الناس لا سيما في الساحة الشيعية كما حصل مع الفتوى في طهارة كل الناس من المسلمين و الكافرين فأنا أقول بطهارة كل إنسان بينما المشهور عند علماء المسلمين الشيعة بنجاسة كل كافر و أنا من خلال اجتهادي المبني على الكتاب و السنة أجد بأن لا دليل على نجاسة أي إنسان .

هناك أيضاً فتوى تقول بأنه لا مانع في أن يرجع الناس في فتاواهم الفقهية إلى الحي أو الميت على السواء و المشهور بين العلماء لا يجوز تقليد الميت . و هناك رأي يخالف رأي بعض الفقهاء و يوافقنا به بعض العلماء و هو القول بحلية لعب الورق للتسلية شرط ألا يشغل الانسان عن فروضه العبادية و المعيشية لأنني أرى أن المحرم هو اللعب بالقمار أما اللعب بغير القمار فليس محرماً .

و هكذا فإنني لا أرى حرمة في حلق اللحية و إن كنت لا أفضل حلقها و لا سيما و انها أصبحت شعاراً للإيمان في الكثير من المواقع . و هكذا كنت أرى أن الفستاة البكر مستقلة في أمر زواجها إذا كانت بالغة عاقلة رشيدة ، كما هي



مستقلة في إدارة أموالها و هكذا فإنني قد لاتفق مع مشهور الفقهاء في مسألة الموت الدماغي فأنا لا أوجب وضع جهاز الموت الدماغي لتحفظ حركة قلب الإنسان كما لا أحرم رفع هذا الجهاز إذا كان موجوداً لأنني اعتقد أن هذه الحياة الموجودة في حركة القلب ليست هي حياة الإنسان و لكنها حياة الخلية ، تماماً كما هي العين عندما نأخذها من حي لنزرعها في جسد حي آخر فهي تبقى على الحياة و لكنها حياة الخلية . و هكذا رأيي بالنسبة للاستنساخ فأنا لا أرى في هذا الأمر شيئاً منافياً للعقيدة لأن الذين يقومون بهذه العملية سواء بالنسبة للحيوان أو الإنسان إنما استلهموا سر الجسد فالولد ينشأ من خلال الخلية الكاملة و النطفة و البويضة هما خليتان ناقصتان لذلك إذا افرغنا البويضة من العناصر الموجودة في داخلها ثم أخذنا خلية من داخل الثدي و زرعناها في نفس البويضة فإن النص القانوني الذي ينتج الولد بالتقاء البويضة و النطفة هو نفس النص القانوني في مسألة زرع الخلية في البويضة .

أما بالنسبة إلى شرعية و فعلية الاستنساخ بمعنى هل تبيح استنساخ البشر أو لا فهذه المسألة لا بد لك من أن تدرسها من خلال العناوين ، لأنها قد تصطدم بأوضاع أخلاقية أو طبية و من هنا لا أستطيع أن أعطي حكماً بالحرمة بشكل مطلق كما لا نستطيع أن نطلق حكماً بالجواز لأن القضية تتبع طبيعة العناوين الإيجابية و السلبية التي يمكن أن ينتجها هذا الموضوع .

أيضاً فأنا لا أرى مانعاً في أن يتبرع الإنسان الحي بأعضائه التي لا تشكل خطراً على حياته و لا مانع من أن يتبرع الإنسان بأعضائه بعد الموت ، إنني لا أرى مشكلة فقهية في هذا المجال استناداً إلى المباني المقررة في بعض بحوثي الفقهية الاستدلالية .

كما إنني لا أرى المحرم من الموسيقى إلا الذي يثير الغرائز أما الموسيقى التي ترتفع بالروح و تسمو بالنفس و تريح الأعصاب و تعطي الإنسان شعوراً

بالروحانية و السمو و الرقي ليست محرمة كما أن الغناء المحرم عندي هو ما يكون مستنداً على مضمون الأغنية التي تلغي روح الإنسان و قلبه و عقله أما إذا كان مضمون الاغنية منفتحاً على ما يرفع روح الإنسان و قلبه و عقله و سياسته فليست هناك أي مشكلة فقهية في هذا المجال . كذلك بالنسبة الى ما يقال عن تعدد الفتاوى فان المسألة هنا ، تحصل كما في الفكر الوضعي تماماً ، ألا يختلف الناس في تفسير القانون ؟ ألا توجد اجتهادات متنوعة في القانون ؟ إن الفتاوى تنطلق من قواعد الفكر و في الشريعة تماماً كما في الاحكام التي تنطلق من مواد قانونية مندرجة في هذا القانون او ذاك . إن الاحكام الفقهية و الفتاوى تستند إلى مضمون اسلامي ، كما هو الحال بالنسبة الى قضية المرتد . و مع ذلك لا نعثر على ممارسات فقهية اسلامية قاطعة بحق المرتدين في العالم الاسلامي . لكننا حينما نواجه قضية كقضية سلمان رشدي نجد انها اثيرت في دائرة الصراع بين الاسلام و الغرب . و لهذا فإنها أخذت بعداً سياسياً إلى جانب البعد اديني ، و خرجت عن كونها قضية حرية فكر ، و قد تطورت لتمثل تحدياً غريباً للإسلام و في الوقت نفسه رد التحدي من قبل الاسلام للغرب . و تحول رشدي الى رمز غربي ضد الاسلام باسم الحرية ، و تحول كذلك الى رمز مرفوض اسلامياً من خلال اساعته إلى النبي ، فمثلاً ربما لا تثير مسألة طه حسين أو نجيب محفوظ اهتمام الانسان العادي في العالم الاسلامي لأنها مسألة تتصل بالمواقع الثقافية . و في المواقع الثقافية يمكنك أن تتحدث بعقل بارد . و مع احترامنا لكل الدراسات التي تحدثت عن موضوع رشدي ، فإننا لا نستطيع أن نحصر قضية مؤلف "آيات شيطانية في اطار حرية الفكر بالمعنى الموضوعي لحرية الفكر . ربما انطلق سلمان رشدي بداية بنص أدبي يشتمل على احياءات ، لكن تلك الاحياءات اصطدمت بالحالة الوجدانية الاسلامية العامة من مثل التحدث عن النبي بهزاء و بطريقة أقرب الى السخرية و

السبب . و الاستهزاء في هذا المقام لا يمكن أن يوضع في خانة الابداع و الفن، كما انه لا يوجد ما يلزمنا بالتحرك في خط الابداع كما لو كـ\_\_\_\_ان مطلقاً . من هنا فإن قضية رشدي تعاضمت لأن المؤلف صدم الوجدان الاسلامي بطريقة غير دقيقة و بعيدة عن الاحترام . و هكذا لا بد لنا في كثير من الحالات أن ندرس المسألة من خلال كل العناصر ، و ان كانت بعض هذه العناصر انطلقت من واجهة معينة ، هي موضوع الحكم الديني بالنسبة للمرتد . هناك فرق بين أن نتحدث عن هذه المسألة في الاطار الهاديء الثقافي و بين أن نتحدث عنها في حرب حارة يستعمل كل طرف فيها اسلحته . ففي حالة الحرب لا نستطيع أن نلقي اسلحتك بقطع النظر عن طبيعتها . مع العلم بأن هناك مرتدين كثيرين في إيران و العالمين الاسلامي و العربي ، يكتبون كتباً متنوعة في هذا المجال ، و لم تصدر فتاوى بقتلهم ... و إلا كان علينا لو كان الامر حاصلأ ، أن نقوم بحملة تتناسب مع حجم الظاهرة .

إننا عندما ندرس التاريخ الاسلامي ، نجد أن الثقافة و الابداع و الفنون شهدت نمواً متقدماً في الاجواء الاسلامية ، التي كثيراً ما توصف اليوم بالتخلف . فأن نتحدث عن حقبة معينة في الواقع الاسلامي شهدت ممارسات معينة ، لك أن نتحدث أيضاً عن حقبة أخرى شهدت ممارسات فظيعة جداً في التاريخ العالمي غير الاسلامي . هناك ممارسات اسلامية غير مبررة توازيها ممارسات غير اسلامية في الاتجاه عينه .

إن الواقع الذي كان يعيش فيه لبنان مثلاً ، و الذي كان يقتل في خضمه العلماء و المفكرون و السياسيون و الصحافيون الخ .. في نطاق لعبة الفتنة التي كانت تديرها الايدي الخارجية ، رسم مناخاً من الجنون جعل المواقع المتحركة تنطلق في نوامة العنف تصم الأذان و تحول دون سماع أي صوت ، و منع القضية أن تكون صراعاً فكرياً مجرداً . و ظاهرة الصمت عن القتل ، مشتركة

في تاريخنا القريب سواء في مواقف علماء الدين بالنسبة لبعض المتقنين ، أو في مواقف العلمانيين بالنسبة لبعض علماء الدين . أين الصوت العلماني المرتفع تنديداً باعدام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ؟ لماذا لم يستنكر الماركسيون الاعدام مثلاً ؟ و هكذا ربما لا يستنكر رجال الدين اعدام رجل يقف ضد الدين ، باعتبار انهم لا يرون ضرورة للاستنكار ، على أساس أن القضية المطروحة في الساحة ليست قضية حرية الفكر بالمعنى المطلق ، و إنما القضية المطروحة في الساحة وجود معركة حادة يتبادل فيها العلمانيون و الدينيون الأدوار . هنا انا لا اسوغ و لكنني أفسر الظاهرة . أضف إلى ذلك أن هناك ما يجب أن نلاحظه فيما يتعلق بالهجمات الدعائية و التضخيم الاعلامي ، فلقد سألت جزائريين عن اغتيال الصحافيين في بلادهم ، فكان الجواب أن الاسلاميين غير معنيين بهذه القضية اضافة الى انه ليس هناك وضوح في هذه المسألة . و هكذا نرى انه عندما تحصل معركة و ينطلق الاسلاميون داخلها و تنطلق فئات أخرى ، فان الاتهام يوجه إلى الاسلاميين .

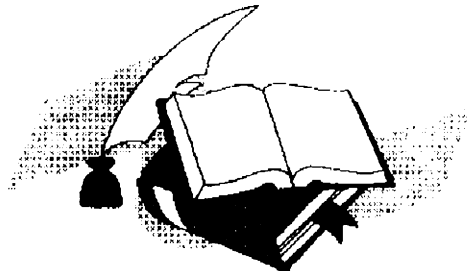
إن ما يحدد الخطأ و الصواب في الاسلام ، هو مسألة البرهان و الحجة و في سياقهما تتأكد المسألة العقلانية حتى في دراسة و تقويم المضمون الديني ، و في حرية التحدث عن كون هذا الامر خطأ أو صواباً من حيث انسجامه أو عدم انسجامه مع الخطوط الاساسية للدين . إننا نجد في القرآن الكريم عدة عناوين بهذا المعنى { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } { و ها انتم هؤلاء حاججتم في ما لكم به علم فلم تحاجون في ما ليس لكم به علم } انه يؤكد على العلمية بمعنى اليقين الوجداني كأساس للحركة { و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً } لذلك فإن مسألة عقلانية الجدل في عملية الخطأ و الصواب التي تعتمد على مفردات الفكر والبرهان و ما إلى ذلك ، تمثل رقابة في المجال الفكري . و نسايطع أن نؤكد

لا كهنوت في القرآن . و ليس هناك فئة من علماء الدين في الاسلام تملك - وحدها- شرعية تفسير القرآن و شرعية تفسير السنة (بقول مطلق) خصوصاً إذا كان هناك آخرون يملكون ثقافة في اللغة العربية و جوانب العلم الأخرى .

### ملاحظاتكم و مقترحاتكم - لتطوير مجلة المعارج ؟

○ إنني أفاعل خيراً في وجود مجلة " المعارج " متخصصة بالقرآن و أعتقد ان إدارة الحوار حول قضايا القرآن في كل ما يثيره العصر من علامات استفهام و تحديات ، هي من أفضل الوسائل لتطوير الثقافة القرآنية ، لأنها هي التي تدفع بالقرآن من جديد إلى ساحة الصراع ككتاب يثير الفكر ليتحدى و ليرد التحدي ، كما يثير الروحانية و الخشوع في قلوب ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ [ الانفال : ٢ ] .

و أدعوا الكتاب الإسلاميين ، و لاسيما علماء الدين أن يفتحوا على هذه المواضيع كجزء من قيامهم بالمسؤولية الفكرية الرسالية ، و أتمنى للمجلة المزيد من النجاح و التركيز و العمق و الامتداد و التوفيق . و على ضوء هذا لا بد من توجيه مسألة - بطون القرآن - بما ينطبق على اللوازم المتعددة للمعنى او الإحياءات المعنوية المنفتحة على آفاق المعنى في التداعيات التصورية التي تتنوع فيها خطوطه في المادي و المعنوي أو الاحتمالات المتعددة في فهم خصوبة النص المفتوح على جديد الواقع و الزمان .



## مشكلات الفكر هي مشكلات المنهج

✻ للقرآن - في ثقافتنا الإسلامية - دور الأساس من حيث هو المصدر المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه فقد أجمع المسلمون على أن التحريف لم يقترب منه ، و إذا كان البعض يتحدث عن بعض ألوان الزيادة أو النقصان انطلاقاً من بعض الأحاديث التي لا يثبت سندها أمام النقد و لا يصمد مضمونها أمام المحاكمة ، فإنه لم يستطع أن يفرض رأيه على الواقع القرآني فليس هناك ، في شرق العالم و غربيه ، نسخة أخرى للقرآن غير هذه النسخة المتداولة ، مع اختلاف الطوائف الإسلامية مما يجعل من الحديث عن تلك حديثاً لا يتصل بالواقع الإسلامي من قريب أو بعيد . و على هذا الأساس ألا من تصور قرآني لمحاسبة الجانب الاجتهادي في مشكلات الفكر الإسلامي المعاصر ألا من كلمة فصل لمحاكمة مباني الفقه الإسلامي الحديث ؟

○ إذا كانت بعض الكلمات تتسبب هذا الاتجاه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام فإن الأحاديث المتواترة عن الأئمة من أهل البيت تصرح بأن " كل شيء مردود إلى الكتاب و السنة و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف " (١) و "إن على كل حق حقيقة و إن على كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه ، و ما خالف كتاب الله فدعوه " (٢) الأمر الذي يدل على أن منهجهم في توثيق الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عنهم هو العرض على الكتاب و ليس المقصود به إلا الكتاب الموجود بين أيدي المسلمين ، فكيف يمكن أن يكون المرجع محرفاً و هل يمكن أن تؤخذ الحقيقة الأصيلة مما لا يملك وثاقتها ؟

(١) الكافي ج ١ ص ٦٩ و نقلاً عن وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٢٩

(٢) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٦

وإذا كان للقرآن هذا الدور الأصيل في ثقافتنا الإسلامية فلا بد أن يكون هو المصدر الأساس في مفاهيمنا في العقيدة والشريعة والحياة لنرجع إليه في كل ما اختلفنا فيه، مما اختلفت فيه الآراء والأهواء بحيث نفتح عليه في كل مرحلة من مراحلنا الثقافية التي تفرض علينا الكثير من الجدل حول هذا المفهوم الإسلامي أو ذاك فيما يحكم الوجدان العام للمسلمين في أي شأن من شؤون الحياة والإنسان فلا نلتزم هذا المفهوم من خلال فهم العلماء السابقين بل نعمل على تحديد دراسة النص القرآني من خلال المعطيات الفكرية الجديدة التي تطرح أكثر من علامة استفهام الأمر الذي يفرض إجابات معاصرة لم يكن للقدماء عهد بها، وربما وجدنا في ظواهره معنى لم ينتبه إليه السابقون، وربما كانت اجتهاداتهم في فهم ظواهره منطلقة من ذهنياتهم المليئة بالأعراف العامة التي تحكم منهج التفكير آنذاك، وربما غابت عنهم بعض المقارنات بين آية وآية أو بين ظاهر وظاهر، فنكتشف شيئاً جديداً لم يكتشفوه فلا قداسة للقديم من خلال قدمه، فكم ترك الأول للآخر.

لذلك لا بد لنا من اعتبار الثقافة القرآنية ثقافة متحركة في المسألة الفكرية بحيث تظل على حركة التطور المعاصرة في قضاياها وحاجاتها وتعقيداتها، فلا يكون القرآن غريباً عن مواجعتها ومعالجتها ومقاربتها، تماماً كما لو كان القرآن نزل في هذا العصر لأنه يجري مجرى الشمس والقمر، والليل والنهار، كما جاء في أحاديث أهل البيت (ع) فلا يتجمد في ظروف الزمان والمكان التي فرضتها أسباب النزول، لأنها، فيما صح منها، تمثل المنطلق لحركة الآية في الواقع في مضمونها الذي يتجاوز خصوصياته لينفتح على إعطاء القاعدة والمبدأ والخط على مدى الزمان والمكان والناس، ولا يقتصر على المورد الذي نزلت فيه الآية وقد قال الفقهاء أن المورد لا يخصص الوارد.

إن حركة الاجتهاد في فهم القرآن تبقى حيةً مفتحة على كل جديد، لأن النص القرآني لا يمثل - في أغلب آياته - النص الصريح الذي لا يلتقي مع الاحتمال المخالف

بل يمثل الظهور الذي هو حركة في الظن الذي يجمع الاحتمال وليس معنى في القطع الذي لا مجال فيه لاحتمال آخر.

وفي ضوء ذلك قد يجد الإنسان الفرصة في فهم الظاهر، بما لم يصل إليه الآخرون وقد يلتقي الباحث المفكر ببعض الجوانب في هذا النص مما لم ينتبه إليه الباحث الآخر الذي قد يكون نظر في القضية من جانب آخر.

ولذلك فإننا ندعو إلى تفاسير جديدة من خلال فهم جديد ومعاصر، ولست أقصد بذلك أن تكون الجدة عقدة ضعف نعيشها في حاجتنا إلى الإجابة عن أسئلة العصر لتكلف الجديد من خلال التأويل الذي لا يحتمله النص، أو محاولة إدخال كل النظريات العلمية الطبيعية والاجتماعية والنفسية في المدلول القرآني بالدرجة التي لا يحتملها المعنى في الآية، كما لاحظناه في بعض التجارب التفسيرية التي حاولت أن تجد في كلمة (الذرة)، مثلاً، حديثاً عن علم الذرة أو نحو ذلك.

فإن فشل هذا المنهج قد يدخل القرآن في متاهات فكرية لا تخدم الحقيقة الإسلامية لأن النظرية قابلة للخطأ والصواب، فهي لا تمثل الحقيقة العلمية الحاسمة فكم من النظريات التي كانت تمثل البديهة العلمية لدى جيل من الناس أصبحت تمثل الخرافة لدى جيل آخر فلا يمكن إخضاع القرآن لها، مع الملاحظة المهمة، في هذا الاتجاه، وهي أن التفسير عبارة عن استنطاق النص من خلال مدلوله اللغوي أو العرفي من دون أي تكلف تأويلي إلا بحسب القرائن المحيطة بالنص في نطاق قواعد المجاز والاستعارة والكناية التي هي الخط البلاغي لحمل اللفظ على ظاهرة من خلال الظاهر الثانوي الجديد بفعل القرائن الواضحة. وإننا إذ نؤكد هذه الفكرة فإننا لا نمانع في وجود الكثير من الإيحاءات العلمية في عالم الطبيعة والإنسان، والمفاهيم الاجتماعية والنفسية، ولكن لابد من محاولة الوصول إلى طبيعتها وتفصيلها من خلال منهج دقيق يلتقي بالفكرة في



المدلول اللفظي على أساس القواعد الثابتة في اللغة العربية في فهم المضمون، مع إبقاء الاحتمال لفهم جديد.

وإننا في تركيزنا على هذا المنهج في فهم النص القرآني، لا نريد إغفال السنّة التي هي المصدر الثاني المعصوم في وعي الحقيقة الإسلامية لأنها صادرة عن النبي الذي ﴿لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤) ولأن الله خاطب عباده في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

ولكن المشكلة في السنّة هي مشكلة توثيقها من حيث إثبات صدور الحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم صدوره، لاسيما إذا عرفنا أن السنة لم تدوّن في عهد النبي وعهد الصحابة بل كانت مخزنة في صدور الرواة الذين قد يكونون - مع امتداد الزمن - عرضة للخطأ والنسيان بالإضافة إلى التعقيدات الواقعية في المجتمع الإسلامي التي دفعت بالوضع والدس في الأحاديث إلى الواجهة، كما نجده في الإسرائيليات وفي الأحاديث المتضمنة للكثير من المفاهيم التي كانت حاجة لبعض الأوضاع السياسية المتجددة في الواقع الإسلامي في تقويم هذا الشخص أو ذاك بشكل إيجابي أو سلبي ليكون ذلك حجة في ساحة الصراع، الأمر الذي جعل مسألة الاستيثاق مسألة صعبة، ولهذا بذل العلماء جهداً كبيراً في عملية التوثيق للسنة من خلال التدقيق في أحوال الرواة ومضمون الرواية بحيث تحوّل ذلك إلى علم جديد هو علم الرجال و«علم الدراية» و«علم الحديث».

ولكن هذه الجهود لم تصل إلى نتيجة حاسمة لا تقبل الجدل فما زال النقاش دائراً بين العلماء في وثاقه هذا الراوي أو ذاك، أو في انسجام هذا المضمون الحديثي مع العقل أو القرآن وعدم انسجامه، حتى أن البعض من علماء الحديث لا يجد وثاقة حاسمة في الأحاديث الواردة في الصحاح المتعددة التي اشتهر الحكم بصحتها حتى اعتبرها البعض

«ثاني كتاب الله» بحيث لم يناقش أحد في صحة أي حديث يرويه البخاري أو مسلم أو غيرهما انطلاقاً من الثقة بتصحيح مؤلف هذا الصحيح أو ذاك، وقد بدأ الجدل الحاد يفرض نفسه على هذه المداخل الجديدة التي قد تكون مفيدة للفكر الإسلامي لأن الالتزام الحاسم بصحة كل الأحاديث الواردة في الصحاح من دون مناقشة قد يفرض علينا بعض المفاهيم التي قد تختلف مع القرآن أو مع الحقيقة العلمية الحاسمة مما لا يمكن نسبته إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويؤكد هؤلاء بأن وثاقة المؤلف وتدقيقه لا يصل بالقضية إلى مستوى الحقيقة البديهية بل يصل بها إلى الوثاقة الشخصية بمعنى أن المؤلف انطلق من حجة معذرة له أمام الله ولكن يمكن لغيره أن يكون له رأي آخر في هذا الراوي أو هذا الحديث وقد يجد بعض المتحمسين أن هذا الرأي يسيء إلى الإسلام لأنه يصادر الكثير من الأحاديث الماثورة المتضمنة للمفاهيم الإسلامية في شؤون العقيدة والشريعة والحياة ويؤدي إلى التشكيك في السنة فلا يبقى منها إلا الشيء القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. ولكننا نتصور أن القضية ليست بهذا المستوى من السلبية، لأن المسألة المطروحة تركز على إبقاء الاجتهاد مفتوحاً في توثيق الأحاديث في الصحاح وغيرها لا في إلغاء الأحاديث كلها وربما يؤدي ذلك إلى نفس النتيجة التي يلتزمها الصحاحيون أو إلى ما يقرب منها.

إن القضية التي تفرض نفسها علينا هي تأصيل المفاهيم الإسلامية من خلال توثيق مصادرها حتى لا يكون تقديس الرجال على حساب قداسة المضمون الفكري الإسلامي الذي قد لا يكون قريباً إلى الصواب إذا صادف الراوي للحديث المتضمن له لم يكن في مستوى المسؤولية وقد رأينا - في تاريخ الحديث - أن بعض الناس الذين يحملون أفكار الغلو والزندقة كانوا يلجؤون إلى استعارة كتب الرواة الموثوقين فيدون فيها الأحاديث الملائمة لأفكارها ويتقنون تقليد الخط بحيث لا يلتفت إليها حتى الراوي نفسه الذي

يسلم كتابه إلى الرواة عنه ليكتبوها باعتبار أنها رواية الثقة فقد جاء في بعض أحاديث الإمام الصادق (ع) عن شخص يدعى أبا الخطاب محمد بن مقلاص، أنه كان يدس الأحاديث في كتب أصحاب الإمام محمد الباقر فيدخل فيها أحاديث الكفر والغلو والزندقة وهذا هو الذي جعل الرواة يعرضون الأحاديث الموجودة لديهم على الأئمة المتأخرين كالإمام علي بن موسى الرضا، كما كانوا يرفضون كتاب الحديث وروايته من الكتاب بل يطلبون من الراوي أن يحدثهم به شفاهاً، لاحتمال الدس في كتابه.

إن السنة هي مصدر أساس في الإسلام، ولكن توثيقها لا بد أن يخضع لمحاكمة دقيقة، لا سيما إذا كانت تتضمن تفسيراً لكتاب الله بما يخرجها عن ظاهره أو يفيض في تفاصيله فيبتعد بالمضمون عن مساره الفكري الحقيقي، الأمر الذي يدل صورة القرآن في الوجدان، ويحوّله إلى كتاب يتلاعب به أصحاب العقائد والأهواء من خلال الأحاديث التي تكتسب قداسة من ورائها، يفرضون على الإسلام مفاهيم منحرفة، وعقائد ضالة، وآراء خاطئة قد تطال العمق للفكر الإسلامي، لأنهم كانوا إذا لم ينجحوا في تأويلهم الاجتهادي للقرآن فقد يجدون سبيل النجاح الأفضل في تحويل أفكارهم وعقائدهم إلى أحاديث شريفة يضعونها تبعاً لأهوائهم أو أهواء النافذين في هذه المرحلة أو تلك.

وهذا هو الذي نلتقي به في الكثير من أحاديث التأويل والتفسير الباطني الذي يفسر الكلمة بغير معناها من دون دليل من العقل أو النقل بحيث يحوّلون القرآن إلى كتاب رمزي لا يراد منه ظاهره، لأن ألفاظه تتحول إلى مصطلحات خاصة ذات رموز معينة لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم كما يفسرون هذه الفقرة من الآية.

وقد أساء هذا الاتجاه إلى العقيدة الإسلامية والمفاهيم القرآنية مما أدى إلى تجميد القرآن في أشخاص معينين ودوائر محدودة، مع عدم السماح بأية مناقشة فكرية أو حديثية أو قرآنية لأن قداسة الأفكار الشائعة من خلال الأحاديث تمنع العلماء من

مناقشتها، فإذا تجرؤوا على مناقشتها وإثارة علامات الاستفهام حولها، فإن الاتهامات بالانحراف عن المذهب والخروج عن الدين، والاستغراق في التفكير المادي، هي الرد الذي يوجه لهؤلاء العلماء في أسلوب غوغائي لا يلتقي بالحق من قريب أو من بعيد.

وقد درج بعض المفسرين على إخضاع الآية في مضمونها للأحاديث الواردة في موضوعها من دون تأكيد على صحة الأحاديث من حيث السند أو من حيث المتن الأمر الذي أدى إلى اختلال الظهور البارز في الآية بشكل واضح.

إننا لا نمانع في القاعدة المنهجية وهي أن الكتاب قد يخصص بالسنة المتواترة القطعية، أو بالسنة الظنية الثابتة بخير الثقة، وقد يحمل على خلاف ظاهره بذلك ولكن مع إثارة القرينة التي تؤكد إرادة المعنى غير الظاهر لأن فقدانها يبتعد بالطريقة التعبيرية عن الانسجام مع القواعد البلاغية الثابتة لدى أهل اللغة، فإنهم يرون أن إرادة خلاف الظاهر لا بد أن يخضع في دلالة اللفظ إلى قرينة عقلية أو لفظية مقارنة له أو قرينة إلى جوه تصرف اللفظ عن ظاهره فلا موقع للحالة الخالية من الدليل المضاد لإرادة الظاهر. ولعل الانطلاق من هذا المنهج في المسألة التفسيرية يؤدي إلى التخلص من الكثير من الأحاديث المفسرة للآية من دون دليل، من اللفظ أو من السياق أو من الجو المحيط به، على التفسير.

وهناك نقطة مهمة لا بد من إثارتها في المنهج، وهي أن الآية قد تفسر الحديث وتحصره في دائرتها المحدودة، بدلاً من أن يجذبها إلى دائرته الواسعة التي تتجاوز مدلولها الظاهر وذلك إذا ورد حديث يدل على الاستدلال بالآية على موضوع واسع في الوقت الذي تضيق الآية في مضمونها عنه، فإننا نرى أن الآية تضيق دائرته بدلاً من توسيع الحديث لمدلول الآية.

مثال ذلك جاء في الأحاديث المأثورة، في تفسير قوله تعالى: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ (الحج: ٣٠).

قال: الغناء وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢) قال: الغناء وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ (لقمان: ٦) قال الغناء: فإننا نلاحظ في مدلول «قول الزور» و«لهو الحديث» أنه ظاهر في الغناء المشتمل على كلام باطل، أو حديث يؤدي إلى اللغو الذي يضل عن سبيل الله وبذلك تكون الآية دليلاً على حرمة الغناء في هذه الدائرة المحدودة فلا تشمل الغناء المشتمل على كلام الحق كالمناجاة أو المدائح النبوية، أو القضايا السياسية والاجتماعية والوجدانية المعبرة عن مضمون مفيد للإنسان ومنسجم مع الخط الإسلامي الأصيل كما يوحي الاستدلال بالآية، من خلال هذا المفهوم، على حرمة الغناء، أنه ليس محرماً بذاته بل بلحاظ انطباق هذه العناوين القرآنية عليه.

ولكن بعض الفقهاء حاولوا أن يركزوا على الصوت اللهوي أو اللحن الباطل بعيداً عن المضمون بحيث جعلوا سعة مفهوم الغناء حاكمةً على مدلول الآية ولذلك حكموا بجرمة الغناء مطلقاً حتى في الكلام الذي يقرب الإنسان من الله ويجعل من اللحن وسيلة من وسائل تعميقه في النفس.

ولكننا لا نجد هذا الفهم منسجماً مع ظاهر الآية إذا كانوا يركزون على اللغو والباطل صفتان للحن لأنه هو الذي يمثل الفرق بين كون الكلام غنائياً أو غير غنائي، فإن الرد على ذلك أن التأكيد القرآني هو في المضمون الباطل الذي يزيده اللحن تأثيراً في النفس مما يوجب الإضلال عن سبيل الله، فإن هذه الغاية السلبية لا تتحرك من خلال اللحن بل تتحرك من خلال المضمون الذي يدخل إلى الوجدان فيشغله عن الله ويضله عن سبيله، وذلك من خلال دور اللحن في استقبال الإنسان للفكرة بطريقة أسرع وأكثر تأثيراً.

وهناك مثال آخر وهو ما ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ

يتحدثون عنك فماذا تقول ؟

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴿٩١﴾ (المائدة: ٩١).

وورد في الأحاديث أن «الشطرنج ميسر» وأن النرد «ميسر» وفي حديث آخر عن الإمام الصادق الذي سأله شخص ما الميسر قال: الشطرنج، قال: قلت أنهم يقولون: انها النرد وقال النرد أيضاً.

فقد ذهب الفقهاء إلى حرمة النرد والشطرنج مطلقاً حتى لو لم يكن اللعب مشتملاً على العوض الذي يوجب صدق القمار عليه من خلال الأحاديث الواردة في النهي عنهما مطلقاً، وقد رأوا أن تطبيق الميسر عليها يدل على توسعه مفهوم الميسر لما يشمل اللعب بدون عوض أو أن المراد به آلات الميسر حتى لو لم يلعب بها بالطريقة القمارية.

ولكننا نرى أن للميسر ظهوراً في اللغة في لعب القمار الذي يخترن في مضمونه مفهوم العوض وهذه هي القرينة على أن إطلاق كلمة الميسر على الشطرنج والنرد يطلق من هذه الملاحظة على أساس أن تطبيق العنوان على شيء يدل على أن المراد بالشيء ما يتناسب مع العنوان وليس العكس، ولذلك ذهب بعض الفقهاء ومنهم الإمام الخميني إلى حلية اللعب بالشطرنج والنرد إذا خرجا عن عنوان آلة القمار.

وهناك ملاحظة أخرى في المنهج، أشرنا إليها في بداية الحديث، وهي اعتبار القرآن - في مفهومه الفكري - حاكماً على الأحاديث في مدلولها، فلا بد من أن يكون موافقاً للمفهوم القرآني على مستوى القيمة، أو الفكرة، أو الخط، فإذا استطعنا أن نؤصل أي مفهوم قرآني في مورد من الموارد فلا بد من أن نطرح الأحاديث الدالة على ما ينافي هذا المفهوم لا سيما إذا كان ألباً، بطبيعته عن التخصص والتقيد. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠) فإنها تدل على مفهوم

«تكریم الإنسان» بشكل مطلق في مضمونه الإنساني فإذا ورد هناك حديث يدل على خصوصية سلبية في بعض الشعوب بحيث يوحي بعدم الكرامة، فإن الآية ترفضه، وذلك كالأحاديث الواردة عن الأكراد «إنهم قوم من الجن كشف عنهم الغطاء» فإن تكريم الله لبني آدم لا يتناسب مع هذا المضمون السلبي.

وهكذا نجد الفكرة القرآنية حول بشرية الأنبياء وقدراتهم الذاتية التي لا تبتعد عن طاقة البشر فلا يملكون القيام بأي شيء في حركة الكون من حولهم مما لا يملكه البشر ولا يعلمون الغيب، إلا بما قدرهم الله عليه في حالة طارئة كما في حالات التحدي التي تفرض المعجزة الخارقة للعادة كانهلاك العصا ثعباناً<sup>(١)</sup> أو إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص<sup>(٢)</sup>، أو تحويل النار إلى شيء بارد لا يحرق صاحبها<sup>(٣)</sup>، أو الإخبار بالغيب في بعض الحالات<sup>(٤)</sup> مما تفرضه حركة الرسالة في مواقع التحدي، من دون أن يكون ذلك شيئاً متجذراً في الذات المقدسة للنبي أو للولي بحيث تكون له القوة على تغيير الكون وإدارته وتحويله من حال إلى حال لأن ذلك ليس دوره الرسالي، كما أن القرآن الذي يتحدث عن طاقة الأنبياء المحدودة ودوره الخاص فيما عبر عنه الله في حديثه عن جواب الرسول للمشركين الذين أرادوا منه<sup>(٥)</sup> أن يفجر ينبوع من الأرض،

(١) سورة طه الآية ٦٩ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلاَ يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩ قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٩ قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٩ قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْعُونَ فِي بَيْوتِكُمْ﴾.

(٥) سورة الإسراء الآية ٩٠ - ٩٣ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ حَنْتَةٌ مِنْ نُحُلٍ وَغُتٍ فَيَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَيَفْجُرَ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا نَارًا مُنْقَرُوءَةً، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾.

وأن يكون له بيت من الذهب، أو يرقى إلى السماء بطريقة عادية أو نحو ذلك فقال لهم ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣). فإذا ورد عندنا حديث يدل على (الولاية التكوينية) بالمعنى الذي ذكرناه فإن الكتاب يدل على خلاف ذلك، فإن المسألة ليست مسألة استحالة ذلك فإن الله الذي أقدر الأنبياء على المعجزة الخارقة للعادة قادرٌ على أن يمنحهم القدرة على ذلك ولكن المسألة أن القرآن يدل على خلاف ذلك.

إن الغيب حقيقة من حقائق الإيمان، ولكن القضية هي أن الله لم يجعل الغيب قاعدة للحياة وللكون، وللإنسان، ولكنه أقامها على السنن الكونية والاجتماعية التي تخضع لها حركة الوجود والإنسان، وإذا كان الغيب قد يخرق العادة في دائرة السنن، فإنه يمثل حالة محدودة في دائرة الحاجة الضرورية التي تفرضها حركة الرسالات في تحديات الواقع إنني لا أريد أن أبحث هذه المفردات بطريقة تحليلية تفصيلية، ولكني أريد الإشارة إلى النماذج الفكرية التي فرضت نفسها على كثير من أساليب التفكير لدى بعض المفكرين من العلماء انطلاقاً من الاستغراق في استنطاق الحديث مع الطريقة العقلية التجريدية التي تتحدث عن الاستحالة والإمكان بعيداً عن دراسة الأمور على صعيد تبرير الفكرة على أساس الدور أو حاجة الواقع، وعن المقارنة بين مضمون الحديث، ومضمون القرآن حتى أن البعض منهم يحاول تأويل القرآن لمصلحة الحديث من دون ضمانات لصحة الحديث في نفسه.

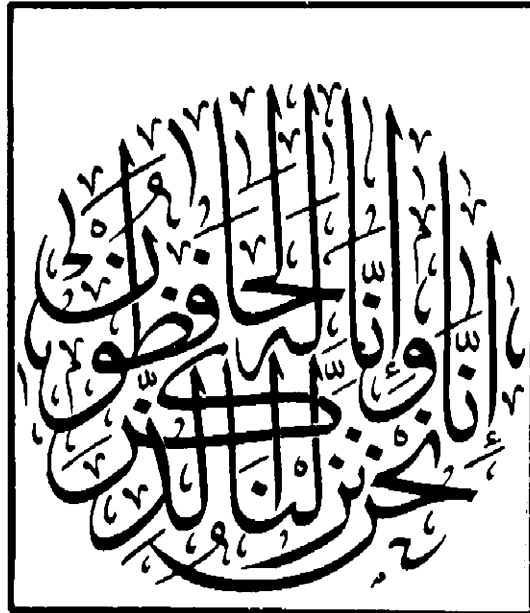
إننا نحاول أن نحدّر من هذا الاتجاه الذي يثير الاهتمام بالحديث بالدرجة التي قد ترتفع به فوق القرآن بطريقة لا شعورية، على أساس الذهنية التي تحتزن في داخلها أن القرآن قابل للتأويل أكثر من الحديث، لتتحرك بها بطريقة عفوية مع عدم إقرارها بذلك في الكلام المعلن.

إن القرآن هو النور الذي يضيء غيره وهو الذي أنزله الله ليخرجنا من الظلمات



إلى النور، وهو الهدى الذي يهديننا إلى الحقيقة الإلهية الحاسمة، وفي ضوء ذلك لا بد لنا من الانفتاح عليه بكل فكرنا والمحافظة على نصوصه وظواهره بطريقة علمية دقيقة، فلا يجوز لنا أن نفرض عقائدنا واتجاهاتنا وأوهامنا عليه بل لا بد من أن نرجع إليه من أجل تصحيح مفاهيمنا من عناصر التحلف، ومن ركाम الأضاليل والأوهام التي فرضت نفسها على الذهنية الإسلامية العامة، فهو المرجع الذي نرجع إليه، وهو النور الذي نستضيء به وهو المصدر المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد تكفل الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩). وأخيراً إن القرآن هو الكتاب الواحد الذي يلتقي عليه المسلمون، فلماذا لا يكون المرجع الذي يرجع إليه المسلمون في عقائدهم وشريعتهم ومناهجهم ومفاهيمهم في الحياة، ليؤكدوا الوحدة الإسلامية من خلاله في العودة إليه والرجوع إلى آياته استجابة لنداء الله تعالى: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٩٢).

والحمد لله رب العالمين



# المشرف العام و سماحة آية الله الشيخ الخاقاني في حوارات قرآنية

## الخاقاني و تفسير النبط القرآني

✽ نبتدىء بالرجوع إلى محاولاتكم المبكرة في تفسير القرآن .. متى شرعتم في الكتابة القرآنية و ما هي المؤثرات و العوامل التي دفعتكم إلى التخصص في هذا المجال ؟

○ كنت أقرأ القرآن ، و قد مررت بهذه الآية الكريمة لقوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [ النساء : ٨٢ ] فأخذت أكرر النظر و أجيل فكري في أبعاد الآية بما تحمله من معنى للتدبر ، فانطلقت من هذه الآية إلى اتجاهين في القراءة :

١- القراءة الاولى

٢- القراءة الثانوية

أما معرفة القراءة الاولى و هي كما يصطلح عليه المنطقيون بالتصور الأولي ، و يمكن أن نعبر عنها بالقراءة المبسطة أو الساذجة ، التي تعلق في ذهنية القارئ المعاني الاولى ، مثل ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [ طه : ٥ ] و ﴿ يداه مبسوطتان ﴾ [ المائدة : ٦٤ ] و ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [ القيامة : ٢٢-٢٣ ] فإن القراءة الاولى تسوقنا إلى الأخذ بالظهورات اللفظية ، التي تتسلط على المعاني الواضحة المقبولة لدى العقل البسيط إذ يعتبر في مثل هذه الآيات إمكانية الصفات الإمكانية ، مثل الاستواء و التحيز و اليد الجارحة ، و النظر البصري إلى ذات الواجب في دار الآخرة ، و هو قول

مرفوض لدى القراءة الثانوية .

أما معرفة القراءة الثانوية و هي القراءة التأملية و القراءة التدبرية ، فترتسم في النقاط التالية :

١- التدبر في سعة المفاهيم القرآنية

٢- التدبر في معنى الآية و ما تحيطه من البطون و اللوازم

٣- التدبر في المقارنات العلمية لفهم واقع القرآن

٤- التدبر في استنباط المناهج المنطقية للمعايير العلمية في القرآن

٥- التدبر في إرجاع الفكر البشري للعقل القرآني ، أو إرجاع الفكر القرآني للعقل البشري ، و نظرية الانعطاف في المسارين .

و بعد عرض هذه اللوحات الذهنية ، أصبحت هناك وقفة و تأمل أن القرآن لم يرسل إلى مجتمع قومي ، و لا إلى إقليم جغرافي ، و إنما أرسل رحمة للعالمين لهداية عامة البشرية ، فلا بد أن يفهم لكل شخص ، و لا بد أن يسير على مقدار تصاعد الفكر و ارتقائه ، لأنه بعين مخاطبة للعقلية البشرية الفعلية ، يخاطب العقلية البشرية المتطورة المستقبلية ، فإذا قرئ القرآن بالنظر إلى القراءة الفكرية ، في مثل ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ و بقية الآيات الأخرى ، لا يخضع تحت العقل البسيط و إنما يخضع تحت العقل التأملي ، و الرجوع إلى التصور الفكري المصطلح عليه بالمعقول التصور الثانوي ، و أن الله لا يشغله مكان و غير قابل للتحيز ، لامتناع الجسمية في ذاته ، و هو بسيط من جميع الجهات ، كما أنه لا معنى لفرض اليد الجارحة في حقه ، و إنما المراد باليد القوة و الاستيلاء المطلق ، أو أن الوجوه الناضرة إلى ربها يراد بها نظرتهم إليه نظرة طلب العطف و الرحمة لا النظرة البصرية الممتعة في حقه سبحانه .

و على ضوء ذلك كان شروعي في كتابة التفسير ، بمنهج تقليدي في عام

١٩٨٩ ، ثم أصبحت لي محاولة أخرى في فهم القرآن من خلال منهجية حديثة، و ليس كما يسير عليه المنهج التقليدي ، و كان سبب هذا الاندماج حدوث قوانين علمية ثابتة ، و بعد ذلك سرعان ما تلاشت هذه القوانين العلمية التي أصبحت من الأمور الارتكازية للفهم العلمي ، إلا أنه ثبت علمياً عكس ما بني عليه ، و أصبحت النظرية العلمية تتناقض القانون العلمي السابق و إنني أجد بعض المفسرين مثل الطنطاوي و أضرابه ممن اتجه نحوه في منهجة التفسير يريد إخضاع المفاهيم القرآنية تحت تلك المعايير العلمية ، فإذا قدر لتلك المعايير الفضل العلمي أصبح الفهم القرآني مهزوزاً ليست له بنية ثابتة ، و بذلك يوجب التناقض في ما بني عليه من الاستمرارية ، و لذلك أخذت بمنحى تفسير حديث و هو التحرك القرآني ، و هو على قسمين :

١- اضافة الحركية للقرآن الكريم نفسه

٢- اضافة الحركية من خارج القرآن الكريم

و أخذت في الاتجاه الأول دون الثاني و إن كان الثاني غير فاقد الأهمية ، و توضيح الاتجاه الأول الذي أطلقت عليه التفسير الحركي ، و هو الذي يستعين عليه بالتفسير الاستنتاجي الذي أشرت إلى كل من المفهومين ، و اعطاء الضوابط الكلية لكل منهما ، مع عرض التفسير الارجاعي و انعكاسه في طبيعة التفسير .

و المهم بيان التفسير الحركي ، و نقصد به أن يكون الدور المحرك من قبل القرآن للمفسر ، بما يحمله المفسر من قاعدة علمية ، و قاعدة رياضية نفسانية و قاعدة معيارية ، و عند تكامل هذا الوجود الهرمي للقواعد ، يتم بناء عجلة التحرك بالدفع من قبل القرآن ، فيكشف الأسس الموضوعية لبنية الحركة القرآنية ، و يتم ذلك بإشراق النفس نحو الكمال و الفضائل النفسانية ، ما دام له الصلة بين الحقيقة المطلقة و النورانية المحمدية ، و لكن إذا كان في ظلمة و

عدم الوصول إلى الحقيقة المطلقة و النورانية المحمدية المتكاملة من أصل بيت المعصوم (ع) ، لم يكن له صلة و علاقة نحو الحركة القرآنية مهما بلغ من التفتح الذهني ، و عليه لابد أن تتم مقومات التفسير الحركي على العناصر الآتية :

١- القاعدة العلمية الثابتة

٢- القاعدة الرياضية النفسانية التي يحصل عليها بالتجلي

٣- القاعدة المعيارية المنطقية العامة للأصول العلمية

و بعد وجود المقومات الثلاثة لا بد أن يستند المفسر إلى الوجود المعرفي و هو قائم على عدة عوامل أساسية :

١- المعرفة للحقيقة المطلقة

٢- المعرفة للحقيقة النورانية المحمدية

٣- المعرفة للحقيقة النورانية الولاية

فإذا تمت هذه العناصر و المقومات الثلاثة مع الاستناد إلى العوامل الأساسية المعرفية ، أمكن وجود حركة قرآنية من قبل القرآن ، و ليس من قبل المحرك للقرآن .

ثم بعد ذلك لا بد أن يقع دور المفسر في حال ارتباطه مع العوامل الأساسية المعرفية ، مع فرض الوجود الهرمي كما أشرنا ، حتى يأخذ بشكل تصاعدي نحو المعرفة و الإشراق المتعالي ، عندما تكون نفسه في مقام الكمال و الفضيلة ، فإذا لم يكن له تعلق بهذه الأسس المعرفية و الإذعان التام بها ، لا تكفي القواعد الثلاث، فإن واسطة الحركة منعدمة ، و الآلة المحركة غير حاصلة ، فكيف يتم له التحرك و الإشراق النوراني لأبعاد فهم القرآن؟

و ربما يقول المدعي أن مثل هذا الأمر لا يحصل إلا لبعض الأفراد ممن

عجنتهم طينة الحق و صقلتهم نورانية الإيمان الحقيقي و لا يكون ذلك لعامة الناس و عليه ينغلق باب معرفة التفسير إلا لبعض الشامخين في المعرفة أو ينحصر التفسير فيمن خاطبهم القرآن خاصة و نزل في بيتهم دون سواهم من سائر الناس .

و نحن نجيبه أن التحريك القرآني بحسب مقامات سير العارف و استعداد نفسياته إلى الكمال و الفضائل ، و هذا موكول إلى دور التحرك من ناحية استعداد النفس و قابليتها فإنها مهما ارتفعت و ارتقت إلى الكمال أمكنها الوصول إلى بطون القرآن .



إذا ازدحم الجواب ، خفي الصواب .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## القرآن الكريم و منهج التفسير

❖ من الواضح أن تداخل التفاسير قد اتسم في تراثنا القرآني بالتعقيد و التشعب من تشابك و تعدد المسارات المذهبية للتفسير ، إلى أي مذهب و إلى أي منهج من المناهج ينتمي تفسيركم للقرآن ؟

○ بما أن المناهج التفسيرية متعددة المذاهب ، و قد أرجعنا المناهج إلى الاتجاهات الآتية :

١- التفسير الدلالي " البياني " :

المراد بالتفسير الدلالي أن يتخذ اللفظ كاشفاً و مبرزاً على نحو المدلول المطابق للجملة فيؤتى بلفظ أوضح من الأول بحيث ينظر إلى المعنى الأول على نحو الجهة البيانية و ذلك كما يتعاطى تفسير مجمع البيان حيث يأتي بالآية ثم يفسرها لغوياً ثم يشرحها روائياً ، و هذا النوع من التفسير الدلالي عليه الكثير من الكتب التفسيرية التقليدية التي سارت على ضوئها المدرسة التفسيرية السنية كما هو الملاحظ في تفسير الجلالين و الكاشف و ظلال القرآن حيث نجدهم يعتمدون على الظواهر اللفظية و الاعتماد على قواميس اللغة و الصحاح المختارة و نحوها .

أو تناول التفسير من خلال الحقائق اللفظية و مجازاتها أو كما صنع أبو عبيدة في التفسير بحيث سار على تفسير المعز للألفاظ القرآنية فيعرض في كل سورة ألفاظ القرآن و يشرحها لغوياً و يقوم بتفسير غريبها و يقيم أعرابها و يذكر مستطرداً الشعر العربي مستشهداً بما يؤيد المعنى الذي سلكه .



٢- التفسير الروائي و قد أخذ في موضوعه استناد كشف المعاني القرآنية من مصدر بين الأ و هو مذهب العترة الطاهرة لآل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الذين تشملهم آية التطهير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [ الاحزاب : ٣٣ ] و مثل هذا النوع من التفسير الروائي اتخذ في منهجية صاحب البرهان فقد جمع الروايات الصادرة من أهل البيت (ع) دون الصحابة و يكون تفسيراً مقتصراً على الأسلوب الروائي خاصة و إن ذهب بعض المفسرين في الجمع بين التفسير الروائي و التفسير البياني أو بين التفسير الروائي و التفسير العقلائي .

### ٣- التفسير الازدواجي :

تقتضي طبيعة التفسير الازدواجي التركيب من جانب دلالي و من جانب روائي آخر و جانب فلسفي تقليدي أو فلسفي معاصر حديث كما نلاحظ ذلك من تفسير صاحب الميزان للسيد محمد حسين طباطبائي فإنه قد سار على نهج مدرسة الازدواجية التفسيرية حيث جمع بين التفسير الدلالي و الروائي و الفلسفي و التقليدي .

### ٤- التفسير الترابطي :

الملاحظ في التفسير الترابطي تصور العلاقات القرآنية بعضها مع بعض فيفسر بعضه بعضاً كما سار على هذا النهج سماحة والدنا ( قدس ) في تفسير العقل البشري إذ يقول : وجهة التفسير من حيث القرآن الكريم فقد صرحت بعض الآيات بأن الابتداء هو بذاته المقدسة و أن آية البسملة عندما تجيء تفيد تطابق مفهومها مع ما دخلت عليه فتفيد في سورة الفاتحة مفاد الحمد و الثناء و يقام العبودية و الطاعة لمالك يوم الجزاء و في غيرها تفيد مضمون السورة و آياتها و قد جاءت البسملة في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مَرْسَاهَا ﴾ [ هود : ٤١ ] و هو قول نوح (ع) بما معناه " إجراؤها و إرساؤها ببسم الله " و جاءت

في سورة النمل ٣٠/ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
و قد تكونت الآيات في اسم بلفظ الجلالة و أن بقية الاسماء تابعة و دالة على صفاته ، قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [ العلق : ١ ] و قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [ الاسراء : ١١٠ ] و الرحمن مبالغة من الرحمة و هم اسم يختص به سبحانه و تعالى لا يطلق على غيره .

#### ٥- التفسير التجزيئي :

نقصد من التفسير التجزيئي أن نلاحظ كل آية على انفراد بحيث تفسر على أساس من الموضوعية و الاستقلالية و الدخول في أبعاد تلك الآية من حيث لوازمها التي لها الاشراف من قبل المدلول المطابق لها كما يبدو ذلك من بعض المعاصرين ، فإن كل آية تحمل ثقلًا معيناً من المفهوم القرآني كما هو الملاحظ من قول الإمام علي (ع) : " لو شئت أن أفسر لكم من باء بسم الله الرحمن الرحيم أربعين حمل بعير " و المقصود أن التجزئة القرآنية صالحة أن تفسر الآيات على أساس تجزيئي انفرادي من غير أن نأخذ القرآن على أساس ترابطي يفسر بعضه بعضاً ثم إن التفسير التجزيئي على نوعين :

١- التفسير التجزيئي بلحاظ كل آية على انفرادها من غير نظر إلى العلائق الأخرى المحيطة بالآية أو غير المحيطة بها .

٢- التفسير التجزيئي بلحاظ الوحدات الموضوعية كاتتزع الحركة الجدلية التاريخية من المفهوم القرآني ، كما سار على ذلك ابن نبي و السيد الصدر - راجع الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي -

#### ٦- التفسير الاستطاعي :

نعني بالتفسير الاستطاعي أن يستوحى من كل آية سواء كانت على نحو التجزئة أو الترابط بانتزاع مفاهيم قرآنية تواكب كل عصر من خلال طرح

استنتاج القرآن كما هو أحد مسالكنا من تقديم الاستنتاج تارة حين نستنتج القرآن و أخرى حين يستنتقنا القرآن في الكشف عن مقدار تطور الفكر الفردي و الاجتماعي من الوجهة العلمية و الحضارية و الفنية .

#### ٧- التفسير المعياري :

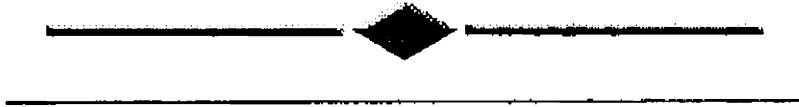
و هو أن ينظر إلى القرآن بما أنه المعيار العام لجميع العلوم و الأنظمة و القوانين العالمية فلا بد أن يتكفل التفسير بتوضيح تلك المنطقية القرآنية كمنطقية الكون و بحث السور الكونية تحت علل فلسفية واقعية و منطقية الحركة التاريخية في مبدأ منطقي عام لجميع الحركة التاريخية أو التطلع عن قوانين الأنظمة الحياتية كمبدأ قانوني عام و ليس النظر إلى خصوصية النظام القانون أو كمنطقية العدالة بالمفهوم العام الموجود الكوني و الإرادي المتعلق بصفة الفاعل أو البحث عن الوجود النسقي كمبدأ قانوني منطقي لا البحث عن النسق من حيث هو أو البحث عن منطقية التشريع و التكوين و نظرية التقابل بينهما أو جهة العلاقة بينهما و ذلك لا يخص الاتجاه التفسيري المعياري أو البحث عن قانون النسبية و أثرها في الحركة الكونية ، بما أنها منطقية عامة و ليست بنحو القضية الجزئية التي قد تتخرم القاعدة في بعض المواطن أو عدم الانخراط أو البحث عن منطقية الاستقراء العام كبحث معياري يدرس فلسفة الاستقراء و ليس النظر إلى الاستقراء بما أنه موصل لليقين أو الظن .

و الذي يمكن أن نقول أن المناهج التفسيرية التي استعرضناها كلها و غيرها طرق لهذا التفسير المعياري حتى على منهجية التفسير الحركي فإنه يوصلها إلى مبدأ أساسي سواء كان الاستنتاج و من القرآن للعقل البشري أو من العقل البشري للقرآن لا بد أن يركن تحت ضوابط معيارية .

#### ٨- التفسير التناغمي

و يمكن أن نصطلح عليه التفسير الشعبي و هو ما يلامس مشاعر الشعوب في

حركاتها السياسية و الاجتماعية فهو تفسير ليس له بنية و لا صرح ثابت و إنما يتلائم على طبق الحوادث و التغيرات الزمنية و لذا إنما نقول بوجود ثوابت تفسيرية لا تخضع للظروف و الطوارئ



و اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، و الهادي الذي لا يضل ، و المحدث الذي لا يكذب . و ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان من عسى . و اعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة و لا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم ، و استعينوا به على لأوائكم فإن فيه شفاء من أكبر الداء : و هو الكفر و النفاق ، و الغي و الضلال ، فاسألوا الله به ، و توجهوا إليه بحبه . و اعلموا أنه شافع مشفع ، و قاتل مصدق ، و أنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ، و من محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فإنه ينادي مناد يوم القيامة " ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه و عاقبة عمله ، غير حرثة القرآن " . فكونوا من حرثه و أتباعه ، و استدلوه على ربكم ، و استتصحوه على أنفسكم ، و اتهموا عليه آراءكم ، و استغشوا فيه أهواءكم .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## الأسس المعيارية للتفسير و توظيف التراكم

✽ عبر العديد من العقود الزمنية التي تراكمت فيها موسوعات التفسير كان التفسير في كل مرحلة يؤثر تأثيراً مباشراً في صياغة الخطاب الثقافي العام للمسلمين ونظراً لمتابعكم الدائمة لتطور المعرفة القرآنية ، من هو ملهمكم في التفسير و مع من تتفقون و مع من تختلفون من المفسرين ؟

○ مما أشرنا إليه في الجواب الثاني أن لنا مبدأ تفسيرياً مستقلاً يختلف عن المناهج و المذاهب الأخرى و لكن هذا لا يمنع أن تكون المذاهب الأخرى لها ثمرتها و مميزاتها على الصعيد التفسيري العام كما هو عليه التفسير الازدواجي و التفسير التجزيئي و الموضوعي و الترابطي و إن كان بحسب موضوعنا التفسيري تكون هذه الامور التفسيرية طرقاً للتفسير المعيارى إذ الأمة الإسلامية في حاجة إلى تقديم تفسير له حرية منطقية و قاعدة ثابتة في كل ما يتحرك من القرآن و ما يتحرك القرآن إليه للكشف عن التطلعات المعيارية في موضوعات القرآن كالتحدث عن الموازنة و الحركة و النسبية و العدالة و الكفر و الإيمان و العقل و العبادة و العلاقة و المتغير و الثابت و الحكم و الحق و الجبر و الاختيار و التفويض و القضاء و القدر و النفس و الروح و الانسان و الملك و الشيطان و الغيب و الصدق و الكذب و النفاق و الجنة و النار و الثواب و العقاب و السعادة و الشقاء و الإمامة و الخلافة و الملكية .

إلا أن الرجوع إلى التفسير المعيارى للبناء على الاتفاق العام في العقل البشري بوحدة فكرية منطقية تبني عليها مسيرة الفكر القرآني و هذا لا يمنع أن نفتح النافذة على المذاهب الأخرى في التفسير ، كالنظر إلى التفسير التطوري و

التفسير التناغمي لأن التفسير التطوري يعكس بعد القرآن في مجال العلم و التطور التكنولوجي و الحضاري و التفسير التناغمي يعكس وجود المثير و المنبه للشعور البشري و على أي المسارين التطوري أو التناغمي فإن الآية القرآنية تستوعب كلا المسارين ، و لكن يعيقهما الركون إلى قاعدة معيارية ثابتة و هي التي تبنى عليها الأسس المعيارية التفسيرية و نشير إلى بعض الأسس اجمالاً :

١- خروج التفسير عن المذاهب العقائدية و النظر إلى المعيارية العامة فإن مثل ما يوافق مذهب المتكلمين المنافي لمذهب الفلاسفة يوجب تنزيل المعاني القرآنية على طبق قواعدهم و يكون ذلك مخالفاً للقواعد الفلسفية بما يبنى عليه مذهبهم و ربما يرجع المعاني القرآنية إلى الاعراف و التقاليد و الانتماء القومي فيكون ذلك انعكاساً على المفاهيم القرآنية العامة و لا يكون تفسيراً وإنما في واقع الأمر من نوع التطبيق للعضامين الجزئية .

كما أنه بعين ذلك النظر إلى الاتجاه الفلسفي و اخضاع المفاهيم القرآنية إلى مرتكزاتهم و مبانيهم كل ذلك باختلاف المذاهب فيما بينهم كالمذهب الاشراقي و المذهب المشائي ، اذ يرى الاول اصالة الوجود و الثاني اصالة الماهية فيبنى كل مذهب على تفسير الآية بما يتماشى مع مذهبه و لاسيما الآيات النازلة إلى ما وراء الطبيعة و آيات الخلق و حدوث السماوات و الأرض و آيات البرزخ و المعادو هكذا ... في اختلاف الفلاسفة بين الاتجاه الحسي و الميتافيزيقي كما أن ما يبنى عليه نظر المتصوفة من فهم القرآن من الباطن في الخلقة و مراجعة الآيات الأنفسية دون الدخول في العالم الخارجي و الاستطلاع عن الظواهر الكونية فكانوا في اتجاههم التفسيري مقتصرين على التأويل فأوجب من ذلك السعة التخيلية .

٢- الالتزام بقواعد موضوعة توجب الاتطلاق نحو المعيارية العامة عن طريق

مركز يعتمد عليه في بنية الاستنتاج المعيارى العام و هو الدخول في باب العترة الطاهرة (ع) لأن الاستناد الحقيقى للتفسير لا بد ان يقوم بركائز ثابتة يمكن من خلالها الوصول إلى نتيجة علمية مقبولة السند على جميع الأصعدة الفكرية من غير اهتزاز في البيئة العلمية للحصول على المقومات الصحيحة في مقام الاستنتاج كما تجد إيصال حقيقة الاختيار في قولهم (ع) " لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين " فإذا كان للقرآن ظهر و بطن و لبطنه بطن إلى سبعة بطون و إلى سبعين بطناً كما ورد في الحديث لا بد أن يكون هناك منطقية قرآنية ثابتة يتوصل إليها العقل البشرى تكون مرجعاً عاماً لالتقاء العقول .

٣- لا بد ان يفرق بين المذهب التفسيري و النظرية العامة و بين التطبيق المذهبي للتفسير ، اذ من الملاحظ في عرض الاختلاف المذهبي كما هو في اتجاه المتكلمين و الفلاسفة و المتصوفة و انقسام كل مذهب الى شعب و طوائف فالأشاعرة و المعتزلة في اتجاه المتكلمين و الاشراقيون و المشاؤون أو الحسيون و المثاليون أو النفعيون في اتجاه الفلاسفة أو انقسام المتصوفة الى العرفاء و الجهلة و نحو هذه الانقسامات فإن أخذ المفاهيم القرآنية خاضعة الى مبانيهم ليس من نوع التفسير و انما هو من نوع التطبيق .

٤- لا من الاعتماد على أسس موضوعية من داخل القرآن تكون سبباً في الحصول على النتيجة الصحيحة في مقام الاستنباط التفسيري يتفرع الى اتجاهين :-

- ١- أن ينظر الى الآية من الداخل كمورد استنباطي في محيط الآية نفسها .
  - ٢- أن ينظر للآية من الداخل للانطلاق في الاستنباط الى الحصول على ضوابط معيارية عامة .
- ولنأخذ مثلاً لكلا الاتجاهين ، ففي الاتجاه الاول و هو النظر الى الآية من

الداخل كمورد استنباطي في محيط الآية نفسها نجده في سورة الفاتحة في قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ حيث تشكل هذه الآية عنصرين أحدهما الإله المطلق و ثانيهما الحمد بما يناسب ذاته المقدسة و الذي يثبت الإله المطلق قوله تعالى ﴿ رب العالمين ﴾ و هذا مما يثبت أن ما عداه فيه القصور الذاتي لامتلاك المطلق كما يثبت استحقاق الحمد بما يناسب ذاته المقدسة هو قوله ﴿ الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ إذ مقتضى الرحمن و الرحيم أن ما يقع عليه الانسان من فيض الوجود سواء كان بوجود تكويني في أصل الخلق و اليجاد أو في أصل الطوارئ و الحالات كالأفعال سواء كانت من النعم أم من المكاره و الفتن فتكون مورد الجزاء التي نطقت الآية عنه في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ و هو تعبير عن أن المالك الحقيقي من بيده الجزاء و الثواب و العقاب. فيكون النظر الى استناد التفسير القرآني من داخل الآية هو ملاحظة ما ترشد اليه الآية عن وجود قانون يربط الانسان بالواجب أولاً بعلاقة أنه رب العالمين و أن وجود الانسان داخل في المعلولية و النقد الذاتي و ثانياً اثبات الحمد من المخلوق الى الخالق بما يناسب الخالق من مقام الحمد و الثناء المطلق ، و ثالثاً اثبات قانون الجزاء المرتبط بين المالك الحقيقي و الانسان .

و اما الاتجاه الثاني و هو النظر الى الاستنباط التفسيري القرآني من داخل القرآن للانطلاق الى كبرى قرآنية عامة تكون محطاً لضوابط معيارية يسير عليها العقل البشري بشكل عام و لناخذ مثال سورة الفاتحة نفسها من الآية السابقة أيضاً ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ ان الاثر القانوني للمعيارية الكليه من الآية انه يثبت لدينا حمد كلي و اضافة الحمد لمن له الحمد الحقيقي و تعلق الحمد لما يتناسب مع مقام الذات الحقيقية من غير لحاظ خصوصية الحمد و خصوصية الربوبية كما ان ما يثبت له الحمد بالاضافة الى الرب الذي هو للعالمين جمعاء من غير أن يكون الرب لطائفة أو



مجتمع أو اقليم و انما الحمد الذي يتناسب مع طبيعة الحمد و اضافة الحمد لرب العالمين و هو اضافة الكل للكل في الاستتباط العام و اضافة الحمد الخاص لرب العالمين على نحو اضافة الخاص للخاص فإذا كان على النهج الاول يكون من نوع التفسير المعياري العام كما انه بالنسبة الى ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فإن استتباط المعنى لقانون الرابطة بين ما هو المالك الحقيقي الذي يكون رب العالمين ثبت له المعياري في الحكم القانوني أنه لا بد أن يكون مالكا ليوم الجزاء في مقام الثواب و العقاب فتكون النسبة بين الاتجاه الاول و الثاني نسبة العموم و الخصوص من مطلق .

انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم ، و اتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، و لن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا و إن نهضوا فانهضوا ، و لا تسبقوهم فتضلوا ، و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا . لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، فما أرى أحداً يشبههم منكم ! لقد كانوا يصبحون شعناً غبراً و قد باتوا سجداً و قياماً يراوون بين جباههم و خدودهم ، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ! إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبيل جيوبهم ، و مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ، و رجاء للثواب .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## العلمانية و نقد النص القرآني

❖ توجه الاتهامات الى العديد من الباحثين العلمانيين بأنهم يستوردون نماذج و مناهج البحوث الغربية و يطبقونها على تحليل بنية النص القرآني فما هو المعيار - الرفض أو القبول - على هذه المناهج ؟

○ قبل كل شيء لا بد ان تدرس المناهج الغربية من حيث هي قائمة على موضوعية البحث بغض النظر عن اللوازم و الآثار التي تعقبها النظرية كالبحث عن المذهب الحسي و الاتصياح تحت المذهب الاستقرائي بدون العلوم الطبيعية التي بنيت تحت ضوابط غير قابلة للتغيير و عليه لا بد أن يكون القرآن خاضعاً لتلك النواميس الطبيعية و ما يتحدث عنه القرآن من الأمور المخالفة للضوابط العلمية الحسية كالعرش و الكرسي و اللوح و القلم لا بد أن يفسر بما يتطابق مع العلم الحسي و ما يخبر عن الأمور الغيبية او المعاد و القيامة هي تحريك مشاعر الانسان نحو غريزة الخوف العارضة على حياة الانسان الاجتماعية .

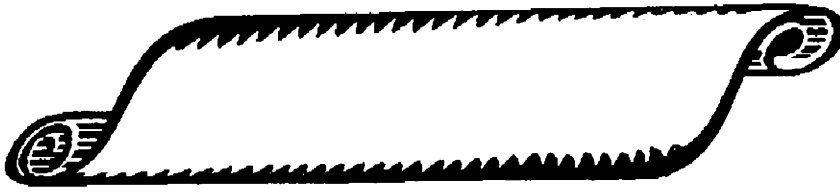
و ما يتناوله القرآن من الوحي و الملك و الشيطان و النبوة و الرسالة و الامامة هي أمور روحية متعلقة بعالم الجسد التي هي امور مادية ، اما ذات التشريع فيتعلق بنبوغ الفرد أو المجتمع لجهة الاصلاح الاجتماعي فان كل ذلك خارج عن أساس أصل المذهب العلمي فيكون النظر على طريقتين :

الاولى - تتمثل في أصل المذهب و ما يقوم عليه من القواعد و لا بد أن يقوم

النقد العلمي في أصل المذهب و هدم الصرح الذي يمكن أن يتخذ طريقاً مقبولاً للانطلاق في تسريته للبنية القرآنية .

الثانية - أخذ أصول المذهب كمدرسة تطبيقية على مجال الفكر القرآني و لا بد عندئذ أن ينتقد أولاً عدم صحة المبنى و البناء و ثانياً أن ما أورده المستوردون من الباحثين من العلمانيين لا يتطابق مع دوافع التفسير و انما يسمى بالتفسير التطبيقي أكثر من البحث التفسيري العقائدي المذهبي .

و قد أوضحنا ذلك في نقد المذهب التجريبي بأدلة تقارب السبعين و النيف دليلاً كلها متجهة لناحية هدم المبنى اضافة الى عدم تمامية البناء في أساسه .



أيها الناس ، من عرف من أخيه وثيقة دين و سداد طريق ، فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال ، أما إنه قد يرمي الرامي ، و تخطيء السهام و يحيل الكلام ، و باطل ذلك يبور ، و الله سميع و شهيد ، أما إنه ليس بين الحق و الباطل إلا أربع أصابع .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## البائز والممنوع في اختلافات المفسرين

● لقد أصبح الاختلاف بين المفسرين اليوم جزءاً لا يتجزأ من هيكل الثقافة الإسلامية بجميع جوانبها ، و السؤال الذي نتوجه به إلى سماحتكم ، ما هو الجائز و ما هو الممنوع من هذا الاختلاف ؟

○ لا بد ان تكون هناك أسس موضوعية يستقي منها المفسر القرآني في معالمة الثقافية و الاجتماعية و الاخلاقية و السياسية و الاقتصادية و التربوية و النفسية و القانونية التي تصبح أداة و أرضية خصبة للدخول في أجواء رياض القرآن و حداثته الممتعة و لا يمكن أن يتناول أو يقتطف من تلك الثمار اليانعة إلا بعد نضوجها و أخذ تلك المعالم من المصادر الواقعية دون المصادر الشكلية اما ما نلاحظه من اختلاف المذاهب عند المفسرين و ادخالها على الساحة التفسيرية القرآنية التي يتمخض منها وفرة ثقافية اسلامية متداخلة لا يمكن التجرد عنها و ذلك فيما نشاهده من ادخال الافكار الاسلامية كالمعتزلة و الاشاعرة و العدلية و أخذ نظرية كل واحد منها و انعكاسها في المجال التفسيري القرآني و لناخذ بعض اللمحات لمثل هذه الاتجاهات لكي نعرف ما هو المقبول و ما هو المرفوض :

١- مقتطفات من الفكر الأشعري كما يمثل ذلك أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) و أن كان التسلسل المذهبي قد اكمل صياغته أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) حيث يعتقد بالجبر و أن تكليف ما لا يطاق بالنسبة لله جائز غير ممتع و حسن الأفعال أو قبحها يقتضي الأمر أو النهي و أن المصلحة في نفس

الخطاب دون المتعلق بعكس ما عليه الامامية ( العنلية ) ان الصالح و الفاسد من متعلق الخطاب الأمر و الزجر و ليس في ذات الخطاب كما ان الامامية ينكرون تكليف ما لا يطاق و يرونه قبيحاً على المولى الحكيم كما ان ابا الحسن الاشعري يرى جواز تعذيب أطفال المشركين يوم القيامة لأن ذلك عدل منه على عكس ما يراه المعتزلة من مفهوم العدل و هو الصادر عن حكمة و مصلحة اذ يقول صاحب الملل و النحل " أي ان العدل مبدأ رئيسي في الفصل الإلهي بحكم المشيئة لدى المعتزلة بينما هو مبدأ تابع للمشيئة لدى الأشاعرة " و يستدل الاشعري على وجود الله بأحكام الصنع و التدبير في العالم فاذا ابصر الانسان ذاته وجد انه قد انتقل من طور الى طور كان نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم لحماً و دماً و يعلم انه لم ينقل نفسه من حال الى حال لأنه لا يقدر في حال كمال قوته و تمام عقله أن يحدث لنفسه سمعاً ولا بصرأ و لا أن يخلق لنفسه جراحة مما يدل على انه في حال نقصانه و ضعفه غير قادر ثم يتوصل في النتيجة الى قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [ الذاريات : ٢١ ] ، و يعتقد في صفات الله الذاتية ، أن الله ليس كمثله شيء واحد عالم قادر حي و الله لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شيء لأنه لو أشبه المحدثات لكان حكمها و هو واحد و لأنه لو كان أكثر من إله لما أمكن في ذلك تدبير العالم كما في قوله { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا } [ الانبياء : ٢٢ ]

و الاشعري لم يختلف عن المعتزلة في اثبات العلم و القدرة و الحياة بكونها صفات ذاتية و لكن بالارادة في نظره و انه سبحانه لا يوصف بصفة الارادة و انه يريد و لم يزل مريداً و انه لا بد أن يريد كل شيء لأن الارادة مثل العلم ان يكون علماً منبسطاً على جميع خلقه فكذلك الارادة .

و اما نظر الاشاعرة فقد اثبتوا صفات أزلية له سبحانه مثل العالم و القادر و الحي و الارادة و السمع و البصر و الحكم ، و يتحمل أن يتصف بأضداد هذه

الصفات إلا ان المعتزلة أثبتوا له تعالى ثلاث صفات هي : العلم و القدرة و الإرادة و ما عدا ذلك يوجب التشبيه او التوهم .

و أما ما يعتقد في صفات الله فيرى انها ليست عين ذاته و لا غير ذاته فإن صفات الله قائمة بذاته أي أنها هي ذاته و لا هي غيره لا يتصور أن يكون الله حياً بغير حياة أو عالماً بغير علم أو قادراً بغير قدرة أو مريداً بغير إرادة إذ لا معنى لعالم إلا أنه ذو علم و لا لقادر إلا أنه ذو قدرة و لا لمريد إلا أنه ذو إرادة قال تعالى ﴿ أنزله بطلعه ﴾ [ النساء : ١٦٦ ] و قال : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بطلعه ﴾ [ فاطر : ١١ ]

و لكن هذا الاتجاه يعكس خط المعتزلة إذ يرون أن صفاته سبحانه عين ذاته و لا مغايرة بين الصفات و الذات .

و انما أوجب ان يسير الأشعري بالمغايرة لما يرى المعتقد المسيحي من التثليث و التمسك بالآقائيم الثلاثة و الوقوف على الصفات الذاتية و ما يترتب على هذا المعتقد من المواخذه بحسب رأي الأشاعرة كما انهم أجازوا رؤية الله يوم القيامة مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ [ القيامة : ٢٢-٢٣ ] و أن النظر هو الرؤية البصرية دون غيرها .

و قد تأول الأشعري في آية ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [ الانعام : ١٠٣ ] ، خصص الرؤيا بعالم الدنيا دون الآخرة ، و تأول في قوله تعالى : ﴿ لن تراني ﴾ [ الأعراف : ١٤٣ ] ، أن العجز من الرائي و ليست الاستحالة من المرئي و أن " لن " مفادها النفي و ليست الاستحالة و لو كان مستحيلاً لما سأله النبي و كذلك تأول في قوله تعالى ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ [ النساء : ١٥٣ ] عدها الله كبيرة **فأخذتهم الصاعقة** { [ النساء : ١٥٣ ]

و استدل الأشعري بآيات غير واضحة الدلالة على رؤية الله في قوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [ المطففين : ١٥ ] و وجه الاستدلال أنه

إذا كان الكفار محجوبين فلا بد أن المؤمنين سيبصرون ، و استدل أيضاً بقوله تعالى : { **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** } [ يونس : ٢٦ ] . فالزيادة النظر إلى رؤية الله ، كل هذه الأدلة منافية لكتاب الله و الروايات الواردة عن أهل البيت (ع) هذا مع أن كلمة محجوبون راجعة على الرحمة و ليس عن الرؤيا البصرية ، و أما قوله { **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** } [يونس : ٢٦] من حيث الفضل و على هذا ملتقى الآيتين على نفي أي تعليق في الرؤيا البصرية . كما يعتقد الاشعري بالكلام النفسي حيث تعرض في كتابه " الإبانة " إذ يقول أن شيئاً من القرآن مخلوق لأن القرآن بكماله غير مخلوق كما عليه مذهب الإمام أحمد حيث يولي بمقدمة الكتاب كما حدثنا بذلك في كتابه في رد الجهمية و المهم أن الاشعري في نقده للمعتزلة بحدوث القرآن ذهب إلى قدم القرآن لاستناد أن كل حي فهو متكلم فإذا كان الله حياً بحياة قديمة فهو لا بد متكلم بكلام قديم . من لا يتصف بالكلام فهو متصف بضده من الخرس و العمى و السكوت - تعالى الله عن ذلك - فالله متكلم بكلام قديم لا نجد أثراً للتمييز بين الكلام النفسي و الكلام اللفظي حقيقة و أنه لا فرق بين الكلام و العلم و بمقتضى ذلك لا بد أن ينطوي على اشارة الكلام النفسي إذ يقول إذا كان غيرها يوصف بغير الكلام فكما أنه عالماً فإنه لم يزل متكلاً .

و ما تعرض اليه المعتزلة في قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [ القصص : ٣٠ ] فالتكلم من الله بمعنى أنه أحدث وجود الكلام من تجاه من تجاه الشجرة يسمعه موسى (ع) و لكن الاشعري يرى قدم كلام الله و ينكر صدور الكلام من تجاه الشجرة و إلا لكان الانتساب إلى الشجرة و ليس لله و لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم له و يستحيل أن يكون كلام

الله عز و جل كلاماً للمخلوق .

و يؤول الأشعري الآيات التي تدل على كلامه بالحدوث دون القدم في قوله تعالى : { ما يأتيهم من نكر ربهم محدث إلا استمعوه و هم يلعبون } [ الانبياء ٢٠ ] إن الذكر هو كلام الرسول و ليس كلام الله .

ثم يقول بنظرية الكسب و ذلك عندما التزم بالجبر دون الاختيار إذ فرق بين الافعال الاضطرارية و الافعال الاختيارية إذ الأولى تقع من العباد و قد عجزوا عن ردها ، و الثانية يقدر عليها العباد لأنها مسبوقة بإرادة الله حدوثها و اختيارها وبهذه القدرة الحادثة يكتسب الانسان أفعاله فالفعل المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة فإذا اراد العبد الفعل و تجرد له خلق الله له في هذه اللحظة القدرة على الفعل و هذه القدرة تكون مكتسبة من العبد مخلوقة من الرب فيكون الفعل خلقاً و ابداعاً و إحداثاً من الله و كسباً من العبد لقدرته التي خلقها الله له وقت الفعل فالحركتان الاضطرارية و الاختيارية وقعتا من جهة الله خلقاً و هما يفترقان في باب الضرورة و الكسب و لكنهما يستويان في باب الخلق .

و بعد تناولنا للفكرة الأشعرية اتبقت فكرة مناوئة يتزعمها واصل بن عطاء .

٢- مقتطفات من فكر المذهب المعتزلي :

يتزعم فكرة المعتزلة في بداية انطلاقها واصل بن عطاء ( ت ١٣١ هـ ) و عمر بن عبيد ( ت ١٤٤ هـ ) و يتبنى أسس مذهب المعتزلة على الأصول الخمسة: العدل و الوعد و الوعيد و المنزلة بين المنزلتين و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

إذ يقولون بالتوحيد المطلق إلا انه سبحانه و تعالى منزّه عن صفات المخلوقين كما ورد في القرآن معترضاً على اليهود و النصارى و المجسمة و المشبهة و الحشوية و يقولون أنه ليس سبحانه كمثله شيء و هي آية محكمة تنص على



رفض كل صفة للمخلوقين فليس بجسم و لا صورة و لا دم و لا لحم و قد انكروا على الحشوية عندما قالوا ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم عندما عرج الى السماء صافحه الجليل و أحس برد أفعاله على كتفه و ليس له طول و لا عرض و لا عمق كما يراه المجسمة و الإنكار عليهم بأن لآله سبعة أشباه و يشبه نفسه .

و يعتقد أن صفاته عين ذاته و كان هذا الاتجاه في عينية الصفات مما يوجب الرد على الأقانيم الثلاثة عند النصارى و ذهبوا الى تأويل الصفات الخيرية و لهم طرق ثلاثة في التأويل :

١- ثراء اللغة في دلالة اللفظ على عدة معان

٢- بلاغة اللغة العربية و كثرة استخدام العرب للمجاز و الاستعارات و الكنايات و ذلك أكثر تأويلاتهم المتشابهة

٣- تحريف بسيط في القراءة

و تأولت المعتزلة ما في ظاهر الآية من اليد و الوجه و العين : { و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } [ المائدة : ٦٤ ] إذ غرض اليهود أن يد الله مغلولة لقصد البخل و قوله يداه مبسوطتان تعبير على معنى الكرم و السخاء ، و أن قوله { يد الله فوق أيديهم } [ الفتح : ١٠ ] كناية عن القوة و السيطرة المطلقة . قوله تعالى : { فأوصينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا } [ المؤمنون : ٢٧ ] أي بعلم منا

و قوله تعالى : { و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام } [ الرحمن : ٢٧ ] ، و قوله تعالى : { إنما نطعمكم لوجه الله } [ الانسان : ٩ ] و المراد بوجه الله بمعنى توجه العلة نحو المعلول و عدم الانفكاك في أي لحظة و يقولون وجه اله هم مساكين مكة و يقولون وجه عربي كريم ينقذني من الهوان .

و ينتقدون رؤية الله يوم القيامة لما في قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار } [ الانعام : ١٠٣ ] ، و حين طلب موسى (ع) من ربه أن ينظر إليه { قال لن تراني } [ الاعراف : ١٤٣ ] ، و أولوا الآيات الظاهرة في الرؤية البصرية في قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناضرة } [ القيامة : ٢٢-٢٣ ] ناظرة بمعنى منتظرة .

و أن ما ورد عن حديث قسي بن حازم عن جرير قال : " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا ( و أشار إلى القمر ) لا تضامون ( لا تتزاحمون ) في رؤيته " فإن هذا الحديث من الآحاد لا يوجب الاعتقاد ، و لو قاله لوجب تأويله و حمله على العلم أي أنه (ع) قد بشر أصحابه بأنهم يعرفون ربهم في الآخرة ضرورة بلا كلفة و لا نظر .

و تعتقد المعتزلة بأن كلام الله و هو القرآن مخلوق و ليس بقديم و كيف يكون قديماً و فيه أمر و نهى و وعد و وعيد و هذه الأمور تقتضي وجود المأمور أو المنهي أو الموعود ، و لو كان الكلام قديماً أزلياً يستلزم ذلك مشاركته مع الله في الألوهية إذ القدم صفة ذات للألوهية فكل قديم فهو إله ، إذ نجد للقرآن صفات لا يتصف بها القديم ، فالقرآن يتجزأ أو يتبعض فيقال ثلثه و ربعه و نصفه و هكذا ، و هو حروف منظومة و أصوات مقطوعة ، و هو محكم مفصل ، كما ذكر سبحانه { كتاب أحكمت آياته ثم فصلت } [ هود : ١ ] و من ثم فهو مركب و هو أمر و نهى و خبر و استخبار و وعد و وعيد ، كل ذلك يوجب كونه مخالفاً للقديم كما نجد القديم مخالفاً له من حيث كونه سبحانه عالماً حياً قادراً سميعاً بصيراً ، فكل ما كان مخالفاً للقديم فهو محدث .

كما أن أصلهم الثاني - العدل و اثبات علاقة و صلة بين الذات و العدل لأنه منبع الفضائل ، و يعرف المعتزلة بأن ما يقتضيه العمل من الحكمة أو صدور

الفعل على وجه الصواب و المصلحة . و مؤدى ذلك أن كل ما يصدر عنه سبحانه عن حكمة و مصلحة و من مقومات العدل :

١- نفي صدور القبح عنه سبحانه :-

و تفرق المعتزلة بين الحسن و القبيح من جهة النفع و الضرر من جهة أخرى، أن ليس كل ما هو نافع حسن و لا كل ما هو ضار قبيح فقد يحسن ما هو ضار أو مؤلم ، كما قد يقبح ما هو نافع أو لا و أنه ليس كل ما ينفر منه الطبع أو تكرهه النفس قبيحاً كما هو الحال في الحجاماة و الفصد بل وجب أن يطلب الإنسان الألم إن كان النفع اللازم منه أكبر من ضرره كما يجب على الوالد أن يحسن تأديب ابنه بأن يقطع عما يشتهي و يحرمه مما يهواه ، كذلك لا تقبح الآلام و الكوارث متى كانت امتحاناً للإنسان فعندها يستحق الثواب إذا صبر و شكر و لو ظل الإنسان في نعيم و رغد لبغى في الأرض و تجبر ﴿ و إذا تمننا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ [ الاسراء : ٨٣ ]

ب - اللطف الإلهي :-

و المراد به كل ما يوصل الإنسان الى الطاعة و يبعده عن المعصية و لما كان سبحانه عادلاً في حكمه لا يرضى لعباده الكفر و لا يريد لهم الظلم فإنه لم يدخر عنهم شيئاً مما يعلم أنه إذا فعله بهم أتوا به بالطاعة و الصلاح و لكن قد يفرض على ذلك بأن الله قد خلق في الإنسان الشهوة و هي الباعثة على كل الشرور و المعاصي ، فكيف يتفق ذلك مع عدله ، لأنه إذا زالت الشهوة زال التكليف إذا لم يحصل ما يقوم مقامها و كان الاعتراض يصح لو كانت الشهوة ملجئة الإنسان الى الرذيلة ، و أما و أن وجودها لازم لارتباطها بالتكليف و من ثم استحقاق الثواب لذا يعظم الأجر إذا قويت الشهوة و قوي معها الامتناع ، فنحن نجل عفة الشاب عن الشيخ ذلك أن في قوة الامتناع مع شدة الانحراف و الاغراء ارتفاع الدرجات و علو الهمة .

ج - لا بد أن تكون الافعال لغاية محمودة :

إذ يشير القرآن الى وجود غاية و منفعة كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [ القمر : ٤٩ ] . و قوله تعالى ﴿ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [ المؤمنون : ١١٥ ]

و عليه لا بد أن يكون ما في المخلوقات الكونية من نظام و تدبير ترجع الى هدف سام و غرض عقلائي و فائدة محمودة .

د - الحرية و الارادة :

و استدلل المعتزلة بأدلة سمعية و عقلية ، و العقلية يلزم من انكار الحرية تعارض مع العدل الإلهي إذ لو كان الظلم و الفساد من قضاء الله لاتصف الله بذلك و حاشاه و لا يصدر الشر أو القبح إلا عن منه أو جهل و ذلك غير جائز على الله . و لو كان الانيان مجبراً للزم أن يكون الكافر و الفاسق مطيعين لله و لاستوى الكفر مع الإيمان و الصلاح مع الفساد و للزم أن يكون الانبياء مخالفين لمراد الله . ، لأنهم ينهون عما قدر الله أن يكون ، و لو كان الانسان مجبراً لما كان هناك وجه لنزول الشرائع و بقية الانبياء ، إذ الكفر واقع لا محالة ، و الإيمان حاصل مع المؤمنين بعثت الانبياء أم لم تبعث نزلت الشرائع أم لم تنزل و لو كان الكافر مجبراً عل كفره لكان أمره بالإيمان تكليفاً له بما لا يطاق .

و استدلوا بالأدلة السمعية بجملة من الآيات منها قوله تعالى : { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ } [ الكهف : ٢٩ ] و قوله تعالى { اَعْمَلُوا مَا تُنْتُمْ } [ فصلت : ٤٠ ] و ظاهر الآيات مفادها الحرية و الاختيار دون الجبر كما أنه في بعض الآيات ما يدل على ذم الكفر و المعاصي و مدح الإيمان كما في قوله تعالى : { وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [ النور : ٥٥ ] ، و قوله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ اسْسَوْتْ وَجُوهَهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [ آل عمران :

[١٠٦] و قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** } [الكهف : ٣٠] ، كما أن من جملة الآيات ما يدل على طلب العفو المقتصر على الاعتراف بالذنب في قوله تعالى : { **فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا** } [آل عمران : ١٩٣] كما أن من جملة الآيات ذكر عقاب الأمم السالفة بسبب شركهم و كفرهم و معاصيهم في قوله تعالى : { **وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا** } [الكهف : ٥٩] كما تدل بعض الآيات على الحساب في الآخرة وفقاً للعمل كما في قوله تعالى : { **وَأِنَّمَا تَوْفِقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } [آل عمران : ١٨٥] كما في بعض الآيات في بحثها عن شعور الكفار بالحسرة و الندم في قوله تعالى : { **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا النَّارِ الَّتِي نَخْرُجُ مِنْهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ** } [فاطر : ٣٧] .

كما تصدى المعتزلة إلى بعض الآيات المشعرة بالجبر في قوله تعالى : { **يُرِيدُ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَلَاحِقَ لَهُمُ الْقَوْلُ عَلَيْهِمُ بِمَا ظَلَمُوا** } [المائدة : ٤١] ، فالله لا يريد الإغواء للآخرين و لكنهم لم يقدرُوا بعد تبليغ الرسل ، فإذا استكبر و أصر على الضلال تركه على ضلاله ، فافتتة لومست مرادة الله ، لذلك فالله سبحانه إذ يترك الضالين من غير هداية فلعلمه سبحانه بعدم جدوى اللطف معهم و قوله تعالى : { **وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** } [البقرة : ٢٦] أو قوله تعالى { **وَيَضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ** } [ابراهيم : ٢٧] و قوله تعالى { **كَذَٰلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ** } [غافر : ٧٤] ، فالمراد أنهم فاسقون ظالمون و أظلمهم الله أي تركهم يضلون ، فالفسق و الظلم و الكفر علة إضلالهم و حرمانهم من لطفه .

و بعد هذا العرض من تقديم رأي المذهبين الأشعري و المعتزلي و انعكاس ثقافتهما على المجال التفسيري كما ان هناك انعكاساً مستوراً من الفكر العلماني على الساحة الثقافية المعاصرة في المجال التفسيري ايضاً و يمثل كل

من هذه الاتجاهات صياغة تفسيرية ترتبط بالمعالم الثقافية التفسيرية العامة . إلا أن ما يسير عليه المنطق التفسيري المقبول بما يتماشى مع المذهب العقائدي الصحيح الذي مقوماته الأصول الصحيحة من قبل مدرسة أهل البيت (ع) و اليك المقومات الأساسية في المذهب الامامي الذي يمكن أن يكون مستنداً حقيقياً دون ما عداه من الامور المستوردة و غيرها فإنها لا تبني على مقومات شرعية و لا مدعمة براهين علمية مقبولة .

و علينا أن نفتح نافذة للانطلاق نحو الأسس الموضوعية :-

اولاً - في التوحيد تعتقد الامامية العلوية بالتوحيد في المراتب الثلاث ، التوحيد في الذات ، التوحيد في الصفات ، التوحيد في الافعال ، و لذا يعتبر الامامية الموحدين بالمراتب الثلاث .

ورد عن الامام الباقر (ع) هل سمي عالماً قادراً إلا لأنه وهب العلم و للعلماء و القدرة للقادرين و كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم و الباري تعالى واهب الحياة و مقدر الموت ، و لعل النمل الصغار تتوهم أن لله زبانيين أي قرنين فإنهما كالهاد و تتصور أن عدمها نقصاً لمن لا يكونان له و لعل حال كثير من العقلاء كذلك فيما يصفون الله تعالى به سبحانه ربك رب العزة عما يصفون .

ثانياً :- نفي التشبيه و التعطيل كما جاء في القرآن الكريم ﴿ فاطر السموات و الارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الانعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثله شيء و هو السميع البصير ﴾ [ الشورى : ١١ ] و هذا مما يشير إليه الإمام الباقر (ع) و كل نا ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم فالله بعيد عن التشبيه و التمثيل بالمخلوقات لأنها من صنيع الممكنات المتغيرة التي هي معرض الفناء و تبدل الصور و الله ثابت غير متغير خالق الحوادث و ليس معرضاً للحوادث مصدر الصور من العدم لا

تعرضه الصور و الاوهام و يقول الإمام الصادق " (ع) " كل موهوم بالحواس مدرك بها عدة الحواس و تمثله فهو مخلوق "

و يقول الامام علي (ع) : " فمن وصفه حده و من حده فقد حده و من حده فقد ثناه و من ثناه فقد جعل له شريكا "

كل هذه الأطروحات على نحو الاختصار تثبت جهة ، معتقد الإمامية بإنكار التشبيه و التعطيل و إنما الله واحد غير متوهم و غير قابل للانقسام في الخارج أو في الصورة الذهنية و الوجود الحي كما في قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير } [ الانعام : ١٣ ] و قد رد الإمام الباقر (ع) أبا هاشم بقوله : " يا أبا هاشم أوهاهم القلوب أدق من أبصار العيون . "

أنت قد تدرك بوهيمك السند و الهند و أي بلد لم تدخلها ، و لا تدركها ببصرك و الله تدركه أوهاهم القلوب فكيف بالأبصار و العيون "

ثالثاً :- تعتقد الامامية بأزلية الله الابدية و الازل يقابل الحادث و لذا قيل الازلي ما لا بداية له و الحادث الذي لوجوده بداية و هو محتاج للزمان أما الازلي فغير محتاج للزمان أو امكان ، و الازلي بسيط أما الحادث مركب ، و الازلي غير محتاج و في ذاته مقام الغناء المطلق و لكن الحادث محتاج في ذاته و هو تام الفقر و الاحتياج ، كما يقال بأن الازلي سرمدى أي خالد و هو لا يصلح لعروض العدم عليه بينما الحادث يصلح للاندفاع إذ يقول سبحانه و تعالى ﴿ كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام ﴾ [ الرحمن : ٢٦ ] و عليه فإن الازلي غير مفتقر في وجوده الى علة بعكس الحادث فانه مفتقر في وجوده الى علة ، و السرمدى الازلي لا تعرضه حالة التعب و الاجهاد و الارهاق و النوم و انما تحكمه عين و سمع و بعد و يد لا بمعنى الجارحة و انسما الاحاطة و القيمومة و السيطرة المطلقة لقوله تعالى { الله لا إله إلا هو

الحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ { [البقرة : ٢٥٥] وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ  
مَخْلُوقَاتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ } [لقمان : ٢٦]

رابعاً :- تنفي الامامية اتجاه الماديين الذين يقولون بأزلية المادة كما عليه أقطاب  
الماديين القدماء و المحدثين و قد تعرضنا الى نقد المادية الديالكتيكية ( الجدلية )  
مفصلاً في كتابنا نقد المذهب التجريبي و قد استبقناه بأدلة كثيرة تقارب السبعين  
و النيف ضد التجريبيين .

خامساً - صفات الله و هي على قسمين :

- صفات الذات

- صفات الافعال

فالصفات التي لا يمكن سلبها عن ذات الشكر يقال لها صفات الذات كالعلم و  
القدرة و الارادة و الحياة و الصفات التي يمكن أن تنسب إلى الذات يقال لها  
صفات الافعال لكونها حادثة و ليست ذاتية له كصفة الرزق و الكرم ، ثم إن  
الصفات الذاتية الثبوتية قد عدها علماء الكلام إلى ثمانية صفات القدرة و العلم و  
الحياة و الارادة و الكلام و الصدق و السرمدية كما ورد ذلك عن الشيخ  
الطوسي في تجريده

و القدرة كما في قوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } [ الاحزاب :  
٢٧ ] والقدرة له سبحانه في مقام الحدوث و البقاء من غير كلل و لا ملل و لا  
عجز كما يدل عليه قوله تعالى { وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا } [ فاطر : ٤٤ ] .

و من صفاته العلم كما في قوله تعالى { وَهُوَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ  
و يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ } [ الانعام : ٥٩ ] و قوله تعالى : { هُوَ يَعْلَمُ خَائِنَةَ  
الْأَعْيُنِ وَ مَا تَخْفِي الصُّدُورُ } [ غافر : ١٩ ] و قوله تعالى : { هُوَ يَعْلَمُ مَا فِي }



السموات و ما في الأرض و الله على كل شيء قدير ﴿ [ آل عمران : ٢٩ ] .  
 و قد ورد في صفة الارادة قوله تعالى : هو يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم  
 العسر ﴿ [ البقرة : ١٨٥ ] و قوله تعالى : هو لكن الله يفعل ما يريد ﴿ [  
 البقرة : ٢٥٣ ] و قوله تعالى هو ابن ربك فعال لما يريد ﴿ [ هود : ١٠٧ ] .  
 و ورد عن الإمام الرضا (ع) إرادة الله تعالى و مشيئته في المعاصي النهي  
 عنها و السخط لها و الخذلان عليها ، قال السائل : فله فيه قضاء ؟ قال : نعم :  
 ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا و لله فيه قضاء ، قال السائل : ما  
 معنى هذا القضاء ، قال : الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب و العقاب في  
 الدنيا و الآخرة .

و قوله تعالى هو إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿ [ يس : ٨٢ ]  
 و قيل للإمام الصادق (ع) لم يزل الله تعالى مريداً فقال : إن المرید لا يكون  
 إلا المراد معه (قديم مثله) لم يزل عالماً قادراً ثم أراد .  
 و لا تعتقد الإمامية بأن الله له كلام نفسي أو كلام يعبر عن جارحة كما في  
 قوله تعالى : هو كلم الله موسى تكليماً ﴿ [ النساء : ١٦٤ ] ، فكلامه بمعنى  
 القدرة على إيجاد الكلام و خلق الاصوات من خلال الشجرة لا يصال صوت  
 الحق منه إلى موسى (ع) .

و أما بيان الصفات السلبية و هي ما يعبر عنها بصفات الجلال ، كما أن  
 الصفات الثبوتية تسمى بصفات الجمال و قد أشارت الآية القرآنية إلى كلتا  
 الصفتين في قوله تعالى : هو تبارك اسم ربك ذي الجلال و الاكرام ﴿ [ الرحمن  
 : ٧٨ ] فصفات الجلال نفي الشراكة عنه سبحانه و نفي التركيب و الجسمية و  
 الزمان و المكان و العدل عند الامامية .

مما تسير عليه الامامية الالتزام بالعدل و هو عدم الظلم و قد ورد عن الامام  
 علي (ع) التوحيد أن لا تتوهمه و العدل أن لا تنتهمه و هو من الصفات الثبوتية

للوأجب سبحانه و هذا على عكس ما يعتقد الأشاعرة من إمكانية الظلم في حقه تعالى و قد نفى الله سبحانه الظلم و قال { و من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد } [ فصلت : ٤٦ ] و قوله تعالى : { هو لا يظلم ربك أحد } [ الكهف : ٤٩ ] و قوله تعالى : { إن الله لا يظلم مثقال ذرة } [ النساء : ٤٠ ] .

كما أن الإمامية ترفض الجبر و التفويض أما بالنسبة لقوله تعالى : { هو إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و إن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله } [ النساء : ٧٨ ] ، فإن ظاهر الآية من النظرة الابتدائية مفادها الجبر ، و إن كان بالنسبة للنظرة الثانوية في مقام أن كل شيء في الوجود التكويني من الله و ليست في مقام الإرادة الفاعلية و لذا تشير الآية الثانية إلى الإرادة الفاعلة في قوله تعالى : { هو فيض الله من يشاء و يهدي من يشاء } [ إبراهيم : ٤ ] و ذلك عن طريق مقدماته ، و قوله تعالى { إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً } [ الانسان : ٣ ] و على ضوء ذلك فقد رفض القرآن الجبر كما رفض التفويض و إنما الانسان يسير في مسار الوسطية و هي لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين .

و ورد عن الحسن بن علي عندما سئل عن الله هل فوض الأمر إلى العباد ؟ فقال (ع) : الله أعز من ذلك ، قلت : فأجبرهم على المعاصي ، قال : الله أعدل و أحكم من ذلك ، قال الله ' يا بن آدم أنا أولى بإحسانك منك و أنت أولى بإيتانك مني ، عملت بالمعاصي بقوتي التي جعلتها فيك " .

و إن ما يدل على التفويض قوله تعالى { و نفس و ما سواها ، فآلهما فجورها و تقواها ، قد أفلح من زكاها و قد خاب من نساها } [ الشمس : ٧-١٠ ] فكان ظاهر الآية أن للانسان حق التصرف لقوله تعالى { قد أفلح من زكاها } و لكن المعتقد الإمامي يرفض وجود التفويض و إن كان ما يدعى

للأنمة (ع) ذلك فهو لعدم الفهم فيما ينسب لبعض الطوائف و إنما هم من نوع متممي قابلية الفاعل و ليسوا متممي فاعلية الفاعل .

كما أن فرقاً بين مسألة الجبر و التفويض و القضاء و القدر إذ مصب الاولى إلى الامور التكوينية التشريعية ، و مصب الثانية إلى الامور التكوينية ، و قد أوضح ذلك سماحة والدنا (قده) في كتابه ' الكلم الطيب ' و تعتقد الامامية أن ما يقتضيه الواجب على الموجودات على طبق استعداد الشيء و قابليته و كل ما يمنحه إنما هو لأجل المصلحة و الحكمة في أفعاله فعند بسط الرزق لبعض و منعه عن البعض إنما هو لحكمة و مصلحة كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و بشر الصابرين ﴾ [ البقرة : ١٥٥ ] و قوله تعالى ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ [ طه : ٥٠ ] و قوله تعالى ﴿ الذي خلق الموت و الحياة لنبيلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [ الملك : ٢ ] .

كما أن الامامية تعتقد بالحسن و القبح الذاتيين العقلين و سوف نشير إليها في حكم العقل و الاختلاف بين العقل و عدمه .

### ٣- النبوة :

مما تؤمن به الامامية النبوة و بعثة الانبياء لهداية الأمم جمعاء كما ورد في قوله تعالى { **أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولي الأمر منكم** } [ النساء : ٥٩ ] و مفادها وجوب طاعة الله لأنه الولي الحقيقي لساير الممكنات كما عطف وجوب طاعة النبي مقرونة بطاعة الله ، و إذا جئنا إلى تسلسل الانبياء و الارجاع إلى اوامرهم التشريعية لأمرهم نجدها كثيرة و هوقانون عام تجري عليه الحركة التاريخية عند جميع الانبياء و فرض طاعتهم على الأمم مثل قوله تعالى { **رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** } [ النساء : ١٦٥ ] و قوله تعالى { **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** } [

ص: ٢٦] و قوله تعالى { ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [ الانبياء : ١٠٧ ] .  
و عليه يكون وجود النبي ضرورة ثبتت بالدليل العقلي و الدليل الشرعي و  
الضرورة التكوينية و بقاعدة اللطف و يتحدد النبي بشخصية أكمل الرسالات و  
أعظم البشرية جمعاء بعد الانبياء هو سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم  
إذ يقول سبحانه و تعالى { هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم  
آياته و يزيكهم و يعظمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال  
مبين } [ الجمعة : ٢ ] و قوله سبحانه في تحديد شخصه صلى الله عليه و آله  
و سلم { و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } [ النجم : ٣-٤ ] . و  
ما تعرض إلى شخصية النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم بالنص الصريح  
في قوله تعالى { و ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم  
النبيين } [ الاحزاب : ٤٠ ] .

ثم أشار الى دور سلسلة حركة الرسالة و دورها التكاملي مقرونة بالامامة و  
النص على وجوب الامامة في قوله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت  
عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً } [ المائدة : ٣ ] .

و تشترط الامامية عصمة الانبياء و تثبت ذلك بأدلة سمعية و أدلة عقلية .  
أما الادلة السمعية فقوله عز و جل { و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي  
يوحى } [ النجم : ٣-٤ ] و قوله تعالى { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء  
نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ } [ يونس : ١٥ ] و قوله تعالى { سنقرئك فلا  
تنسى } [ الاعلى : ٦ ] و قوله { و من يعصم بالله فقد هدي إلى صراط  
مستقيم } [ آل عمران : ١٠١ ]

و أما ما يورد بعدم العصمة في قوله تعالى { و لقد همت به و هم بها لولا أن  
رأى برهان ربه } [ يوسف : ٢٤ ] .

فالظاهر من الآية أنه لا يراد منه الهم بمعنى الموادة حاشا للأنبياء مع قداسة

نفوسهم و تركيتها أن تقترب الأمر القبيح المخالف للأخلاق و إنما أراد بها القرب و الدفاع عن الكرامة لما نعلمه من الطهارة الذاتية لنفسية النبي و بعده عن الآثام هذا مع أنه رأى برهان ربه في الدعوة إلى الحق و الكشف المستقبلي لطلائع النبوة .

و هكذا في قوله { ألم يجدك يتيماً فأوى و وجدك ضالاً فهدى ، و وجدك عائلاً فأغنى } [ الضحى ٦-٨ ] و المراد بالضال ليس من خالف الجادة الحقّة و الجهل في طريق الحق و هو المراد الباطل بل الضلال بمعنى الضياع ، فالله هياً له وسيلة التربية تحت كنف عمه و هذا لا يخالف سير العصمة ، كما أن قوله تعالى { ألم نشرح لك صدرك و وضعنا عنك و زرك الذي أنقض ظهرك } [ الانشراح : ١-٣ ] لا يراد بالوزر الإثم و المعصية و إنما يراد به الثقل و كاهل التعب و مشاكل المجتمع ، كما أن قوله تعالى { و عصى آدم ربه فغوى } [ طه : ٢١ ] يراد بالعصيان ترك الأولى لما كان يعلم آدم بالخروج إلى عالم الدنيا مسبقاً و لكن سارع إلى الخروج من عالم الجنة إلى عالم الدنيا بسبب إغراء الشيطان له من أكل الشجرة .

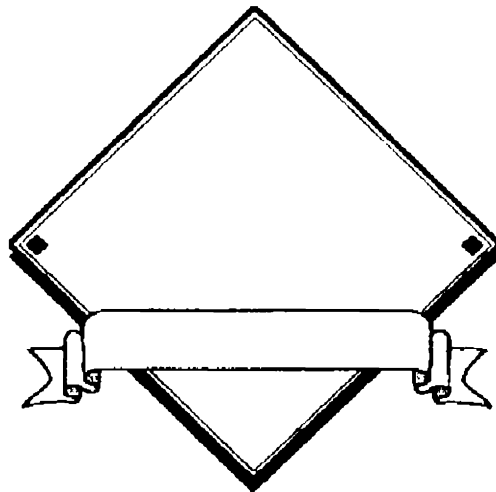
كما تعتقد الامامية بالمعاجز التي وردت على يد النبي سواء كانت من الأمور المادية كانشقاق القمر و تسبيح الحصى و أكل الجزور ، أم القرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة و أنه مجموع ما بين الدفتين من دون تحريف و لا تصحيف و أن ما ينسب إلى الامامية هو محض لفتراء أو خلاف الفهم و مع فرض من يدعي التحريف عند الامامية فكذلك ذهب بعض السنة إلى القول بالتحريف لبعض النصوص الكثيرة على وجود التحريف و كون من ذهب من بعض الامامية لا يكون حجة على جميع الامامية لأنهم يقولون بفتح باب الاجتهاد دون انغلاقه كما هو السائد عند بعض المذاهب الأخرى .

٤- المعاد :

و تعتقد الامامية بوجود المعاد و أن الانسان سوف يجازى على أعماله إن خيراً  
فخيراً و إن شراً فشر كما جاء في قوله { اليوم تجزون ما كنتم تعملون } [   
الجاثية : ٢٨ ] و قوله { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، و من يعمل مثقال   
ذرة شراً يره } [ الزلزلة : ٧-٨ ]

و ان المعاد من الاصول العقائدية التي يقرها الامامية و لا ينكرونها و أنه أمر   
مادي دون أمر معنوي و هذا أمر موكل إلى محله .  
٥- الامامة :

و من الاصول العقائدية عند الامامية " الامامة " و هي بالنسبة إليهم منصب   
إلهي بعد النبوة بلا فصل لم يتدخل فيه البشر لحصول الامتداد الرسولي بين   
خط النبوة و خط الامامة و أن جميع المؤهلات للنبوة يحملها الامام ما عدا   
بعض المميزات الخاصة بالنبوة كالوحي و الصلاة و المعجزة و قد أشرنا إلى   
بعض هذه اللّمحات في كتابنا " الله و العدالة و محمد و الرسالة و علي و   
الامامة " و كان هدفنا للإشارة على أن ما يكون موجباً لإخاله في الثقافة   
التفسيرية بما يوافق الأصول العقائدية و الاحكام التشريعية المقتبسة من معدن   
العترة الطاهرة (ع) دون الاعتماد في إثبات الاحكام التشريعية على الأدلة   
العقلية المحضة كالقياس و الاستحسان و الرأي و إخضاع الجانب التفسيري إلى   
الرأي.



## القصص القرآني و حلقات الوصل في التشريع

✽ لقرون طويلة كان ينظر إلى قصص القرآن في مناهج المفسرين على أنها مسائل ذات أهمية ثانوية حيث كان الاهتمام منصباً حولها على الجانب العقائدي و التاريخي ، فهل يجوز الركون إليها في مجال التشريع مع علمنا بأن الله سبحانه قد جعل لكل أمة من الأمم السابقة شرعة و منهاجاً ؟

○ بما نعتقد أن للتفسير منهجية معيارية فاستعراض القصص القرآنية لها أساس معاش على الصعيد التشريعي إلا انه يمكن أن يقع على الصور الآتية :

١- التشريع القصصي

٢- التشريع الانشائي

٣- التشريع الشمولي

٤- التشريع البيئي

٥- التشريع الازدواجي

٦- التشريع المؤقت

٧- التشريع الارجاعي

٨- التشريع الانتقالي

٩- التشريع التدريجي

و قبل بيان هذه الصور لا بد أن نعرف ما يعني التشريع و بيان مصادره و معرفة حقيقة المشرع و دوره المعرفي على كافة الميادين الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و النفسية و القانونية و الاخلاقية .

## ١- مصادر التشريع

يرتكز التشريع على مقومات أساسية في بنية التشريع في إثبات دعائمه بحيث تصبح مثاراً للانطلاق في أجواء التشريع و لا تخرج عن إطاره العام ، فمثلاً نجد الديانة اليهودية تستقي تشريعاتها من التوراة و التلمود و الديانة المسيحية تستقي تشريعاتها من الأنجيل و الكرسي الرسولي على اختلاف الطوائف عندهم و هكذا نجد الاسلام يعتمد على الكتاب ( القرآن ) و السنة .

و عليه تكون مصادر التشريع الاسلامي

١- الكتاب

٢- السنة

٣- الاجماع

٤- العقل

و المراد من الكتاب هو القرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المجموع بين الدفتين لم ينقص منه حرف واحد و لم يزد فيه حرف واحد فقد ورد بهذه الألفاظ و المعاني و الاسلوب الخاص و لم يدخل فيه الحديث القدسي و هو ما أثر نزوله على النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما أن التفسير و الترجمة خارجان عن النص القرآني و هذا مما اتفقت عليه جميع الفرق الاسلامية و إن كان الظاهر من أبي حنيفة انه (جوز القراءة بالفارسية في الصلاة لمن لا يعرف العربية و لا يقدر على القراءة بها ) و سار على منهجه البعض و قيل عدل عن ذلك و أفتى لمن لا يقدر على القراءة بها أن يصلي ساكناً .

و ان آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً } [ المائدة : ٣ ] بحيث نزلت هذه الآية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم عند رجوعه صلى الله عليه



و آله و سلم من حجة الوداع بعد اعلان الولاية و الامامة لعلي بن أبي طالب (ع) كما رواه الكثير من الطائفتين ، راجع ما ذكره الاميني في كتابه الغدير ج ١

و يتمسك بظواهره كما عليه المرتكز البشري في التمسك بالظواهر من غير أن يستند إلى تفسير القرآن بطريق الروايات عن أهل البيت كما يعتقد البعض و قد تحدثنا مفصلاً عنه في محاضراتنا الأصولية .

و أما ما يدعى من التحريف في القرآن كما ورد في صحيح البخاري من خطبة لعمر بن الخطاب " ان الله بعث محمداً صلى الله عليه و آله و سلم بالحق و أنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها و عقلناها و وعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و رجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل و الله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله و الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن على الرجال و على النساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو ان كفراً بكم أن ترغبوا عن آيائكم . و في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت " كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هن مما يقرأ من القرآن "

و في رواية أخرى قال أرسل ابو موسى الأشعري إلى قراءة أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة و قراؤهم فأمسكوه و لا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، و إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول و الشدة ببراعة فنسيتها غير أنني قد حفظت منها " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً و

لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب " و كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيته غير أنني حفظت منها " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة " .

و ورد في أصول الكافي عن أبي عبد الله قال: " ان القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد سبعة عشر ألف آية " و نسب القول في الإيمان بهذه الشبهة إلى الحشوية

و على أي حال فنحن في مقام حجية القرآن و ظهوره و عدم القول بالتحريف لدى عامة الفرق الاسلامية و ما أسند إلى مثل هذه الروايات غير مقبول .

و أما بيان السنة فتطلق على اتجاهين :

١- عند الفرق السنية ( ابناء العامة ) يحددونها بقول النبي و فعله و تقريره

٢- عند الفرق الامامية يحددونها بشخصية النبي و الامام المعصوم ، و بهذا تكون السنة في نظرهم عامة للنبي و الامام المعصوم و هي أيضاً يطلق عليها بقول المعصوم الشامل للنبي و الامام (ع) و فعله و تقريره و تثبت السنة بآية التطهير في قوله تعالى { **إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** } [ الاحزاب : ٣٣ ] و مفاد الحصر لخصوص أهل البيت (ع) و لا تشمل زوجات النبي كما يستدل على السنة بحديث الثقلين و هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم : " إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي " و هناك اختلاف في الروايات كما ورد في رواية زيد بن ثابت " اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض و عترتي أهل بيتي ، و انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " .

و مثل هذه الروايات تدل على عصمة أهل البيت (ع) و هم تحت غطاء العصمة للنبي و الامام (ع) و بذلك يمكن أن تكون السنة عامة لطبيعي المعصوم و ليس لشخص عصمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم .

كما ان هناك أدلة في اثبات السنة عن طريق ادلة غير قطعية و هي الثابتة بخير الواحد و هذا البحث موكول إلى محله .

و انما المراد بالاجماع فبحسب اللغة هو لفظ مشترك بين العزم و التصميم وفي الاصطلاح هو الاتفاق ، و ان كان لدى الاصوليين موضع خلاف فيما بينهم هل هو مطلق للامة او لخصوص المجتهدين ، و قال بعضهم اتفاق اهل الحرمين ( مكة و المدينة ) أو اهل المصرين ( الكوفة و البصرة ) أو لخصوص الخلفاء الاربعة و ذهب المتكلمون بإجماع الفقهاء منهم على انه حجة كما حكي الغطاء و جعفر بن حرب و استدل عليه بالكتاب كما في قوله { و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيراً } [ النساء : ١١٥ ] و قد رد بعدم الاستظهار منها على الاجماع و استدل ايضاً بقوله { و كذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس } [ البقرة : ١٤٣ ] بتقريب ان الوسط هو العدل و الخيار و العدل و الخيار لا يصدر إلا للحق ، و الاجماع صادر عن هذه الامة العدول الخيار ليكون حقاً .

و يرد عليه انها في مقام اثبات العدل دون النظر إلى الاجماع الذي هو دليل حسي كما استدل على ثبوت الاجماع بأدلة كثيرة كما استدل على اثباته بالعقل مثل قاعدة اللطف كما ذكره الشيخ الطوسي ، و لكن مثل هذه القاعدة يمكن ان يستدل بها لخصوص مذهب الامامية و لا يتعدى إلى المذاهب الأخرى .

ثم ان هناك من ذهب إلى حجبة الاجماع مطلقاً و من ذهب إلى انكاره و بعض من ذهب إلى خصوص الاجماع الكاشف عن رأي المعصوم (ع) كما عليه اتجاه الامامية و يركز وجود الاجماع بالمحصل و هو ما ثبت واقعاً و علماً بلا واسطة النقل كما ذكره المحقق الكاظمي .

و أما الدليل العقلي : فقد وقع الاختلاف في كلام الاصوليين فمنهم من جعل

العقل مصدراً في الحجية في اثبات الحكم الشرعي و منهم من جعله أصلاً مستقلاً صالحاً لأن يقع كبرى لقياس منطقي بحيث يجعل واسطة في اثبات الحكم الشرعي في عرض الكتاب و السنة ، و ذكر في الحقائق الناضرة المقام الثالث في دليل العقل و فسر بعض بالبراءة و الاستصحاب ، و آخرون قصروه على الثاني و ثالث فسر بلحق الخطاب و فحوى الخطاب و دليل الخطاب ، و رابع بعد البراءة الاصلية و الاستصحاب بالتلازم بين الحكمين المتدرج فيه مقدمة الواجب و استلزام الأمر بالشيء و النهي عن ضده الخاص و الدلالة الالتزامية . و الذي استقر في بحثنا الاصولي انه لا بد أن يلتزم به و هو المدرك للكليات ، و لكن تارة له جهة استقلالية من غير ان يدعم إلى جانب شرعي كإدراكه للحسن بمعنى الملائمة للطبع و يقابله القبح أو الحسن بمعنى الكمال و يقابله القبيح ، و هذان المعنيان مورد اتفاق لدى الاشاعرة و المعتزلة و الامامية إلا أن الخلاف في العقل غير الحسن بمعنى ما ينبغي أن يفعل و ما لا ينبغي ان يفعل و هذا النوع قد اشتهر عند الفلاسفة و اطلقوا عليه العقل العملي و يقابله العقل النظري كإدراك الكل أعظم من الجزء و النقيضان لا يجتمعان و لا يرتفقان ، و ان كان بين العقل النظري و العملي جهة اختلاف من حيث الاضافة و المتعلق و إلا فالعقل وجود واحد لا تعددية في ذاته كما هو الحال بالنسبة إلى العقل و الروح و النفس و جود واحد إنما الاختلاف بلحاظ التعلق و الاضافة .

## ٢- حقيقة المشرع

يناط التشريع بشخصية المشرع إذ التشريع اما ان يتحدد بالفرد و اما ان يتحدد بالمجتمع ، اما التشريع المتمثل بالفرد و هو الذي يقوم أمر وجه التشريع فيه اما من قبل أفكاره الخاصة ، و اما ان يكون مدعماً بوحى الهي و سر غيبي لا يتوصل له إلا بعض الشخصيات التي لها استعداد خاص و التي منحت القرب

الإلهي في الدعوة إلى الله .

و الذي يركز عليه حقيقة التشريع هو القسم الأخير اذ لا يمكن ان يقدم للتشريع من لا اهلية له في مقام التشريع و من تصدى للتشريع من غير اهلية التشريع يكون مشرعاً ادعائياً و يكون تشريعه بمثابة أمر صوري لا تشريع واقعي . ثم ان من يقوم بدور المشرع اما ان يقع استناد التشريع له حقيقة كما يمكن للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و للولي أن يقوم بدور تشريعي مستقل و ذلك في مقام السنة و اما ان يكون تشريعه محض التبليغ من غير ان يكون له دور استقلالي في التشريع كما هو الحال في القرآن بالنظر الى آيات الاحكام فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم يكون أداة بتبليغه للامة من غير ان يكون له الموضوعية في التبليغ و انما هو طريق لأمر الله و يكون تشريعه على نحو الطريقية دون الموضوعية .

و اما ما يخص التشريع للنبي صلى الله عليه و آله و سلم في مقام الموضوعية و الجهة الاستقلالية فيعطي من نفسه الكفاءة الذاتية التي يفقدها غيره مع فرض قوة نفسيته المقدسة و وصولها إلى الكمال في المعرفة بحيث يمكنه الاطلاع على جميع ما ينطوي عليه وجود الانسان التكويني و له المعرفة الكاملة في الجانب النفسي و الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و جميع ما يركز عليه الانسان في الداخل و الخارج ، لا بد ان يحيط به شخصية النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إلا كان قصوراً في ذاته و هذا ممتنع في حق النبي و انما لا بد فيه من الكفاءة التامة حتى الامور الغيبية المحيطة في دائرة النبوة و الدعوة للعالمين مع شرطية العصمة و القداسة لا بنحو الجبر في ذاته حتى لا يثاب على الطاعة و ترك المعصية .

و بعد بيان ما يتبنى عليه مصادر التشريع و بيان معرفة حقيقة المشرع نقدم الصور الآتية

١ - التشريع القصصي :

نقصد بالتشريع القصصي هو غير ما يقوم المشرع في صياغة التشريع و هي التي يصطلح عليها علماء القانون بالقوة المقننة من دون نظر إلى مقام تطبيقها على الأمة فإذا جاء دور الامتثال و التطبيق العملي بالتشريع التطبيقي حيث انتقل التشريع من مرحلة الانشاء إلى مرحلة الامتثال و لذا قد أشرنا إلى عدم امكانية المراتب في ذات الحكم كما سار عليه بعض قادة الاصوليين و جعل للحكم مراتب و هي الانشائية و الفعلية و المعجزية و لكن ذكرنا في محاضراتنا الاصولية بعدم التمسك بالمراتب اذ ليس للحكم مرتبة واحدة كما عليه خط الرائد الاصولي الشيخ الاصفهاني .

و انما المراد بالامر القصصي هو الجانب التخبري للوجود الانشائي من غير ان يلحظ فيه ايجاد المعنى باللفظ و لذا يختلف عن الانشائي بالاختلاف الواقعي على بعض الاتجاهات او بالاختلاف الاغتياري لكونه مرتبطاً بالداعوية اذ يكون لفظ واحد للانشاء و القصة مثل " بعث داري " يطلق عليها تارة الخبري القصصي و أخرى الانشائي الاخطاري .

و بالجملة ان الامر القصصي يقصد به وجود امر آخر ما وراء اللفظ بحيث يعكس وجوداً خارجياً كالتحدث الذي يتناوله القرآن عن موسى و مجيئه الى شعيب و تزويجه احدى ابنتيه في قوله تعالى { على ان تأجرني ثماني حجج }

[ القصص : ٢٧ ]

و المناقشة في دلالة هذه الآية انه كيف جعل مهر البنت منفعة و ليس عيناً ثم ان المنفعة عائدة على الاب دون البنت مع ان الآية في مقام التردد و ذلك في قوله تعالى { أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج } الخ .. نفس الآية مع كون التردد وقع اما على الثمان او على العشرة . مع جهالة المشروط فيما إذا سيتم له ما يريد خلال المدة التي حددها و هل بالامكان اتمام

الامر ام لا من قبل النبي موسى . و قد تردد المفسرون في توجيه العقد فذهب بعضهم إلى اختصاصها بشريعة شعيب و البعض اولها الى جعل المهر منفعة في امكانية صرف المهر العين و المنفعة بالاضافة الى انه عقد امرأ استجارياً على أمر مستقبلي لا يعلم مدى تحققه و لكن فيما ورد عن البيزنطي عن الرضا(ع) في الرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها اجارة شهرين فقال : موسى (ع) على علم من انه سيتم له شرطه ، فكيف له بأن يعلم بأنه سيبقى حتى يفي ، و قد كان على عهد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ان المرأة تتزوج على السورة من القرآن و على القليل من الدراهم او قبضة من حنطة . و ورد عن صفوان بن يحيى عن ابي عبد الله (ع) قال: سئلت عن التي قالت ان ابي يدعوك قلت : التي تزوج بها قيل : فأبي الأجلين قضى ، قلت : اوافهما و أبعدهما عشر سنين ، قيل : فدخل بها ، قلت : نعم ، قيل : قبل ان يقضي الشرط او بعد انقضائه ، قلت : قبل ان ينقضى ، قيل : فالرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها اجارة شهرين ، يجوز ذلك قلت " ان موسى علم انه سيتم شرطه ، قيل : كيف ، قلت : علم انه سيبقى حتى يفي . قال موسى (ع) ذلك بيني و بينك أي ذلك الذي وصفت و شرطت علي فلك و ما شرطت لي من تزويج احدهما فلي ، و تم الكلام ثم قال : ايما الاجلين من الثماني او العشر قضيت أي اتممت و فرغت منه ( فلا عدوان علي أي لا ظلم بأن الكف أكثر منها و اطلب زيادة )

و ذهب الشيخ الطوسي في كتابيه " النهاية " و " الخلاف " إلى ذكر مثل هذا ففي " النهاية " ذكر انه يجوز العقد على تعليم آية من القرآن أو شيء من الحكم و الآداب ، لأن ذلك له أجر معين و قيمة مقدرة و لا يجوز العقد على اجارة و هو ان يعقد الرجل على امرأة على ان يعمل لها او لوليها أياماً معلومة أو سنين معينة و في " الخلاف " بعد ان ذكر ان الصداق ما تراضيا عليه مما يصلح أن

يكون ثمناً لمبيع أو اجرة قليلاً أو كثيراً و استدل على ذلك باجماع الفرقة و اخبارهم قال : مسألة ، يجوز أن تكون منافع الحر مثل تعليم القرآن أو شعر مباح أو بناء أو خياطة أو غير ذلك مما له اجرة أو صداقاً و استثنى اصحابنا من جملة ذلك الاجارة و قالوا لا يجوز لأنه كان يختص بموسى (ع) و به قال الشافعي و لم يستثن الاجارة بل اجازها ثم حكى عن ابي حنيفة و اصحابه انه لا يجوز ان تكون منافع الحر صداقاً بحال ، سواء كان حراً أو غيره ثم قال دليلنا اجماع الفرقة و اخبارهم .

و المهم ان مثل ما يقع من اختلاف في التشريع بين المذاهب او بين الديانات فوظيفة المفسر ان يتماشى مع الحكم الواقعي المرسوم له في مقام التفسير و لا يعكس الصور المعاكسة لما يبني عليه نظام الاسلام و هذا النوع من التشريع الذي يعادله القرآن لمحض الجانب الحكائي و ليس للامر الانشائي الجعلي ليكون الأثر مترتباً عليه و لذا ان مثل تشريع موسى (ع) أ يكون مختصاً له و لا يتعدى منه إلى التشريع الاسلامي ، كما يحدثنا صاحب الجواهر في قوله و ظاهر الآية مع فرض ارادته مختص بموسى (ع) كما انه اختص به جعل تلك الاجارة التي منفعتها لشعيب (ع) مهراً كما اولى اليه في خبر السكوني الذي رواه المشايخ الثلاثة : قال : لا يحل النكاح اليوم في الاسلام باجارة بأن تقول : " اعمل عندك كذا و كذا سنة على ان تزوجني ابنتك او اختك ، قال : هو حرام لأنه ثمن رقبتها و هي أحق بمهرها "

## ٢- التشريع الانشائي

قد اشرنا اليه ضمن التشريع الحكائي و ان يقوم المنشئ في مقام الانشاء لقصد ايجاد المعنى باللفظ على نحو القصد الانشائي دون القصد الحكائي لورود بعض الألفاظ المشتركة بين اللفظ الانشائي و اللفظ الخبري و هذا محتاج الى جعل الفرق بينهما عن طريق القصد في الانشاء دون الاخبار كما انه اشرنا الى



ان الحكم له مرتبة واحدة و ليست مراتب كما تصوره الرائد الاصولي محمد كاظم الخراساني ( رحمه الله ) و عليه يكون بمقتضى طبيعة الجعل التشريعي قصد به المعنى الانشائي في مقام الجعل و الاعتبار فالتشريع يمكن ان يعرف على الاتحاء التالية :

١- استنبط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية

٢- وضع القوانين

٣- وضع القواعد القانونية بواسطة السلطة المختصة في الدولة

٤- ما يقوم به الفرد او المجتمع في تأسيس قوانين تحفظ فيها نظام المجتمع البشري

و اذا جئنا إلى تطبيق موازين التعريف كما تحدثنا عنها في كتابنا " عناصر العلوم " نجد مثل هذه التعاريف و غيرها لا تخلو من مناقشة من حيث الطرد و العكس . إلا ان مهمة التشريع الانشائي انما تأخذ شكلها القانوني على أساس أصل الجعل من غير نظر الى مقام الطاعة و الامتثال و من غير نظر الى دون المنفذ التشريعي و هو ما يعبر عنه بالقوة المجرية .

٣- التشريع الشمولي

يقوم أساس التشريع على قاعدتين

١- البناء على القضية الحقيقية

٢- البناء على القضية الشخصية

و لما كان القانون التشريعي يراد به الحكم للموجودين و المعدومين فلا ينحصر الحكم بقضية شخصية يناط الحكم بها وجوداً و عدماً .

و بالجملة ان معرفة القضية الحقيقية انما ينظر اليها على اساس حكم عام لجميع المجتمع البشري سواء كان موجوداً بالفعل او مقدر الوجود لأن الحكم أخذ على نحو القضية الشمولية للموجودين و المعدومين و لا ينحصر

بالموجودين و ألا لكان الحكم بموت الاشخاص و لا يصلح للأستمرار و البقاء  
مثل { و اقيموا الصلاة } { و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه  
سبيلا } [ آل عمران : ٩٧ ]

و اما معرفة القضية الشخصية و هي المرتبطة بشخص للحصول له على  
التشريع فينطاط الحكم التشريعي بوجوده و ينعدم بانعدامه مثل " لا تقرب زوجتك  
في حال الطمث ، و اصطحب ولدك الى مجالس الدعاء و الذكر " فان هذه  
الاحكام لوحظ فيه القضية الشخصية دون القضية العامة فان قولك " تصدق  
بمالك للفقراء " لم يلحظ القضية الحقيقية و انما اريد بها القضية الجزئية بخلاف  
قولك { لا تقربوا الصلاة و اتمم سكارى } [ النساء ٤٣ ] اريد بها القضية  
الشمولية العامة للموجودين و لمقديري الوجود و عليه تكون الاحكام التشريعية  
الواردة في القرآن قصد بها القضية الشمولية .

و لكن ما يتحدث عنه القرآن في قصصه و عرضه التاريخي إن كان النظر  
لحدث و واقعة جزئية بما يتعطاه النبي مثل نوح مع قومه و ابراهيم مع مجتمعه  
و موسى مع أمته و عيسى مع عالمه و محمد صلى الله عليه و آله و سلم مع  
عشيرته ، فهي أحداث خاصة أخذت بنحو القضية الجزئية كما يحدثنا القرآن  
عن قوم لوط و اقترافهم للمنكر و أخذهم لأموال الناس في الطرقات تكون  
قضية جزئية أما إذا انتزعنا عن كل حدث قضى قانونية تستوجب حكماً معيارياً  
عاماً يكون تشريعاً.

#### ٤- التشريع البيئي

نقصد بالتشريع البيئي هو الوليد من البيئة التي هي عبارة عن مجموعة من  
الامور الطبيعية من التربة و الماء و الهواء التي يتكيف عليها الجسم البشري  
بحيث توجب انعكاساتها على سلوكه العملي فينتزع التشريع من تلك  
الانعكاسات العملية فيتكون التشريع على طبق الاحداث الطبيعية و هذا في

حقيقة الامور و الواقع لا يمكن الاعتماد عليه كقانون يجب فيه الاستمرارية و البقاء و انما التشريع أخذ في واقعه الموضوعي له الثبات ما لم يرد النص بنسخه او انتضاء أمر حكمه و إلا فيمقتضى الأصل استمرارية الحكم .

هذا مع ان كبرى التشريع البيني لا يتوافق مع الضوابط التشريعية الإلهية حيث لا تركز على الجانب البيني كما يتعاطاه المقتنون الوضعيون لابتناء تشريعهم على البيئة و العادة و الاعراف و لكن التشريع الإلهي يراها اموراً عرضية لا يمكن أن يستولد منها قانوناً معيارياً عاماً بحيث ينتزع من واقع فطرة الانسان و جوهرية ذاته لأن مقومات التشريع الإلهي مبنية على معرفة الانطباعية الذاتية لما يبتنى عليه موضوع الانسان ككل .

##### ٥- التشريع الازدواجي :

يمثل تشريع الازدواجي تركيب رسالات السماء بعضها مع بعض ، و يكون التركيب فيما بين القوانين الوضعية بعضها مع بعض و بين القوانين الوضعية و التشريعية الإلهية على نحو الاقتباس من الوضعيين من رسالات السماء كما حدث في القانون الفرنسي حيث أخذ الفقه الاسلامي الكثير ، كما أن الملاحظ أن القانون الدولي أيضاً مقتبس من القانون الاسلامي .

و انما الكلام في البحث عن تشريع الازدواجية بين رسالات السماء حي يكون مورد بحثنا أن بين رسالة نوح (ع) و رسالة ابراهيم (ع) و رسالة موسى (ع) و عيسى (ع) و رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إما أن تكون رسالة واحدة إلا أن بين هذه الرسائل من نوع المفصل و المجمل ، و إما أن تكون رسائل متباينة بعضها مع بعض بحيث أن كل رسالة تعكس سمة خاصة و تشريعاً مستقلاً و حيث ورد أن الدين عند الله الاسلام و قوله صلى الله عليه و آله و سلم " انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق " و قول عيسى (ع) " انما جئت لأكمل الناموس (اي الشريعة ) " كل ذلك تشترك الخطوط التشريعية الإلهية

تحت غرض واحد و وحدة تشريعية متصلة من غير اختلاف في مفاهيمها و غاياتها .

#### ٦- التشريع المؤقت :-

قد يبيث التشريع في أمد محدود ثم يزول كما يصطلح عليه بنسخ الحكم لأن ورود النسخ في الشريعة للكشف عن عدم استمرارية الحكم بمقتضى أن ما بني عليه التشريع على نحو القضية الحقيقية فإذا جاء النسخ التشريعي ثبت انتهاء أمد الحكم و عدم صلاحيته للبقاء و الاستمرار كما في قوله { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .. } [ البقرة : ١٠٦ ] فأشار القرآن إلى مشروعية النسخ من حيث ذاته ثم تعرض إلى دورين في مقام البدلية .

١- دور الأفضلية التي عبر عنها القرآن بقوله { نأت بخير منها } {

٢- دور المثلية و أن الحكم المنسوخ يستبدل الى حكم مماثل إما لجهة الخطاب كما يدل على ذلك قوله تعالى { أو مثلها } {

و يمكن ورود النسخ و مجيء تشريع آخر إما أفضل من السابق و إما مماثل للسابق من غير أفضلية إلا أن مجيء التشريع الثاني يحتاج الى دليل قطعي دون أمر ظني و اثبات آية ناسخة للآية الاخرى لا بد من التواتر دون الأحاد كما ان الآية المدنية و الآية المكية تتسخان الآية المكية و لا يصح نسخ آية مدنية بآية مكية أو بالعكس و قد وقع اختلاف في الابتداء على ذلك كما يتعرض اليه في العلوم القرآنية .

كما أنه لا بد من الفرق بين موارد النسخ و التخصيص و التقييد لكي لا يختلط على الباحث بين هذه الامور كما نشاهد بعض المفسرين ممن اختلط عليه المقام و أوصل الآيات المنسوخة إلى أكثر من منتهي آية كما أن بعض المفسرين حصرها بآيتين " راجع بذلك ما تعرض اليه صاحب التمهيد الشيخ هادي معرفت و الاستاذ السيد الخوئي في البيان "

ثم ان ما يبتنى عليه التشريع المؤقت تارة لأصل الشريعة أو القانون فإن مثل الشريعة إذا اخذت في بداية وجودها مرتبطة بمجتمع خاص فيكون مفهومها وجود المجتمع الذي شرع الحكم من أجله و هكذا بالنسبة الى القانون الوضعي عندما يشرع لدولة او لمجتمع خاص ثم بعد فترة تجري عليه تعديلات قانونية و يؤتى بقانون جديد على طبق المصلحة التي توجب اثباته في الوقت الثاني .

و أخرى ينظر للشريعة بنحو الاستمرارية في أصل مشروعية الشريعة كما في الديانات السماوية و لكن عندما يرد النسخ لبعض الاحكام من نفس الشريعة يكشف عن عدم استمراريته بمقتضى علم الطبع الاولى في أصل التشريع أو يكون النسخ لحكم تشريعي أسبق منه لما يجده الشرع من المصلحة في حصول النسخ و اتيان حكم جديد .

#### ٧- التشريع الارجاعى

نقصد بالارجاع الى مقر قانوني يركز عليه وجود التشريع اما لجهة مصادره الأعم من المشروعة و غيرها ، و اما لجهة مقومات ما يبتنى عليه وجود التشريع و هي الحالة الاساسية التي تثبت بها ركائز التشريع دون النظر الى طبيعة المصادر ، و اما لجهة ما يبنى عليه التشريع اللاحق من أسس ما هو مرتبط عليه التشريع السابق من حيث أصل التشريع دون النظر الى المصادر و المقومات و هو أخذ الامتداد القانوني عن قانون آخر و إلابالنظر الى ذات القانون المتأخر لا يحمل قيمة موضوعية من حيث هو و انما الاصلية للقانون المتقدم و انما الاختلاف بالصياغة القانونية و المؤدى واحد كما أشرنا الى اقتباس بعض التشريعات الوضعية من الديانات السماوية فانه في واقع الامر ارجاع الى التشريع الرسالي و ليس الى التشريع الحالي الذي اورده بصياغة جديدة يتخيل منها انه في مقام الموضوعية المتصلة ، بينما هو على خلاف ذلك و قد أشرنا الى نظرية الارجاع في عدة موضوعات من أبحاثنا الفقهية و

الاصولية كما تناولناها في مجلة الموسم و كتبتها مفصلة و كيفية امكان تطبيقها في عدة مجالات .

#### ٨ - التشريع الانتقالي

المراد بالتشريع الانتقالي أن يؤخذ من مكان لمكان آخر تبعاً للظروف و الاحوال الزمانية و المكانية ، و هذا يتناسب مع أفق التشريع الوضعي دون التشريع الرسالي لأن ما بني عليه التشريع الرسالي القانون الكلي العام لجميع ما وصل اليه التكليف بالفعل إما بالطرق الوجدانية و إما بالطرق الظنية و عند ذلك لا بد من الاندفاع نحو الانقياد و الطاعة نحو ما أمر به أو نهى عنه . . . و اما التشريع الانتقالي فمختص بالقانون الوضعي لأنه يمكن أن يقرر حكماً من دولة الى دولة أخرى و من اقليم الى اقليم آخر تبعاً للظروف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و يكون ذلك بعد صلاحية الانتقال للمنتقل اليه و قبوله في مقام الانصياع و الطاعة و ربما لا يتقبله للظروف البيئية و الاجتماعية و السياسية فيحصل منه الرفض الكلي و المقاومة الشديدة التي ربما يتحقق منها حدوث الحرب و التشرذم

#### ٩ - التشريع التدريجي

انما يتحقق التشريع التدريجي طبقاً لمجرى الاستعداد البشري في ناحية سيره التكاملي كما هو الحال في حكم الخمر من جهة تشريعية لم يكن ابتداء متكاملأ و انما أخذ على نحو التدرج إما لجهة قصور في النضوج البشري و إما لجهة عدم التقبل و الانصياع للحكم الشرعي و إما لجهة عدم الانس الطبعي في اصل التشريع كما هو الحال بالنسبة الى حكم الاسترقاق فأخذ الشارع في ابتداء الامر بالإقرار في أصل المشروعية للاسترقاق و لكن أخذه في دور تقليص موضوعه على نحو التدرج و يقع التدرج على مرحلتين :

#### ١ - تدرج في ناحية الحكم

## ٢- تدرج في ناحية الموضوع

و بذلك يتم كلا التدرجين في ناحية الحكم و الموضوع و يصدق عليهما بالتشريع التدريجي إلا ان جهة التدرجية في الموضوع أخذ على نحو الأثر و اللازم بخلاف التدرج في الحكم فإنه أخذ على نحو المدلول المطابق .

و على ضوء الصور التشريعية يتضح الجواب من امكان انتزاع قوانين تشريعية موحدة و اختلاف الخصوصيات في الطوارئ و الحالات التشريعية لا يغير جوهر التشريع و بذلك توجد سلسلة رسالية متواصلة كحالة الصلاة و اختلاف الخصوصيات في الطوارئ و الحالات التشريعية لا يغير جوهر التشريع و بذلك توجد سلسلة رسالية متواصلة كحالة الصلاة و اختلاف التشريع في الحالات و لكن بما انها لطف و وجود تكون حقيقة واحدة عند الجميع كما في القرآن حيث أشار الى وجوده في قوله تعالى : { و أوصاني بالصلاة و الزكاة ما دمت حياً } [ مريم : ٣١ ] و قوله تعالى { كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم } [ البقرة : ١٨٣ ] فينظر فيه الى وحدة جامعة لدى جميع الديانات و الاختلاف بالخصوصيات غير مضر في جوهر الصيام و الصلاة و الزكاة لحصول الوحدة الجامعة عند عامة الديانات .

و بالجملة البحث في الوحدة التشريعية عند الأديان شتى و اختلاف الحالات و الطوارئ بلحاظ مناسبة الحكم للموضوع و ما يقصد من سير التكامل البشري و النضوج الفكري شيء آخر لا يؤثر في وحدة الحقيقة و التقاء التشريع تحت نقطة مشتركة .

و لناخذ أمثلة قرآنية للمسيرة الوحدية في الاتجاه القرآني التشريعي فإن مثل نبي الله شعيب في سورة الاعراف : ٨٥ في قوله تعالى { و إلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تفسدوا في الأرض

بعد اصلاحها نلکم خير لكم ان كنتم مؤمنين { فكان دور شعيب منع مجتمعه من التعامل الربوي و البخس في المكيال فأوضح أن المسيرة الأخلاقية للنظام البشري و إقامة العدل و عدم الظلم ، و هكذا تشير الآية القرآنية لدور شعيب و أمره بالاصلاح الاجتماعي مع فرض عدم الحاجة إلى مجتمعه من الجانب المادي كما تدل عليه سورة الشعراء الآية : ١٧٧ إلى الآية : ١٨٣ من قوله تعالى : { إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله و أطيعون ، و ما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ، أوفوا الكيل و لا تكونوا من المخسرين ، و زنوا بالقسطاس المستقيم ، و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعشوا في الأرض مفسدين } و هذا جار في الحكم الاسلامي .

و نلاحظ في مسيرة القرآن الجهة الوجدانية في مسيرة الانبياء أيضاً في منع الجنس اللا مشروع كما يحدثنا القرآن عن دور لوط (ع) في قوله تعالى : { و لوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إني لكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون } [ الاعراف : ٨٠/٨١ ] و هكذا تعرض القرآن إلى لوط في سورة النمل : ٥٥ و سورة العنكبوت : ٢٩

و كذا في حال ما يكرره القرآن من أدوار موسى (ع) مع بني اسرائيل و فرعون و محاولة دعوته إليهم إلى العدالة و عدم الظلم في المجتمع و هو قانون كلي يتوارثه الأنبياء جميعاً أو يأمره الله بالذهاب إلى فرعون و أنه قد طغى و تجبر و أظهر الكبرياء كما في قوله تعالى : { اذهب إلى فرعون إنه طغى } [ طه : ٢٤ ] كما يرشد القرآن إلى وجود نظام أخلاقي عام في قوله تعالى : { إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً } [ الاحزاب :



## الخطاب الاسلامي بين العهد المكي و العهد المدني

✽ عرف مصطلح المكي و المدني بعدة تعاريف مختلفة بحسب اتجاهات الباحثين في علوم القرآن و قد نجم عن هذه الاختلافات اختلاف - الخطاب الاسلامي المعاصر - بين دعاة يؤسسون برنامجهم على مرحلة العهد المكي و آخرين يؤسسونه على مرحلة العهد المدني ، كيف نوحّد رؤيتنا الإسلامية اليوم لكلا المرحلتين ؟

✽ يصدق المكي و المدني على السورة و الآية ، و لكن هذا البحث يكون عدة علاقات هي :

١- علاقتهما بالناسخ و المنسوخ

٢- علاقتهما بالنزول

٣- علاقتهما بالزمان

٤- علاقتهما بالمكان

و قبل معرفة وجه العلاقة فيما بين المكي و المدني ربما تكون السورة أو الآية مكية و مدنية من موضوع واحد كما في سورة الفاتحة كما يذكر مجمع البيان و قيل نزلت مرتين مرة بمكة و مرة بالمدينة .

و ذكر السيد الاستاذ الخوئي عن محل نزولها - المعروف أن هذه السورة مكية و عن بعض أنها مدنية ، و الصحيح هو القول الاول و إطلاق السبع المثاني على الفاتحة كما يطلق السبع المثاني في سورة الحجر و قد نزلت قبل فاتحة

القرآن و هي قوله تعالى : { **و لقد أتيناك سبغاً من الميثاني و القرآن العظيم** } [ الحجر : ٨٧ ] و سورة الحجر مكية بلا خلاف فلا بد أن تكون فاتحة الكتاب مكية أيضاً .

و ذكر السيد الخوئي في البيان بقوله " و ذهب بعض إلى أنها نزلت مرتين مرة في مكة و أخرى في المدينة تعظيماً لشأنها ، و هذا القول محتمل في نفسه و إن لم يثبت بدليل .

و ذكر الجعبري أن لمعرفة المكي و المدني طريقين سماعي و قياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، و القياسي ، قال علقمة عن ابن مسعود لكل سورة فيها " يا أيها الناس " فقط أو " كلا " أو لها حروف تهج سوى الزهراوين (البقرة و آل عمران و الرعد ) - و في وجه - أو فيها قصة آدم و ابليس سوى الطولي (البقرة ) أو فيها قصص الانبياء و الأمم الخالية فهي مكية ، و كل سورة فيها حد أو فريضة فهي مدنية ، و في رواية و كل سورة فيها { **يا أيها الذين آمنوا** } فهي مدنية .

قال الزركشي و هذا القول - الأخير - إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر فإن سورة البقرة مدنية و فيها { **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً** } [ البقرة : ١٦٨ ] و سورة النساء مدنية و فيها { **يا أيها الناس اتقوا ربكم** } [ النساء : ١ ] و فيها { **إن يشأ يذهبكم أيها الناس** } [ النساء : ١٣٣ ] و لكن مثل هذا ليس على نحو الضابطة و لها ورد على نحو الغالب و لذا قال مكي بن حموش " هذا إنما هو في الأكثر و ليس بعام و في كثير من السور المكية ( يا أيها الذين آمنوا ) و لكن عند الاستقراء لم نجد أن ما يثبت أن السورة المكية تعرضت لمثل ( يا أيها الذين آمنوا ) و إنما تعرضت لكثير من مثل الذين آمنوا كما في سورة ص و الزمر و غافر و فصلت و غيرها و زعم الزركشي أن ما ورد في قوله تعالى { **يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا** } [ الحج : ٧٧ ]

بأنها مكية إلا أنها في الحقيقة مدنية و ليست مكية .

و قال القاضي أبو بكر : " كانت العادة تقضي بحفظ الصحابة ذلك غير انه لم يكن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك قول و لا رد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما نزل بمكة كذا و بالمدينة كذا و إنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الامة و كذلك الصحابة و التابعون من بعدهم لما لم يعتبروا ذلك من فرائض الدين لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به و مواصلة ذلك على اسماعهم و إذا كان الأمر على ذلك ، فلا غرو ان يختلف من جاء بعدهم في بعض القرآن - هل هو مكي او مدني و ان يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي و الاجتهاد .

كما أن هناك تصوراً آخر يمكن أن نعبر عنه في بيان معرفة المكي عن المدني يرجع الى ضوابط معيارية هي :

١- الاختلاف بينهما بـمميز لفظي

٢- الاختلاف بينهما بـمميز معنوي

٣- الاختلاف بينهما بـمميز زمني

٤- الاختلاف بينهما بـمميز مكاني

١- و توضيح هذه الاختلافات فإن ما يرتبط بالمميز اللفظي و ان ينظر لجهة الفرق بين المكي و المدني ، ان في المكي مثل ( يا أيها الناس ) و لكن اتضح ان ورود ( يا أيها الناس ) للمكي بنحو الغالب و ليس على نحو القياس الكلي في بيان الفرق أن ما يرد فيه ( يا أيها الناس ) للمكي خاصة و لذا أشار مكي بن حموش : انما ورود ذلك انما هو الأكثر و هذا لا يعني أن يفرق بينهما بنحو الاختلاف اللفظي دائماً .

كما ان المدني يختلف تعبيره اللفظي عن المكي في تصدير الآية بقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } و لكن بما أشرنا الى عدم اعطاء ضابطة كلية في كل

ما يتصدر الآية من قوله ( يا أيها الذين آمنوا ) إذ في مثل ما ورد في البقرة مع كونها مدنية قد ورد فيها التصدير { يا أيها الناس } [ البقرة : ٢١ ] وكذا في سورة النساء في قوله تعالى : { يا أيها الناس اتقوا ربكم } [ النساء : ١ ] وكذا قوله تعالى : { إن يشأ يذهبكم أيها الناس } [ النساء : ١٣٣ ] .

و حكي عن علقمة و الحسن أنهما قالوا كل شيء في القرآن ( يا أيها الناس ) فإنه مكي ، و ما كان ( يا أيها الذين آمنوا ) فبالمدنية . قال القاضي : هذا الذي نكروه ان كان الرجوع فيه الى النقل فمسلم ان كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف لأنه يجوز ان يخاطب المؤمنين مرة بصفاتهم و مرة باسم جنسهم و قد يؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمن باستمرار على العبادة و الازدياد منها فالخطاب في الجمع ممكن .

٢- و اما الاختلاف بالميز المعنوي و هو ان ينظر للآية المكية بما فيها جهة الوعد و الخوف و التحذير من العقاب و العذاب الأليم و ينظر للآية المدنية بما فيها من الوعد و الرحمة و الخير و اللطف الإلهي للمؤمنين الذين أقبلوا على الطاعة و الحب الإلهي الذين تركوا لذة الحياة الدنيا و أقبلوا على دار الآخرة بكل شوق و حسن نية صادقة من غير نفاق و انما انصاعوا للحق المطلق و اقتربت نفوسهم الى درجات الكمال .

و يمثل هذا المميز المعنوي طبيعة الآية في مقام التخاطب بين القرآن و بين العارف الحقيقي للمسيرة القرآنية المنعكسة على عمله و سلوكه و يرجع هذا النوع الى القدرة الاستنباطية لمملكة الاستنباط .

٣- و أما الاختلاف بالميز الزماني كما يحدثنا يحيى بن سلام ( ما نزل بمكة أو في طريق المدينة قبل أن يبلغ صلى الله عليه وآله وسلم فهو مكي و ما نزل بعدما قدم صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أو في بعض أسفاره و حروبه

(فهو مدني)

قال جلال الدين " و هذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما أنزل في سفر الهجرة مكى اصطلاحاً " .

فيكون المعتبر في الفرق بين المكى و المدني لحاظ هجرة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و وصوله الى المدينة فما قبل الهجرة ان نزل الوحي القرآني عليه صلى الله عليه وآله و سلم في مكة او كان النزول في اثناء الطريق قبل وصوله الى المدينة يعتبر مكياً و ما نزل بعد وصوله الى المدينة يكون مدنياً و يمثل هذا النوع بالاعتبار الزمني بما قبل الهجرة و ما بعد الهجرة حتى لو كان ما قبل وصوله الى المدينة يعتبر من المكى دون المدني كما انه لو كان بعد الهجرة و لو في غير المدينة كما لو كان في عام الفتح و كان في مكة او في حجة الوداع يعتبر مدنياً و ليس بمكى و يكون على هذا الاتجاه ان ما ينزل في الغزوات و الحروب و الاسفار يعتبر في المدني لأن الملك نزل فيها بعد الهجرة فمثل قوله تعالى : { **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** } [ القصص: ٨٥ ] ، تعتبر مدنية و ليست مكية حيث نزلت في الجحفة و هي في طريق الهجرة الى المدينة .

٤- و اما الاختلاف بالميز المكاني و هو ان ينظر الى ان الفارق بين المكى و المدني بلحاظ المكان الذي نزل فيه القرآن فإن نزول القرآن في مكة و ما حولها يطلق على الآية أو السورة مدنية و ما خرج عن المكانين فلا يسمى بالمكى او بالمدني كقوله تعالى : { **كذلك أرسلناك في أمة قد خلت قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك و هم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت و إليه متاب** } [ الرعد : ٣٠ ] حيث ان مثل هذه الآية نزلت بالحديبية حينما صالح النبي صلى الله عليه و آله و سلم مشركي قريش فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي (ع) : " اكتب بسم الله الرحمن

الرحيم فقال مهيل بن عمرو و سائر المشركين : ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة - يعنون مسيلمة الكذاب - فنزلت الآية . و هكذا آية الانفال فإنها نزلت في بدر عندما اختصم المسلمون في تقسيم الغنائم و هي ليست مكية و لا مدنية . و على ضوء هذا الاختلاف في ناحية معرفة المكي عن وجود المدني أوجب اختلافاً في كثير من الآيات و السور ، هل هي مكية أم مدنية كما في مثل قوله تعالى : { ان الله يأمركم أن تؤبوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعماً يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً } [ النساء : ٥٨ ] .

أما البحث بما يخص العلاقات بين المكي و المدني و بين الناسخ و المنسوخ .  
١- علاقتها بالناسخ و المنسوخ

بمقتضى حصول الاختلاف بين المكي و المدني و ان تعريف النسخ هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمره و زمانه سواء كان ذلك المرتفع من الاحكام التكليفية أم الوضعية و سواء كان من المناصب الإلهية أم غيرها . و قد وردت فيها عدة تعاريف لسنا في حاجة الى سردها مع ما بينا على المناقشة في التعريف جميعاً و عدم امكان الوصول الى تعريف حقيقي قطعي بمراجعة ما كتبناه في عناصر العلوم .

و المهم ان ما يناسب موضوع بحثنا عن وجود علاقة بين المكي و المدني و بين الناسخ و المنسوخ و هذا يحتاج الى استعراض شروط النسخ و تقع على النقاط الآتية :

أ - حصول المباعدة الحقيقية بين التشريع الاول و التشريع الثاني و الاختلاف الذاتي بحيث لا يمكن تصور الجمع بين التشريعين أساساً كآيات العفو و الصفح و آيات القتال أو بين آية الامتناع الى الحول و بين آية الاعتداد بأربعة أشهر و عشرة أيام و آية المواريث فإن من بين هذه الآيات يمكن النسخ لحصول

التنافي، و اما عند عدم حصول المبينة فلا يصدق عليه نسخ كما في آية الانفاق و آية الزكاة .

ب - من جملة شروط النسخ عدم امكان الجمع بين التشريع الاول و الثاني كما في صورة الجمع بين المطلق و المقيد و العام و الخاص فان الحمل فيها يوجب التوفيق بين الدليلين و لا يتصور فيهما النسخ فان مثل آية القواعد من النساء في قوله تعالى : { و القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة و ان يستعففن خير لهن و الله سميع عليم } [ النور : ٦٠ ] لا تقع ناسخة لآية الغض الوارد في سورة النور في قوله تعالى : { و قل للمؤمنات يقضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها } [ النور : ٣١ ] إذ الآية الاولى ناظرة الى حكم الخاص و الثانية ناظرة الى حكم العام ، فلا يمكن أن يقع النسخ بين العام و الخاص .

ج - اذا كان الحكم في مقام أصل جعله محدداً أو صريحاً في التوقيت فهو بذاته ينتهي أمره تلقائياً من غير حاجة الى وجود نسخ واقع له مثل قوله تعالى : { فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله } [ الحجرات : ٩ ] إذ لا مجال لورود النسخ بعد ان تفيء و هي الطائفة المعتدية ( الباغية ) بعد رجوعها الى السلم و الخضوع لحكم الله .

د - ما يختص به موضوع النسخ في الامور الانشائية دون الامور الخيرية فإن مثل قوله تعالى : { ثلثة من الاولين و قليل من الآخرين } [ الواقعة : ٣٩ - ٤٠ ] كما ذكر مقاتل بن سليمان ان الآية في مقام الاخبار عن قضية خبرية فلا تتغير بالوجوه و الاعتبار .

و إذا كانت الاباحة ثابتة بطريق البراءة العقلية فبورود النسخ فلا تسمى بالمنسوخة لأن موضوعها في ظرف عدم التشريع لأنه بورود التشريع يرفع

موضوعها كما في قوله تعالى : { **فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** } [ النساء : ١٤٠ ] فإن مثل هذه الآية لا تقع ناسخة لقوله تعالى : { **وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** } [ الانعام : ٦٩ ] لأن جواز القعود قبل نزول آية النساء لم يكن مستفاداً من آية الانعام و انما كان على مقتضى جريان أصالة البراءة العقلية ( البراءة الاصلية ) و انما نزلت آية الانعام لدفع توهم الحظر لأن النهي كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فتوهم المسلمون شموليتها للمؤمنين .

هـ مما يشترط في النسخ وحدة الموضوع بين موضوع الحكم الاول و موضوع الحكم الثاني لأنه إن تبدل موضوع حكم الى موضوع آخر لا بد من تغير الحكم تبعاً لتغير موضوعه لإناطة الحكم بموضوعه و تقييده به و بذلك لا يصدق في مثل قوله تعالى : { **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنَّا** } [ البقرة : ١٦٠ ] ان تقع ناسخة لقوله تعالى : { **إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى** } [ البقرة : ١٥٩ ] لأن الذي بين غير الذي يكتم .

و بذلك نلاحظ الكثير ممن توسع في دائرة النسخ لعدم معرفته بموارد الاستثناء و التخصيص عند ورودهما على حكم العام جعلوهما من أقسام النسخ مع ان الامر ليس كذلك .

و هناك موارد أخرى مما توجب رفع الحكم الاول و ورود حكم ثانوي مثل الدليل الاضطراري و دليل الحرج و التقية و إن كان الاختلاف بين الاضطراري و الحرج يقصد بها الضرر الشخصي و بين التقية يراد بها الضرر النوعي و على أي الحالين فإنه في ورود الدليل الثاني لا يكون ناسخاً في مثل قوله تعالى : { **فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** } [ البقرة :

١٧٣ ] لقوله تعالى : { **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّم ..** } [ البقرة : ١٧٣ ]

و يمكن بهذا العرض أن ترجع الى وجه العلاقة بين المكي و المدني و الناسخ



و المنسوخ و ذلك لحصول المعاينة بين التشريع الاول و التشريع الثاني فيكون حقيقة التشريع فيما بينهما مختلفة و هذا لا يتحدد إلا لجهة اختلاف المكي و المدني بلحاظ ما يستتبطه صاحب الملكة الاستنباطية لانعكاس اختلاف التشريع على اختلاف ما يحتويه مؤدى المكي و المدني و عليه لا بد من حصول العلاقة بينهما بإرجاع كل من المكي و المدني الى شرطي الناسخ و المنسوخ من جهة الاختلاف الواقعي بين التشريعين .

## ٢ - علاقتهما بالنزول :

بما ان النزول يحقق سببية واقعية كما ورد في قول المسعودي أول ما أنزل عليه صلى الله عليه و آله و سلم من القرآن { اقرأ باسم ربك الذي خلق } [ سورة العلق : ١ ] و أتاه جبرائيل في ليلة السبت ثم في ليلة الأحد و خاطبه بالرسالة يوم الاثنين و ذلك بحراء و هو أول موضع نزل فيه القرآن و خاطبه بأول السورة الى قوله { علم الانسان ما لم يعلم } [ العلق : ٥ ] و نزل تمامها بعد ذلك .

و كان ذلك بعد بنیان الكعبة بخمس سنين على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز و على رأس منتي سنة من التحالف بالريذة .

و الملاحظ ان النزول لا يحقق جهة التقييد في المحل و انما هو أعم من المكان و الزمان فإن مثل قوله تعالى : { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن } [ البقرة : ١٨٥ ] و قوله تعالى : { إنا أنزلناه في ليلة مباركة } [ الدخان : ٣ ] و قوله تعالى : { إنا أنزلناه في ليلة القدر } [ القدر : ١ ] فإن كل هذه الآيات في اتجاه الحالة العروضية في حال الانزال و إن كان ذلك يصادف الشهر و الليلة و إنها من ليلة القدر و هذا لا يحدد ان ما ينزل عليه لا بد ان يحدد المكان او الزمان على نحو التعيين لأن مقام الانزال أعم من ذلك لأن حال الانزال ليس حقيقة عين التعلق بطرف الاضافة و هو إما المكان أو الزمان لأن الآيات

ناظرة الى جهة اثبات حقيقة ما وراء المكان و الزمان و يثبت من ذلك أنه لا علاقة بين المكي و المدني و النزول من حيث هو بدون لحاظ طرف الاضافة في مقام التعلق .

و يتجلى بما حررناه انه فرق بين النزول و حال النزول و المنزل (بافتح) و المنزل عليه (بالكسر) و النزول و مقارنته للمحل أو الزمان أو النزول أو تقييده بالمحل أو الزمان لأن لكل واحد أسسه و قواعده .

### ٣ - علاقتهما بالزمان :

يقع الحديث عن وجود العلاقة بين المكي و المدني و بين الزمان و لا يخفى ان معرفة الزمان تارة بحسب النظر الفلسفي بما يراه الملا صدر الشيرازي على انه وجود تحليلي عقلي و انما الاختلاف في الزماني دون الزمان إذ الاختلاف بالنسبة الى متعلق الزمان دون ذات الزمان ، فإذا قيل قرن أو عام أو شهر أو أسبوع أو يوم أو ساعة فإن الاختلاف ليس في واقع الزمان و انما بلحاظ الاضافة و المتعلق و أخرى ذهب بعض الفلاسفة القدماء الى الاختلاف في حقيقة الزمان و ذلك عن طريق حركة الافلاك او تعاقب الليل و النهار أو التصرفات الآتية فإن كل هذه الامور لا توجب اختلافاً في ذات الزمان و انما هي حقيقة واحدة .

و اما اذا اخذنا الزمان بالمنظار العرفي إذ قيام الاعتبار العرفية و الشرعية قائمة على الامور الاعتبارية دون الامور العقلية فلا بد من تحديد الحدث و الواقعة بزمان لكي يترتب عليه الأثر الشرعي و لكن في الحقيقة إن مثل صوم شهر رمضان و نزول القرآن في ليلة القدر و بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم في السابع و العشرين من رجب كلها في مقام الزمانيات و ليست في مقام الزمان نفسه و على أي حال فإن العلاقة الزمانية بين المكي و المدني لا يثبت موقفاً تحديداً فيما بينهما و لذا اشرنا في جهة المميز الزماني أنه ربما

ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي في حال الهجرة وليس للمكان من طرف المكي أو من المدني ما يوجب تقييداً و عليه لم يثبت العلاقة بين المكي و المدني و الزمان المتقيد بهما لا بالنظر الى كلي الزمان الذي أخذ فيه جهة التقارن بين الفعل و الزمان فإن ذاك له مفهوم آخر .

٤ - علاقتهم بالمكان :

إن لحاظ الخصوصية المكانية في مقام النزول القرآني مثل قوله تعالى : { قول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره } [ البقرة : ١٥٠ ] يثبت أن الخصوصية المكانية لها أثر تشريعي تارة لبيان موضوع حكم التشريع كموضوع القبلة ، و أخرى لبيان منطلق التشريع في المحل الخاص و هو مسجد القبلتين في المدينة و ثالثة لبيان أن إناطة التشريع أن يكون مقومه خصوصية المدنية دون المكية وهو ما نعبر عنه بتتابع الخصوصيات المكانية . و هناك ملاحظة أخرى في ان التقييد بالمكي و المدني لا يراد بها التحديد الجغرافي و انما المراد بها على نحو الانتساب الاضافي و هو الذي توصلنا اليه عن طريق استخراج مضامين البعدين بما ينطويان على علاقة مجتمعتهما العقائدي في المحل فتكون الملاحظة اضافية بما للمستتبط من القدرة في استنباط مضمون ما تناسبه الآية او السورة من مناغمة التخاطب بين القرآن المكي و بين القرآن المدني فيكون التحديد فيها على نحو الامر التلقائي و ليس على نحو الامر الاشتراطي الخاضع تحت الجعل .



## التفاسير و مستقبل الثقافة القرآنية

✽ يراونني شعور جميل ، بأنني في آفاق القرآن كلما تلوت القرآن و لكن هذا الشعور سرعان ما يتلاشى عند قراءتي في التفاسير المنقسمة على نفسها ليحل محله شعور بالكآبة و القلق على مستقبل الثقافة القرآنية ، متى وكيف ترتفع التفاسير الى مستوى سماوية اللغة القرآنية و فكرها النقي ؟

بمقتضى عرض المناهج السابقة مع ما دوناه في مطالعاتنا القرآنية توجد مذاهب متعددة في المنهج التفسيري و لكن الكلام في امكانية الوصول الى مستوى سماوية اللغة القرآنية على نحو العمق في معرفة المضامين القرآنية و هذا محتاج الى معرفة المحتوى القرآني بصورة شمولية و لا يكون ذلك إلا لمن خوطب من فئة خاصة من المجتمع الذين يطلق عليهم أئمة الهدى و مصاييح الظلمة و قادة الأمة و الادلاء على الحق و السادة على جميع الخلق الذين بهم تنقش سحب الضلال و هم بيت العصمة و ينابيع الرحمة الذين ينطوون تحت قوله تعالى : { **اتما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا** } [ الاحزاب : ٣٣ ] و الذين تشملهم آية قوله تعالى : { **قلل تعالوا ندع ابناعنا و ابناعكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** } [ آل عمران : ٦١ ] فإن الدخول التفسيري من أبواب ينابيع هذ المجموعة الطاهرة و الكوكبة المشرفة يكون أتم المراحل للعقل البشري إذ ان هذا لا يمنع أن ينطلق الفكر البشري الى محيطات المفاهيم القرآنية بما يرتكز على بنية أساسية قد استوحاها من الأسس العلمية و القواعد

الفلسفية و الأصولية الفقهية من مصادرها الواقعية و هي من الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و أهل بيته (ع) فيمكنه أن ينطلق بأجواء مفاهيم القرآن و يحلق برحابه الواسعة لو كان من أحد شعبه دون مجموع الشعب . فإذا خرج الفهم التفسيري على القواعد و الأسس العلمية أصبح تفسيراً متشرداً لا يمكنه ان يقف على مركز صحيح بنية ثابتة و انما يمكنه الذوبان بأي طريق و فكر يصارع تلك البنية لأنها قائمة على ركائز هشة و قواعد مهزوزة تطيح بصاحبها متى اصطدمت بحجرة صلبة .

و بالجملة اننا في حاجة الى بنية تفسيرية مركزها منطلق من اعتبار ائمة الهدى دون من سواهم فإنهم مهما يلغوا من الفهم القرآني إلا انه سرعان ما يصطدم بقواعد رصينة ينهار صرحه و ينعدم وجوده و يصبح من التفاسير المنقرضة الوجود .

إلا أن نأخذ بالتفسير المعياري فإن له جهة الديمومة و البقاء لأنه يتماشى مع الاسس البنائية المستمرة من معين العترة الطاهرة .



و أردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب و يشتبه عليك من الامور ؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله و الرسول " فالرد إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، و الرد إلى الرسول : الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -

## فقه الضرورة و الاولويات

❖ هل يملك المسلم اليوم أن يتدرج في عرضه للإسلام و ان يرتب قائمة اولوياته قبل ان يخرج بها الى الناس ام ان هذا يدخل به في متاهات المداينة و تجزئة الاسلام و الاستدراك على الله ، و بالتالي هل ثمة فقه قرآني يمكن تسميته بفقه الضرورة و الاولويات ؟

○ الانسان في سيرته لا بد ان ينتظم تحت امس علمية كي يسير في ضوئها حتى لا يقع في متاهة الاخطاء و الاشتباكات على كل فرد ان يلتزم في أي حركة ان يطبق المناهج العلمية المنبثقة عن مصادرها الواقعية فان أي فعل يصدره الفاعل واقع تحت قوانين تشريعية إلهية لا يمكن ان يتخطاها و بذلك نحتاج ان نقدم الفرق بين الاولويات الشرعية و الاولويات العقلية و الاولويات العرفية و الاولويات اللامشروعة .

### ١- الاولويات الشرعية :

و هي التي تقع في حال التقابل بين منطوق الجملة و بين مفهوم الجملة فان كان بين المنطوق و المفهوم وحدة سلبية او ايجابية تكون اولوية مثل قوله تعالى { **فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ** } [ الاسراء : ٢٣ ] فان المنطوق صريح الجانب السلبي و المفهوم هو اولوية عدم الضرب و الشتم فيكون من باب الاولوية .

### ٢- الاولويات العقلية :

كما هو الحال فيما اذاحدث أمر اهم و أمر مهم فالتحكيم العقلي يرى ترجيح جانب الأهم كمن حدث حريق في مخزنه أو مخزن صديقه فالعقل يحكم بتقديم

الحفاظ على ماله دون ان يترك ماله و يمضي لاطفاء الحريق في مخزن صديقه ليحافظ على مال صديقه دون ماله فهنا نعبر عن الاولوية في تقديم ماله وللأهم في نظر العقل على مال صديقه .

### ٣- الاولويات العرفية :

و هي التي تركز على الاعراف السائدة فيما بين المجتمعات دون ان تتخذ شكلاً شرعياً او عقلياً مقبولاً و انما تخضع تحت الموازين العرفية كتقديم ابن بنت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كما يصطلح عليه بالهاشمي و الشريف في المجلس و في المشي لما بني عليه لدى بعض الاعراف تقديم من انتسب الي ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و هذا ليس منطقياً تحت موازين علمية و انما جرى عليه العرف .

### ٤- الاولويات اللامشروعة :

نقصد بالاولويات اللامشروعة هي التي لم تخضع تحت الضوابط الشرعية او العقلية او العرفية و انما تكون خاضعة تحت الظروف المصلحية و المصالح الوقتية .

و على ضوء ما استعرضناه في تقديم الفرق بين الاولويات المشروعة و غير المشروعة فلا يصح للانسان ان يقدم اولوياته اذا لم تكن اسس مبنية على صحة المضمر نحو اولوياته فانه يقع في متاهة دينية و متاهة علمية و متاهة اجتماعية و لا يتسارع نحو الاولويات اذا لم تكن خاضعة لأسس صحيحة تكون مؤمنة له في التحرك .

هذا مع ان مايقع فيه الانسان من اخطاء كثيرة ترجع الى اولويات عرفية مبنية على التسامح و عدم الضوابط العلمية التي من خلالها يصبح في معرض النقد لعدة طوائف تدنيه في ما اتخذه من المحسوبيات و الاولويات التي ليس لها جذور فنية تخرجه عن هذه الاشواك المؤذية .

و القرآن انما يدخل الانسان في منطقية علمية تردعه أن يخضع تحت الاولويات اللامشروعة بل يدينها فضلاً عن ترسيم المخطط لها و اذا قلنا بفقہ قرآني لا بد ان نسير على طبق قواعد علمية تخضع لها جميع العقول البشرية كمدرسة معيارية .

اللهم لك الحمد على حسن قضائك و بما صرفت عني  
من بلاءك فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجلت لي من  
عافيتك فأكون قد شقيت بما أحببت و سعد غيري بما  
كرهت و إن يكن ما ظلمت فيه أو بت فيه من هذه  
العافية بين يدي بلاء لا ينقطع و وزر لا يرتفع فقدم  
لي ما أخرت و أخر عني ما قدمت فغير كثير ما  
عاقبته الفناء و غير قليل ما عاقبته البقاء وصل على  
محمد و آله

من أدعية الامام علي بن الحسين (ع)



## القرآن و نظرية الاستخلاف الرباني على الأرض

✽ ماذا يريد القرآن من الانسان ؟ و كيف تصور مبادئه و تعاليمه مهمة  
استخلاف الانسان على الارض ؟

○ بما للانسان من ملكات يحملها بين وجوده و طيات نفسه يتصارع بعضها مع بعض تكفل الله وجود حكم عليها هو العقل الذي أول ما خلقه الله قال له : أكبل ، فأقبل . و قال له : أدبر ، فأدبر .. و لم يكن هناك مفارقة منهجية بينه و بين المنهج الشرعي لحصول التلازم من حكم العقل و حكم الشرع .  
و على ضوء هذه اللمحات يناسب أن نتناول دور هذه القوى و الملكات ثم بعد ذلك نبحث عن مبادئ الانسان و قيمه و تعاليمه بما يصلح بها أن يكون خليفة على وجه الأرض و هذا يستدعي تقديم عدة نقاط :

١- قوة النفس :

من المعلوم ان البحث يقع تارة في القوة من حيث هي و أخرى البحث عن اضافة القوة للنفس ثم الكلام في بيان معرفة النفس بما هي أمر تجريدي أو امر مادي و هذا ما أشرنا إليه في كتابنا " نقد المذهب التجريبي " و هناك موضوعات أخرى تتفرع من دائرة النفس كما انه تطلق النفس على النامية و الحيوانية و الناطقة ، و ان الفصل الحقيقي لدى الفلاسفة للانسان - النفس الناطقة .

إلا أن المهم هو معرفة معنى القوة ، و المراد بالقوة عبارة عن تلك الطاقة التي توجب من خلالها وجود أثر يختلف بلحاظ متعلقة ، أو بعبارة أخرى ان القوة

هي مبدأ التغير من شيء الى شيء آخر من حيث هو و عليه فهو مختلف بحسب ما تضاف إليه القوة من الامور الطبيعية كالهواء و الماء و الحجر و الزلزال و الصاعقة و النار فيقال : كم مقدار سرعة الهواء ؟ و كم هي سرعة جريان الماء ؟ و كم يساوي وزن الحجر ؟ و كم تساوي سرعة الصاروخ عند أول انطلاقه الى وصوله للمكان المحدد ؟ و هل يخرق نسبة سير الضوء ؟ و عليه نكون القوة معني عاماً يشمل القوة الفاعلة و المنفصلة ، كما نطلق القوة على مرحلة القوة و الفعل أيضاً .

و ما تضاف اليه القوة بالنسبة الى المحركة الحيوانية حيث قال الشيخ ابن سينا في الفصل الخامس من المقالة الاولى من الفن السادس من الطبيعيات ، القوة المحركة على قسمين : اما محركة باعثة على الحركة ، و اما محركة فاعلة لها و المحركة الباعثة هي القوة النزوعية الشوقية و هي القوة التي إذا ارتسمت في التحليل صورة مطلوبة او مهروبة عنها بعثت القوة المحركة الأخرى على التحرك و لها شعبتان ، شعبة تسمى قوة شهوانية و هي قوة تنبعث على تحريك يقرب من الاشياء المتخيلة ضرورية كانت أو نافعة طلباً للذة ، و شعبة تسمى غضبية و هي قوة تبعث على تحريك يدفع به الشيء ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة .

و بذلك سار صاحب المنظومة الى تسمية القوة بالشوقية تبعاً لمذهب ابن سينا و الغرض أن ما تختلف به القوة بالقياس الى اضافتها للمتعلق فتسبب الى تعلق كالقوة الشهوية و القوة الغضبية و القوة الرياضية النفسية .

و اما البحث بالنظر الى مرتبة اضافة القوة الى النفس الذي هو موضوع انطلاق بحثنا لأن اضافة القوة الى النفس بما أنها كمال أول للجسم و لا نعني بالجسم الجانب المادي كما يتصور في تعريف النفس و انما المراد به بما أن للنفس كمال أول لجسم طبيعي كما يشير إليه ملا صدرا إذ ليست النفس كمالاً

للنار و لا للأرض بل النفس التي في هذا العالم كمال لجسم طبيعي يصدر عنه كمالاته بآلات يستعين بها على أفعال الحياة كالإحساس و الحركة الارادية .  
كما أن المراد كمالها للجسم الطبيعي هي عبارة عن صورة يخرج بها المادة عن دائرة القوة الى دائرة الفعل و بهذا المنظار يكون الكمال في مرتبة يصبح النوع له وجود بالفعل و أما إذا أخذنا الكمال على نحو الفصل الحقيقي الذي يستوجب خروج الجنس عن اتهامه الى مرتبة التحصل يكون الكمال عندئذ ما يتبع النوع في تقريره كالعلم و القدرة للإنسان ، و لذا يقولون : فبالأول يتم النوع في ذاته ، و بالثاني يتم النوع في صفاته . و الأول يتوقف الذات عليه و الثاني يتوقف على الذات و عليه تكون اضافة القوة للنفس نظير علاقة الحواس للنفس في ناحية الاستخدام من غير أن يخضع تحت أمر و نهي و إنما هي منقادة تلقائياً .

النفس النباتية :

أطلق الشيخ ابن سينا (٩٨٠-١٠٢٧ م ، ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ) كتابه في الشفاء النفس على النباتية و عرفها بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد و يربو و يولد .

و المراد بالتولد عن طريق الغذاء و المراد به تلك القوة التي تحيل جسماً الى مشاركة الجسم الذي هي فيه و يذهب الخط الفلسفي التقليدي كما عليه اتجاه ابن سينا بأن النفس النباتية تركز على ثلاثة فصول :

- أ - القوة العادية و هي التي تحيل جسماً الى مشكلة الجسم الذي فيه .
- ب - القوة النموية و هي ما تستدعي زيادة في الحجم .
- ج - القوة المولدة و هي التي تستخرج من مادة مشابهة لتلك المادة من الجسم من جهة القوة .

نكتفي بهذا العرض الموجز للارجاع الى العلوم الحديثة في معرفة البنية النباتية

و جذورها و أنواعها من غير أن نخوض بمطالب فلسفية تقليدية إلا أن المهم أن هناك نقطة مشتركة في ناحية الجسم النامي و الحيوان المتحرك بالارادة العاقلة او بالارادة الغريزية و أن كلاً من هذه الامور تحمل طاقات و قوى تختلف باعتبار متعلقاتها و لكن ينبغي أن يذكر في النباتية القوى النباتية فهو أجدر مما ذهب إليه ابن سينا .

### ٣- النفس الحيوانية :

ان المعنى بالنفس الحيوانية هو الشعور بالحركة عن إرادة مدركة للكليات عن طريق القوة العاقلة فيدخل الانسان او الشعور بالحركة عن ارادة بطريق الامور الغريزية فيشمل سائر الحيوانات غير العاقلة . إلا ان ما يختلف عنه سير الانسان فإن فيه عدة طاقات كالقوة العاقلة و قوة الوهم و قوة الخيال و إن معنى القوة العاقلة هي التي يمكنه من خلالها التمييز بين الحق و الباطل و بين الخير و الشر و بين السعادة و الشقاء كما ان القوة الواهمة كما يقول ملا صدرا : " و اعلم ان الوهم عندنا و إن كان غير القوى التي ذكرت إلا انه ليس له ذات مغايرة للعقل بل هو عبارة عن اضافة الذات العقلية الى شخص جزئي و تعلقها به و تدبيرها له فالقوة العقلية المتعلقة بالخيال هو الوهم ، و ليس للوهم في الوجود ذات أخرى غير العقل .. انتهى " .

و ان كنا نوافقه في هذا الاتجاه و انما الاختلاف بلحاظ الاضافة و المتعلق كما عليه مسلكه في وحدة العقل و الروح و النفس حيث أن العقل له القدرة على ادراك المفاهيم العامة و الامور الكلية و الروح متعلقة بالجسد و محرك له على نحو تحريك الآلة لذي الآلة و النفس مدركة للجزئيات و هي متعلقة بالبدن تعلق التدبير و التصرف كما ستعلم ، و معلوم أن النفس الملهمة ليست مدبرة للبدن الكلي و إلا لكانت عقلاً مفارقاً بالكلية .

### ٤- النفس الانسانية :

و المراد بها بحسب مصطلح الفلاسفة النفس الناطقة و التي يصطلح عليها العرف المنطقي بالناطق ، و هو الفصل الحقيقي له بحسب معتقدهم و هو غير النفس الناطقة و المشهور لدى الاصوليين .

و يكون طريقة معرفة الانسان عن غيره مما يحمل من النفس الناطقة و ادراك الكليات كما انه يفترق الانسان عن غيره بحمله للكمالات و الفضائل الانسانية و يختلف عن سائر الاجناس الأخرى بالقوة العاقلة المدبرة للصورة المتخيلة و الواهمة بينما ان سائر الحيوانات تنقاد للقوة المتخيلة و الواهمة و لكن الانسان يشترك مع الحيوانات و يفترق عنها بالقوة العاقلة المربكة للكليات و التي بها يميز بين الخير و الشر و بين الضار و النافع و بين الشقاء و السعادة و يكون بها مختاراً غير مجبر و بها يرتقي الى الكمالات و قوة النفس حتى يكون أفضل من الملائكة لأنها أجبرت على الطاعة و ترك المعصية كما أنه بهذه القوة العاقلة يختلف عن الشيطان حتى أن فيه جهة التمرد و الطغيان على ساحة المولى .

و لكن ما يبتنى عليه الجواب ان الانسان مجمع الفضائل الانسانية و الكمالات الاخلاقية من الصدق و الايمان و الامانة و الوفاء و الحلم و الفقه و النجابة و حب الخير و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و الابتعاد عن اقتراف الآثام و ترك الكذب و النفاق و الزنا و الخمر و المقامرة و طلب العلم و الارتقاء الى المعارف الحقّة و التقرب الى الله بالصلاة و الدعوات و الاذكار و فعل الخيرات و التصديق على الفقراء .

كما أنه بعين ذلك يحمل طاقات مناقضة كالكذب و النفاق و المخادعة و الظلم و الهتك و سلب حقوق الآخرين و التلذذ بالظلم و التشفي و الاستغراق به و لعب اللهو و المجون و التعدي على الاعراض و النفوس و سلب الاموال .  
و لما كان الانسان فيه مجمع هذه الصراعات في نواحي القوى الحقّة و الباطلة

كان من باب اللطف على الله سبحانه أن يرسل الانبياء مبشرين و منذرين لطريق السعادة و السير نحو الخط المستقيم الذي به هداية البشرية جمعاء . و عليه فالإنسان محط نظر الله في تعليمه و هديه و إرشاده حتى لا يكون في أخلاقه كالعجماوات و الحيوانات التي لا تعقل و إنما أراد له أن يكون أشرف الموجودات و أكملها على سطح هذا الكون بالأخلاق و الفضائل النفسانية لا كالبهيمة همها علفها و إنما أحب له أن يكون ملكاً على وجه هذه الأرض بالأخلاق الكريمة و النفس الفاضلة .

أمن البشرية و الأخلاق أن يقتل الإنسان الإنسان و يعتدي على كرامته و يسلبه حقوقه و أن ينادي بالعدالة و هو أكثر الناس ظلماً و قساوة :  
إن ما نشاهده كل يوم في التلفاز و المنياع و الصحيفة و سائر الطرق الاعلامية أن هناك من قتل في مكان ما و ان انفجاراً حصل في مكان آخر و ان طائفة ما هجمت على طائفة غيرها إما بسبب عقائدي أو بسبب قومي أو بسبب اقليمي و الضعيف يقع تحت هذه البراكين الساخنة ، فأين العدالة و أين المساواة ؟ و أين حق طلب الدفاع عن المظلومين الابرياء ؟ و أين يقظة الضمير و أين الفكر الحر و أين حقوق الإنسان ؟ ، هذه كلها ألفاظ عابرة و كلمات فارغة و أصوات مبعثرة .

و إنما على الإنسان أن يرجع الى صوابه و ينتبه من غفلته و رقدته و يبتعد عن العصبية فإن القرآن هو هديه و إرشاده و به صلاحه و اعتداله إذ القرآن هو المجمع لمسيرة الحياة الانسانية عبر الاجيال حامل للقيم و التعاليم و العبر و المواعظ و الارشاد و العدالة و المساواة و يريد بالإنسان أن يكون هو الخليفة لله على وجه الأرض عندما يطبق القانون بحذافيره ولا يدخل تحت الأمور الاعتيادية و المصالح الفردية .

و قد ورد عن صاحب الفتوحات في الباب الحادي و الستين و ثلثمائة : " إن

الانسان الكامل خليفة مخلوق على صورة الرحمن بعدما روي الحديث الإلهي لأهل الجنة من أنه ورد في حق أهل الجنة يأتي اليهم الملك فيقول بعد أن يستأذن عليهم في الدخول فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله فإذا في الكتاب لكل انسان يخاطبه من الحي القيوم الى الحي القيوم أما بعد : فإني أقول للشيء كن فيكون و قد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون . و قال صلى الله عليه و آله و سلم : " فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كن إلا و يكون ."

فإذا سار الانسان على نهج الحق و الرشاد و طبق ما فرضته الشرائع و الأديان الحقيقية و اعترفت بها رسالات السماء و لا سيما ما هو أكمل الأديان و هو الاسلام فإن الانسان هو الخليفة الشرعي الذي يرشد القرآن بقوله : { يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض } [ سورة ص : ٢٦ ] فيكون الخطاب للانسان و ليس للفرد الخاص لأن المورد لا يخصص.

اللهم إني اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره و من معروف أسدي إلي فلم أشكره و من مسيء اعتذر إلي فلم أعذره و من ذي فاقة سألتني فلم أؤثره و من حق ذي حق لزممني لمؤمن فلم أوفره و من عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره و من كل إثم عرض لي فلم أهجره أعتذر إليك يا إلهي منهم و من نظائرهن اعتذار ندامة يكون واعظاً لما بين يدي من أشباههن فصل على محمد و آله و اجعل ندامتي على ما وقعت فيه من الزلات و عزمي على ترك ما يعرض لي من السيئات توبة توجب لي محبتك يا محب التوابين .

من أدعية الإمام علي بن الحسين (ع)

## اتفاق الحديبية و مفهوم الانتصار في الصلح

✽ يوم نزلت الآية الكريمة أثر اتفاق الحديبية {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً} [الفتح : ١] لم يفقه الكثيرون معناها في حينها و لم يبينوا موضع الفتح من ذلك الاتفاق الذي حسبه محض تسليم و لكنهم فهموا أي فتح هو بعد سنتين و علموا ان من الفتوح ما يكون بغير السيف و ما يشبه الهزيمة في ظاهره عند من يتعجلون و لا يحسنون النظر الى بعيد ... ما رأيكم بذلك ؟

✽ يختلف الحال فيما بين المسلمين فمنهم العارف بالامور العسكرية و السياسية و منهم العارف في الامور الثقافية الدينية و لم يكن له الخبرة في الامور العسكرية و السياسية و منهم العارف بجميع الامور . و منهم من لا خبرة له أصلاً في جميع الامور و انما يسير على طبق ارشادات عسكرية من قبل القادة فلا معرفة له بالبعد الثقافي و العسكري و السياسي و انما هو نظير دلالة تحركه للاتجاهات من غير وازع ديني راسخ . و منهم من لا يعير اهمية للفتح و انما ينظر الى مصلحته كالحصول على الغنائم و الثروات من الغزوات .

و منهم المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن فيريد ان يوقع بالاسلام و لا يحب للمسلمين أن ينتصروا بل نجده يحرص على خذلانهم و عدم التعاون معهم و يعمل جاهداً على نشر الخوف و الفوضى فيما بين المسلمين من أجل تراجعهم و تقهقرهم و حتى ينال هو حب و كرامة المشركين .

ان مثل هذه الفصائل التي يحتويها معسكر المسلمين في الصدر الاول لابد من مراقبتها حتى لا توجب انتكاسة المجتمع المؤمن ، فكانت نظرة النبي صلى الله



عليه و آله و سلم الشمولية و الرعاية الكاملة للحفاظ على القاعدة الميدانية لمواجهة العدو لكي لا يظهر لهم الضعف بين صفوف معسكره و مجتمع قيادته . فإذا حصلت معارك بين معسكرين و لم تحسم المعركة لأحد الطرفين و وصلت المعاهدة الى اجراء صلح او هدنة فيكون ذلك اما لأجل مصلحة الاستعداد العسكري في احد الجيشين ثم بعد ذلك يعيد الكرة و الهجوم بما لا يتوقعه او لا يتوقعه و لكن بعد اعداد العدة الكافية لعدم اختراقه و قدرته على المقاومة المتلاحقة من غير تراجع حتى يكسب المعركة .

و المهم ان ما يخص اتفاق الحديبية في قوله تعالى { **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** } قال الزمهرى : لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية و ذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم و اسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الاسلام .

و قد احتمل الفتح عدة وجوه :

١- فتح مكة

٢- فتح الروم

٣- فتح صلح الحديبية

٤- فتح الاسلام بالحجة و البرهان او بالسيف و القوة

٥- الفتح بمعنى الحكم بقوله { **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** } [الاعراف : ٨٩] و قوله تعالى { **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ** } [سبا: ٢٦]

و ان كان المرجح هو فتح مكة لقوله تعالى : { **لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فْجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** } [الفتح : ٢٧]

كما يدل عليه قوله { و الله معكم } [ محمد : ٣٥ ] وقوله { و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين } [ آل عمران : ١٣٩ ] و قوله { فلا تهنزا و تدعو الى السلم و انتم الاعلون و الله معكم و لن يترككم اعمالكم } [ محمد : ٣٥ ] حيث كانوا سابقاً الاعلون و لكن بعد الفتح تصبحون انتم الاعلون اضافة الى ما كان عليه المسلم من طلب السلم و طلب الصلح قد منعه الاسلام و قال سبحانه { و لا تهنوا } و تدعوا الى السلم فقال لهم لا تسألوا الصلح من عندكم و انما عليكم الصبر و الثبات لتحقيق النصر و ان ما ورد في لفظ الماضي في قوله تعالى { **اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** } يراد به ان ما يريد الله كائن ، و ان امره لا دافع له سبحانه في علمه و قدرته .

و على ضوء ما ذكرنا فان الآية و ان اعطت النصر الحسي و لكن المنطقية القرآنية لا ترتبط بالمعيار الشخصي و القضية الجزئية و انما هدف القرآن يتماشى مع مسيرة العقل البشري و يكون ذلك الفتح قصد به الاستمرارية في ناحية الفكر و الانتشار العالمي الذي سوف تخضع اليه جميع العقول البشرية و لا يتحدث بمنظار الافق الاقليمي الضيق و انما صدق فتحه على مكة و نحوها كأساس حكاية المفهوم الكلي على مصاديقه و أفراده أو من باب المثال و ليس من نوع الحصر و التحديد في حدث شخصي .

ثم ان اتكشاف حال الفتح و اظهاره لبعض الناس من المسلمين بعد سنتين انما قد لاحظ الفتح بحسب الوجود الشخصي للحادثة و ليس المفهوم الكلي للفتح فان الفتح بالمنظار المعياري للقرآن انما يتحرك على وفق ما يسير عليه التطور الحركي في المفهوم القرآني و بذلك يصبح الفتح يقصد به انتشار الفكر القرآني و شمولية العطاء الاسلامي لمجموع الكرة الارضية .

و لا بد أن يكون لنا الايمان و العقيدة في ان الفتح سوف يعم جميع بقاع العالم و لا يراد به الغزو العسكري فان ذلك مهنة الضعيف و انما الاسلام يحمل طاقة

العلم و التحرك الفكري في جميع الميادين و لم يكن منحصراً في اطار علمي ضيق و انما له اجواء في كافة الاصعدة العلمية و يكون معجزة في جميع الموضوعات و المسائل العلمية لا يتحدد بموضوع فقهي أو اصولي أو فلسفي أو اجتماعي أو اقتصادي أو نفسي أو كيميائي أو فيزيائي أو تربوي و انما يتحدث مع كل علم و كأنه الشمس المظلة على جميع تشعباته .

اللهم صل على محمد و آله و حصن ثغور المسلمين  
بغزتك و أيد حماتها بقوتك وأسبغ عطاياهم من جدتك  
اللهم صل على محمد و آله و كثر عدتهم و اشحن  
أسلحتهم و احرس حوزتهم و امنع حومتهم و ألف  
جمعهم و دبّر أمرهم و واتر بين ميرهم و توحد بكفاية  
مؤنهم و اعضدهم بالنصر و أعنهم بالصبر .

من أدعية الامام علي بن الحسين (ع)

## منطلقات الحوار بين الاديان

✽ ورد في سفر التثنية ٣/٣٢ " جاء الحق من سيناء و اشرف لهم من سعير و تلاً في جبل فاران " و المقصود منها الرسائل الثلاث لموسى و المسيح و محمد صلى الله عليه و على آله و سلم و هذا مصداق قوله تعالى { و التين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الامين } [ التين : ١-٣ ] لأن منبت التين و الزيتون مهجر ابراهيم و مولد المسيح و طور سيناء مكان مناجاة الله تعالى لموسى (ع) و فاران في مكة مولد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، فما هي قيمة هذا الرمز التاريخي و الجغرافي في منطلقات الحوار بين الاديان ؟

○ لا يخفى أن بين الاديان التقاءات و مفارقات أما الالتقاءات فتتصور على انحاء منها :-

- في الاصول العقائدية
  - في الاحكام الكلية التشريعية
  - في الاخلاق و الفضيلة
  - التسليم بالمبادئ العامة الفطرية
  - قبول حكم العقل الخاضع تحت الضوابط المعيارية الصحيحة
- و هذا يحتاج الى توضيح كل من هذه الالتقاءات على حدة ، اما بيان الالتقاء الاصولي العقائدي حيث ان الخط العام لجميع الاديان تسير على هدف واحد و فـي موكب واحد و سفينة واحدة لأن كل ما نطالعه عن حياة سير كل نبي

يعرض المخطط العام في حركته التبليغية فأول شعار له هو التوحيد و ارجاع مجتمعه تحت لواء الوجدانية الحقّة و بذلك نجد المخطط لمسيرة الانبياء كلها تهدف نحو محور واحد من غير اختلاف في ناحية التوحيد و نفي الشراكة في الألوهية فإذا تابعنا الطرق التبليغية لنوح (ع) و ابراهيم (ع) و موسى (ع) و عيسى (ع) و محمد صلى الله عليه و آله و سلم نجدها تسير على خط واحد .  
 اما بالنسبة الى انذار نوح لقومه في قوله تعالى { ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه  
 ائني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم } [هود : ٢٥-٢٦]

و اما بالنسبة لابراهيم (ع) في قوله تعالى { و إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا  
 البلد آمناً و اجنبنني و بني أن نعبد الاصنام } [ ابراهيم : ٣٥ ] و قوله تعالى  
 { و وصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا  
 تموتن إلا و انتم مسلمون } [ البقرة : ١٣٢ ]

و قوله تعالى : { و قالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم  
 حنيفاً و ما كان من المشركين قولوا آمنا بالله و ما اتزل اليها و ما اتزل الى  
 ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و ما أوتي موسى و عيسى  
 و ما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم و نحن له مسلمون } [ البقرة : ١٣٥-١٣٦ ]  
 و قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : ' قولوا لا إله إلا الله تفلحوا '

بهذا و نحوه فان سيرة الانبياء في ناحية الوحدة التوحيدية متحدة الاتجاه و المسلك من حيث التوحيد كما انها متحدة من حيث الدين كما في قوله تعالى {  
 ان الدين عند الله الاسلام } [ آل عمران : ١٩ ] و متحدة ايضاً من حيث  
 المعاد و الاقرار بالثواب و العقاب .

و اما بيان الاحكام الكلية التشريعية فان من المعلوم عند كافة الاديان معرفة

الحلال و الحرام و معرفة الامر و النهي و هي التي توجب ثقلاً على المكلف كما انه من المعلوم لديهم معرفة الصحة و البطلان كما في قوله تعالى { **أحل الله البيع و حرم الربا** } { **قل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً** } [ الاسراء : ٨١ ] حيث كان التقابل بين الحلال و الحرام و الامر و النهي كما في قوله تعالى { **و لما جاء امرنا** } و قوله تعالى { **فهل انتم منتهون** } [ المائدة : ٩١ ] فكانت الشرائع السماوية تتداول مفردات الاحكام التكليفية و الاحكام الوضعية من الشرطية و المانعية و الجزئية و الصحة و البطلان و هذا امر تتفق فيه جميع الاديان و حصول الاختلاف في الحالات و الطوارئ لا يغير في جوهر الدين اذ يعبر القرآن عن ملتقى الاديان في قوله تعالى { **ان الدين عند الله الاسلام** } و يقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم " حلال محمد حلال الى يوم القيامة و حرامه حرام الى يوم القيامة "

و عندما سئل الامام علي (ع) عن خلق حواء من ضلع آدم ، قال مما هو مضمون الحديث : انه كيف ينكح نفسه من نفسه و انما خلقت من فاضل طينته ، و هذه دلالة على ان التشريع وحدة مترابطة فيما بين الاديان .

و اما بيان الالتقاء في الاخلاق و الفضيلة و هذا امر جرت عليه سنن الشرائع كلها انها تسير نحو الاخلاق الفاضلة و المكارم النبيلة فقد امتدحت الكرم و الصدق و العلم و العفة و النجابة و الوفاء كما في قوله تعالى { **و جننا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين** } [ يوسف : ٨٨ ] و قوله تعالى { **و أوفو بعهدي أوف بعهدكم و إياي فارهبون** } [ البقرة : ٤٠ ] و قوله تعالى { **و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط** } [ الانعام : ١٥٢ ] و قوله تعالى { **و بعهد الله أوفوا** } [ الانعام : ١٥٢ ] و قوله تعالى { **و أوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** } [ الاسراء : ٩١ ]

كل هذه الآيات و نحوها تعطي ارجاع الاديان الى جانب اخلاقي و هو ما يعبر

عنه بوحدة الالتقاء بين الاديان في مكارم الاخلاق و الفضيلة كما انها تسير على نهج الزجر عن القبائح و الرذائل كالنهي عن الخمر و الميسر و الازلام و الاتصاب و انه رجس و الامر باجتنابها و النهي عن اكل المال بالباطل و النهي عن الكذب و النفاق كما في قوله تعالى { **اِنَّ جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** } [ المنافقون : ١ ]

و على ضوء ذلك يتبين من العرض ان هناك وحدة اخلاقية تشترك فيها جميع الاديان و تؤكد على السير نحوها كما ورد في امتداح جعفر (ع) في تركه للزنا و الكذب و شرب الخمر، و قد علل كل واحدة بأن الزنا من اعتدى على عرض الناس اعتدى على عرضه ، و ان الكذب يذهب ماء الوجه و أن شرب الخمر يزيل العقل ، و هي أمور ارتكازية تسير عليها كافة الاديان السماوية لانها تسير على وفق الغريزة و الفطرة .

و اما بيان التقاء التسليم بالمبادئ العامة الفطرية اذ من المسلم عقد جميع الاديان على التسليم تحت امور فطرية فان مثل غريزة الجوع و العطش و الخوف و القلق و الامن و الراحة و الطمأنينة لم تفرق فيها الاديان بعضها مع بعض في هدف هذه الامور الفطرية و تجعلها من الوحدانيات التي لا تردد فيها و تحكم على وفقها .

و اما بيان حكم العقل فقد لاحظنا سلسلة الاديان من اليهودية و النصرانية و الاسلام في ملتقى واحد في أخذ مصادرها التشريعية من حكم العقل كما نلاحظ ذلك عند اليهود اذ يجعلون العقل في عرض التوراة و التلمود و عند النصارى يجعلون العقل في عرض الانجيل و الكرسي الرسولي و هكذا النظر عند الاسلام في جعل العقل في عرض الكتاب و السنة و ان كان هناك مذاهب لدى اليهود لا تتحيز للعقل ، كما انه بالنسبة للنصارى عند بعض الطوائف المسيحية

لا تتحيز للعقل ، و كذا عند المسلمين عند بعض مذاهبهم لا يجيزون التعامل بالعقل كالحنابلة و الشيعة الاخبارية منهم إلا انه على التفصيل عندهم في جعل الفرق بين العقل الذي يعبد به الرحمن و هو العقل الفطري و غيره .

و المهم في الجواب ان هناك التقاءات دينية ترجع إلى مركز واحد في العقائد و في الاحكام الكلية التشريعية و في مكارم الاخلاق و الفضيلة و المبادئ العامة الفطرية و في حكم العقل إذ لا بد ان تكون محل التقاء في منطلق الوحدة التشريعية في البقعة المباركة لارجاعها الى جهة مركزية ، و لذا ان اول منطلق تشريعي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان بدايته الخروج الى السماء و كان الانطلاق من مركز الانبياء التي تشير اليه الآية بقوله تعالى { سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير } [ الاسراء : ١ ]

و كذلك نلاحظ ان الله أقسم باللّتين و الزيتون ليس بما انه مطعم يستعمله عامة الناس و انما هو رمز تاريخي كما ورد عن ابن عباس " هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا و طور زيتا ، لأنهما منبتان للّتين و الزيتون فكأنه تعالى أقسم بمنابت الانبياء ، فالجبل المختص باللّتين لعيسى (ع) و الزيتون الشام مبعث أكثر الانبياء من بني اسرائيل و الطور مبعث عيسى (ع) و البلد الامين مبعث محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، فيكون المراد من القسم مآله الى تعظيم الانبياء

و على ضوء هذا البيان فان الجواب يتضح أنه لا بد من حصول جهة التقاء في المعتقد و المبدأ و التقاء في الغريزة و الفطرة و التقاء في المنطلق و الوحدة المركزية التي ترجع جميعها الى وحدة هدف واحد .





## المنهج القرآني في نقد التراث

✽ هذا الكم الهائل الذي تركته لنا الاجيال السابقة من الاجداد و الاسلاف من اتجازات و علوم الحضارة مما يسمى اليوم بالتراث ، فما هو المنهج القرآني في نقد التراث و بأي اجزائه نلتزم و من أي اجزائه نتحرر ؟

○ ليس النظر الى التحديد في هوية الحضارة و مفهوم التراث فانه من الامور الواضحة لكل مجتمع يعيش في محيط تلك الحضارة و ان كان لها وجود نسبي بين مجتمع و مجتمع آخر من ناحية تفسير الظاهرة الحضارية الملائمة لمناخه و طبيعته .

اما اذا جئنا للمصداق العام للحضارة و التراث ، فللحضارة مصاديق عديدة و كم هائل يسير مع كل تطور فكري عبر التاريخ إلا ان ما يجري عليه التطور الفكري تارة يتحدد في المادي و أخرى يتعدى إلى الجانب المعنوي .

اما الجانب المادي فقد مر التاريخ البشري بمراحل عديدة ينتقل من تطور حضاري الى تطور حضاري آخر كما في التطور العمراني كما يحدثنا القرآن في قوله تعالى { إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد و ثمود الذين جابوا الضحى بالواد } [ الفجر : ٧-٩ ] فإن الملاحظ من الآية هو الوصول الفكري نحو التطور الحضاري الذي أحدثه الانسان في المجال العمراني و مدى قدرته في استخدام الجبال في بناء القصور الشامخة كما يحدثنا مجمع البيان قال وهب بن منبه : خرج عبد الله بن قلابة في طلب إبل له شردت

فبينما هو في صحارى عدن إذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن و حول الحصن قصور كثيرة و اعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابته و عقلها و سل سيفه و دخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم ير أعظم منهما و البابان مرصعان بالياقوت الالبيض و الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير مثلها و إذا هي قصور كل قصر فوقه غرف و فوق الغرف غرف مبنية بالذهب و الفضة و اللؤلؤ و الياقوت و مصاريع تلك الغرف مثل مصراع باب المدينة يقابل بعضها بعضاً مفروشة كلها باللكلئ و بنادق من مسك و زعفران فلما رأى الرجل ما رأى و لم ير فيها أحداً هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فإذا بشجر في كل زقاق مثلاً قد أثمرت تلك الاشجار و تحت الاشجار أنهار مطردة ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشد بياضاً من الشمس فقال الرجل و الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله و سلم بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا و إن هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فحمل معه لؤلؤها و من بنادق المسك و الزعفران و لم يستطع ان يقلع من زبرجدها و من ياقوتها شيئاً و خرج و رجع الى اليمن فأظهر ما كان معه و علم الناس أمره فلم يزل ينمو أمره حتى بلغ معاوية فأرسل في طلبه فقدم عليه و قص عليه قصته و أرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه فقال : يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من الذهب و الفضة ، قال : نعم ، أخبرك بها و بمن بناها ، إنما بناها شداد بن عاد ، فأما المدينة فأرمر ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه و هي التي لم يخلق مثلها في البلاد . قال معاوية : حدثني حديثها . فقال : إن عاداً الاولى ليس بعاد قوم هود و إنما هو و قوم هود ولد ذلك و كان عاد له ابنان شداد و شديد فهلك عاد و بقي ولداه و ملكا قهرا البلاد و اخذاها عنوة ثم هلك شديد و بقي شداد فملك وحده و دانت له ملوك الارض

فدعته نفسه الى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة إرم ذات العماد و أمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان و كتب إلى كل ملك في الدنيا أن يجمع له ما في بلاده من الجواهر و كان هؤلاء القهارمة أقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصناً و حول الحصن الف قصر ثم سار الملك اليها في جنده و وزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم و ليل بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكهم جميعاً و لم يبق منهم أحداً و سيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال و على عنقه خال يخرج في طلب إبله في تلك الصحارى "

و ورد عن ابن عباس قال كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منه بيوتاً كما قال الله تعالى { **و تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين** } [ الشعراء : ١٤٩ ]

و الملاحظ من هذا التطور الحضاري للانسان في المجال العمراني الذي يحدثنا عنه القرآن و دور حركة الانسان و انتقاله من حضارة عمرانية الى حضارة عمرانية أخرى كما يحدثنا القرآن أيضاً عن دور العمران في عهد فرعون في قوله تعالى { **و نادى فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك كصر و هذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون** } [ الزخرف : ٥١ ] إذ تمثل هذه الآية الدور العمراني في ناحية التنمية الزراعية من جهة التوسعة المنعكسة على المدينة و هكذا يتعرض القرآن الى حركة الانسان العمرانية مع كفره و تمرده على خالقه كما في قوله تعالى { **و لولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة و معارج عليها يظهرون و لبيوتهم أبواباً و سرراً عليها يتكئون و زخرفاً و إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا و الآخرة عند ربك للمتقين** } [ الزخرف : ٣٣ - ٣٥ ]

و ورد عن مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح و ما يكون من البيت

فهو سقف بضمّتين و منه قوله { وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً } [ الانبياء : ٣٢ ] و ان معنى لبيوتهم أبواباً و سرراً أي جعلنا لبيوتهم أبواباً و سرراً من فضة و إن معنى عليها يتكثرون و زخرفاً أي ذهباً . و عن ابن عباس و الضحاك و قتادة و هو منصوب بفعل مضمر ، أي و جعلنا لهم مع ذلك ذهباً و قيل الزخرف النقوش و قيل الفرش .

و المهم ان الطرح القرآني يكشف عن حالة الانسان العمرانية في دار الدنيا و تطورها في المجال الاجتماعي .

كما ان القرآن يشير الى دور الحركة العمرانية في زمان سليمان (ع) عندما كانت الجن والانس ينحتون له تماثيل و محاريب و جفان و هذا من التطور العمراني ايضاً كما في قوله تعالى { يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات } [ سبا : ١٣ ]

و وقوفه على باب قصره إلى ان وافاه الأجل المحتوم قبل ان يدخل فبقي الجن مشغولين مدة من الزمن و كانوا في العذاب المهين كما تدل الآية على حالهم حيث لم يعلموا بموته و إلا لما كانوا في العذاب المهين كما في قوله تعالى { فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين } [ سبا : ١٤ ] ثم يوضح القرآن دور الحضارة العمرانية و انها آية من التطور الحضاري إذ يقول سبحانه و تعالى { لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور } [ سبا : ١٥ ]

اما الحضارة في الجانب المعنوي فتشتمل على عدة مجالات :

١- الحضارة في المجال النفسي

٢- الحضارة في المجال الفلسفي

٣- الحضارة في المجال المذهبي

٤- الحضارة في المجال الجلي

و تتخذ النفس مورد انطلاق للأبحاث النفسية من عدة جوانب :

١- التجريد النفسي

٢- السلوك النفسي

٣- قوة النفس و أثرها على مسيرة حركة البدن

٤- قوة النفس و طريق استخدامها على الكائنات الأخرى

٥- النفس و علاقتها بالمجال السحري

١- أما البحث عن التجريد النفسي فيتعلق بطبيعة ذاتها من حيث هي و قد ذكر في تعريفها كما عليه مسالك الحكماء : النفس كمال أول لجسم طبيعي و لا كل جسم طبيعي لأن مثل النار و الأرض لا تكون كمالاً لها و إنما هي كمال لجسم طبيعي تصدر عنه كمالاته الثانية بواسطة الآلات التي يستعين بها على أفعال الحياة كالإحساس و الحركة الإرادية

ثم ان لوجود النفس حيثيات متعددة و يطلق على كل حيثية اسم مخصوص فيقال لها القوة و الكمال و الصورة فان كان المتعلق قد لوحظ فيه جهة التقوي على الفعل الذي هو التحريك و على الانفعال من صورة المحسوسات و المعقولات الذي هو الإدراك تسمى قوة ، و ما ينظر الى تعلقها بالمادة التي تحلها ليجتمع منها جوهر نباتي أو حيواني يسمى بالصورة و ان لوحظ بالقياس الى طبيعة الجنس تقع ناقصة قبل اقتران الفصل بها فإذا انضاف اليها كمال بها النوع كمالاً و لذا ذهب الحكماء الى ان تحديد النفس بالكمال أولى من تحديدها بالصورة .

و الذي عليه مسلك الفلاسفة القدماء كإفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق م ) عدم

العنصرية للنفس و انما هي مجردة و منفصلة عن الجسد و انما موقعها ان  
تحل في الجسد خلال الحياة .

كما ان هناك اتجاه آخر معاكس للنفس التجريدية و قد بدأ في أوائل القرن  
التاسع عشر و انشأ اول معمل لعلم النفس التجريبي في عام ١٨٧٩ في مدينة  
ليبزغ و قد استعان علم النفس التجريبي بنتائج علم الطبيعة و علم وظائف  
الاعضاء ( الفيزيولوجيا ) و لم يخرج موضوع الشعور و أساس الادراك عن  
مركزه في علم واحد في مجال التأمل الباطني .

إلا انه بعد ذلك نظر علماء النفس انهم في حاجة إلى دراسة السلوك و الكلام و  
الضحك و الافعال الخارجية من سائر الحركات كالمشي و نحوه .

## ٢- السلوك النفسي :

ذكر في تعريف علم النفس السلوكي " هو العلم الذي يدرس سلوك الافراد و ما  
وراءه من دوافع و عمليات عقلية تتولد من خلالها القدرة على التنبؤ" .

و المراد من السلوك كل عمل يوجده الفرد بحيث يحدث من خلاله أوجه النشاط  
و الاستجابات الأخرى إذ السلوك النفسي قد يكون له عوامل توجب انعكاساً  
على سلوكه كما هو الحال بالنسبة للعامل البيئي أما لجهة مادية كما في المثير  
الطبيعي من الهواء و الماء و التراب او الصوت و الحرارة و إما لجهة نفسية  
معنوية كما في الأمور الاجتماعية ( و هي الصادرة عن الافراد الآخرين رموز  
منتجات حضارية )

و اذا تتبعنا ما سار عليه علم النفس السلوكي العملي دون علم النفس النظري  
لوجدنا أنه في العصور المتأخرة قد تفرع إلى عدة فروع :

## ١- علم النفس العام : و يراد به النظر الى دراسة السلوك الفردي بغض النظر

عن الادوار التي يمر بها من ناحية البيئة الاجتماعية و انما غايته الوصول إلى القوانين في معرفة الامور الاساسية في الادراك و التعلم و الذاكرة و الانفعال ... و هكذا .

٢- علم النفس الارتقائي و هو النظر الى سير الفرد من ناحية سلوكه من الطفولة الى الشيخوخة و النظر الى تلك المراحل و أثر البيئة في هذه الانماط البيئية و الوراثية .

٣- علم النفس الفيزيولوجي و هو الذي يتحدد من ناحية العوامل العضوية مثل ( الاضطراب النفسي الجسمي كقرحة المعدة و الربو ) .. الخ .

٤- علم النفس الاجتماعي و هو الذي يتكفل بالسلوك الاجتماعي من جهة الافراد و الجماعات أو يقال انه يدرس التفاعل الاجتماعي ( التأثير المتبادل ) بين الافراد و الجماعات او بين الجماعات و الجماعات .

٥- علم النفس الفارق و هو الذي يتصدى لمعرفة الفوارق بين الافراد و الجماعات سواء كان النظر الى الفروق الشخصية ام العقلية ام المزاجية ام الانفعالية كما يتكفل بدراسة اسباب هذه المميزات و الفوارق .

٦- علم النفس المرضي و الاكلينيكي و هو الذي يقوم بدراسة الامراض النفسية العقلية ( الذهاني ) و العصابي ( النفسي ) كما يقوم بدور البحث ايضاً عت الاسباب النفسية الاسباب و الوصول الى طرق المعالجة لأجل الوقاية منها كالانحرافات السلوكية المختلفة و عصاب الهستيريا و الوسواس .

كما ان هناك اتجاه في النظر الى علم النفس التطبيقي كعلم النفس التربوي و الصناعي و الاداري و التجاري و العسكري و الجنائي .

فان مثل علم النفس التربوي كمعرفة الطرق في اكتساب الطفل لقوامة سلوكه كما في اكتساب العادات و الاتجاهات و القيم الشخصية و مراحل النمو و ما يمر به من مشاكل في تلك المراحل .

أو ان مثل علم النفس الصناعي و هو الذي يقوم بدراسة رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعامل فيبحث عن مشاكل العمال و طرق تدريب العمال على المهن المختلفة و التوجيه المهني ... و نحو ذلك .

كما ان مثل علم النفس الاداري يدرس السلوك و يؤثر في ناحية النشاط الجماعي للجماعة المنظمة و يوجهها الى نحو هدف معين و يكون الخط الاساسي في هذا الاتجاه هو الاهتمام نحو الادارة المختلفة و آثارها في العلاقات في العمل و كيفية الوصول الى ناحية الانتاج .

و من موارد علم النفس التطبيقي في مثل علم النفس التجاري الذي يقوم بدراسة سلوك المستهلك و مقدار حاجاته و طرق اتجاهاته نحو السلع و نحو البائع و يقوم بدور الاعلان و كيفية تصحيحه و عرضه كما يقوم بدور دراسة سلوك البائع و استجابة المشتري و كيفية خلق المثيرات الدافعة للاستجابة .

كما ان دور علم النفس العسكري هو قيام القائد باستخدام الطاقات على طبق المؤهلات و صرف قدرات الجنود على طبق اختصاصهم و انشاء المصانع العسكرية لأجل تقوية نفوسهم فإنه متى ما وجد الجندي السلاح في وضع تقليدي لا يندفع نحو الامام و يصبح في حالة التردد و الاضطراب في الاقدام و ربما يكون الى التقهقر أولى من التقدم في الهجوم كما يحسن من القائد ان يقوي معنويات الجنود .

و هكذا مما ينطبق على موارد علم النفس التطبيقي علم النفس الجنائي و هو دراسة الجريمة و النظر الى دور العلاقة بين الفرد الذي قام بها و بين الحادثة و النظر الى نفسية المجرم كما عاينه و دراسة اسباب اقدام المجرم على ارتكاب الجريمة و ما هي الدوافع التي دفعته لذلك .

و نكتفي بهذا العرض الموجز عن المدرسة النفسية السلوكية و انما عرضنا بيان التقدم الحضاري و تقدم المدارس النفسية الحديثة و تطورها على مسرح



المجتمع المعاصر .

### ٣- قوة النفس و أثرها على سير حركة الابدان

سبق ان تحدثنا عن دور النفس من الناحية التجريدية و التجريبية و ذكرت ان لوجود النفس حيثيات متعددة مختلفة و تطلق على كل حيثة اسم مخصوص و عليه تكون النفس الآلة المحركة للبدن و الموجهة له في رغباتها فإذا التصقت بالبدن عل انها ارادت منه التوجه نحو الشهوات و الميولات الجنسية كانت الى البهائم اقرب منها الى الانسان الكامل فان اخذت بالبدن نحو المثل و القيم و الاخلاق و الكمالات فقد رفعت البدن عن عالم الماديات و جعلته في صف الملائكة و كان البدن في حالة من الخفة أكثر مما كان فيه من الثقل و الكثافة و اصبح البدن في حالة من المطاوعة و الاستجابة كمن ارتاض على صلاة الليل كما ترشد الآية بقوله تعالى { **كاتبوا قليلاً من الليل ما يهجعون** } [ الذاريات : ١٧ ] فان مثل هذا الدور من الرياضة الروحية للنفس و قربها الى عالم التجرد و القرب الإلهي يجعل البدن في حالة و من الذوبان مع النفس فإذا وصل الوقت العبادي قام من نومه و توجه الى عبادته تتمثل له الفضيلة و القيم الانسانية بخلاف من اعتاد على الاستيقاظ للعمل في وقت نصف الليل او التعدي على كرامة الآخرين فان ذلك الانتباه و اليقظة دافعه العادة و لكن لا يشعر بلذة الكرامة بل بلذة الانتقام و الظلم على سلب الكرامة و هذا بون شاسع بين الاستيقاظين .

و بالجملة ان الكلام تارة ينظر الى قوة النفس و أثرها في حركة البدن و استخدامه بما يلائم طبيعة الجسم و بما يلائم النفس في مقام ارتقائها عن عالم الجسم و أخرى ينظر الى الطرق الموصلة الى تقوية النفس و الرجوع الى المصادر المشروعة او الى المصادر غير المشروعة كما يتعاطاه المرتاضون في الهند و غيرها .

#### ٤- قوة النفس و طريق استخدامها على الكائنات الاخرى

ثبت علمياً ان النفس بإمكانها ان تتقوى على مراحل عالية كما عليه نفسية الانبياء و قوة نفوس الانبياء فيما بينهم متفاوتة ، فان قوة نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم اكمل و ارقى حتى وصل الى العروج في قوله تعالى { ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى } [ النجم : ٨-٩ ] الذي لم يتوصل اليه موسى (ع) و عيسى (ع) قال تعالى { ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض و آتينا داود زبوراً } [ الاسراء : ٥٥ ] فيكون مقام كل نبي متفاوتاً مع النبي الآخر في المعرفة و قوة النفس و لذا نجد حالة المفاضلة بين النبي و الولي كما يحدثنا القرآن عن موسى مع الخضر (ع) في قوله تعالى { قال انك لن تستطيع معي صبراً } [ الكهف : ٦٧ ] و قوله تعالى { قال هذا فراق بيني و بينك } [ الكهف : ٧٨ ] كل ذلك يثبت ان جهة اقوائية النفس بين مقامات الانبياء و الاولياء و ترجح أحدها على الآخر ليس إلا لتلك الخصوصية التي يحملها النبي على غيره من الانبياء و سائر المجتمعات .

كل ذلك يكشف عن حائلة تطور النفس وارتقاءها الى المراتب العالية بسبب قوتها و استعدادها من جهة تناسب المقتضي مع المقتضي .

و مما استعرضه علماء النفس المحدثون حول قوة النفس من زاوية الذكاء اختلاف طبقات الافراد بعضها عن بعض بالذكاء و الغباء و البلادة و قد اختلفوا في تحديد الذكاء على ان له القدرة على التعلم او القدرة على التكيف او النجاح في العمل او له القدرة على المراوغة و اصطناع الحيل و قد استعرض الفلاسفة القدماء الذكاء حتى توصل اليها علم النفس الحديث في ارجاعه تحت العلوم العضوية و الفيزيولوجية و خضع تحت المقياس و التجريب .

و تعددت النظريات في المنهاج التحليلي العاملي و هي آخر مجموعة من الافراد و رصد نتائج كل فرد من تلك المجموعة ثم قياس نسبة الاتفاق و

الاختلاف بين درجات الاختبارات بواسطة معامل الارتباط و تصنيفها في جدول عام يسمى ( مصفوفة معامل الارتباط ) و نعني بمعامل الارتباط هو ان تقوم هذه المعامل بقياس التغير الاقتراني بين ظاهرتين كقياس قطعتين من الحديد طول احدها ٣٠سم و الاخرى ٢٠سم فيأخذ نسبة الحرارة بين الاثنتين و بذلك يمكن ان يجعل معامل الارتباط في مجال نسبة الذكاء ايضاً و ان كان يحسب معتقد ان الذكاء من القدرات العقلية التي تختلف بالقوة و الضعف و لا يمكن ان تخضع لمقياس او معامل الارتباط لأنها مقاييس اضافية تختلف باختلاف الحالات المنقسطة و العوامل المؤثرة بين حين و آخر .

و الذي قام بنظرية التحليل العاملي تشارلي سبيرمان في عام ١٩٠٤ و نشر كتاباً عام ١٩٢٧ بعنوان قدرات الانسان و هو اول من ادخل المنهج الاحصائي في علم النفس .

كما تواردت نظريات كثيرة منها نظرية توسون الذي يمثل الاتجاه السلوكي في انكلترا الذي يعتقد ان مثيرات العالم الخارجي ترتبط باستجابات معينة عند الفرد بواسطة ارتباطات عصبية قائمة في الجهاز العصبي او مثل نظرية توسون الذي يمثل اتجاه التحليل العاملي في امريكا و قد نشر ابحاثه في عام ١٩٣٨ حول التكوين العقلي الذي توصل الى تحديد العوامل الاولى او القدرات العقلية الاولى التي يمكن ان تشترك في تكوين الذكاء .

و قد صنفت القدرات الى اصناف منها القدرة العددية كما يوضح الدكتور محمد البهي السيد عام ١٩٥٨ ان القدرات العددية تتركب من عدة عوامل بسيطة هي:

١- عامل ادراك العلاقات العددية و يبدو في الكشف عن العلاقات التي تربط عددين حتى يكون الناتج صحيحاً ٦ ضرب ٣ = ١٨

٢- عامل ادراك المتعلقات العددية و يبدو في الكشف عن الارقام المحذوفة

٣- عامل الاضافة العددية و يبدو في الجمع بسرعة و دقة  
و من جملة تصنيف القدرات القدرة على العلاقة اللفظية و التعبير اللغوي و هو  
عبارة عن فهم معاني الالفاظ و القدرة على التفكير الاستنتاجي و القدرة على  
التفكير الاستقرائي .

٥- قوة النفس و علاقتها في المجال السحري  
من الموارد التي تتجه النفس نحو ما تستخدم فيه و تكون قوية فيه المجال  
السحري و المراد بالسحر هو القدرة النفسية على ايهام المقابل وجود شيء  
حقيقي أمامه إذ يمثل القرآن ما جاء به موسى (ع) في اثبات نبوته عن طريق  
البيانات فاعتبروه سحراً كما في قوله تعالى { فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات  
قالوا ما هذا إلا سحر مفترى و ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين } [ القصص  
: ٣٦ ]

و لما رفضوا ما أتى به موسى و جعلوه من الامور السحرية توجه موسى الى  
دور آخر عندما جاء الى فرعون بآياته و بيناته و رفض و استكبر و لكنه  
طلب السحرة تخيلاً منه ان ذلك من موارد السحر فجمعهم من كل المدائن  
حاشرين الى ميقات يوم معلوم و قالوا موعدهم يوم الزينة ، و لما كان ذلك  
الوقت المعلوم و صار الحسم النهائي في اثبات دعوة الحق امام دعوة الباطل و  
الضلال قال موسى للسحرة (القوا ما انتم ملقون ) و كما يمثل القرآن هذه  
الادوار كلها في قوله تعالى { قال موسى يا فرعون اني رسول من رب  
العالمين ، حقيق علي ان لا اقول على الله إلا الحق قد جئكم ببينة من ربكم  
فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من  
الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين و نزع يده فإذا هي بيضاء  
لنظارين ، قال المأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم

من أرضكم فماذا تأمرون ، قالوا أرجه و أخاه و أرسل في المدائن حاشرين  
بأتوك بكل ساحر عليم ، و جاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن  
الغالبين ، قال نعم و اتكم لمن المقربين ، قالوا يا موسى إما أن تلقي و إما  
أن نكون نحن الملقين ، قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس و  
استرهبوهم و جاؤوا بسحر عظيم ، و أوحينا إلى موسى أن الق بعصاك فإذا  
هي تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق و بطل ما كانوا يعملون ، فقلبوا هناك و  
انقلبوا صاغرين ، و ألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين رب  
موسى و هارون { [ الاعراف : ١٠٤-١٢٢ ]

و يكون مورد الاستشهاد هذه الآية بقوله تعالى { فلما ألقوا سحروا أعين  
الناس و استرهبوهم و جاءوا بسحر عظيم } فإن السحر يقع في مورد الإطلاع  
على العين عن طريق السحر و هو أمر يرجع إلى قوى النفس عن طريق قوة  
النفس في التخييل و القوة الموهمة .

## ٢- الحضارة في المجال الفلسفي

مما تحرك به الفكر البشري في مجال التطور الحضاري المجال الفلسفي و  
نشعب الافكار الفلسفية من العصور القديمة الى العصور الحديثة و لاسيما في  
القرن ١٧-١٨-١٩ و العشرين حيث أخذ الانتلاق الفكري الفلسفي ابعاداً  
واسعة في عدة ميادين و أصبحت من بين هذه الافكار المتشعبة مذاهب و  
نظريات و مدارس كما هو الحاصل بين مدرسة المشائين و مدرسة الإشراقيين  
فإن مدرسة المشائين تمثل أصالة الوجود و مدرسة الإشراقيين تمثل أصالة  
الماهية كما يمثل له في وجود الماء الموزع بين آنيتين فهل في حقيقة الأمر أن  
الماء الذي ينظر اليه هل يرجع إلى وجود واحد بعد ان كان موزعاً الى  
وجودين و هل هما وجود واحد أم وجودان مختلفان ، فعلى نظرية المشائين

يرونه وجوداً واحداً ، و على نظرية الإشراقيين يرونه وجودين متباينين مختلفين للالتزام بأصالة الماهية دون أصالة الوجود و إذا تابعنا استعراض المذاهب و النظريات و المدارس الفلسفية نجدها كثيرة تأخذ شكلاً متطوراً في ميدان الحضارة الفلسفية المشرقة .

كما هو الحال في المذهب الحسي و المذهب الميتافيزيقي و ما يتفرع منهما من مذاهب و مدارس بين الطبيعة الداخلية و الطبيعة الخارجية كما انهم يقسمون الفلسفة الى واقعية و مثالية .

بينما في العصر الحاضر يقسمون الفلسفة الى طبيعة و أخلاقية و دياكتيكية و ان كان مثل هذا التقسيم غير مستقيم لأنه كيف يتم جعل الاخلاق في عرض تقسيم الديالكتيك لأن المعروف لدى الفلاسفة المتأخرين عدم الفصل بين الاخلاق و الديالكتيك عن الطبيعيات ثم انطلقت الفلسفة في العصور المتأخرة الى ديكارتية و هيغلية و ماركسية و سارترية و كل من هؤلاء الاشخاص توجد له نظريات كما أشرنا اليها في نقد الفلسفة الغربية و الفلسفة المقارنة بين الشرق و الغرب .

### ٣- الحضارة في المجال المذهبي

نتابع البحث عن وجود الحضارة في المجال المذهبي و الملاحظ حصول عدة مذاهب تارة بالقياس الى ما قبل الاسلام و أخرى بالنسبة الى ما بعد الاسلام و تشعب المذاهب تارة بمنظار الامر الديني و أخرى بمنظار الامر العقائدي و قد أشرنا في عدة من أبحاثنا في الاجتماع و الاصول الى وجود مذاهب ربما تكون مستوردة من الديانات الأخرى أخذت تسير الى المذاهب الاسلامية كمذهب القياس والاستحسان و الرأي و المحدثنة الملتزمون بالنص دون التعدي الى الأدلة العقلية ثم انه في المجال العقائدي أيضاً وجود مذاهب ما قبل الاسلام سارية في الديانات الأخرى قد تعدت الى المذاهب الاسلامية كالمذهب الجبري

و المذهب العقلي الذي اطلق على الاول بالمذهب الأشعري و الثاني بالمذهب المعتزلي و انطلقت هناك مذاهب أخرى جمعت تحت رسائل مثل اخوان الصفا و عصر الزنادقة و الملحدين و استعراض الطرق الجدلية لحل تلك الشبهات التي كانوا يطرحونها مثل ابن ابي العوجاء و نحوه

#### ٤- الحضارة في المجال الجدلي

اذا اخذنا في البحث عن دور الجدل و تقديم مدارس و مناهجه لكان الباب مفتوحاً على مصراعيه و لكننا نختزل الكلام لإيكال الامر الى وقت آخر كما اشرنا الى طرق الجدل في كتابنا " أدب المجالسة " كما تناولنا في البحث الجدل في كتابنا نقد المذهب التجريبي و كذا اشرنا على نحو الاختصار في الحلقات الاسلامية حول دراسة المنابر الحسينية تحت عنوان المدارس الحسينية المعاصرة .

و المهم ان ما يرتبط بموضوع السؤال أن هناك وجود تطور حضاري على جميع الاصعدة و لا بد أن ينظر الاتجاه القرآني الى هذه الحضارات بما تتوافق مع الاسس العلمية التي تخضع تحت معايير القرآن التي فيها بيان الاستقامة الى طريق الحق و الرشاد و البعد عن جادة الضلال و يكون أول منطلق لمعرفة الحق هو معرفة مظاهر تجلي قدرة الله في خلقه و تصرفه على مقتضى المصلحة قضاء في حكمه و عدله من غير جبر و سلب ارادة و لا تفويض في ارجاع كل الاعمال الى بعض خلقه و انه الواحد من غير شريك و لا نظير له في خلقه أوجد الاشياء من العدم بعد ان كانت مخزونة في علمه على نحو الحضور و التأثير دون الحصول الذي هو من شؤون الممكنات .

و على ضوء ما تعرضنا اليه في مناهج التفسير فلا بد ان يخضع التفسير الى ثوابت معيارية يتفق عليه عامة العقل البشري بحيث يصبح مدرسة قانونية للتفسير لا ينطلق من علوم قابلة للتغيير و احداث نظريات قابلة للعدول عنها

فهو الذي يمكن أن تقوم عليه بيئة التفسير القرآني و لذا كان منهجنا التفسيري بالرجوع الى الضوابط المعيارية التي يمكن ان تقع ملتقى للعقول البشرية على جميع الظروف و الأصعدة .

إن أبغض الخلاق إلى الله رجلان : رجل وكله الله إلى نفسه ، فهو جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

و رجل قمش جهلاً موضع في جهال الأمة عاد في أغباش الفتنة ، عم بما في عقد الهدنة ، قد سماه أشباه الناس عالماً و ليس به ، بكر فاستكثر من جمع ، ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من ماء آجن ، و اكتثر من غير طائل ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيا لها حشواً رثاً من رأيه ، ثم قطع به ، فهو من ليس الشبهات في مثل نسج العنكبوت : لا يدري أصاب أم أخطأ ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب . جاهل خباط جهالات ، عاش ركاب عشوات ، لم يعض على العلم بضرر قاطع . ينزو الروايات نرو الريح الهشيم لا ملي - و الله - بإصدار ما ورد عليه ، و لا أهل لما قرظ به ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ، و لا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره ، و إن أظلم عليه أمراً اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء ، و تعج منه الموارد . إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً و يموتون ضلالاً ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته و لا سلعة أنفق بيعاً و لا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرف عن مواضعه ، و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر !

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## القرآن و السنة و تجاذبات الخصومة بين العقل و النقل

✦ كيف نشأت الخصومة بين العقل و النقل على مستوى تفسير القرآن و على مستوى شروحات الحديث النبوي ؟

○ يقع البحث تارة في وجود الخصومة بين العقل و النقل و أخرى في طريق التوفيق بينهما و ثالثة حصول جهة مفارقة في الجملة و لكن ليس على نحو المعيار الكلي و المعاينة الكلية بينهما .

فإنه على ضوء وجود الخصومة بين العقل و النقل فيكون الجانب التفسيري إما على المنهج العقلي المحض و إما على المنهج النقلي المحض بحيث لا يمكن أن يكون هناك نقطة التقاء بين المنهجين بخلاف ما إذا أمكن ادخال الفهم العقلي تحت الفهم النقلي أو إرجاع الفهم النقلي تحت معايير عقلية تتلاءم مع الطبيعة العقلية فيتولد من ذلك منطق التقائي بين المنهج العقلي و النقلي و يمكن أن نعبر عنه بمدرسة التوفيق و هذا محتاج الى وجود قواعد و مبان علمية يمكن من خلالها القدرة على التوفيق و لا يكون هذا لكل أحد كما يتصوره بعض السذج . فمن لا دراية له بالموازن العلمية الفلسفية و الأصولية و النقلية و يحسب أن التفسير القرآني مجرد أدب و بلاغة أو حديث روائي و كلمات لغوية أو قواعد نحوية يرجع فيها تارة الى المادة و أخرى الى الهيئة فإن ذلك كله بعيد عن ساحة التفسير و لذا ورد المنع عن التفسير بالرأي و إحالة مفاهيم القرآن الى

المعاني الجزئية عن طريق بوتقة فكره الخاص إذ يقول الإمام (ع) : " من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعداً من النار " و قد أشرنا الى وجود مناهج عديدة في التفسير منها التفسير بالحديث و منه منهج التفسير العقلي .

و بالجملة إن ما حدث من المنهج التفسيري الروائي كما عليه صاحب البرهان حيث سار على ضوء التفسير الروائي حيث كان منهجه السير نحو التفسير القرآني الوارد من قبل النقل دون العقل و أنه لا يمكن كشف معاني القرآن إلا لمن خوطب به و هم المختصون بمدرسة أهل البيت (ع) و هم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و علي و ابناءؤه (ع) و ما عداهم لا يمكنهم أن يتوصلوا الى اسرار كنهه و معرفة حقائقه و غور معانيه .

فإذا سار التفسير القرآني تحت المنهج العقلي الخالص من غير أن يمازج بالنقل فهو في الحقيقة إما من التفسير المستورد من الرأي و الاستحسان العقلي و هذا لا يرجع تحت قواعد علمية فيمكن أن يورد عليه بأدلة نقضية و سرعان ما يتلاشى صرحه و ينهدم بنيانه كما انه يمثل نظير هذا النوع من التفسير التصورات الأولية التي ينعدم موضوعها في حال التصور الثانوي .

و اما من التفسير المبني على العقل الفلسفي بحيث أنه متى ما اصطدمت الآية بموازين فلسفية تقحم الآية تحت ضوابط فلسفية بنى عليها الفلاسفة التقليديون من المسلمات عندهم و لكن الآية ربما تخالف هذا المسار الفلسفي كما في عروج النبي بجسمه في قوله تعالى { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله } [ الاسراء : ١ ] ثم تكشف الآية عن تحقق العروج الجسدي دون الروحي و لكن بمقابلة الفكر الفلسفي نجده مخالف لمناطق العروج الجسدي، ان الميزان الفلسفي يقول أن العالم من المجردات و ليس من العناصر ، و اختراق النبي صلى الله عليه و آله و سلم لهذه العوالم يوجب الخرق و الالتئام و يتنافى مع عالم المجردات

فأرجعوا العروج الى نوعين :

١- العروج الهورقلياني

٢- العروج على نحو قذف الهواء في الهواء و الماء في الماء و التراب في التراب و النار في النار و يتحقق العروج الروحي ، و لكن الحق في العروج مما جرت عليه حقيقة الاعجاز أن يكون بالجسم دون العروج الروحي و عليه لابد من هدم البناء الفلسفي و الرجوع الى ما يقره القرآن و المنطق الشرعي أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم عرج بجسمه و بثيابه و نعله .

إلا ان الكلام في أن عروجه هل على نحو الطولية و الجهة العمودية أو على نحو الجهة العرضية غير انه في حال صعوده اصبحت المعالم السماوية بعين العروج الطولي لكي لا يتصف بالجهل لأنه لو اختص بالعروج الطولي دون العرضي يلزمه الجهل و هذا مما ينافي سير النبي في تكامله و قدرته النفسية في حال الاختراق .

إلا ان المنهج التفسيري الذي يمكن أن يقع في ملتقى العقول البشرية هو أن تجتمع العقول جميعاً تحت الضوابط المعيارية المنطقية العامة التي تشترك فيها العقول على اختلاف مراتبها الشرعية و غيرها و أنه يمكن أن يستخدم العقل كما انه يمكن أن يستخدم الشرع في معرفة مفاهيم القرآن من غير أن نأخذ جانباً و نترك جانباً .

كما ان ايقاف مفاهيم القرآن على مفاهيم الاحاديث النبوية يكون من نوع الارجاع الى قوة مقفلة تصارع قوة مقفلة تصارعها في الاحتياج الى التفسير ايضاً و انما تعكس كل منها ظهوراً بدوياً و عليه لا بد أن يتحرك العقل في استخراج تلك الدرر و الجواهر الثمينة من تلك البحار التي في غور القرآن و كذلك في بحار الأحاديث ، و لا تقف في فهم القرآن من خلال فهم الظهورات النقلية البدوية ثم ان كل فترة يمر بها القرآن تجد معان حركية متفتحة غير ما

كانت عليه قبل فترة أخرى و هكذا عندما تقابل الظهورات النقلية للقرآن في فترة أخرى تفتح مفاهيم أخرى يستلهمها العقل من مفارقات الوقائع و الاحداث و التطور الحضاري مما يستدعي للفكر أن ينقله الى أجواء جديدة و معالم حضارية واسعة و بذلك يتضح ان التفسير القرآني بالاحاديث النقلية دائماً يوجب غلق مفاهيم القرآن ما لم يشبع بالأدلة العقلية و القواعد العلمية الثابتة اضافة الى ما نرتتيه من المنهجية التفسيرية على نحو اتخاذ معيارية عامة تستخلص من مسيرة حركة القرآن و مفاهيمه لتكون قانوناً تفسيرياً يسير عليه جميع المفسرين بنحو الضوابط العلمية بحيث يصبح منهجاً تفسيرياً يتحرك المفسرون حول فلكه كما أشرنا الى جواب السؤال الثاني .

ثم إن ما نجده من حدوث اختلاف تفسيري بين النقل و العقل على مستوى التفسير القرآني و على مستوى شروحات الحديث فالذي نلاحظه في الحركة التاريخية لاحداث هذه المناهج لم يكن وليد صدفة و انما وليد احداث و مدارس بين فئات و مجتمعات قد اتخذت حركة الفهم القرآني عن طريق وجود عاملين في حركة الانسان الفكرية هما :

١ - المدرسة العقلية

٢ - المدرسة النقلية .

و قد أشرنا الى وجود هاتين المدرستين في التاريخ البشري يعني ان يكون فهم المعاني القرآنية لا بد أن يخضع تحت هذين العاملين و هاتين المدرستين و لا يمكن أن ينفصل عنهما و لذا نلاحظ ما انتجه أئمة البيت (ع) مثل الامام الباقر و الصادق (ع) فقد جعلوا أدواراً في فهم الكتاب و السنة و اتخذوا لأصحابهم مدارس مختصة كالحديث و التفسير و الجدل و علم الكيمياء و الرياضيات و هو معرفة الاعداد و المقادير و نحوها . كل ذلك نابع للوصول الى معرفة الحقائق القرآنية .

## الاسلام القرآني و الأصول الابراهيمية

❖ الاسلام ليس منفصلاً عن تاريخ الانسانية و تجاربها و إنما يتميز بالنقاء المطلق لعقيدة التوحيد فيه فما هي الصيغة القرآنية لمفهوم الاسلام القرآني - المتصل بشيخ الانبياء و أبيهم ابراهيم (ع)؟

○ ورد في قوله تعالى : {إن الدين عند الله الاسلام} [ آل عمران : ١٩ ] و هذا مما يدل على وجود الصلة بين طبيعة الأديان الكلية و الاسلام و لن ما تسير عليه جميع العقائد البشرية الخاضعة تحت لواء رسالة السماء لا بد أن يكون غطاؤها العام هو الاسلام كما ان الاسلام لم ينفصل عن تاريخ الانسان نفسه لأنه منطوق في وجوده كغريزة و منطوق فيه كسلوك و منطوق فيه كعقيدة و منطوق فيه كتاريخ للانسان و تجاربه و منطوق فيه كنظام يحفظ له جميع الحقوق و بذلك لا يمكن فصل الاسلام عن الانسان إذ بانفصاله انفصال عن الانسانية و بانفصال الانسانية انفصال عن الاسلام لأنهما يسيران تحت خطين متوازيين و وجودين متقارنين بل نقول أكثر من ذلك هما يرجعان الى وحدة وجودية و ليس انهما من نوع الوجودين المتغايرين لكي يفرض بينهما جهة التمايز و الانفكاك. و ما يقدمه القرآن من حياة شيخ الانبياء ابراهيم (ع) و قيامه باثبات التوحيد متخذاً سلسلة من الأدلة البرهانية اللمية و الآتية و هي الأدلة العلية و المعلولية بما يقتضيه فهم الانسان في معرفة التوحيد ثم تدرجه من المعلول الى العلة و من الأثر الى المؤثر حيث تتحل مسيرة الانسان في حركته الجدلية الى عاملين

و هما :

١- الانتقال من المعلول الى العلة

٢- الانتقال من العلة الى المعلول

و لما كان فهم الانسان في مقام القصور الذهني يستجيب للانتقال الاول لأنه أقرب الى واقعه الحسي فيخاطبه على طبق ادراكه للحصول على الانتقال السريع في تلقي المعاني .

و بذلك يحسن أن نتناول الحديث عن أسلوب ابراهيم (ع) الجدلي في اثبات التوحيد و طرق تدرجه من خلال التغير في الكواكب لما ثبت علمياً بأن التغير يستدعي الحدوث و انه من شؤون الممكن لأنه يمتنع في حق الواجب .

١- قوله تعالى : { و كذلك نري ابراهيم ملكوت السموات و الأرض و ليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لنن لم يهدي ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض حنيفاً مسلماً و ما أنا من المشركين } [ الانعام : ٧٥-٧٩ ] .

و قد اتخذ ابراهيم في مسيرته الاجتماعية مع قومه منهجاً على طبق مداركهم و انتقالاتهم الى المعرفة من طريق الحواس كما عليه الارتكاز البشري في محاوراتهم للتعرف على الاشياء بالامور الحسية و الموضوعات التجريبية التي ينصاع اليها عامة البشر السطحيين .

٢- قوله تعالى : { ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي و يميت قال أنا أحيي و أميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و الله لا

يؤدي القوم الظالمين { [ البقرة : ٢٥٨ ] .

إن مثل هذا العرض الجدلي الذي سلكه إبراهيم (ع) في اثبات التوحيد حيث تمت المحاورة الجدلية مع نمروود بن كنعان الذي كان أول من طغى و أعلن كبريائه على الله و لما أعلن إبراهيم (ع) الرسالة من السماء قال نمروود : من ربك ؟ فقال إبراهيم : ربي الذي يحيي و يميت ، فأجابه نمروود بدليل نقضي : أنا أحيي و أميت . و كان غرضه في الأحياء و الإماتة إما لقصة وردت عنه أنه جاء بشخصين قتل الأول و أبقى على الثاني أو لعله كان يقصد أنه المحيي بسبب الجماع و المقاربة و عند تماميته يقدم له السم فيموت إذ الجماع يفضي الى الولد و تناول السم يفضي الى الهلاك ، فانتقل إبراهيم الى طرح السؤال الثاني و هو : إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر لصدق الحجة و عدم القدرة الحسية إذ نقله الى طريق حسي كما هو المنساق في الأدلة الحركية أن يرجع الخصم الى المسلمات الوجدانية .

٣- قوله تعالى : { و إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبي } [ البقرة : ٢٦٠ ] الخ ..

الوجه الأول : قال ابن عباس و سعيد بن جبير و السدي : " إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن سأتخذ بشراً خليلاً فاستعظم ذلك إبراهيم (ع) و قال : إلهي ما علامات ذلك ، فقال : علامته أنه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام إبراهيم (ع) في درجات العبودية و أداء الرسالة خطر بباله أنه لعله يكون ذلك الخليل فسأل عن أحياء الميت فقال الله : أو لم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبي - على أنني خليل لك " .

الوجه الثاني : أنه (ع) إنما سأل ذلك لقومه حيث كان القوم يطالبون بأشياء باطلة و تارة حقة كقولهم لموسى (ع) : اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة ، و سنل إبراهيم ذلك أيضاً . و المقصود أن يشاهدوه فيزول الإنكار عن قلوبهم .

الوجه الثالث : و هو الذي سلكه المتصوفة أن المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن أنوار الكشف و التجلي ، و الاحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي و الأنوار الإلهية فقوله " أرني كيف تحيي الموتى " طلب لذلك التجلي و الكشف فقال : أو لم تؤمن ، قال : بلى أؤمن به ايمان الغيب و لكن أطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي و على قول المتكلمين العلم الاستدلالي مما يتطرق اليه الشبهات و الشكوك فطلب علماً ضرورياً يستقر القلب منه استقراراً لا يتخالجه شيء من الشكوك و الشبهات .

و قد تطرق الإمام فخر الدين الرازي الى وجوه كثرة و المهم أن طلب ابراهيم (ع) في قوله ليطمئن قلبي ليس قد طرقه الشك و التردد كما عليه جهلة من لا خبرة لهم بملكات الانبياء و مقاماتهم و استعداد نفوسهم إذ علومهم على نحو الحضور لا بنحو التأثير و التأثير كما عليه الواجب و إنما الحضور بما يناسب مقام معرفتهم فكيف يحصل له الشك و إنما هم معصومون عن جميع النقائص منزهون عن كافة الرذائل و إنما أراد زيادة التجلي و المعرفة في مظاهر آثار الله و الحصول على الاسرار الغيبية التي لا يتوصل اليها إلا العارف الحقيقي .  
٤- قوله تعالى : { و وصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و انتم مسلمون } [ البقرة : ١٣٢ ] .

و قوله تعالى : { إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين } [ البقرة : ١٣١ ]

و قوله تعالى : { أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك و إله آبائك إبراهيم و إسماعيل و اسحق إلهاً واحداً و نحن له مسلمون } [ البقرة : ١٣٢ ]

كل هذه الآيات تكشف عن سير ابراهيم (ع) في التوحيد و أن سلسلة الانبياء كلها تسير على خط الاسلام كما في قوله تعالى { قولوا آمنا بالله و ما أنزل



إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحق و يعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و ما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون } [ البقرة : ١٣٦ ] و بذلك تكون الصيغة القرآنية للإسلام هي التوحيد و توحيد رسالات السماء تحت راية الإسلام التي فيها العدل و المساواة و الحرية و عدم سلب حقوق الآخرين و حفظ كرامتهم و العطف و الإنسانية و المحبة و الصدق و المروءة و الإيمان و التقوى .

تلك هي مسيرة الأديان كلها حيث تشترك تحت راية الإسلام حيث ان الدين عند الله الإسلام و لم يكن هناك تميز طبقي و لا اقليمي و لا جغرافي الذي جاء به الاستعمار و مزق حكم الإسلام تحت دول و مستعمرات فإن نظرة الإسلام الشمولية و طلب السعادة لكافة بني الانسان من غير أن يفرق بين عربي و أعجمي و لا بين أسود أو أبيض و إنما الجميع كأسنان المشط ، فقد قرب سلمان الفارسي و جعله من أسرة آل البيت (ع) و بعد أباً لهب و هو عم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فهذا هو الدين الحقيقي ، و ليس الدين أن يجعل كنيسة للسود و أخرى للبيض بينما دور العبادة كلها لله .

فها هي الكعبة الشريفة و بيت الله الحرام شاهدة على التوحيد و المساواة يؤمها القريب و البعيد الأسود و الأبيض الحر و العبد الصغير و الكبير جميعهم متساوون في هذا المكان الطاهر دون تميز أو تكبر .

فكان هدف الإسلام و هدف ذلك النداء الذي وجهه إبراهيم (ع) الى الاصلاّب بالدعوة الى كلمة التوحيد و العمل على وفق الإسلام .



## علية القرآن و تحديات الاختلاف بين الامم

❖ ثمة تمايز و اختلاف و تناقض بيننا و بين المجتمع الغربي ، كيف تتجاوز عالمية القرآن مشكلات الاختلاف و عقبات التناقض بين الامم و الشعوب ؟

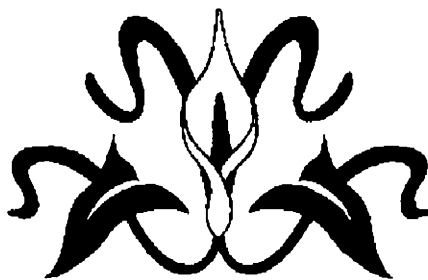
○ تكرر منا الحديث عن وجود ضوابط معيارية لمفاهيم القرآن يمكن بها أن تتفاد جميع العقول للبشرية و تخضع لقراراته الفكرية و القانونية كمت ان في القرآن ارجاعات فطرية محطها موضوع الاخلاق الذي يكشف سره القرآن و يطبقه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و يقول " انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق " اذ يقول رسول الله لعلي (ع) " يا علي افضل الجهاد من اصبح لايهم بظلم أحد ، يا علي من خاف الناس لساته فهو من أهل النار ، يا علي شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره ، يا علي شر الناس من باع آخرته بدنياه و شر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره ، يا علي ان الله عز و جل أحب الكذب في الصلاح و أبغض الصدق في الفساد ، يا علي من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم ، فقال علي (ع) لغير الله قال : نعم و الله من تركها صيانة لنفسه يشكره الله على ذلك ، يا علي شارب الخمر كعابد وثن ، يا علي شارب الخمر لا يقبل الله عز و جل صلاته اربعين يوماً فإن مات في الاربعين مات كافراً . يا علي ينبغي ان يكون في المؤمن ثمان خصال هي : وقار عند الهزات و صبر على البلاء و شكر عند الرخاء و قنوع بما رزقه الله و لا يظلم الاعداء و لا يتحامل على الاصدقاء بدنه منه في تعب

و الناس منه في راحة . يا علي لا تمزح فيذهب بهاؤك و لا تكذب فيذهب نورك و إياك و خصلتين الضجر و الكسل فإتك اذا ضجرت لم تصبر على حق و ان كسلت لم تؤد حقاً .

يا علي لكل ذنب توبته إلا سوء الخلق فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب

و بهذه اللوحة الاخلاقية التي سار بها النبي صلى الله عليه و آله و سلم يمثل لنا دور المرتكزات القطرية التي تستجيب لها جميع النفوس و تتقاد اليها لأن في الجميع قاسم مشترك و محرك فطري لا يشذ عنه انسان فالغربي و الشرقي يرجعان الى قيم اخلاقية و فضائل نفسية كما انهما يمتعضان من الرذائل و النقائص و تشمئز النفوس من جميعها فإذا كان القرآن يشير الى الضوابط القانونية و الاخلاقية و كان الغربي في سلوكه غير ما في فطرته يعاكس ما عليه فطرة الاسلام فان قانون التوحيد و قانون الحرية و قانون الفضائل النفسية تحكم تلك الصراعات و ترجعها الى خط الاعتدال و السير نحو المكارم و الاخلاق الفاضلة .

فعالمية القرآن هو النداء الى الانسانية و الكشف عن القيم و المثل الكريمة فلا تكون عندئذ أي مشكلات و عقبات او تناقض ما دام يهدف الى غاية الرجوع الى التحريك الفطري و التطبيق الغريزي الصحيح الذي لا تشوبها الصراعات البيئية و الاجتماعية اللامشروعة .



## القرآن و الإنسان و مؤثرات البيئة

✽ كان موضوع العلاقة بين البيئة و الإنسان من المواضيع التي تناولها كثير من الجغرافيين و المفكرين بالبحث و الدراسة الممتعة و الواسعة و قد حدد القرآن مضمون تلك العلاقة على أساس تسخير الكون و البيئة للإنسان فبالى أي مدى تؤثر البيئة في الإنسان و ما هي مسؤولية الإنسان عن البيئة ؟

✽ تناولنا الحديث في كتابنا " علم الاجتماع " بين المتغير و الثابت و قلنا هناك بما نشير اليه اجمالاً هنا .

ان البحث عن موضوع البيئة شيء و ثبوت العلاقة بين البيئة و الانسان شيء ثان و تأثير البيئة شيء ثالث و على ضوء هذه التفريعات يناسب الحديث أن يقع الكلام تحت ثلاثة نقاط :

### ١- موضوع البيئة

من الواضح ان علماء الاجتماع عندما يستعرضون الحديث عن موضوع البيئة يحددونها تحت عوامل طبيعية كما ورد في تعريفها بأنها مجموعة العوامل أو المثيرات الخارجية التي تحيط بالفرد عند أول وجوده الى نهاية حياته .

ثم ان المثيرات البيئية اما ان تدخل في اطار المادة كما في الامور الطبيعية من الهواء و التربة و الماء التي توجب انعكاساً في مسار الانسان و سلوكه و اما ان تدخل في الاطار المعنوي كما في المحيط الاجتماعي الذي اشار النبي صلى الله عليه و آله و سلم في قوله " إياكم و خضراء الدمن ، قيل : يارسول الله و ما خضراء الدمن قال صلى الله عليه و آله و سلم : المرأة الحسناء في منبت

السوء " و قوله صلى الله عليه و آله و سلم " كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه " .

اما الحديث عن البيئة الطبيعية و انعكاسها على سلوك الانسان و اخلاقه فهي من العوامل المثيرة في تغير سلوكه و أخلاقه كما لو ارسلنا انساناً من الصحراء الى بلاد جبلية و أسكناه فيها لوجدت الاستجابة و ان كانت مختلفة بحسب قابلية المحل و لكنها سوف تؤثر أثرها و لو بعد حين لأن العامل المناخي ينعكس بيولوجياً في بيئة الجسم و بالتالي سوف يؤثر أيضاً على الجانب الاخلاقي و هذا ما يشير اليه القرآن من ناحية انتقال ابراهيم (ع) بأهله لواد غير ذي زرع في بيته المحرم فقالت زوجته عندما اراد فراقها : الى من تكني ؟ قال : الى خالق السماوات و الأرض كما في قوله تعالى ﴿ربنا اتي اسكننا من نريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ [ابراهيم : ٣٧] و كان هذا الموطن البيئي أوجب تغييراً في سلوكهم حتى اصبحوا في مجتمع طاهر تهفو اليهم النفوس و تطمئن اليهم لقداستهم و ايمانهم حتى كان المجتمع الذي يعيش معهم مقهوراً لتلك الاخلاق الكريمة لما دعا لهم ابراهيم (ع) في قوله تعالى ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم و ارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون ﴾ [ ابراهيم : ٣٧ ]

إلا ان البحث يقع في مقدار هذا التغيير هل هو على نحو المؤثر الكامل أو انه يوجب التغيير في الجملة .

و الملاحظ أن أثر الانعكاس البيئي في الجملة و ذلك على طبق قابلية المحل إذ بعض النفوس لا تؤثر فيه الطبيعة المناخية و ان عاش ربحاً من الزمن و ذلك إذا كان في سن قد تجاوز حده و شب على الطوق فالمؤثر البيئي ربما ينعدم وجوده و لا يصلح للتأثير بخلاف ما لو أخذ الطفل في سن مبكرة تكون أكثر تأثيراً لأن ما يشير اليه الامام علي (ع) " الشجرة البرية أصلب عوداً " إذا

أوجب ان يعيش الانسان فيها مدة فأرجاعه الى بيئة معاكسة قد تسبب عليه افعالاً منعكسة من حيث النفس و من حيث الجسم و لكن إذا اخذ في سن مبكرة تجده سريع الاستجابة و التفاعل و يحصل منه القبول و إن اختلفت نسبة الاستجابة و الرفض إلا ان لها الاثر في التغيير .

و اما الحديث عن البيئة الاجتماعية فهي ايضاً تعكس تغييراً سلوكياً في افعاله و هذا ما حدث كثيراً في التهجير من المناطق الشرقية اغلب المناطق الغربية فقد اوجبت أثراً في تغيير سلوك المهجرين و هذا مما نخافه عندما ينتقل المسلمون الى اوربا ان يحدث من ذلك ردود فعل منعكسة من الفرد على المجتمع و من الفرد على الاسرة و من الاسرة على المجتمع ثم يكون ذلك في أول التأقلم و لكن بعد مرور وقت غير قصير تحدث تغييرات أخرى في المجتمع الكبير على المجتمع الأسري الصغير حتى يصبح المجتمع الأسري قد ذاب في المجتمع الكبير فتلغى عنده العادات و التقاليد الموروثة و يصبح معتاداً على المجتمع الحديث و لناخذ أمثلة تقريبية بين المجتمعين :

١- المجتمع الشرقي قد ارتسمت له العادات بالحفاظ على الحجاب و العفة و الغيرة و الحمية و النجابة و الحماس الديني و اقامة الشعائر و الجلوس في المجتمعات و الندوات المطروحة عليه كل صباح و مساء و التردد على المسجد و الحسينية و المجالس الادبية أو معنى المرأة في مجالس خاصة ترتاح الى بيئتها بخلاف ما لو اخذت الى مجتمع آخر مخالف لبيئتها فإنها لا ترتاح الى ذلك كما حدث لمعاوية عندما أخذ جارية بدوية و اسكنها قصور الشام فأنشدت

و لبس عباءة و تقر عيني أحب الي من لبس الشفوف

فلما سمع معاوية هذه الابيات أرجعها الى اسرتها و مجتمعها البدوي

٢- المجتمع الغربي قد عاش في محيط الخلاعة و شرب الخمر و الدعارة و

الفجور و المجون و ان كان اهل به بعين ذلك يتمتعون بالصدق و الامانة و حب الاطلاع و الاصغاء للحديث و الانصياع للمنطقية إلا ان ما هو غالب في ساحة البيئة الاجتماعية هو ذلك النوع من الاخلاق اللامشروعة للمرتكزات العقلية و الدينية .

١. فإذا جاء الشرقي و اندمج مع المجتمع الغربي اقتبس اخلاقهم الفاسدة و لم يأخذ الاخلاق الفاضلة لأن الغلبة للأخلاق الفاسدة و ما عند الشرقي من اخلاق كريمة تكون مندكة و مضمحلة الوجود و إن كان منشأ ذلك يعزى الى عدة أمور :

- عدم نزوجه العلمي و الديني
- لحصول افعال منعكسة في بلاده كالظلم و الجور فإذا جاء في بلاد الغرب وجد الحرية المزعومة فينطلق بكل ما لديه من افرازات ييغضها على الساحة.
- دافع الشهوة المكبوتة فيجد في البلاد الغربية انتشار التقارب الجنسي بكل سهولة ربما تقترب الفتاة للشباب أكثر من اقتراب الشاب للفتاة في الاماكن العامة و الحفلات الماجنة .

## ٢- علاقة البيئة بالانسان

المراد بالعلاقة اما عن طريق الموضوعات الخارجية و الامور التكوينية كتماسك الحجر بعضه الى بعض و علاقة عربات القطار بعضها مع بعض عن طريق وجود القلاب الذي يوجب الصلة و العلاقة لاحداث الحركات و السير بواسطة الماكينة و القوة المحركة فيكون ذلك من نوع علاقة السبب بالسبب ، و اما عن طريق الترابط في مقام الجعل و الاعتبار كقيام علاقة المعتبر بين المالك و المملوك بصفة خاصة تسمى بالايجاب و القبول و تسمى بعلاقة الاعتبار .

فإن كانت البيئة من الامور التكوينية تكون علاقة تكوينية لأن ما تقوم عليها البيئة من الجانب الطبيعي و المناخي فارتباطها بالانسان و تأثيرها على

وجود الانسان بيولوجياً تكون علاقة تكوينية (مقولية ) فلا يمكن انفصال احدهما عن الآخر .

و ان كانت البيئة من الامور الاجتماعية فهي علاقة جعل و اعتبار يمكن أن يتغير الانسان من بيئة اجتماعية الى أخرى لأنها قائمة على الاعتبار و التغيير الاعتباري و هذا مما يمكن فيه جهة الانفصال بخلاف الأول .

### ٣- تأثير البيئة على الانسان

يتضح مما تطرقنا اليه ان البيئة ان كانت من الامور الخارجية كالتراب و الماء و الهواء فلها عامل مؤثر على الحياة و حركة الجسم من ناحية النمو و تطوره و أثره البيولوجي إلا ان مقدار التأثير تارة ببطء و أخرى بسرعة و على كلا الفرضين إما أن يكون التأثير كبيراً و إما أن يكون صغيراً . و المهم ان العامل البيئي التكويني بما هو له أثر انعكاسي على تغيير مسار الانسان و حركته فإن من يعيش في بيئة جبلية فيها جهة التعقيد العضلي و الريمي و السكاني و النفسي فإذا أرسل الى بيئة صحراوية فيها البساطة و الفضاء الواسع و المتعة في الانطلاق فإن كل ذلك موجب للانعكاس على حركة الانسان في افعاله و معاشه و اقتصاده و نفسيته .

و ان كانت البيئة من الامور الاجتماعية على جميع محاورها فإن لها أيضاً جانب من التأثير إلا انه هل بنحو التمامية المطلقة او المقيدة اضافة الى ما أشرنا اليه من كون التأثير للبيئة على الانسان من الوجهة الاجتماعية سيء و لكن ينظر للبيئة كوجود استمراري او انها قابلية للتغير بسبب الطوارئ و المؤثرات الاخرى و هو موضوع آخر و قلنا بجواز التغيير لإرجاع البيئة تحت ملاك الاعتبار و التباني العرفي بسبب البناء الاجتماعي .

إلا أن هناك حاكمية وراء البيئة سواء كانت عن جهة مادية أم عن جهة معنوية فإن دور الحاكمية من قبل العقل و الشرع لا يمكن أن يسير على ضوء البيئة



بكل أطوارها و أشكالها إذ هناك ما يحدد دائرة البيئة و يضيقها و لا يجعلها  
مرسلة العنان و مطلقة الحرية تتحكم البيئة حيث نشاء بل هناك موازين و ثوابت  
لا بد ان تتحكم فيها و هو الحكم الشرعي و الحكم العقلي .



فاتقوا الله عباد الله ، و يادروا آجالكم بأعمالكم ، و ابتاعوا ما  
يبقى لكم بما يزول عنكم و ترحلوا فقد جد بكم و استعدوا للموت  
فقد أظلمكم ، و كونوا قوماً صريح بهم فاتتبهوا و علموا أن الدنيا  
ليست بدار فاستبدلوا ، فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً و لم  
يترككم سدى ، و ما بين أحدكم و بين الجنة أو النار إلا الموت أن  
ينزل به . و إن غايتهما تنقصها اللحظة ، و تهدمها الساعة ،  
لجديرة بقصر المدة و إن غائباً يحدوه الجديدان : الليل و النهار ،  
لحري بسرعة الأوبة . و إن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق  
لأفضل العدة . فتزودوا في الدنيا ، من الدنيا، ما تحرزون به  
أنفسكم غداً .

من كلمات الإمام علي (ع) - نهج البلاغة -



## القرآن الكريم و الوصايا العشر

❖ كثيراً ما يتردد على ألسنة الناس - الحديث عن الوصايا العشر كواحدة من أبرز الوثائق الخالدة في تاريخ الانبياء فما هي الوصايا العشر في القرآن الكريم ؟

❖ المراد من الوصايا العشر و هي التعاليم التي أوحى بها الى موسى (ع) على جبل طور سيناء و قد وردت في الكتاب المقدس ( خروج ٢٠ :- ٢-١٣ - ٣١-١٨-٣٢-١٥-١٩-٤ ) ( تنبيه - ٥-٦-٢١-٩-١٠ ) و قد لخصت عن سفر الخروج

١ - لا تجعل لك الهاً غيري

٢ - لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً

٣ - انكر يوم السبت لتقدس

٤ - اكرم اباك و امك

٥ - لا تقتل

٦ - لا تزن

٧ - لا تسرق

٨ - لا تشهد الزور

٩ - لا تشته بيت قريبك

١٠ - لا تشته امرأة قريبك

و الملاحظ في هذه الوصايا العشر و ان أكثرها من المبادئ الاخلاقية التي تشترك فيه الديانة اليهودية و المسيحية و الاسلامية و يمكن ان تقع ملتقى جميع الاديان من غير اختلاف فيما بينها كما ان القرآن تعرض الى كثير منها :

١- قوله تعالى { شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و اولو العظم قائماً بالقسط } [ آل عمران : ١٨ ]

٢- قوله تعالى { و يحلفون على الكذب و هم يعظمون } [ المجادلة : ١٤ ]

٣- قوله تعالى { إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله } [ الجمعة : ٩ ]

٤- قوله تعالى { فلا تقل لهم أف و لا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً } [ الاسراء : ٢٣ ]

٥- قوله تعالى { من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً } [ المائدة : ٣٢ ]

٦- قوله تعالى { و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن } [ الانعام : ١٥١ ]

٧- قوله تعالى { و السارق و السارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله و الله عزيز حكيم } [ المائدة : ٣٨ ]

٨- قوله تعالى { فاجتنبوا الرجس من الاوثان و اجتنبوا قول الزور } [ الحج : ٣٠ ]

٩- قوله تعالى { لا تمدن عينك الى ما متغفا به أزواجاً منهم و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين } [ الحجر : ٨٨ ]

و يتضح مما تناولناه المقابلة بين الوصايا لاعشر و الايات القرآنية ثم يشير القرآن الى اللوح التي جاء بها موسى (ع) كما ورد عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن حبة العرني قال : سمعت أمير المؤمنين

(ع) يقول : ان يوشع بن نون (ع) كان وصي موسى بن عمران (ع) و كانت  
الواح موسى من زمرد أخضر فلما غضب موسى (ع) القى الالواح من يده  
فمنها ما تكسر و منها ما بقي و منها ما ارتفع فلما ذهب عن موسى (ع)  
الغضب قال يوشع بن نون : أعذك تبيان ما في الالواح قال : نعم فلم يزلوا  
يتوارثونها رهطاً من بعد رهط حتى وقعت بين أيدي أربعة رهط من اليمن و  
بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بتهامة و بلغهم الخبر فقالوا ما يقول  
هذا النبي قيل ينهي عن الخمر و الزنا و يأمر بمحاسن الاخلاق و كرم الجوار  
فقالوا هذا أولى بما في ايدينا فاتفقوا أن يأتوه في شهر كذا و كذا فأوحى الله إلى  
جبرائيل أنت النبي فأخبره فأشاه فقال : إن فلاناً و فلاناً و فلاناً ورثوا الواح  
موسى (ع) و هم يأتونك في شهر كذا و كذا في ليلة كذا و كذا فسهروا تلك الليلة  
فجاء الركب و طرقوا عليه الباب و هم يقولون : يا محمد قال : نعم يا فلان بن  
فلان و يا فلان بن فلان و يا فلان بن فلان و يا فلان بن فلان أين الكتاب الذي  
تولرثتموه من يوشع وصي موسى بن عمران قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له و انتك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الله ما  
علم به احد قط منذ وقع عندنا قبلك قال : فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
فإذا هو كتاب بالعبرانية دقيق فدفعه إلي و وضعته عند رأسي فأصبحت  
بالغداة و إذا هو كتاب بالعربية جليل فيه علم ما خلق الله منذ قامت السموات  
و الأرض الى ان تقوم الساعة فعلمت ذلك .

و الملاحظ ان ما أشارت اليه الآية بقوله تعالى { و كتبنا له في الالواح من كل  
شيء موعظة و تفصيلاً لكل شيء } [ الاعراف : ١٤٥ ] مما تدل على انها  
متضمنة لجميع حاجات البشرية في ذلك الوقت و المراد بالالواح هي التوراة  
النازلة فإذا أردنا التوفيق بين الظهور القرآني و الحديث السابق نجد ان ما  
تُكفله الالواح ليس الا شريعة اخلاقية و احكاماً موجزة لا تفي بحاجات

المجتمع إلا ان القرآن يثبت انه كتب في الالواح من كل شيء موعظة و هي في المجال الاخلاقي و تفصيلاً في مجال الاحكام التشريعية و أنه لا يتنافى و كسر الالواح حيث ان صدر موسى (ع) قد حفظ تبيان هذه الامور .

---

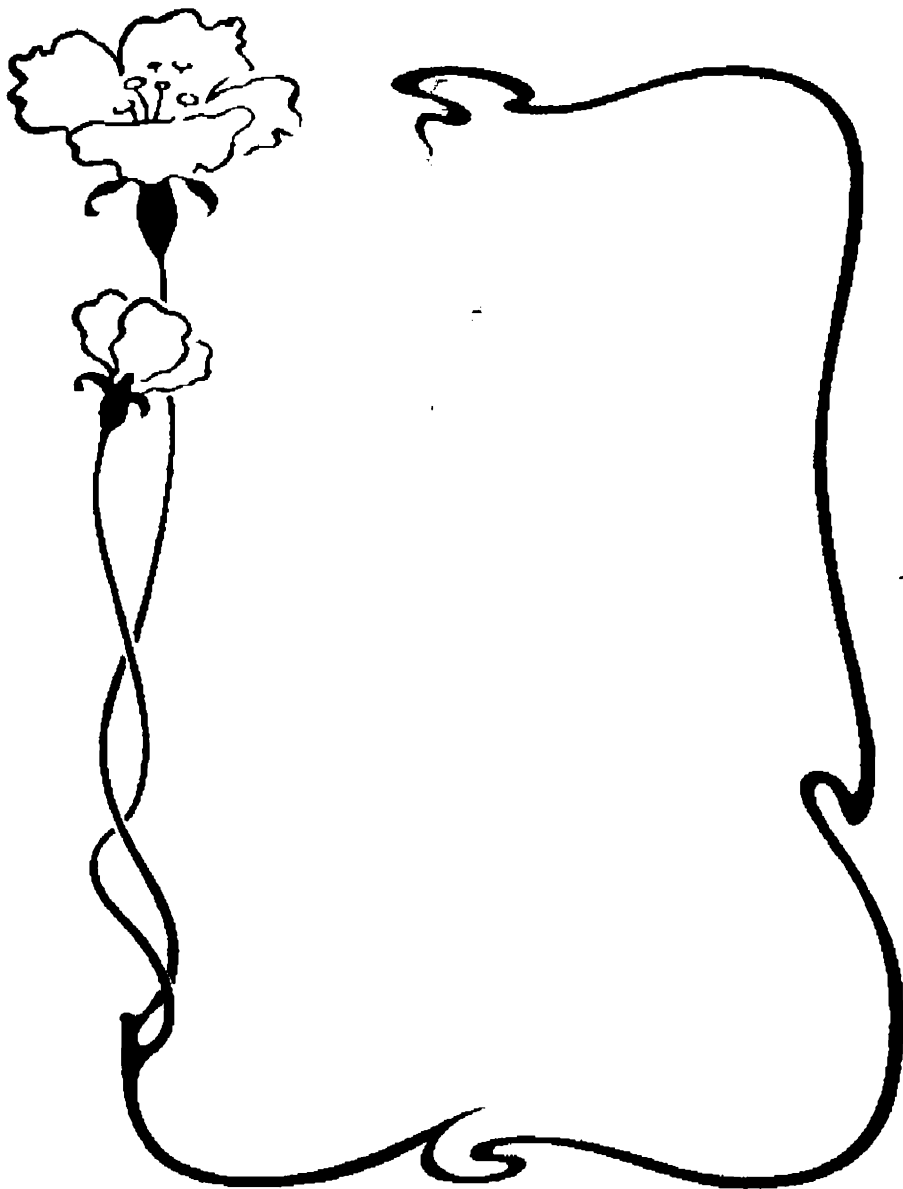
### مراجع البحث و مصادر الحوار

---

- مجمع البيان
- البرهان للزركشي
- التفسير الكبير للفخر الرازي
- الاتقان
- السيرة لابن هشام
- البيان للإمام الخوئي
- تلخيص التمهيد - الشيخ هادي معرفت
- هامش الجلالين
- مروج الذهب للمسعودي
- علم اصول الخلاف
- البخاري
- صحيح مسلم
- مرآة العقول
- الصواعق المحرقة
- المراجعات
- الاصول للشيخ الطوسي

- اصول الفقه للخضري
- الطوقي في رسالته المنشورة في مصادر التشريع الاسلامي
- العدة
- الوسائل أبواب المهور
- المستدرك
- سنن البيهقي
- جواهر الكلام
- الموسوعة العربية الميسرة
- مكارم الاخلاق
- بصائر الدرجات
- بحار الاتوار
- الشفاء ( ابن سينا - الطبيعيات )
- الحكمة المتعالية
- دور الفوائد للأملي
- الفتوحات المكية (ابن عربي )
- اللمع في الرد على أصل الزيغ و البدع
- الإبانة - للأشعري
- الكشاف
- حق اليقين
- الملل و النحل
- بصائر الدرجات

- المغني في ابواب التوحيد و العدل للقاضي عبد الجبار
- المغني
- علم النفس العام للدكتورة ليلى داوود
- علم الكلام
- تجريد العقائد



مع السادة المفكرين و العلماء

□ القاضي حيدر محمد سعيد العرفي

□ السيد حسين طالب

□ الاستاذ زكي الميلاد

□ رسالة إلى الدكتور أسعد علي



## شبهات حول القرآن

القاضي حيدر محمد سعيد العرفي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل خلق الله، وآله الأطهار، وبعد:

فقد خلق الله الخلق ليعبدوه، قال تعالى في كتابه العزيز: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** {الذاريات/٥٦}.

والعبادة بمعناها الخاص: الصلاة والزكاة والخمس والصوم والحج المفروض منها والنوافل.

وبمعناها العام: كل أمر يُبعدك عن الحرام ويدخلك في الحلال أو المباح فإنه عبادة إذا قصدت به وجه الله.

والعبادة تؤدي إلى التقوى، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** {البقرة/٢١}.

والتقوى: عبارة عن طاعة الله تعالى، بامتثال الأوامر الإلهية، واجتناب المنهيات، مع إيصال الخير إلى الغير، عملاً بالحديث النبوي الذي رواه الطبراني في (معاجمه) الثلاثة:

«**الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**» وبالتقوى يتفاضل الناس، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** {الحجرات/١٣}. والتعارف بين الناس: هو تطبيق للقاعدة المعروفة: (الإنسان اجتماعي بالطبع). قال تعالى:

## شبهات حول القرآن

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (الزخرف/١٣٥).

وقال تعالى:

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} (البقرة/٢٥١). واقتضت حكمة الله أن يصطفي أنبياء ورسلاً، قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} (الحج/٧٥). فالرسل من الملائكة يرسلهم الله تعالى إلى الأنبياء. والرسل من الناس يرسلهم الله تعالى إلى سائر البشر وغاية هؤلاء الأنبياء والرسل هداية الناس إلى عبادة الله عز وجل، وإزالة الاختلاف الذي يقع بينهم، وإرشادهم إلى سلوك الطريق القويم. ولإتذارهم وإيعادهم عن سلوك طرق الغواية والضلال، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} (البقرة/٢١٣).

ولئلا يقول الناس:

{مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ} (المائدة/١٩).

فإنه سبحانه أرسل هؤلاء الرسل:

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل} (النساء/١٦٥).

ومن عدل الله عز وجل أن لا يعاقب الناس إلا بعد إرسال الرسل إليهم. قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} (الإسراء/١٥).

لذلك أرسل الله تعالى الرسل إلى كل قوم. قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ} (يونس/٤٧).

وقال تعالى:

{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطَّاغوت} (النحل/٣٦).  
وعدد الأنبياء والرسل غير محدد أو معروف، قال تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ} (النساء/١٦٤).  
وتوجد رواية في (مسند) أحمد بن حنبل تذكر أن عدد الأنبياء مائة وعشرون ألفاً، منهم ثلاثمائة وخمسون رسولا.

فاول الأنبياء آدم وآخرهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين.  
وكل الأنبياء جاءوا بتوحيد الباري عز وجل، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء/٢٥).  
وقال تعالى:

{قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (الأنبياء/١٠٨).  
لذلك وجب على كل مسلم الإيمان بالأنبياء جميعاً، وعدم التفريق بين أحد منهم،  
قال تعالى:

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} (البقرة/٢٨٥).  
والأنبياء: هم الذين يوحى إليهم.

أمّا الرسل: فهم أنبياء مكلفون بتبليغ رسالات الله عز وجل، قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب/٣٩).  
فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم خمسة وعشرين رسولا، وهم: آدم، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، إدريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، إلياس، اليسع، ذو الكفل، عيسى، محمد صلوات الله عليهم أجمعين.  
منهم أولو العزم، قال تعالى:

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} (الأحقاف/٣٥).

وقد وصفهم الله عزَّ وجلَّ بقوله تعالى:

{فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (آل عمران/١٤٦).

وهم خمسة جاء ذكرهم في قوله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} (الأحزاب/٧). وثلاثة منهم أصحاب شريعة، فموسى جاء باليهودية، وعيسى جاء بالنصرانية، ومحمد جاء بالإسلام.

والأنبياء متفاوتون في الفضل، قال تعالى: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} (الإسراء/٥٥). وكذلك الرسل أيضاً، قال تعالى:

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} (البقرة/٢٥٣). فأفضلهم جميعاً محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (الأحزاب/٤٠).

وهو المبعوث رحمة للعالمين، قال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء/١٠٧).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مِّهْدَاةٌ».

ودينه الإسلام آخر الأديان وأكملها، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (المائدة/١٣).

لذلك كله أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد وينصروه قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا

أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ { (آل عمران/ ٨١).

ويتوجب على أهل الكتاب اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لقوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف/ ١٥٧).

وقد بشر به عيسى عليه السلام، قال تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصف/ ٦).

ويرحم الله البوصيري حيث يقول مادحاً رسول الله:

ما مضت فترة من الرسل إلا / بشرت قومها بك الأنبياء

تتباهى بك العصور وتزهو / بك علياء بعدها علياء

حبذا عقد سودد وفخار / أنت فيه اليتيمة العصماء

وقد أيد الله الأنبياء بمعجزة أو بعدة معجزات، حتى يصدقهم الناس، لأن المعجزة هي [الأمر الخارق للعادة] لينتصر بها النبي على أعدائه فتكون أحد الأسباب للإيمان به. روي عن ابن السكيت أنه سأل الإمام علي الرضا قائلاً: لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً بالكلام الخطب؟

فقال أبو الحسن الرضا:

إن الله لما بعث موسى، كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت الحجة عليهم. لقول موسى عليه السلام للسحرة: {مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُعْطِلُهُ} (يونس/ ٨١).

لأن السحر وهم لا حقيقة له، قال تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ}

وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ { (الأعراف/ ١١٦).

وقال تعالى: {يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (طه/ ٦٦).

أي يخيل لفرعون وليس لموسى لأنه نبي لا يجوز أن يؤثر عليه الوهم والتخيل.

وأما قوله تعالى: {وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى} (طه/ ٦٧).

فقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الحق من الجهال ودول الضلال) أي خاف أن ينصرف الناس قبل أن يلقي عصاه، فطمأنه الباري عز وجل وقال له: {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَآلَقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا} لذلك فإن ما ورد من روايات مفادها أن رسول الله قد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي حتى يخيل إليه أنه قد فعل الشيء ولم يكن فعله، فالرد عليها ما يلي:

إن السحر على الشيطان، قال تعالى:

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} (البقرة/ ١٠٢)  
والشيطان لا سبيل له على المؤمن، قال تعالى مخاطباً إبليس اللعين: {إِنَّ عِبَادِي لَإِيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} (الإسراء/ ٦٥).

فكيف يكون له سلطان على رسول الله المؤيد بالوحي والمسدد بالعصمة، إذن فرسول الله لم يكن مسحوراً، وقد ناقش المرحوم والدي السيد محمد سعيد العرفي في كتابه (مبادئ الفقه الإسلامي - العبادات) ص ١٢ ط ٢ هذا الموضوع، ونفى أن يكون الرسول مسحوراً، فقال:

وكما عصم الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس، فقد حفظه أن يصيبه السحر، وقد أنبأ الله المشركين حين وصموه بأنه مسحور، قال الله تعالى: {وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَظْهِمُونَ سَبِيلًا} (الإسراء/ ٤٧-٤٨).

وقال تعالى: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} (الفرقان/٨). فبعد صراحة القرآن يجب على كل مسلم أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سحره ليبيد بن الأعصم اليهودي (حتى يخيل إليه أنه قد فعل الشيء ولم يكن فعله)، فإن القول بصحة هذا الحديث يطعن الدين الإسلامي في صميمه، ويجعل لليهود سلطة على نبي المسلمين.

ومن العجيب أن كثيراً من علماء المسلمين وقف أمام هذا الحديث خائر القوى، فلا يجرؤ على نقده لمجرد وروده في كتب الصحاح، فلم يلتفتوا إلى القرآن العظيم، ولم يكثرثوا بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الواجب اعتقادها على كل مسلم ومسلمة.

ويستطرد قائلاً: على أن معنى الكتاب الصحيح: أنه أكثر أحاديثه صحيحة من غيره، وإلا لزم لغو مذاهب المسلمين والاكتفاء بـ(الصحيحين) مع أن عمل أصحاب المذاهب (ولا سيما أهل السنة) على خلافهما في أكثر العبادات، وذلك ليصدق قول الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء/٨٢). ثم قال: على أن السحر من أساسه ليس إلا عبارة عن خيال يُصاب به ضعاف العقول، فلا حقيقة له، قال الله تعالى: {يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (طه/٦٦). مما يبرهن على أن السحر مبني على الوهم والتهويل، وتأثير قوي النفس في ضعيفها، وأنه لانجاح لصاحبه أصلاً، قال تعالى: {وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه/٦٩).

وختم البحث بقوله: وقد طرق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية هذا البحث في آخر تفسيره لسورة العلق، فقال: والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبتته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء نفي السحر عنه صلى الله عليه وآله وسلم حيث نسب القول بإثبات السحر إلى أعدائه،

وَوَبَّخَهُمْ عَلَى زَعْمِهِمْ هَذَا، فَهُوَ لَيْسَ بِمَسْحُورٍ قَطْعاً. راجع كتابنا (أبو طالب بطل الإسلام) ص ١١١-١١٣

وإن الله بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات - أي الأمراض المستعصية التي تبقى مع صاحبها طويلاً - واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت الحجة عليهم.

وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم. فالقرآن الكريم هو المعجزة الدائمة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَوَلَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/٥٠-٥١).

والقرآن الكريم هو الدستور الخالد للبشرية، المصدق للكتب السماوية / الحقيقة / والمهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

وقال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٩٧) لكن بعض ذوي العقول الناقصة والتفكير السيئ والنوايا الخبيثة أثاروا شبهات وأقاويل مفتراة بحق القرآن الكريم، منها أنه ليس من عند الله، وأن محمداً جاء به من عنده أو أنه أخذه عن غيره، وأن القرآن جاء بأشياء وأمور غير معقولة. وقد ذكر الله عز وجل بعض أقوالهم في عدة آيات، منها قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (الأنبياء/٥).



{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا { (الفرقان/ ٥-٤).

فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليهم بقوله تعالى:

{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا { (الفرقان/ ٦). لذلك سيخصص القسم الأول من هذا البحث لتفنيد أقوالهم، مثبتاً أن القرآن الكريم كتاب الله أنزله على نبيه الكريم بواسطة جبريل الأمين بلغة عربية فصيحة، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ { (الشعراء/ ١٩٢-١٩٥).

وقد اعتمدت في ردِّي على الآيات الكريمة من القرآن المتعلقة بهذا الموضوع، والتي تكفي لنفي تهمهم ودفع شبهاتهم، وهي آيات بيِّنات لا تحتاج إلى تفسير، وإنما يكفي أن يُمعِنَ القارئ أو السامع النظر فيها ليصل إلى الأدلة والقرائن والبراهين القاطعة التي حوتها هذه الآيات. فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: قوله تعالى:

{قُلْ - أَي قَل لَّهُمْ يَا مُحَمَّد - لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ - أَي القرآن الكريم - فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ - لأنه بعث في الأربعين من عمره - أَفَلَا تَعْقِلُونَ { (يونس/ ١٦).

أي لو كان القرآن من عند محمد، لما سكت ولم ينطق به أو يعلنه طوال الأربعين سنة التي قضاها بين قومه قبل أن يأتيه الوحي بالرسالة، والتي كان خلالها يُدعى بينهم الصادق الأمين فلم يجربوا عليه كذباً أو غشاً أو منقصة أو تدليساً أو أي خلقٍ سييء. ولو كان أخذه عن غيره لأعلنه فوراً لأنه بشرٌ لا يعلم كم يعيش ومتى يأتيه الأجل؟.

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم، لم يذع إلى دين آخر أو يتبني شريعة أخرى قبل الدين الإسلامي، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى/٥٢).

ثانياً: أ- إنَّ محمداً كان أمياً - لا يقرأ ولا يكتب، وقد أنزل الله تعالى عليه القرآن لإبعاد كل شبهة بأن القرآن هو من عنده، لأنَّه لا يعقل أن يأتي بشرٌ بدستور خالدٍ للبشرية وهو أمي، كما أنه لا يستطيع كتابة ما يسمعه من غيره، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنْتَ - أَي يَا مُحَمَّد - تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ - أَي مِنْ قَبْلِ الْقُرْآن الْكَرِيم - مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَنْ لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/٤٨).

ب- ورداً على من قال: إنَّ محمداً كان يتعلم القرآن من جبرا أو صيرا الرومي غلام ابن الحضرمي أو من يسارٍ وقد كانا عبيدين يصنعان السيوف بمكة، وقيل من عائشٍ غلام حويط بن عبد العزى وقيل من سلمان. فقد رد الله عليهم بالآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل/١٠٣). أي: لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية، ولم يقل: عجمي. لأن العجمي: هو المنسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، والأعجمي: هو الذي لا يفصح، وإن كان عربياً، ألا ترى إلى سيبويه كان عجمياً وإن كان لسانه لسان اللغة العربية. وقيل: يلحدون إليه، يرمون إليه، ويزعمون أنه يعلمك، أي لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان، والقرآن لسان عربي مبين، أي: ظاهر بيّن لا يشكّل. يعني إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله وهو بلغتهم، فكيف يأتي

الأعجمي بمثله.

وقال تعالى:

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} (فصلت/ ٤٤) أي كيف يكون المعنى المنزل أعجمي والمنزل عليه عربي؟ فكيف نفهم هذه الآيات من المنزل إليه إذا لم تفصل بلغته؟.

وقال تعالى:

{وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء/ ١٩٨ و ١٩٩). أي لو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح، فقرأه على العرب لم يؤمنوا به وأنفوا من اتباعه، لكننا أنزلنا بلسان العرب على أفصح رجل منهم، من أشرف بيت ليتدبروا فيه، وليكون أدنى إلى اتباعه وتصديقه.

حـ - ورداً على من يقول: إن محمداً أخذ القرآن عن بحيرا الراهب أو عن ورقة بن نوفل، وكانا على دين النصارى. نقول: إن محمداً لم يجتمع مع بحيرا إلا لفترة بسيطة حين سفره مع عمه أبي طالب إلى الشام بالتجارة، وهذه المدة غير كافية لتلقي القرآن الذي استمر نزوله ثلاثة وعشرين عاماً بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي بدأت عند بلوغه سن الأربعين. وكذلك فإن ورقة بن نوفل كان متقدماً بالسن، وتوفي قبل أن يتم نزول القرآن الكريم. وإذا كان القرآن منهما أو من أحدهما فلماذا لا يكملان به الدين المسيحي الذي يخلو من التشريع؟!.

وكيف يستطيعان هما أو غيرهما من البشر أن يأتيا بالقرآن أو ببعضه والله عز وجل يقول:

{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ} (يونس/ ٣٧) إلا إذا كانا بمرتبة

أعلى من البشر والعياذ بالله تعالى حتى يدعي أن القرآن من عندهما.

د - لم يكن في شبه الجزيرة العربية (الحجاز ونجد) رسولٌ صاحب شريعة قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى يقال: إِنَّ مُحَمَّدًا أَخَذَ عَنْهُ الْقُرْآنَ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} (سبا/ ٤٤١).

فمن أين يكذبوك.

وقوله تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ} (الزخرف/ ٢١) أي لم يقع ذلك.

نعم وقد إبراهيم عليه السلام إلى مكة وأنزل الله عليه (صحف إبراهيم) وهي ليست كتاباً كاملاً لأن إبراهيم لم يكن صاحب شريعة (وقد تكون فقدت هذه الصحف)، وكذلك إسماعيل عليه السلام كان رسولاً نبياً لكنه لم يكن صاحب شريعة.

ثالثاً: كان العرب يتباهون ببلاغتهم وفصاحتهم حتى أنهم علّقوا على الكعبة أعظم قصائدهم وأفضلها وسموها (المعلقات) لكنهم عند نزول القرآن عجزوا عن الإتيان بمثله أو ببعضه فقد قال الوليد بن المغيرة /بعد أن سمع آيات من القرآن الكريم/: فما أقول فيه؟. فوالله ما منكم لرجلٍ أعلم في الشعر مني، ولا أعلم برجزه مني ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله حلوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى.

وفي رواية: والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشرٌ<sup>١</sup>.

وقد تحدّى الله العرب وهم سادة الفصاحة وأئمة البلاغة، وتحدى سائر المخلوقات أن يأتوا:

آ - بمثل القرآن - قال تعالى: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} الإسراء/ ٨٨.  
وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} \* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ { (الطور/ ٣٣-٣٤).

وقال تعالى عن التوراة الحقيقية وعن القرآن الكريم: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (القصص/ ٤٩).  
وقال تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس/ ٣٧).

ب - وبعشر سور مفتریات، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ وَإِذْعُوا مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (هود/ ١٣).

ج : بسورة مثله، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَإِذْعُوا مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (يونس/ ٣٨).

د: بسورة من مثله، قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَإِذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة/ ٢٣)  
فما وسعهم إلا العجز في زمن نضوج اللغة العربية وبلوغها أوج الكمال. وقد حاول بعض الزنادقة أن ينقضوا القرآن فباءت محاولتهم بالفشل. فقد روى هشام بن الحكم أحد تلامذة الإمام الصادق، قال: اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاکر الديصاني الزنديق، وعبد الملك المصري، وابن المقفع، عند بيت الله الحرام يستهزئون بالحاج، ويطعنون بالقرآن. فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا في قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا فلما كان من القابل، اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أمّا أنا فمفكر منذ

افترقنا في هذه الآية:

{فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا} (يوسف/٨٠).

فلم أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتنى هذه الآية عن التفكير في سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكراً في هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (الحج/٧٣) ولم أقدر على الإتيان بمثلهما.

فقال أبو شاعر: وأنا منذ فارقتكم مفكراً في هذه الآية: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء/٢٢). فلم أقدر على الإتيان بمثلهما.

فقال ابن المقفع: يا قوم! إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر. وأنا منذ فارقتكم مفكراً في هذه الآية:

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (هود/٤٤). فلم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلهما.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرَّ بهم جعفر بن محمد الصادق فقال:

{قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء/٨٨) فنظر القوم بعضهم لبعض، وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأينا قط إلا هبناه، واقتشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرّين بالعجز. ولما كان القرآن عربياً ومتعبداً بتلاوته، فإنه لا يجوز ترجمته ترجمة حرفية إلى لغة أخرى ولا تجوز قراءته بغير اللغة العربية. يقول المرحوم والدي السيد

محمد سعيد العرفي:

لذلك أوجب الله تعلم جزءٍ منها - أي اللغة العربية - على جميع المسلمين، وهذا يدلّك على أنّ لها مكانةً ساميةً عند الشارع، ولقد بلغ من اهتمامه بها أنّ افترض لأجلها قراءة القرآن في الصلوات الفرائض والمندوبات، ومن المعلوم أنّ القرآن لا يصح أن يُقرأ بغير اللغة العربية، كما أنّ مما لا يجهله أحدٌ أنّ كل مسلم عاقل بالغ يجب عليه الصلاة، لا فرق بين ذكر وبين أنثى سواء أكان حراً أم عبداً. ثمّ يستطرد قائلاً: بأنّ تَعَلَّمَ اللغة العربية تُمكن المسلم من تدبر القرآن ومعرفة الأحكام، واتباع أوامر الله واجتناب نواهيه<sup>1</sup>.

وقال عن عدم جواز ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى فإنّه لو كان جائزاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمان أن يُترجم القرآن بالفارسية وبلاّ بالحبشية وصهيياً بالرومية مع وجود من يُحسن لغتهم، وإنّ كتبه كانت إنذاراً لهم ليسلموا ويعبدوا الله وحده، فهي دينية محضة. ثم استطرد قائلاً: من المعلوم أنّ الترجمان يُعبر عن فكر المترجم له، فهل في استطاعة أحدٍ من البشر أن يقول: إنّ هذا المعنى هو مراد الله تعالى. فإذا كان الله تعالى قد تحدّى العالم كلّهُ بأنّ يأتوا بسورةٍ من مثل القرآن وعجزوا عن ذلك، أفليس من يعجز عن إثبات مثل تركيبه هو أشدّ عجزاً وأبينّ ضعفاً ممّن يبتغي الإتيان بمعناه كاملاً وفق علم الله تعالى ومشينته. ثم قال: إنّ القرآن العظيم صالح لكل عصر، وإنّك لتجد المفسرين يوردون وجوهاً كثيرة لمعنى الآية الواحدة، ولا شكّ في أنّ تلك الوجوه لا تناقض تعاليم الدين الإسلامي الأساسية، فهل في استطاعة المترجم أن يقول: إنّ هذا الوجه هو الذي أراده الله تعالى. فإن قال: نعم. فمن أين له الترجيح (لأنه بلا مرجح حتماً). وإن قال: لا. فإمّا أن يختار تلك الوجوه كلها فيخرج من الترجمة إلى التفسير، والتفسير لا نزاع في جوازه

بجميع لغات العالم. وإما أن يتحير فيظهر العجز وهذا هو المطلوب.  
ثم قال: والفرق بين التفسير والترجمة: أن التفسير يحفظ الأصل، ويبقى ذلك الأصل مرجعاً لجميع المفسرين الآخرين، فيكون التفسير بمثابة شرح له. وأما الترجمة: فإنها تستعاض عن الأصل وتصبح أصلاً مستقلاً مستغنياً عن المترجم منه. ويكون المقصود من الترجمة أن يصيب القرآن ما أصاب التوراة والإنجيل، فإنه بالترجمة قد صار المجاز حقيقةً، والمتشابه محكماً، وكان ذلك سبب ضلال أمم كثيرة.

أما الشعوب التي لا تعرف اللغة العربية، فإن دعوتها إلى الهداية تكون بإعلان مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه بأي لغة كانت، حتى إذا قبلها وفهمها كلاً أو بعضاً ورضي بها، فعليه أن يتعلم اللغة العربية الجامعة بينه وبين إخوانه المسلمين كي يدرك بنفسه معاني القرآن ويجد لذة التدبر وينال أجره، وإلا فإن انكماشه في بلده واقتصاره على لغته وعدم تفاهمه مع أبناء دينه بُعدٌ عن غاية الإسلام، ومناقضٌ لدعائمه الأساسية التي هي الاجتماع والاتحاد في الصلوات الخمس في اليوم الواحد وفي الجمعة والعيد والحج.

ثم قال: فما دام التفسير بلغة أخرى غير ممنوع ومباح بل مطلوب، وما دام إفهام الدين وغايته بأي لغة كانت، فأبي لزوم للترجمة لولا أن وراء الأكمة ما وراءها، وعلى هذا فإن بإمكاننا أن نصرح ونقول: من المؤكد الذي لا امتراء فيه لدى المؤمن الحر المدرك أن مسألة ترجمة القرآن والقول بها لا يراد منه إلا هدم الدين الإسلامي من طريق التفرقة وتشتيت المجتمع، لأن اللغة العربية هي التي تجمع كلمة المسلمين في الأقطار كافة، إذ أن التفاهم لغة معينة مخصوصة أمر سهل وبسيط جداً، والعدول عن الوحدة إلى الكثرة دليل على سوء النية وفساد الطوية. ثم ختم البحث قائلاً:

وإني معتقد أنه لا يبحث في جواز الترجمة إلا زنديق ومارق وأحمق أرعن



مخدوعاً أو ماجوراً باع دينه بعوض من الدنيا زائل<sup>١</sup>.

وأما كتابة القرآن فهي ليست توقيفية /أي ليست من أمر الشارع/ لأن الخط العربي كان يُكتب بالكوفي ثم دخل على الحرف العربي التثقيب والتشكيل، ثم تنوعت الخطوط في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربه. ولإزالة الالتباس حول اختلاف رسم بعض الكلمات بالمصاحف عن المؤلف عمدت بعض المكتبات لطبع القرآن الكريم ووصفت بالهامش كتابة الكلمات بالشكل المتداول، مثل الصلاة والزكاة وغيرها والتي تكتب بالمصحف الصلوة.

رابعاً: لا يوجد كتاب في العالم كله يخلو من التناقض والاختلاف، إلا القرآن الكريم، لأنه من عند الله، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ - أي القرآن الكريم - لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء/ ٨٢).

وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء/ ٩).

وقال تعالى: {أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ يُرْسِلُ فِيهَا بِالْإِيمَانِ مَنْ يَشَاءُ} (البقرة/ ١ - ٢).  
وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا • قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنَ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} (الكهف/ ١ و ٢).

فمن رابع المستحيلات أن يوجد في القرآن تناقض لأشئ: {الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود/ ١).  
ولقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف/ ٥٢).

ولقوله تعالى: {كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (فصلت/ ٢).  
وإنك تجد في القرآن الكريم بعض الحوادث والقصص اقتضى الحال تكرارها وإعادة ذكرها مرات عديدة، وكان ذلك بتناسق تام ومعاني دقيقة وترتيب

حسن، كيف لا، والله يخاطب نبيه: {وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} (النحل/٦).

وأما ما ورد من نسخ لبعض الآيات، فهو بالحقيقة تدرج في الأحكام، وبعيد كل البعد عن التناقض، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل/١٠١-١٠٢).

خامساً: لو كان القرآن من عند محمد لما ذكر فيه أنه عبد الله ورسوله، أي أنه /حاشاه من ذلك/ لكان ادعى لنفسه مرتبة أعلى من مرتبة العبودية لله والرسالة، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يفخر أنه عبد الله، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} (الإسراء/١).

وقال تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (الإسراء/٩٣). ولكان لمحمد /تبعاً/ لادعائه مرتبة أعلى من البشر والعباد بالله تعالى /و/ لنسب لنفسه عدم الموت والخلود، لكن الآية الكريمة تقول لمحمد: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (الزمر/٣٠).

وقال تعالى خطاباً لنبيه الكريم: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} (الأنبياء/٣٤) وتأكيداً على أن القرآن هو من عند الله قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ \* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران/٧٩-٨٠). وفي هذه الآية الكريمة رد على اليهود والنصارى الذين جعلوا لله ولداً وعدوا للملائكة والنبيين.

ب - ولو كان القرآن من عند محمد لما ذكر عمّه أبا لهب باسمه وذكر امرأته بالتب واللعن في سورة كاملة من القرآن، تتلى من منات الملايين من البشر في كل بقاع العالم آناء الليل وأطراف النهار وإلى قيام الساعة. بسم الله الرحمن الرحيم {ثَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِذِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} (المسد/٥-١).

ج - ولما كان ذكر في القرآن احتجاجات الكافرين والمشركين وسواهم وتهجمهم المقذع على الله ورسوله، ولما كان أورد الأكاذيب والسب والشتم والذم بنفس الألفاظ التي وجهوها لرسوله الكريم فقد قالوا عنه - كاذب - ومفتر - وكاهن - وساحر ومُعَلَّم - ومجنون وغير ذلك من الصفات السيئة والألفاظ البذيئة، لكن القرآن الكريم ردَّ تهجمهم، وفنَّد أقوالهم، وأبطل مدعاهم، وكرَّم الله نبيه محمداً غاية التكريم، حتى أنه لا يطلق عليه إلا رسول الله ونبي الله، ولم يُسمَّه باسمه إلا في خمسة مواضع اقتضاها سياق الكلام، كما أنه قال لرسوله: {فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} (البقرة/١٤٤).

عندما غيرت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. وجعل وجود شخصه الكريم أمناً من العذاب، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (الأنفال/٣٣). وأقسم الله بعمره الشريف، قال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الحجر/٧٢).

وغير ذلك من الخصائص والمزايا التي منحها الله عزَّ وجلَّ لرسوله الكريم وأولها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (الأحزاب/٥٦).

ورفع ذكره فإذا ذكر الله ذكر رسوله الكريم، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (الشرح: ٤) اللهم صلِّ على

محمد وآل محمد صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت.

د- ولما ذكر القرآن آيات يدل ظاهرها / لمن لا يتدبر معانيها / أنها نسبت وقوع الخطأ من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مع أنها في حقيقتها ادعاء، مثل قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} (الفتح/٢).

أو تخيير، مثل قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} (التوبة/٨٠) أو أن الخطاب موجه إلى الرسول الكريم بينما المعني به المسلمون، على مبدأ (إياك أعني واسمعي يا جارة)، مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} (الطلاق/١) وغيرها من الآيات، ذلك لأن الله تبارك وتعالى تكرم على نبيه بالعصمة من الذنوب أو الخطأ أو النسيان، وهي من باب اللطف الإلهي، وليست على سبيل الإيجاب والإلزام، وإلا لما كان لرسوله فضل، فهو صلى الله عليه وآله وسلم كما وصفه الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} (النجم/٣-٥) فهو معصوم بكل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير (وهذه هي السُّنة) فجاء تعريفها ووصفها بكل، فلا تجزئة ولا استثناء (والمطلق يجري على إطلاقه ما لم يقيد) لذلك فإن قول بعض أصحاب المذاهب بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس معصوماً إلا بما يبلغ من الوحي، هو قول مردود بما ذكرنا، يضاف إلى ذلك أن هذه عقيدة النصاري بالأنبياء - كما فصل ذلك العلامة المرحوم رحمة الله الهندي في كتابه (إحقاق الحق). ولما كان الرسول الكريم معصوماً فإن كل مؤمن ومؤمنة ملزم ومأمور بطاعته، لقوله تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء/٨٠) وكل مسلم ومسلمة مأمور بمحبته محبة فعلية وهي (الاتباع) قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمران/٣١) وفي هذا رد على من يطعن بعصمة الرسول الكريم، أو من يقول أنه محب لمحمد وآل محمد محبة لسانية، إذ لو كانت محبته قلبية إيمانية لأنزلهم المنزلة التي أعطاهم الله إياها، ولرد

على الخوارج عقيدتهم الفاسدة، وهي إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكراهية أهل بيته الأطهار، وهذا معروف عنهم منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قويت شوكتهم في معركة (صفين) إلى أن كاد يفتنيهم السيف فاندسوا بصنفوف المسلمين وسيطروا على علم (الجرح والتعديل) وصاروا أئمتهم وأخذوا ببيت عقائدهم الفاسدة في بعض الأحاديث المغتراة على رسول الله بشكل هادئ وسري، حتى لا يشعر المسلمون بهم، وقد فصل ذلك والذي المرحوم العلامة السيد محمد سعيد العرفي في فصل (الجرح والتعديل) من كتابه (سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين، وفي مقدمته على كتاب (الروض النضير شرح المجموع الكبير) للقاضي شرف الدين السياغي الصنعاني. وأما ما ورد في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} (عبس/ ١- ٢) فإن المقصود بها رجل من بني أمية كان حاضراً في مجلس الرسول وهو الذي عبس بوجه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وأعرض عن سماع كلامه، وليس المقصود بها رسول الله الذي وصفه الله عز وجل بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم/ ٤).

فالعَبَسُ في مثل هذا المقام يتنافى مع الخلق العظيم، ويخالف وصف الرسول الكريم بقوله تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (آل عمران/ ١٥٩) ومخالف لقول الرسول الكريم: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي». وأما ما ورد من آيات عتاب حول أسرى غزوة (بدر)، فإن المعنى بها الصحابة، لأنهم أخذوا أسرى دون أن يطلب منهم ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو لم يأمرهم بأخذ الأسرى، حتى يوجه العتاب له، وإنما ذكر لهم صلى الله عليه وآله وسلم أن فلاناً وفلاناً قد خرجوا مكرهين فمن لقيهم فلا يقتلهم.

هـ- ولو كان القرآن من عند محمد، لما ذُكرت فيه الآية الكريمة التي تثبت أن

ليس لرسول الله أن يُغَيَّرَ أو يُبَدَّلَ في القرآن. قال تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَانٍ غَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ} (يونس/١٥).

ولما كان قد ذكرت فيه الآية الكريمة:

{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف/٢٠٣) أي أن اختيار واجتباء الآباء من الله عز وجل وليس من غيره.

ولما كان قد ذكرت فيه الآية الكريمة: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} (الحاقة/٤٤ - ٤٧).

والوتين: الشريان الأبهر.

وقد أسلفنا قوله تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} (يونس/١٦).

سادساً = لقد تكفل الله بحفظ القرآن، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر/٩).

فإن الكتب السماوية السابقة فقدت وطراً عليها التغيير والتبديل، فالتوراة الحقيقية فقدت ووضع اليهود تورا من عندهم، ومع ذلك فإنهم يعملون بالتلمود الذي وضعه لهم أحبارهم، لذلك وصفهم الله عز وجل بالمغضوب عليهم، والأنجيل التي اختصرها النصارى إلى أربعة، كتبت بعد السيد المسيح بمدة طويلة، وهي أقوال لبعض الرهبان لأن الإنجيل الحقيقي فقد، لذلك وصفهم الله عز وجل بالضالين، وأخبرنا الحق عز وجل عن هؤلاء بأنهم: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} (المائدة/١٣) وأنهم {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} (التوبة/ ٣١) وواقع الحال يدل على أن الله عزَّ وجلَّ قد حفظ كتابه العزيز، فإنه لا يوجد كتاب في الدنيا بأسرها مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرناً وهو محفوظ في المصاحف التي هي مستند الحفاظ، وفي صدور الحفاظ الذين هم مادة كتابة المصحف. غير القرآن الكريم، فإننا نجد مئات الملايين من نسخ القرآن الكريم تملأ الدنيا ومبذولة وميسرة لكل أحد، ونجد مئات الملايين من الرجال والنساء وحتى الأطفال يحفظون القرآن على صدورهم، ويقرأونه ويتلونونه في كل بقاع الدنيا آناء الليل وأطراف النهار في الجوامع والمساجد والمدارس والمكاتب والبيوت، وفي وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمقروءة والمرئية، ويتسابق مئات الألوف لحفظه وإتقان تجويده وصحة قراءته وترتيله في مشارق الأرض ومغاربها وحتى قيام الساعة، حيث بلغ عدد المسلمين الآن حوالي مليار ونصف المليار نسمة، كل ذلك دون أن يطرأ على القرآن تحريف أو تبديل أو تغيير، وإنما هو هو كما أنزله الله على نبيه الكريم، وهذا أكبر وأهم شاهد أكيد ودليل علمي وعملي وواقعي يثبت أن القرآن كتاب الله أنزله على رسوله الكريم.

ب - وقد تكفل الله بجمع القرآن، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: {لَا تَحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ لِنَعْلَمَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (القيامة/ ١٦ - ١٩) أي أن علينا جمعه في صدرك، فعن أحمد بن حنبل في (مسنده): (أن فاطمة عليها السلام قالت: إنه - أي رسول الله - أسر إليَّ فقال: «إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يِعَارِضُنِي الْقُرْآنَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَقِّ بَيْ» وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ \* فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ \* مَرْقُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ \* بِأَيْدِي سَفَرَةٍ \* كِرَامٍ بَرَرَةٍ} (عبس/ ١١ - ١٦). وقال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} (البروج/ ٢١ - ٢٢).

وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة/ ٧٧- ٨٠).  
وقال تعالى: {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً \* فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ} (البينة/ ٢- ٣).

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القرآن حسب النزول، وتوجد الآن بعض التفاسير مرتبة حسب النزول منها (بيان المعاني) للقاضي عبد القادر الملا حويش.  
وجُمع القرآن في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ورتب حسب طول السور، مع أن ترتيب السور (غير توقيفي) أي ليس من الشارع، لذلك تجد بعض طبعات المصاحف تذكر أن السورة الفلانية نزلت بعد السورة الفلانية، وذلك حفاظاً على الأمانة والدقة. وفي القسم الثاني من هذا البحث سنتابع الحديث عن جمع القرآن و موقع أهل البيت عليهم السلام منه.





## احكام الصلاة على محمد و آل محمد

### السيد حسين طالب

وقع الكلام بين الفقهاء رضوان الله عليهم في حكم الصلاة على محمد و آل محمد قليل : بوجوبها في العمر مرة و قيل : بوجوبها في كل مجلس مرة و قيل : بوجوبها كلما ذكره الانسان أو ذكر عنده و قد ذهب إلى القول الاخير الشيخ الصدوق و المقداد السيوري و الشيخ البحراني و المازندراني.

و لكن المتفق عليه وجوبها في التشهد من الصلاة اليومية و في صلاة الآيات و صلاة الأموات . و تستحب في الصلاة المستحبة.

و علاوة على الاحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب فإن أهل السنة ذكروا في كتبهم أحاديث كثيرة تدل على ذلك و من جملتها ما ورد عن عائشة انها قالت : سمعت رسول الله يقول : لا يقبل صلاة إلا بطهور و بالصلاة علي . فإذا ضممنا إلى هذا الحديث حديثه ص - لاتصلوا علي الصلاة البتراء - علمنا بوجوب اقتران ذكر أهل بيته عند الصلاة عليه - ص -

و من هنا اعتبر الشافعي وجوبها في الصلاة و نظم لذلك شعراً بقوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكسّم من لم يصل عليكم لا صلاة له

و من جملة ما روي ذلك الدارقطني في سننه ص ١٣٦ حيث روي عن أبي مسعود الانصاري أنه قال : قال رسوالله صلى عليه و آله و سلم: " من صلى

صلاة لم يصل فيها علي و علي أهل بيتي لم تقبل منه .

و كذا البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٧١ و القاضي عياض في الشفاء ج ٢ ص ٥٢ و الحضرمي في وسيلة المال ص ٧٢ عبد الرحمن السماوي في القول البديع ص ١٢٢٦

و أما مواضع الاستحباب فهي عديدة نذكرها تبعاً لما ذكره لافقهاء في رسائلهم العملية .

### الأول : كلما ذكر النبي (ص)

كلما ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو ذكر عنده - و لو في حال الصلاة الواجبة - من دون فرق بين ذكره باسمه الشريف - محمد و أحمد - أو لقبه - المصطفى الرسول ... أو كنيته أبي القاسم - أو بالضمير الراجع إليه .  
فعن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم " البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصل علي " .

و عنه صلى الله عليه و آله و سلم " أجفى الناس رجل ذكرت بين يديه فلم يصل علي " .

و عن الامام محمد الباقر عليه السلام " صل على النبي صلى الله عليه و آله و سلم كلما ذكرته أو ذكره ذاكراً في الأذان و غيره " .

و عن أبي بصير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : " من ذكرت عنده فمسي أن يصلي علي خطأ الله به طريق الجنة " .

تتعدد الصلاة عليه و علي آله عند تعدد ذكره فإن تعدد السبب يوجب تعدد المسبب حتى لو كان الانسان في التشهد من الصلاة و سمع اسمه (ص) فإنه يستحب له الصلاة عليه و علي آله أيضاً و لا يكتفي بالصلاة عليه التي هي جزء من التشهد .

## الثاني : عند الركوع و السجود :

فعن الامام محمد الباقر عليه السلام : "من قال في ركوعه و سجوده و قيامه : صلى الله على محمد و آله كتب له بمثل الركوع و السجود و القيام ".  
و عن عبد الله بن سنان قال : "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو في الصلاة المكتوبة إما راکعاً و إما ساجداً فيصلي عليه و هو على تلك الحال ؟ فقال : نعم إن الصلاة على نبي الله كهنية التكبير و التسبيح و هي عشر حسنات يبتدريها ثمانية عشر ملكاً أيهم يبلغها إياه ."

و المراد بقوله عليه السلام إن الصلاة على نبي الله كهنية التكبير و التسبيح أنها تجزىء في الركوع كما يجزأ التكبير و التسبيح

## الثالث : في القنوت :

فعن الامام جعفر الصادق عليها السلام و قد سئل عن القنوت فيه قول معلوم ؟ فأجاب عليه : " أثن على ربك و صل على نبيك و استغفر لذنبك "

## الرابع : عقيب الصلاة

عن الامام علي عليه أعطي السلام و السمع أربعة : النبي و الجنة و النار و الحور العين فإذا فرغ العبد من صلاته فليصلي على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ليسأل الله الجنة و ليستجر بالله من النار و يسأل الله أن يزوجه الحور العين فإنه من صلى على النبي رفعت دعوته و من سأل الله الجنة قالت الجنة يا رب اعط عبدي ما سأل و من استجار بالله من النار قالت النار : يا رب أجر عبدي مما استجارك منه و من سأل الحور العين قلن :

يارب أعط عبدك ما سأل .

و عنه عليه السلام : من قال في دبر صلاة الفجر و المغرب قبل أن يشي رجليه أو يكلم أحداً إن الله و ملائكته يصلون على النبي ﷺ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً اللهم صل على محمد و ذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا و ثلاثين في الآخرة .

#### الخامس : بعد صلاة الفجر :

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام : من قال بعد صلاة الفجر و بعد صلاة الظهر " اللهم صل على محمد و آل محمد و عجل فرجهم " لم يمت حتى يدرك القائم من آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه " قل بعد الفجر اللهم صل على محمد و آل محمد مائة مرة يقي الله به وجهك من حر جهنم " .

#### السادس : في سجدة الشكر :

عن موسى بن جعفر عليه السلام : قال تقول في سجدة الشكر :  
" اللهم إني أشهدك و أشهد ملائكتك و أنبيائك و رسلك و جميع خلقك أنك أنت الله ربي و الاسلام ديني و محمداً نبيي و علياً و الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و علي بن محمد و الحسن بن علي و الحجة بن الحسن أئمتي بهم أتولى و من أعدائهم اتبرأ اللهم إني أنشدك دم المظلوم - ثلاثاً - اللهم إني أنشدك بايوائك على نفسك لاعدائك لتهلكهم بأيدينا و أيدي المؤمنين ، اللهم إني أنشدك بايوائك لنفسك و لأوليائك لتظفرنهم بعدوك و عدوهم أن تصلي على محمد و علي المستحفظين من آل محمد - ثلاثاً - اللهم إني أسألك اليسر بعد العسر - ثلاثاً - ثم تضع خدك الايمن على الأرض و تقول : يا كهفي حين تعييني المذاهب ، و تضيق علي الأرض بما رحبت يساً

بارىء خلقي رحمة بي و كنت عن خلقي غنيا صل على محمد و آل محمد و على المستحفظين من آل محمد - ثلاثاً- ثم تضع خدك الايسر على الأرض و تقول : يا مذل كل جبار و يا معز كل ذليل قد وعزتك بلغ مجهودي فرج عني - ثلاثاً- ثم تعود إلى السجود و تقول مائة مرة : شكراً شكراً ثم تسأل حاجتك إن شاء الله .

### السابع : قبل النوم

عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد افترشت فراشي للنوم فقال : يا فاطمة لا تنامي إلا و عملت أربعة : ختمت القرآن و جعلت الانبياء شفعاك و أبديت المؤمنين عن نفسك ، و حجبت و اعتمرت قال هذا و أخذ في الصلاة فصبرت حتى أتم صلاته قلت : يا رسول الله أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال فتبسم صلى الله عليه و آله و سلم و قال إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنك ختمت القرآن و إذا صليت علي و على الانبياء قبلي كنا شفعاك يوم القيامة و اذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلهم عنك و إذا قلت : سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فقد حجبت و اعتمرت .

### الثامن عند الاستخارة

في كتاب مفاتيح الغيب للشيخ محمد باقر المجلسي ينقل عن والده عن الشيخ البهائي أنه قال : سمعنا من مشايخنا يداً بيد أنهم رووا عن صاحب الأمر عليه السلام في طريقة الاستخارة بالسبحة أنه " يصلي على محمد و آله ثلاث مرات، ثم يقبض السبحة و يعد اثنان اثنان فإن بقي فرد فهي جيدة و إذا بقي زوج فهي سيئة " و في جواب للسيد الخوئي رحمه الله عن سؤال : ما هو الذكر الصحيح عند الخيرة بالسبحة قال : ثلاث مرات الصلاة على النبي و آله

و في ختام هذه التوثيقات الشريفة حول أحكام الصلاة على محمد و آل محمد تجدر الإشارة إلى أن الحكمة من التأكيد عليها في جميع الاحوال كونها معبرة عن وعي الانسان المسلم لمبدأ التولي و التبري في حياته الرسالية التي لا معنى لها و لرساليته إلا بالا عتصام بجوهرة الولاية و عروتها الوثقى لترتبط الأمة - بالمثل العليا - في جميع شؤون حياتها و على هدي هذه الولاية تصوغ شخصيتها بصبغة الله على شاکلة المعصومين الاطهار فتعتلي شرف الشهادة على الناس بقيم الحق و الخير و الاستقامة لتأمر بالمعروف و تنهي عن المنكر دون ان تقطع ما أمر الله به أن يوصل من رباط الولاية الموصولة بولاية الله سبحانه بصريح قوله : " اتما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راکعون ' .



## الوحدة و التعددية في القرآن

الاستاذ زكي الميلاد

الذين قالوا بوجوب الوحدة و رفض التعددية ، استدلوا على ذلك من القرآن الكريم بآيات الأمة الواحدة ... و إن الاسلام بدعوة القرآن الحكيم كان يهدف إلى تأسيس أمة اسلامية واحدة متماسكة متألّفة لا نزاع فيها و لا خلاف ، و الإسلام و هو في طريقه إلى هذا الهدف قام بعملية سبق وقائي بامتصاص و تطهير الأمة من كل أسباب التفرقة و الخلاف ، و في جانب البناء الايجابي اشبع الأمة بالقيم و المبادئ التي ترسخ دعائم الوحدة فكراً و نفسياً ، فرياً و اجتماعياً ...

و هذه الدعوة تبلورت في صورتها النموذجية في المجتمع الاسلامي في صدر الاسلام على عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم .  
و آيات الوحدة و الأمة الواحدة على عنوانين :

- ١- عنوان البناء الايجابي في دعوة القرآن الحكيم إلى الأمة الواحدة .
  - ٢- عنوان الهدم السلبي في دعوة القرآن الحكيم إلى نبذ التفرقة و النزاع .
- نتوقف أولاً عند آيات العنوان الأول ، و هي تتوزع إلى ثلاث مجموعات .  
المجموعة الاولى : تقرر إن أصل المجتمع الانساني في تكوينه الاول كان أمة واحدة

المجموعة الثانية : تقرر دعوة الامة الواحدة  
المجموعة الثالثة : تقرر حكمة الله سبحانه و تعالى في شرعية الاختلاف داخل المجتمع الانساني

آيات المجموعة الاولى :

قال الله سبحانه و تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و

منفريين ﴾ (١)

﴿ و ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا و لولا كلمة سبقت من ربك لقضي

بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ (٢) .

يتفق المفسرون تقريباً على أن المجتمع الانساني مرت عليه مرحلة في بدايات

تكوينه كان أمة واحدة من حيث الفطرة و البساطة ... و غن هذه الآية قال

العلامة السيد ' محمد حسين الطباطبائي ' ( ظاهر الآية يدل على أن هذا النوع

قد مر عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتحاد و الاتفاق ، و السذاجة ، و

البساطة ، لا اختلاف بينهم بالمشاجرة و المدافعة في أمور الحياة و لا اختلاف

في المذاهب و الآراء ) (٣) .

و في نظر السيد محمد باقر الصدر ( أن الناس كانوا أمة واحدة في مرحلة

تسودها الفطرة و توحد بينها تصورات بدائية للحياة و هموم محددة و حاجات

بسيطة ) (٤).

و يذهب " سيد قطب " ( كان الناس أمة واحدة ، على نهج واحد ، و تصور

واحد ، و قد تكون هذه إشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من

أسرة آدم و حواء ، و ذريتهم ، قبل اختلاف التصورات و الاعتقادات .

فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد ) (٥) .

و في رواية ينقلها صاحب ' مجمع البيان ' عن الامام الباقر عليه السلام قال :

' كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين و لا ضالين ، فبعث الله

النبيين ' (٦)

و من دلائل هذه الآيات كما يستنتج " سيد قطب " ( قد شاء الله أن يجعل البشر

جميعاً نتاج أسرة واحدة صغيرة ، ليقدر مبدأ الأسرة في حياتهم ، و يجعلها



## اللبنة الأولى ( ٧ )

و الحقيقة أن هذه الآيات تتضمن فكرة على درجة كبيرة من الأهمية للبشرية جمعاء التي تمزقها اليوم الحروب و النزاعات و الأحقاد العرقية و القومية و الطائفية ... في حين أن هذه البشرية من أصل أمة واحدة ، هذا هو الوعي الذي ينبغي أن يتنامى كمثل أخلاقي و إنساني في عالم اليوم ...

آيات المجموعة الثانية التي تقرر الأمة الواحدة :

قال الله العظيم : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون ﴾ (٨)

﴿ و إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاتقون ﴾ (٩)

تفسير هذه الآية عن " صاحب الميزان " يقول : ( الأمة جماعة يجمعها مقصد واحد ، و الخطاب في الآية على ما يشهد به سياق الآيات ، خطاب عام يشمل جميع الأفراد المكلفين من الانسان ، و المراد بالأمة النوع الانساني الذي هو نوع واحد ، و تأنيث الإشارة في قوله ﴿ هذه أمتكم ﴾ لتأنيث الخبر .

و المعنى : أن هذا النوع الانساني أمتكم معشر البشر و هي أمة واحدة و أنا الله الواحد - عز اسمه - ربكم إذ ملكتكم و دبّرت أمركم فاعبدوني لا غير .

و في قوله ﴿ أمة واحدة ﴾ اشار إلى حجة الخطاب بالعبادة لله سبحانه ، فإن النوع الانساني لما كان نوعاً واحداً ، و أمة واحدة ذات مقصد واحد و هو سعادة الحياة الانسانية لم يكن له إلا رب واحد ... و الانسان حقيقة نوعية واحدة ، و النظام الجاري في تدبير أمره نظام واحد متصل مرتبط بعض أجزائه ببعض ( ١٠ ) . و في نظر " سيد قطب " ( أن هذه أمتكم أمة الانبياء أمة واحدة ، تدّين بعقيدة واحدة ، و تهج نهجاً واحداً هو الاتجاه إلى الله نون سواه أمة واحدة في الأرض ، و رب واحد في السماء ، لا إله غيره و لا معبود إلا هو . أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالارادة الواحدة في الارض

و السماء ( ١١ )

و بتخريج هذه الآيات عن اختصاصها بالأمة الإسلامية - كما في التفسيرين المذكورين - و بالدلالة المباشرة على توجيه الخطاب لوحدة المجتمع الإسلامي، و انصرافها لما يشمل ' النوع الإنساني ' - كما في رأي السيد الطباطبائي - أو " أمة الأنبياء " - كما في رأي سيد قطب - ، فإن الاستفادة منها هو الأدلة العامة و ليس الأدلة الخاصة بالمجتمع الإسلامي ..

و الأدلة العامة يستفاد منها أن المجتمع الإنساني أمة واحدة لا يجوز أن تفرقه و تنقسمه النعرات العرقية أو القومية أو الطائفية أو أي عنوان آخر ... و وحدة المجتمع الإنساني من وحدة الرب و الإله الخالق ..

و هذا الرأي بالطبع لا يلغي ما يستفاد من هذه الآيات في مسألة الوحدة في المجتمع الإسلامي لأنه جزء من المجتمع الإنساني ، إلا أن هذه الاستفادة لا تقابل التعددية و لا تأتي في سياق النفي لها ..

الآيات التي تقرر حكمة الله سبحانه تعالى في الاختلاف :

فقد قال الله العظيم : ﴿ و ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا و لولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ (١٢) .

﴿ و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين ﴾ (١٣) .

و عن هذه الآية الأخيرة قال " سيد قطب " : ( لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد ، و باستعداد واحد ... نسخاً متكررة لا تفاوت بينها و لا تنويع فيها . و هذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض و ليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض .

و لقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق و اتجاهاته ، و أن يوهب القدرة على حرية الاتجاه ، و أن يختار هو طريقه ، و يحمل تبعه الاختيار ، و يجازي على اختياره للهدى أو للضلال ) (١٤)

و قال عنها العلامة " الطباطبائي " ( الاختلاف و يقابله الاتفاق من الأمور التي لا يرتضيها الطبع السليم لما فيه من تشتيت القوى و تضعيفها و آثار أخرى غير محمودة نزاع و مشاجرة و جدال و قتال و شقاق كل ذلك يذهب بالأمن و السلام غير أن نوعاً منه لا مناص منه في العالم الانساني و هو الاختلاف من حيث الطبائع المنتهية إلى اختلاف البنى فإن التركيبات مختلفة في الافراد و هو يؤدي إلى اختلاف الاجواء و الظروف و هو يؤدي إلى اختلاف الاستعدادات البدنية و الروحية و بانضمام اختلاف الاجواء و الظروف إلى ذلك يظهر اختلاف السلائق و السنن و الآداب و المقاصد و الأعمال النوعية و الشخصية في المجتمعات الإنسانية ، و قد أوضحت الأبحاث الاجتماعية أن لولا ذلك لم يعيش المجتمع الانساني و لا طرفة عين (١٥) .

و الجمع بين هذه الآيات التي بعضها ناظر إلى الوحدة و بعضها ناظر إلى الاختلاف يفيدنا الحقائق التالية :

- ١- إن الاختلاف الذي هو سنة حياتية في الاجتماع الانساني ليس نقيضاً و لا معارضاً للوحدة في مفهومها العام " وحدة النوع الانساني " لأن هذا النمط من الاختلاف هو وسيلة للتوافق و الاجتماع و ليس أداة للفرقة و الخلاف .
- ٢- إن الاختلاف علة نوعين : اختلاف جائز و اختلاف ممنوع ، الاختلاف الجائز سنة في الاجتماع الانساني ... و الاختلاف الممنوع هو الاختلاف في الدين ...

و عن هذين النوعين من الاختلاف يقول العلامة " الطباطبائي " ( فالاختلاف اختلافان : اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم و غريزتهم ، و اختلاف في أمر الدنيا و هو فطري و سبب لتشريع الدين ، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه ) (١٦) .

- ٣- إن الاختلاف الذي يضر بالوحدة و يفتتها هو الاختلاف في أمر الدين الذي

يفتت الوحدة الفكرية و يهدم البنية الثقافية و الهوية الفلسفية ، و هو الذي يضر بالوحدة و يلحق بالمجتمع الأضرار و الكوارث .

لأن الوحدة الفكرية في الأصول هي أعظم و أعمق ما يوحد المجتمع و يربطه ببعض فإذا انفرطت العقد الفكرية يكاد المجتمع ينفرط ب كله و برمته ..

٤- الاختلاف الذي جاء في سياق الوحدة لعله يؤكد فكرة الاختلاف في إطار الوحدة فهذه هي القاعدة " فلا وحدة بلا اختلاف و لا اختلاف بلا وحدة " لأن الوحدة بلا اختلاف غير ممكنة و لا مثمرة ، و الاختلاف بلا وحدة تشتت و تمزق ، و كما يقول الدكتور حسن حنفي : ( الوحدة بلا تنوع فراغ و تجريد و موت ، و التنوع بلا وحدة تشتت و تضارب و تفتت و ضياع ) (١٧) .  
و الاختلاف هو أصل قاعدة التعددية و مصدر مشروعيتها ..

#### الآيات التي تقرر رفض الاختلاف :

الجانب الآخر في الاستدلال على وجوب الوحدة و رفض التعددية ، هو مجموع الآيات التي جاءت في سياق نقض و رفض الاختلاف و التفرق ، على قاعدة أن التعددية هي عنوان للاختلاف و التفرقة كما في رأي هذا الاتجاه ..  
و كما يقول الاستاذ " فتحي يكن " : ( الاصل الحض على الوحدة و النهي عن الاختلاف ... و الاصل التزام جماعة لا جماعات ... ) (١٨) .  
و هذه الآيات :

﴿ و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (١٩)

﴿ و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات و أولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (٢٠) .

﴿ و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ (٢١)

﴿ إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم

ينباههم بما كانوا يفعلون ﴾ (٢٢)

﴿ ومن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٢٣)

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به

إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما

تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . و ما تفرقوا إلا من

بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى

لقضى بينهم ﴾ (٢٤).

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله

مع الصابرين ﴾ (٢٥) .

هذه الآيات كما في دلالاتها الظاهرة ناظرة إلى منع و تحذير الاختلاف في

الدين و التفرقة فيه و الاعتصام بحبل الله ... و أن من صفات المشركين

الاختلاف في الدين حسب أهوائهم و مصالحهم ( و من هنا يظهر أن النهي عن

تفرق الكلمة في الدين نهى في الحقيقة عن بناء الدين على أساس الهوى دون

العقل . و في الآية ذم للمشركين بما عندهم من صفة التفرق في الكلمة و

التحزب في الدين ) (٢٦).

و الاختلاف في الدين هو الاختلاف في الأصول و هذا ممنوع في الشريعة

الاسلامية و أن المذاهب التي اختلفت في الأصول المتفق عليها و التي هي

عماد الشريعة الاسلامية و أركانها فقد نظر لها الفقهاء ببطلان اعتقاداتها و

خروجها عن الاسلام ..

أما الاختلاف في الفروع فقد أجازاه الفقهاء على المذاهب المختلفة تحت عنوان

الاجتهاد في الشريعة الاسلامية و الذي هو اختصاص اهل العلم و لمرتبة خاصة بين العلماء في إطار من الضوابط و القواعد الصارمة شرعية و عقلية. كما أن هذه الآيات جاءت لتأكيد وحدة الدين و الإشارة إلى الدين الاسلامي الذي هو خاتمة الديانات السماوية من أن يتعرض للإختلاف و التفرقة كما حصل لبعض الديانات السابقة ..

و التعددية التي نقصدها هي التعددية السياسية و الاقتصادية و الاعلامية و الاجتماعية و الحزبية في إطار وحدة الدين و ليست التعددية الاعتقادية ، أو التعددية في الدين ، و إنما التعددية في دائرة الالتزام الكامل بالاسلام اعتقاداً و منهجاً و سلوكاً ...

و لعل هذه الآيات تنطبق على الأحزاب و الجماعات التي تعارض أصول الدين و هي الأحزاب الماركسية و العلمانية المتطرفة التي تختلف في الدين و تفرقه. و التعددية في الدائرة الاسلامية يشترط فيها أن لا تتحول إلى نزاع و تناحر فيما بينها و أن وحدة الأمة قيمة عليا فوق التعددية ... و متى ما أضرت التعددية بوحدة الأمة و كانت سبباً للنوضى و الاضطراب الاجتماعي و جب منعها ، و هذا المنع محكوم بذلك الطرف و الموضوع و ليس حكماً سارياً على كل الظروف و الأوضاع ...

فنحن مع التعددية بشرط عدم الاضرار بوحدة الأمة .. و كقاعدة عامة يفترض أن التعددية لا تضر بوحدة الأمة .. و متى ما أضرت فحكمها حكم ذلك الموضوع بخصوصياته و ملابساته فهو حكم جزئي نسبي لا حكم كلي مطلق . و يعالج هذه القضية العلامة الشيخ ' محمد مهدي شمس الدين ' بقوله : الوحدة الداخلية للمجتمع السياسي الاسلامي بل للأمة الاسلامية ، ليست واجباً سياسياً أو ضرورة سياسية فقط ، و إنما هي واجب شرعي إلهي عظيم و مقدس يعتبر الإخلال به جريمة عظيمة و كبيرة من الكبائر . و يعلو واجب

الوحدة فوق جميع المصالح الفردية و الفئوية ، و لا يجوز لأحد انتهاكه إلا في حالة واحدة فقط ، و هي أن يؤدي السكوت عن الاحتجاج إلى تهديد الاسلام نفسه ، و بعد ذلك استنفاد جميع الوسائل الممكنة في تصحيح الأوضاع و فشل جميع المحاولات ...

و هذا التشريع الذي يجعل من تحقيق الوحدة و صيانتها واجباً من أعظم الواجبات السياسية على المسلم و على الأمة ، يطرح مسألة مشروعية و عدم مشروعية التحالفات بين الجماعات داخل الأمة . فإن الوحدة وجدت باعتناق العقيدة و تطبيق الشريعة و الانتماء إلى " الجماعة " ، و أي تحالف داخلي لانشاء ' وحدة صغرى ' داخل الأمة قد يكون عامل تفتيت للوحدة العامة ، وحدة الامة ، لأنه لا بد أن يكون موجهاً ضد فريق آخر في الأمة أو ضد " الجماعة " لهذا ذهب البعض من الفقهاء إلى تحريم التحالف في الاسلام و استندوا في ذلك إلى حديث ادعى البعض تواتره ورد فيه النهي عن التحالف في الاسلام و هو ما رواه ' احمد ' فس مسنده عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : " لا حلف في الاسلام ، و أيما حلف كان في الجاهلية لم يزد به الاسلام إلا شدة " (٢٧)

و هذا الامر يثير مسألة مشروعية تكوين الاحزاب و تأليف الجبهات السياسية من أحزاب عدة ، في مقابل حزب أو جبهة أحزاب سياسية أخرى . و الحق أن ينظر إلى المسألة من زاوية مضمون التحالف و هدفه ، فإن كان يعرض الوحدة المتعينة للأمة للتصدع بحيث يؤدي إلى الحرب بين المتحالفين ، و من تكون الحلف ضدهم ، فيمكن القول بحرمة التحالف في هذه الحالة . إلا إذا كان التحالف في مواجهة اتجاه كافر تساق إليه الأمة أو اتجاه متستر بالاسلام و يتضمن هدماً للإسلام .

و إن كان التحالف مبنياً على اجتهاد في مسائل السياسة و التنمية و الاجتماع

داخل التوجه العام للأمة أو للمجتمع السياسي ، بحيث يكون من مقولة التنوع في إطار الوحدة ' الاختلاف ' : و لا يكون - كالحالة الاولى - من مقولة التضاد وأو التناقض فالظاهر مشروعيته (٢٨).

و القرآن الحكيم تحدث عن بعض ظواهر التشكيلات الاجتماعية داخل الأمة ، دون أن يكون ذلك سبباً للفرقة و التصدع الاجتماعي ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢٨) .

قال الراغب الاصفهاني ( الشعب : القبيلة المتشعبة من حي واحد ، و جمعة : شعوب ، قال تعالى : ﴿ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾ و الشعب من الوادي : ما اجتمع منه طرف و تفرق طرف فإذا نظرت إليه من الجانب الذي تفرق أخذت في وهمك واحداً يتفرق ، و إذا نظرت من جانب الاجتماع أخذت في وهمك اثنين اجتماعاً ، فلذلك قيل شعبت الشيء : إذا جمعته ، و شعبته إذا فرقته (٢٩)

( و القبائل جمع قبيلة و هي دون الشعب كتميم من مضر ) (٣٠)

و من هذه الآية نستدل على جواز التشكيلات الاجتماعية التي هي حقيقة واقعية في أية أمة ...

و ضم هذه الآية بالآيات التي جاءت حول الأمة الواحدة نتوصل إلى التعددية الاجتماعية في إطار الأمة الواحدة .. و أن نظام الشعوب و القبائل داخل الأمة لا يعني تجزئة و تفنيت و تقسيم الأمة الواحدة ...

و كذلك التكتلات و الجماعات الاجتماعية و السياسية داخل الأمة لا يعني أنها تجزىء و تفنت وحدة الأمة ...

و متى ما كانت سبباً للتجزئة و الانقسام وجب منع و حظر العمل على تلك الجماعات ...

و كلمة ' الناس ' في الآية تفيد أن ظاهر التشكيلات الاجتماعية سنة اجتماعية



في حياة البشر عند كل الامم بغض النظر عن أفكارها و عقائدها ..  
و ' التعرف ' هو شرط التعايش و التفاهم السلمي ...  
و قيمة التفاضل العليا عند الله سبحانه و تعالى هي " التقوى "  
و عن علاقة التعارف بالتقوى ، أن التقوى هي التي تجذر التعارف بالاخلاقيات  
الفاضلة ..

و من الآيات التي دلت على التعددية - كما في رأي - الدكتور عبد العزيز  
الخياط قوله تعالى ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين و لكل وجهة هو  
موليها فاستبقوا الخيرات ﴾ (٣١) ( دلت هذه الآية الكريمة على أن الاسلام  
يبيح التعددية في إطار الحق الذي بينه الله مما لا يداخل الانسان فيه شك أو  
تردد في بيان الحق هذا و التمسك به لأي كان من أي ملة أو جماعة من  
المسلمين أو غيرهم فإباحة التعددية مستمدة من قوله تعالى { و لكل وجهة هو  
موليها } لكن هذه الوجهة تكون في إطار الايمان بالله و ما جاء به من الحق و  
لذلك حددها بقوله ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ أي تسابقوا في عمل الخير و تقديم ما  
يصلح بلكم و أهلكم ) (٣٢).

و من الآيات التي يفهم منها مشروعية التعددية قوله تعالى : { لكل جعلنا منكم  
شريعة و منهاجاً و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن لئيلوكم فيما أتاكم  
فاستبقوا الخيرات } (٣٣).

من المفيد تجزئة هذه الآية لتحليل مداليلها و من ثم النظر بلحاظ التركيب ... {  
لكل جعلنا منكم { المخاطب هنا هو الجماعة و ليس الفرد ..

{ شريعة و منهاج { فكرة و منهج لتطبيق الفكرة .

﴿ و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ حكمة الله اقتضت أن تكون الامة  
الواحدة متعددة .

﴿ و لكن لئيلوكم فيما أتاكم ﴾ فلسفة التعدد و الاختلاف هو الابتلاء .

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ الابتلاء و الاختلاف ينبغي أن يوجه لاستباق الخيرات.  
 ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ مهما تعددت المسارات و الاجتهادات إلا أن  
 المصير و المرجع واحد إلى الله جل شأنه .  
 ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ عند الله علم الحق الذي لا اختلاف و لا  
 تعدد فيه . من حقائق هذه الآية " و هنا النظر بالتركيب " :

١- أن كل جماعة بحاجة إلى شرعة فكرية و منهاج عمل ، و بلاغة تقديم  
 الشرعة على المنهاج إن تحديد و رسم الفكرة يسبق العمل ، و إن العمل إنما  
 يتبلور و يتحدد على ضوء الفكرة .

٢- إن التعددية و الاختلاف سنة في الاجتماع الانساني . و هذه التعددية و هذا  
 الاختلاف ينبغي أن يقوم على أساس الفكرة و المنهاج ، لا على أساس  
 المصالح و الأهواء الشخصية أو العرقية أو الطائفية و ما أشبه .

٣- إن العلاقة التي يجب أن تحكم هذه الجماعات هو البناء و ليس الهدم ، و  
 المبادرة إلى عمل الخير ، و التنافس على استباق الخيرات ، و هذا هو دلالة  
 ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ .

٤- إن كل جماعة إنما تجتهد في معرفة الحق الذي علمه عند الله ... و سبق  
 أن تحدثنا عن المسألة الأصولية حول أن الحق من حيث ذاته و طبيعته واحد لا  
 يتعدد كما في علم الله ، و من حيث وجوده الخارجي متعدد كما في اجتهاد  
 المجتهدين ... ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ .

و الحقائق التي نتوصل إليها من هذه التأملات :

١- أن التعددية ليست نقيضاً و لا معارضة للوحدة ، و متى ما كانت كذلك  
 فيجب رفضها ... و التعددية التي نريدها هي التي تساهم في بناء الوحدة و  
 تتكامل معها ...

٢- من حيث الأصل و المبدأ نحن نريد الوحدة ، و في نفس الوقت لا نعارض

التعددية لأن لا تناقض بينهما كما يفترض ، و حتى التعددية إنما نفضلها في إطار الوحدة ..

٣- التعددية كما نفهمها ليست بتلك الصعوبة و التعقيد و الخطورة التي نخاف عليها من الوحدة ، إن على صعيد العمل الاسلامي و الحركة الاسلامية ، وإن على صعيد المجتمع و الأمة ..

٤- نحن نتطلع من التعددية أن تكون حافزاً قوياً لاستباق الخيرات ، و التنافس على عمل الخير كما و نوعاً .. لا أن تكون معول هدم و تنازع و إشاعة السلبيات ...

## الهوامش

- ١- سورة البقرة الآية ٢١٣
- ٢- سورة يونس الآية ١٩
- ٣- الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي
- ٤- الاسلام يقود الحياة : السيد محمد باقر الصدر طهران : وزارة الارشاد الاسلامي
- ٥- في ظلال القرآن سيد قطب مصدر سابق ج ١ ص ٣١٢
- ٦- مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي
- ٧- في ظلال القرآن : المصدر نفسه
- ٨- سورة الانبياء الآية ٩٢
- ٩- سورة المؤمنون الآية ٥٢
- ١٠- الميزان في تفسير القرآن : المصدر نفسه
- ١١- في ظلال القرآن الجزء الخامس
- ١٢- سورة يونس الآية ١٩
- ١٣- سورة هود الآية ١١٨
- ١٤- في ظلال القرآن الجزء الرابع
- ١٥- الميزان في تفسير القرآن الجزء ١١
- ١٦- المصدر نفسه الجزء الثاني

١٧- اللواء ( الاردن ) السنة الحادية و العشرون العدد ١٠١٤ الصفحة ١٧

١٨- ابجديات التصور الحركي للعمل الاسلامي : فتحي يكن ص ٧٤

١٩- سورة آل عمران الآية ١٠٣

٢٠- سورة آل عمران الآية ١٠٥

٢١- سورة الانعام الآية ١٥٣

٢٢- سورة الانعام الآية ١٥٩

٢٣- سورة الروم الآية ٣٢

٢٤- سورة الثورى الآية ١٣-١٤

٢٥- سورة الانفال الآية ٤٦

٢٦- الميزان في تفسير القرآن الجزء ١٦ ص ١٨٢

٢٧- مسند احمد ١٩٣/١ سيرة ابن هشام ١٥٤/١

٢٨- في الاجتماع السياسي الاسلامي : الشيخ محمد مهدي شمس الدين

٢٩- سورة الحجرات الآية ١٣

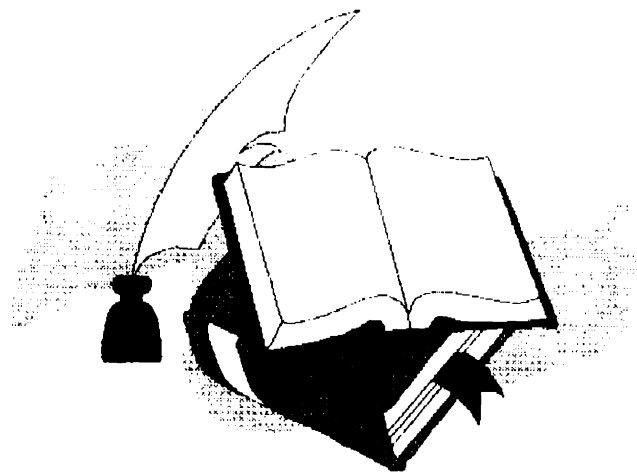
٣٠- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني ص ٤٥٥

٣١- الميزان في تفسير القرآن الجزء ١٨


٣٢- سورة البقرة الآية ١٤٨

٣٣- اللواء العدد ١٠١٦ ص ٨

٣٤- سورة المائدة الآية ٤٨



## الرسالة الاولى من كبير هلمنسكي (فرمونت ) الى الدكتور اسعد علي



عزيزي الدكتور علي

نحن نبعث محبتنا و صلواتنا : إليك و إلى أمك ، و إلى أولئك الذين قدمتهم لنا.  
نحن نشعر أنك قريب و في قلوبنا .  
الوقت الذي قضيناه معاً : نبع من التجدد و العمق ، و نحن نتابع استلهم  
حضورك السعيد ، حتى هنا في فيرمونت  
قضينا حديثاً ، ثلاثة أيام مجتمعين مع خمسة عشر شخصاً من أصدقائنا  
الروحيين ... و قد صلينا بطرق مختلفة ، ذاكرين أسماء الله الحسنى ، مغنين  
أغاني مقدسة ، و دائرين على نواتنا ( بمثل الرياضة المولوية الشهيرة )  
ممارسين بعض التمثيل الصامت ... قرأنا م جلال الدين الرومي ... و قرأنا  
من القرآن ... و قرأنا من ( سعادة بلا موت ) .. حيوية جميلة متدفقة فينا  
فزادت استقبال الروح للطاقة المنشطة ..  
أنا اعتقد أن الانسجام الأعظم الذي مارسه الجميع : ليس إلا نتيجة لبعض  
تجاربنا الروحية معك في دمشق ، و قد استطعنا مشاركة أصدقائنا بتذوق تلك  
التجربة ..

ربما أخبرك الدكتور نديم عن خططنا للسياحة في العام المقبل .. نحن نأمل أن  
نتم مقدراً من العمل قبل بدء رحلتنا ، و لكننا سنعمل بعض الإعداد و الكتابة

منه أينما كنا ..

سنغادر فيرمونت حوالي التاسع عشر من تشرين الأول .. و نتوقع أن نصل إلى تركيا في وقت ما من آذار .. ونرغب بزيارة قصيرة لسورية ..  
و نحن نريد أن ندعوك إلى الولايات المتحدة الامريكية قبل هذه الرحلة ... و أنا ما أزال أحاول ، بدون نجاح ، لأتصل بالدكتور عبد العزيز السعيد هاتفياً ، لأناقش معه هذه الاحتمالات .. و قد كتبت له رسالة قبل ثلاثة أسابيع ، لكنني لم أحظ بمكالمة الهاتفية ، و هذا هو السبب في تأخير ارسال هذه الرسالة ..  
و اخيراً قررت إرسال الرسالة على أية حال ، و لكنني سأحاول الاتصال به غداً ..

نحن نعتقد أنك تعرف قناعتنا بقرارك ، فيما إذا أردت القيام بهذه الزيارة للولايات المتحدة و نرجو أن تعرف أننا جاهزون لترتيب هذه الرحلة بأية حال .. متى استطعت المجيء إلى فيرمونت فإن صديقنا سمير عبد ربه ، سيكون قادراً على مساعدتنا بالترجمة و مجموعتنا هنا في فيرمونت تزداد في السنوات الثلاث عشرة الاخيرة ... و كثيرون من الشعب العاطفي الراقى سيقفزون إلى المركبة الفضائية - أو الارجوحة الاستعلائية - ليشاركوا في المحادثة الروحية من النوع الذي تستطيع تقديمه عادة ..

كاميل و أنا : قمنا ببعض العمل على كتابكم ( سعادة بلا موت ) .. و قد دقت على الآلة الكاتبة القسم الأول ، لكنني قمت ببعض التغيير .. ثم ناقشنا بعضه أكثر ... و أخيراً أتينا إلى الترتيب ، و قريباً جداً سنبحث إليك نتائج عملنا ..  
و كما أخبرت الدكتور نديم : نحن أيضاً نحتاج موجزاً عن السيرة الذاتية ، يتضمن بعضاً من الملاحظات حول حياتك ، و مؤلفاتك .. الخ .. صفحة أو أكثر ..

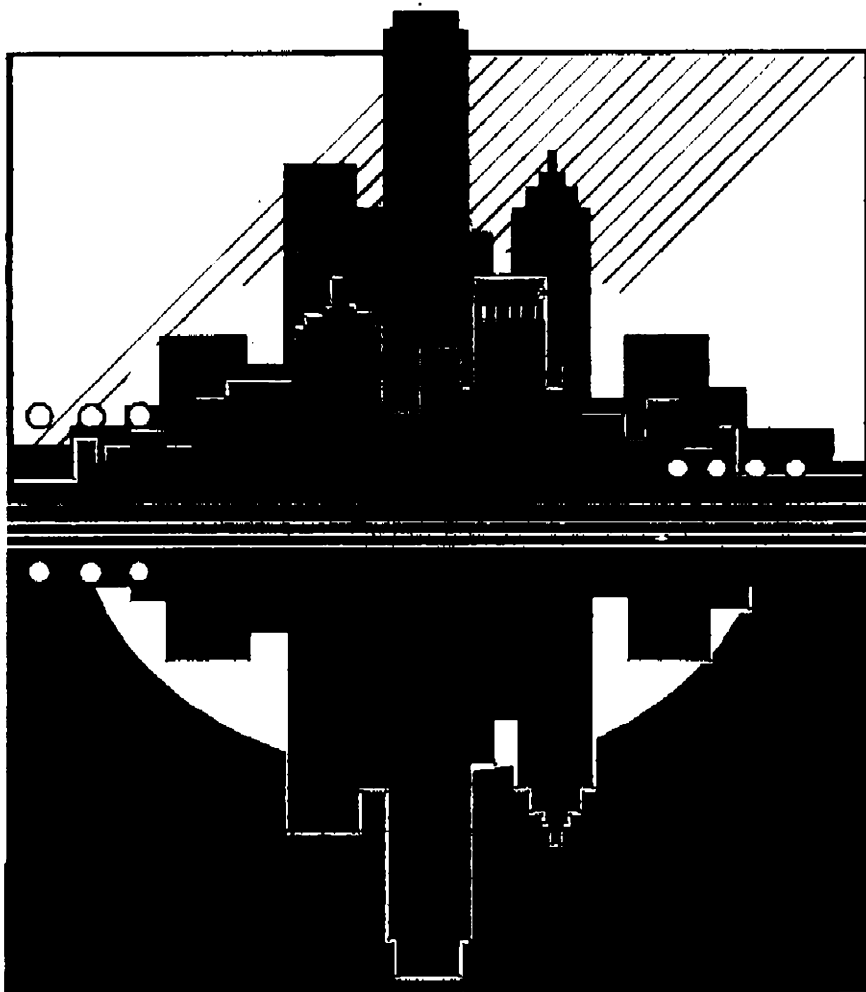
و أيضاً نحتاج اسم السيد الكريم الذي أسس الخطوة الأولى للترجمة ..

قريباً سأكتب لكم ثانية .

و كل الحب

كبير

تموز ١٦/١٩٩٠



## ملحق من التطبيق العملي شبه ميثاق لترجمة القرآن (سان فرانسيسكو)

عزيزي الدكتور علي

قلوبنا و دعواتنا معك دائماً .

لقد أمضينا عدة أيام في هاواي و الحياة ، هناك : جميلة جداً ، بعد شهر كامل من التحضيرات الشاقة .. فالشمس و الروح الإيجابية : تشفيان في هذه الجزيرة، بإذن الله و حسن حمده ...

لقد أنهينا الثلث الأخير من كتابكم ( سعادة بلا موت ) .. و مع ذلك لا يمكننا القول : أننا أنهيناه تماماً ... إنما يمكننا أن نرسل عملنا إليكم للنظر و المراجعة.

مؤخراً ، في سان فرانسيسكو كنا في أمسية رائعة مع بعض الاصدقاء الذين قرأوا أناشيد من كتاب ( سعادة بلا موت ) باللغتين العربية و الانجليزية .. و من الحاضرين كان :

- ١- الدكتور الآن غودلاس - الذي قابلك - فهو تلميذ في الاسلام و صوفي
- ٢- زوجته سلفي التي ساعدت في إعداد القبب التي ستضاف إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة
- ٣- سام غولد برغر : صديق صوفي للدكتور عبد العزيز السعيد ... و مستشار موجه في مجال البيئة .
- ٤- ميشيل وولف : الذي لديه كتاب عن تجربته في الاسلام و الحج ، قيد الطبع



كل منهم كان مسروراً ، لأن الكتاب يتقدم باستمرار ، و كل واحد منهم عرض مساعدته لانجاز الكتاب بعدة طرق .

فالدكتور غودلاس : اقترح أن تكتب مقارنة تقابل بين هذه الاناشيد و الشعر الحديث ، لأنه يعتقد بأنها أفضل من أي شعر عربي حديث قد قرأه ..

و أنا بدوري ، قد طلبت مساعدته في تدقيق ترجمتنا ، و قد أبدى رأيه من المقارنة الأولى بين الترجمة الانكليزية التي وضعها الدكتور ابراهيم الشهابي و بين ترجمتنا التي وضعناها كاميل و أنا بأسلوب أمريكي فقال: إن الترجمة الامريكية أقرب ، غالباً ، إلى نصوصك العربية الأصلية ...

لقد أخذنا بعين الاعتبار : احتمال ضم النص العربي .. و نشعر بصعوبة ضم النصوص العربية جميعها ، لأسباب عدة هي :

١- يزداد حجم الكتاب

٢- تصعب موازنة المسافات بين حجم السطر الانكليزي و نظيره العربي ، فقد يكون لدينا ثلاثون سطرأ في الصفحة الانكليزية ، بينما يسمح خطك بخمسة عشر سطرأ

٣- نتوقع من سيقرأون هذا الكتاب و يشترونه : لا يعرفون اللغة العربية .. و لسوء الحظ : فإن العرب المسلمين في أمريكا : ليسوا من القراء الجديين ، أو من الأشخاص الذين يقتنون هذه الكتب ، و خاصة عندما تأتي إلى الأدب الروحي ..

و نحن نود أن نضمن الكتاب - على الأقل - قصيدة واحدة باللغة العربية ، أو أكثر ، إذا كان بالامكان ، ليتذوق ذلك من يقرأ اللغة العربية ..

و لدينا فكرة اخرى ، و هي أن نضمن السور الثلاثين التي استلهمتها القصائد بترجمة جديدة ساكتبها مع كاميل ..

هذه الترجمة ستكون بمقارنة خمس ترجمات رسمية للقرآن ثم وضع ترجمة

## بالانكليزية المعاصرة ...

فالمشكلة بالترجمة الانكليزية الأساسية حتى الآن : أنها تتسم بأسلوب قديم من الفخامة و الأبهة ، و هو اسلوب متكلف أكثر مما ينبغي ، و الذي أعنيه : أنها لغة ميقنة ، لا حياة فيها .. و هذا لا يخص الاسلوب المتبع في الترجمات الأساسية الرسمية و التفسير و حسب .. بل يخص مسألة الاقتراب من المعنى . بعبارة أوضح : نفكر أن اللغة الانكليزية جميلة و واضحة و بسيطة .. و ستساعدنا على الاقتراب من معنى الروح القرآني بترجماتنا العصرية ..

و لوضع هذا التفكير في التطبيق العملي الملموس : سوف أضمن بعض ترجمات السور التي قمت بها ، لأعطيكم فكرة عن الكيفية التي يبدو عليها هذا العمل ... و أعتقد بأن ذلك سيعطي كتاب ( سعادة بلا موت ) فائدة أكثر (لأنه يحقق القصد من وجوده ، أليس مسئلتهم من تلك السور ، و يريد أن يعرف بقدره تلك الام الملهمة و خلودها ؟ ) .. من جهة أخرى : لأن الذين قرأوا القرآن من الامريكيين : قلائل .. و أقل منهم لا يزالون على قراءتهم القديمة لما ظهر من تلك الترجمات هناك ..

و بالإجمال ستكون ترجمة هذه السور الثلاثين : موقنة لعملك الكامل تؤصله : لأنك بروح تلك السور كتبت هذه الاناشيد ، أثناء الصيام ١٣٩٦هـ و تتوجه : لأن البذور التي تعيش في قلب الثمار ، لا تحمل أصالة الجذور فحسب بل تحمل كذلك تفتح الفروع و ابتساماتها المستقبلية في الأزاهر و ما يجنى منها للعين و الأنف و الفم و الكيان كله ..

و لنطمئن إلى ترجمتنا المعاصرة هذه ، فسوف نسأل : بعض الشعراء و تلامذة المذهب ( العرفاني - الصوفي ) و اختصاصييهِ الاصوليين : ليرقبوا معنا مطابقة عملنا للأصل ، و من هؤلاء : سيد حسن نصر .. و آن ماري شيميل .. و روبرت بلاي .. و ستيفن ميتشل ..

نحن نريد أن نلفت الانتباه لهذا الكتاب حتي يصبح معروفاً و مقروءاً ( و ستقدر لك أجيال قرائه مغزى اهتمامنا بهذا الكتاب ، الذي هو هدية هادية و كافية ، تهدي إلى الله عبر الموسيقى التي توقظها في حنين القلب إلى حنان الروح .. و مروراً بكتاب الله الموحى تنزيلاً على قلب النبي العربي ، خاتم الانبياء و جامعهم محمد (ص) .. و تكفي عن سائر المحاولات الأخرى ، لأن كل ما نعرفه مهدد بالموت ، و مصحوب بالشقاء .. أما هذا الكتاب : فبشارة قوية تنفي الشقاء و الموت بثلاث كلمات اسم الكتاب ).. لكننا لا نستطيع أن نعطي وعداً محدداً بطباعة هذا الكتاب قبل شعورنا بأنه صار كامل التأليف .. و من المرجو أن يكون ذلك ممكناً إذا استطاعت مؤسسة ثريشولد بوكس دعمه و اخراجه ..

إنني في هاواي : أعمل بكتاب آخر : عنوانه الموقت ( الحاضر الحي ) إنه نتيجة عشر سنوات من الخبرة و الكتابة : لوضع تعاليم الصوفية و معارفها في عالمنا المتحضر .. لا أعرف أين و متى سيطلع و لكن هذا هو الوقت لانتهائه حتى أتمكن من الانتقال إلى حلقة أخرى ..

و من جهة أخرى : نحن ننتظر انتهاء كتاب مولانا جلال الدين الرومي الذي وضعناه : أنا و كميل و الذي يسمى ( فجر الرومي ) و فيه ٣٦٥ قسم ، أخذناها من الكتابين الاولين في المثوي

و ختاماً نعترف : أننا مشغولون ، في هذه الفترة ، بالانتقال حول العالم ، أخذين استراحة من شؤون حياتنا العادية .. و منفتحين للتجديد في كل يوم من أيام الله ..

صديقك المحب و المعجب

كبير



ملف الابداع :

- السيد محمد حسين فضل الله :  
لكي لا تسقط الذاكرة
- الدكتور احمد الوائلي :  
عرس القداء
- الاستاذ ابراهيم جواد :  
زينب الكبرى
- الاستاذ ابراهيم الحسين :  
نبوءة الشعر
- الشيخ حسين احمد شحادة :  
من ذكريات الولي الطاهر

## لكي لا تسقط الذاكرة

---

\*\*\*\*\*

السيد محمد حسين فضل الله

---

لم أقرأ " قانا " في تفاصيلها المأساوية ، مشاهدها الوحشية و في اشلاء الضحايا الممزقة ، و في الرؤوس المقطوعة ، و في عيون الطفولة التي بقيت — بالرغم من الموت - تحرق في حيرة و ذهول و تمتد في تساؤل عفوي لماذا هذا ؟

و لكنني قرأت فيها ، كيف يتحول الانسان الى وحش ينهش الطفولة و البراءة و الطهارة و الفرح في لذة و وحشية حاكمة .

و كيف يتحرك الحقد الأعمى مجنوناً ليقتل الطفل و الشاب و الشيخ و المرأة بدم بارد ، ليس في داخله شيء من نقاء الدم و من حيوية الحياة و لكنه يقتل الحياة و الخير و الفرح و الجمال لتبقى حياته الفارغة من معنى الحب في الحياة .

و كيف تتمرغ كل حقوق الانسان في وحول الشر ، و تسقط القيم الروحية و الاخلاقية في حضيض الجريمة ، و يتقمص الانسان شخصية الذئب الذي لا يعيش توازن الذنوبية في الذناب و كيف تنطلق امريكا ' الدولة الرسمية ' و رئيسها تسجل على الضحايا انهم المسؤولون عن مجزرة قانا لأنهم لم يستجيبوا للانذار الصهيوني بالخروج من أرضهم و لأنهم خضعوا للوهم الكبير ان مركز الامم المتحدة ممكن ان يمنحهم الامن من القتل الوحشي .

لقد قرأت في السلاح الذي قصف الطفولة و الأمومة و الأبوة و فرح الشباب ، كيف تحدث أمريكا عن حقوق الانسان في العالم لتحارب كل معارضيهـا بابتعادهم عن الالتزام بها ، في الوقت الذي تقدم فيه السلاح القاتل لكل محترفي الجريمة من وحوش الصهيونية في فلسطين لتبقى اسرائيل الأكوى في قدرتها على تدمير البشر و الحجر و قتل كل معاني الانسانية في واقع الانسان .

لقد كانت أمريكا هي القاتلة عسكرياً - بيد اسرائيل - و سياسياً بيد كل المساترين في خطوطها السياسية و أمنياً بيد كل أجهزة مخابراتها في كل مكان .

لقد قرأت أمريكا في قانا في وجهها البشع الذي لا يحمل أية نبضة انسانية فرأيت في سياستها سياسة الشيطان الذي كانت كل عقده أن يعيش الانسان معنى الخير في روحه ، و روحية الحق في عقله و حركة العدل في حياته من خلال ما يعيش اشراقه الله في ذاته و أحلام الجنة و مشاعره و لذلك كانت خطتها مزبداً من حركة الجحيم في الواقع في الامن و المياسة و الاقتصاد .

لقد قرأت كل ذلك في قانا التي لم تعد مجرد قرية في جنوب لبنان بل تحولت الى كل بلد تسقط فيه الطفولة على مذبح الاستكبار لتبقى أمريكا سيدة العالم ، و تصبح اسرائيل سيدة المنطقة .

أنا لا اتكلم سياسة في حديث استهلاكي و لكني اتكلم انسانية في حديث المأساة - الجريمة .

لقد تحولت عناقيد الغضب في قانا - الجنوب - الى عناقيد تنزف الدم من عيون الاطفال و الامهات .

و كانت الامم المتحدة - بزعامة أمريكا - تلعب لعبة التمييع للجريمة و كان الانسان في العالم يصرخ و يستنكر و يحتج و لكنه لا يحرك ساكناً في ايلاف المجرم عند حده .

و كانت كل قرارات الاحتجاج في اكثر من منظمة دولية و اقليمية و محلية ، و

تبقى الاشلاء في اكثر من قانا ، و تزداد العلاقات قوة و حيوية و امتداداً مع المجرم لتقوي سياسته و امنه و اقتصاده .

الكلمات للضحايا ، و السلاح و المال للمجرم ، و المهرجانات و الحفلات و المعارض ، و أكاليل الورد على الاشلاء و الصور تحجب عن الانسان وضوح الرؤية للقضية الأساس و يقف المهرجون الذين يرقصون على الحان الدماء القانية و يصفق الجميع و يسدل الستار على المسرح .

و تبقى قانا - في ظلام الليل - قبوراً تنتظر في صباح الفجر الزائرين و الكلمات و الأكاليل ، و يلف النسيان القضية ، و يستغرق الجو في أسماء الضحايا .. و تموت الاسماء و تبقى شواهد القبور في صمت الموت .

لقد قرأت في قانا كيف يضيع الزمن في الفراغ ، و كيف يخنق الحاضر المستقبل و يمنعه عن أن يتنفس و عياً وإيماناً و حركة ، و كيف يجمد الماضي كل التاريخ عند شواطئه ليقف كل نشاطه عنده فلا يتجاوزه الى تاريخ جديد .

انهم يريدون أن يشغلونا بالصورة عن الواقع ، و بالشكل عن المضمون ، و بالحس عن الفكر ، فنستغرق في داخل الضباب الكثيف الذي يحجب عنا وضوح الرؤية حتى لا نرى الاشياء على حقيقتها ، لتتحول قانا الى متحف محنط مليء بالتمائيل دون أن تجد فيه انساناً واحداً ينبض بالحياة .

القصة هي انهم يريدون أن يبقى الجسد و تهرب الروح و أن يمتد الممثلون في ساحة المسرح و يموت الابطال .

هكذا يعملون و يريدون لتبقى قانا مجرد شيء جامد لا يوحي بشيء و لا نبض للروح فيه .

و لكني لا اجد أن قانا تتحرك في عمقها الانساني الباحث عن فجر يفتح فيه ، و عن أرض ينغرس فيها و عن مستقبل يدع فيه لتنتج لا لتستهلك ، و لتصنع السحابة لا لتغيب في الموت و يبقى الانسان في اصلاته و حركيته و انسانيته

يخترق كل الحواجز و يفتح كل المغاور و الكهوف على الشمس التي تطرد الظلام و على الهواء السابح في الفضاء الذي يبعد العفونة عن الواقع .

و يتحول أطفال قانا الذين تجذرت طفولتهم الشهيدة في أعماق الأرض ، الى عيون تحقّق بالتحدي و بكل الذين يقتلون الطفولة في المستقبل لتصب عليهم كل اللعنات و تتحول الى اشباح تطاردهم في اليقظة و المنام و تتحول كل الامهات و كل الآباء الى اشجار انسانية مثقلة بالنتاج الشهي الذي يتمثل بكل البطولات الانسانية المستقبلية الواعدة التي تصنع تاريخ الاحرار على انقاض تاريخ القتل و المجرمين .

اما شباب قانا الذين تحولت نماوهم الى انهار تجري في الأرض الطاهرة لتسقي كل ورودها و أعشابها و خضرتها الطافرة .

أما هؤلاء فانهم تحولوا الى قوة شياوية تتحرك و تتحرك لتتصر على الموت بكل معنى الحياة في الحرية ، و كل روح الانسانية في الجهاد ، و كل عطاء الانسان في الشهادة ليمثل كل هؤلاء في شباب المقاومة في ساحة البطولة و التحدي للاحتلال و تعود قانا من جديد شيئاً في معنى القوة لا الضعف و التحدي لا الخنوع ، و الحرية لا العبودية ، و الخلود لا الموت .

و تبقى شيئاً لا يتمثل في صورة معرض ، او تمثال في متحف أو قبراً في مدفن و لكنه شيء في الانسان كله الذي ينمو و يحيا و يعطي و ينتج و يبذل في العقل و الروح و الحياة .

و تمتد الذاكرة في عمق امتداد الانسان في انسانية الحدث و شلال الدماء و صرخات الحرية ، و حيوية المأساة و يعود الفرج في معنى الحزن ، و الثورة في ضمير الالم و يبقى للذاكرة الكثير من الحلم الكبير الذي ينتظر شروق الشمس في كل صباح ليعطي للانسان - المستقبل - النور و الدفاء و الحرارة .. و الحياة .



و الانسان في كل حركة التاريخ ذاكرة يمنحها كل جيل للجيل الآتي  
و القضية كيف نبدع للآنسان ذاكرته بالفن الهادف و الاحساس بالعطاء  
﴿ فلذكر ان نفعت الذكرى ﴾  
﴿ و ذكر ان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾



إلى شجرة السنديان المتجذرة في أرض العراق و ظلها في دمشق ، إلى  
الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري - الصوت الخالد أبداً لأنه صوت الأرض  
و الإنسان .

## نبوءة الشعر

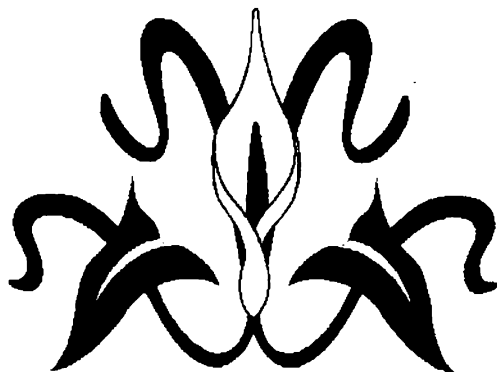
ضمتك تحت جناحيها الشام فتسى      و يافعاً . و ثراها المهد و اللحد  
( و سرت نحوها لا كالمشتهي بلداً )      و قد تسلى لديك الروح و البلد

حملت جرك رعاءً لغوظتها  
أثت راحلة الأسفار متعبّة  
( شممت تريها ) و الريحان مازجها  
( لك القوافي و ما وشت مطارفها )  
تسعون تحتمل الآم ما شفيقت  
تسعون تحملها غص الشباّب فتسى  
تسعون ما و هنت يوماً مقاصدكم  
تسعون تحمل تاج الشعر توقده  
ألهمت للشعر أبراداً مزركشة  
و رحت بين بحور الشعر مرتحلاً  
حملت فوق جناحك العراق دماً  
حملت كل هموم الشرق أحجية  
حملت دجلة و الخابور أغنية  
و ذا الفرات الذي لم ييكه أحد

لما سلّمت و طلل الهم و التكد  
على رباه و قد ضاقت بك البيد  
تبسمت فتغنى الطائر السفرد  
لحن تردده الآكام و النجد  
يوماً جراحك إلا أنكأتها يمد  
ثبت الشكيمة للعباء تجتهد  
حتى تفطر منك القلب و الكبـد  
نيزاك و شموساً كلها جدد  
من كل زاهية عصماء تنفرد  
تسعى إلى الدر لم يغرر بك الزبد  
جراحه نازفات للأسى بـرد  
لواعجاً كشواظ الجمر تنقـد  
أردى دموعهما في الشط تتحد  
بيكي عليك دماً شربانه الصلد

فأَمَك الشام أم و العراق أب  
حملت نفسك هذا الحزن كيف لها  
أضاء عرسك ليل الشام غوطتها  
و قاسيون حباك الكبرياء و قد  
فقدتكم دمشق الشام رايتها  
أكنت تدرك أن الشام خاتمة  
أم كنت تدرك أن الروح هائمة  
و ان يضمك ترب الشام لا عجب  
إنا فقدناك في ساح القريض ولا  
( شمتت تربها لا زلفى ) لقد صدقت  
كلاهما السيف يوم الخطب بنجر  
ان لا تموت و عنها الروح يبتعد  
و أفردتها لك الرايات تنفرد  
سارت إليك عذارى الشعر تحتشد  
عباءة المجد و شاهها لك الأسد  
لرحلة العمر فيها يودع الجسد ؟  
للنيا " زينب " لكن كنت تنفد ؟  
أهل المكارم في أحضانها رقدوا  
غرو فإن ملك الشعر يفتقد  
نبوءة الشعر فاهناً ضمك الأبد

دمشق - علي إبراهيم الحسين



## زينب الكبرى

واشمخي أن ضمّ لخطّ زينبا  
واجطلي النجم المدلى ملعبا  
أم لها يوماً مثلاً أنجبها؟  
ينثرُ العطر الطهور الطيبا  
ومضة من مير فجر قد حبا  
فغزوها الطهر ثراً صديبا  
وتؤدي ما عليها أوجبا  
قد حوتها لم تغادر مطلبها  
وعلى الأحساب باتت كوكبا  
وهي للأخرى صراط مجتبي  
لم يكن قبلاً ليفدي زينبا  
في العراقيين وفي كل الرّبي  
غاب عنها من به العزم كبا  
قد صلي للحرب غضباً أصلبا  
تنذر النقي المصير المرعبا  
قد كذبتم ما بلغتُم ماريبا  
كيف أنفلكتم بشرق مغربا؟  
واتخفتُم درب غي مركبا  
قلنه الطغيان سهلاً أرخبيا  
تطفنوا نوراً لأصحاب القبا

يا ذرى العلياء تيهي كالظبا  
واقفزي فوق الرّبي مزهوة  
واسألني هل ضمّ كونٌ مثلها  
قلبي بان مسكه من عنبر  
قبّة من فيض نور ساطع  
درجت في حضن أصحاب الكبا  
وسرت تمشي على درب العلى  
ليس في الأسباب ما قد فاتها  
فهي في الأنساب من نمل على  
وهي في الدنيا سبيل للهدى  
لم يجزه من جموع الخلق من  
كم لها من موقف في موطن  
سالت في كربلاء ثورة  
سالت والخصم عات مسرف  
وانسرت للبغي في أوكاره  
ساعتهم هل بلغتُم ماريبا؟  
يا أهالي كوفة بغداً لكم  
إنّ تكبّتم طريق المصطفى  
قد جريتم في طريق مهلك  
وخسّتم آل سفيان فلن

وعلت راياته رغم الظبي  
وعن الأرجاس جزنا سنسبا  
وغتت أرواحنا رمز الإبا  
قد ربحتم لو وجدتم مهربا  
في دمانا خوض ذلك أسفا  
وذرارينا كسبتكم منصبا  
عن قريب سوف يمضي فنيها  
للذي يقنيه نكرا طيبا  
مسلك الحق صريحا مسهبا  
عندما كسرى عن الحق صبا  
شاء شاء أم هو الشاه أبى

\* \* \* \* \*

من بيان لاق جيشا لجبا  
وبياتا من فصيح أعربا  
تشبهه مقما أو مكسبا  
لأبى سفيان يتلو مغلبا

\* \* \* \* \*

خو من في الكون أمّا وأبا  
اتبنسى ما تبنّت مذهبا  
وجئت أركانه ربح الصبا  
وأحبسى ما هيبست الموكبا  
الاستاذ ابراهيم جواد

إبه الوجي الذي قد جأنا  
جأنا التطهير من رب السما  
فغدونا تاج عزّ دالسم  
يتا بني سفيان لا بشرى لكم  
كم فريكم لحكمكم إذ خضتكم  
أم ظننتكم إذ قتلتكم قزمتا  
لا ورب البيت ما هذا لكم  
ويعود الحكم في كل الورى  
فيل سيف صارم لا يمتطي  
لم يدم حتى لكسرى ملكه  
سنة الله التي لا تقضي

زينب قد فجرتها ثورة  
جرت حرقا صقيلا ناطقا  
جادلت بالحق لم تلبسه ما  
كشفت للناس نابا جارحا

زينب بنت المعالي والتقى  
سوف أقصو أثرها لا أنثى  
هيبة الإيمان قد خلّت به  
سوف أحصى هامتي في لوعة

## عربي الفداء

الدكتور الشيخ احمد الوائلي

فمتى يحتوي الكبير الصنف —  
و أنا بعض من حوته الدهر —  
كما يلتقي الفراش النور —  
أنت تهدي السنا ونحن نور —  
فلماذا يلام فينا الأسير —  
وقد اختار قاهراً مقه —  
خلفها وانتهى إليك المسير —  
أوغلوا كيفما يكون المصير —  
التبت فيه وتشرأب الج نور —  
عن وجهك الرؤى مسرور —  
حتى يفيق مني الشهور —  
تصلي على صداة العصور —  
لمسة العشق شامها التخدير —  
إن من ذاب في الهوى مع نور —  
هو خال من الأصالة بسور —  
و تمادى بعتمته الديجور —  
قلم الحقد والهوى والسور —  
بعض أوصافه السنا والعير —  
و إلى الآن بالجيوب الكثير —  
يقول إن زج باللهيب البهور

لا تلمني إن خانتني التعبير —  
أنت ملء الدهور حجماً ومعنى —  
بيد أني ألق العشق —  
ولكل منا هنالك نور —  
كنت من يأسر المشاعر قهراً —  
ومتى يؤخذ الأسير اختياراً —  
ركضت خلفك القلوب وسرنا —  
ودروب العشق إن سلكوها —  
سيدي أبا تراب يتدبره —  
أنا فيما ينمي إليك وما ترويه —  
هزني أنثي المنوم في ندياك —  
فتصلي مشاعري عقد محراب —  
أنا ما غبت عنك يوماً ولكن —  
وبمحراب العشق من عاش يدري —  
إن قلباً من عشق وجهك يخلو —  
سيدي كلما تلبد أفـسق —  
وتجنت صحائف خط فيها —  
مر بالكون من رؤاك جبين —  
الجبين الذي أحاطوه شتـما —  
فحباهم غلوا وطيباً كـما

و على مثل النجوم بعــــــــــــــــيد  
و من الشتم للعظيم جنــــــــــــــــاح  
فتمهل أبا تراب فــــــــــــــــدون  
ان شانت بك السما و أفاضــــــــــــــــت  
يا وليدا كانت له الكعبة الفــــــــــــــــراء  
حضنت منه سيفا فكاــــــــــــــــت  
غير أن الاصنام مذ كسرتــــــــــــــــها  
فأصرت تذوده عن مقــــــــــــــــام  
ألعاب البور إن لم تحطــــــــــــــــها  
إتهم أنكروك مهذا و قــــــــــــــــبراً  
ثم ولى الرصاص و المنفع الأهوج  
مضغوا بعده الهوان و صــــــــــــــــاح  
و توقع - و نو الفقار مديــــــــــــــــن -  
اتك الشمس ان تعامت عيــــــــــــــــون  
لا تلمها فان ذلك بدــــــــــــــــيه  
سوف يبقى بكل قلب نقــــــــــــــــي  
سيدي أبا تراب و بــــــــــــــــعض  
ان ترب الاوطان في النود غــــــــــــــــه  
و هذا و الجنوب يؤسر رهــــــــــــــــط  
فنداعو لثورة الحق لمــــــــــــــــا  
عائقوها شهادة في سبــــــــــــــــيل  
و استعاضوا عن الشباب بعقبــــــــــــــــي  
و دعاهم رجيل بدر و أحــــــــــــــــد  
الف مرحي لبنان هذا هو الفتح  
تلاشى الدنيا و تبقى الرساــــــــلات  
ربــــــــوات الجنوب يا أم جزيــــــــن  
ضميء المجد فاستجاب نجــــــــــــــــيع

عن مثال و شتمه ميــــــــــــــــور  
يرتقي فيه للعلا و يطــــــــــــــــور  
الشم من حوله الفضائل ســــــــــــــــور  
أي ضير لو سبك البــــــــــــــــور  
مهذا و بيتاً المعصــــــــــــــــور  
جفنه و هو سيفها المــــــــــــــــور  
يده زم حقداه الموتــــــــــــــــور  
هو فيه اللباب و هي القــــــــــــــــشور  
هالة أم تضل و هي البــــــــــــــــور  
و اصطلت بالرصاص حتى القــــــــــــــــيور  
و الطيش و الحساب القصــــــــــــــــير  
الويل في قلب بيتهم و الثــــــــــــــــور  
أن يلاقك كل ليل هريــــــــــــــــور  
عك او فار غدا التــــــــــــــــور  
هكذا أعين الضغائن عــــــــــــــــور  
لك بيت و موقع و حضــــــــــــــــور  
الترب مما يشف الأثــــــــــــــــور  
يرخص المال و الــــــــــــــــدم المصور  
منك غر ناداهم التحريــــــــــــــــور  
ظلموا و الذليل من لا يثــــــــــــــــور  
الله و ما شاب صفوها تكديــــــــــــــــور  
عند رب نعيمها موفــــــــــــــــور  
فتلاقى مع النفير التــــــــــــــــور  
و هذا سبــــــــــــــــيل المنصــــــــــــــــور  
لواء اللثائرين يشــــــــــــــــور  
و قاتــــــــبا سفاك نوع مطيــــــــــــــــور  
يا بنفسي ذاك التسجيع الطــــــــــــــــور

عب منه انفاح في زهوة الأقبـل  
 أتعـب البغـسي في مدافع اسـرائـل  
 يا لعـرس الفـداء يفتـرح المـجد  
 يا نسيجاً به التـغام أصـل  
 هو لبنان في السما مرج نـجم  
 والشواطئ الزرقاء و الجبل الأخضر  
 و خيرير البنيوع عاتقه المـوال  
 و الاساطير الحمر في القمم الشـم  
 و حكايا الهيام في موسم السـري  
 من منات هوية لبنان اك دومـا  
 ان لي في تراب لـبنـان جنـر  
 قد نماني له و شد عروقـي  
 نسيبة قد عرفتها في نماني  
 فاذا الحزن ممه من روحـي  
 و له مشفق و بيض أمـان  
 و الأمان و الهم و السـدرب أم  
 سيدي يا أبا تراب و يا مـن  
 هجعت حوله الملايين ترجـو  
 سيدي ان يعـد عـنـك قـلم يـب  
 فاحتقر لي على تـرابك شـبـراً  
 لا تنزني و أنت أهلي بعـيـداً  
 ها أنا باسط يدي بـباب

يم و استلهمته صيدا و صـور  
 ما أهرقته تلك التـسـحـور  
 و إن أنقلت عليه المـهور  
 فهو فينا عن الجنان مـفـير  
 و الثرى مرج طرخته الزهـور  
 و السهل منلمس و حـرـر  
 فالتبع ميحنا و نمـسـير  
 تراث تـحتضنه الصخـور  
 تون و الكرم صاغها الناطـور  
 (بلد طيب و رب غـسـفور)  
 أنا فيه مدى الزمن فـخـور  
 فيه جد جد و بيت وقـور  
 عتقوانا يزهو و حباً يـمـور  
 و أصلي إذا اعتراه المـرور  
 أشتهيها له و حب غـيـور  
 أرضعتنا فثديها مشـكـور  
 تـربـه للحدود فرش و ثـمـير  
 و هو في منتهى الرجاء جـديـر  
 عد وجه على القلوب أمـير  
 و حوالي شبر و شـبـير  
 انني للندى الكريم فقـير  
 الكهف حيث للصيد غـنـدك طـور



## زينب في شعر عميد القصيدة الكرملانية

الشيخ حسين أحمد شحادة

سلمته زينب فيض بهاتها فاعتمر السنا و تلقى رؤاها شدواً بنبض السر  
المستودع فيها عالمة عابدة شاهدة شهيدة . ها ما أعظم الشعر يتلظى الوفاء  
الزينبي تحت عرش زينب حروفاً تشب بوقيد الحق على اسمها بنجوى صبايات  
الحياة : بأن الاشياء تعود إلى أصلها و أن الشعر يحن إلى الومضة الباقية ..!  
كذلك جبل الوانلي على حبها و فيه انطوى ارث الازل ازل محمد و أبد الطيبين  
الطيبين من آل بيت محمد .

و على يديه تألقت قصيدة زينب نجمة تضي إلى قمر إلى سماء إلى اعلى  
سماء... أرايتم مصهر الحق في معترك النور و الظلام أرايتم كيف زجاجة  
المصباح و كيف يجادل النور بقايا العتمة يذروها بأبيات ضوء الشعر المتحدر  
من ذاكرة كربلاء و نهر أوجاع التشيع الهائم من قعر الفجيعة المنفجر بلؤلؤة  
الأم ماء على ماء نور على نور حتى إذا قيل أشرق الحزن إلى شوقها نددت  
صرخة الوانلي قريباً من مقام ضونها ذلكم هو الشروق الجديد و زينب تقول  
نفسها في شعره ... وشيجة من عين الرضا على زنايق الكلم الرباني المنتظم  
سحابة وثابة على الاذى تتافح عن حقنا الانساني بالدفاع عن تذكارات الذاكرة و  
عن حق المشاعر بالسفارة عن أسمى ما في زينب من طهارة الذات و سمو  
المعنى المشتبك بنضارة اللغة الملتهبة بقراع الظلم و الظالمين فتهب القصيدة  
سعيّاً وراء اميرتها تجتاز الشجر الباكي و النهر الباكي و الورد الباكي و الغيمة  
الباكية .. و إذن ينفذ البكاء قبل أن تنفذ القصيدة الحوراء لأنها مسكونة بملئى

الطيب الهفاهف العالي الوميع من كلمات الشجر ... و الوائلي فــــي  
ظل أفيائها جذير بتحنانها يرافقه عقداً تلو عقد على مسافات الوجد الحسيني  
المخضب بشفاق العقيلة على وريق صبره و دموع الغربة في عينيه: كلما  
ادلهمت خطوب الذكرى مع غروب العين عن رأس الحسين و غروب القلب  
عن وجه زينب يعود بنا يسافر بنا إلى كربلاء التي غيبت عن ذاتها ليصوغ لها  
بيتاً من الفكر الحر و الضمائر الحرة كيما تنتصب الحرية فيما بعد قصيدة  
رائعة محاكية لقيامة الحسين من جراحه و قيامة زينب من حزنها الأشد و  
صوتها الأبلغ و صبرها العظيم .. فيشير إلى زمزم أن ينحدر صوب أرجل  
صغارنا الظامئين الناحلين من عطش العروبة و الفرات و النخيل .. يا  
اسماعيل زينب هي هاجر الحرية ..! و من نبض هذه الحرية ذاتها يخالج  
أطياف معناها و مداها من أقدم التاريخ إلى منتهى اللوعة عليه في كنف اللغة  
التي تطاوعه و يحتدم بها مضطرباً بقوافيها مليكة في ملكوت الشعر فيغذيه  
بهوى زينب و الحسين حتى يشف و يشف بنشوة الإلهام المصطلّي بشفاه  
الانبياء و الاخضر المزدهي المزهو بالخصب من نبوءات الحزن الشامخ  
المقدس على مجرى الشمس و أفلاك الاقاليم : هو ذا السر المستودع في  
الشرابين المسفوحة ضوءاً من دم محمد و آل محمد .

قبل ديوان الوائلي كان ثمة كلام متشائم مثل غراب ينعى القصيدة الكربلائية  
بالتشابه و التكرار و النضوب لأنها تحولت إلى نسخ نمطية تعيد الصورة  
المستهلكة في تعب اللغة المجهدة و انطفاءات جذوة التاريخ .. بيد أن شاعر  
الحسين و زينب أعاد صوته الضائع ليخرجها من صخب الحناجر إلى دهشة  
الابداع و هياج الألق الشجي المقمر اللوام الهاتف : أن سلالة العذاب المتفتح  
اخضراراً و زرقة سماوية صافية بصوت زينب ... لن تقطع على مفارق  
الهزيمة و الفشل أو فراغات الهباء الهامد البارد المثلوج من تقطع القصيدة

الواحدة بين أجيال الشعراء المتساقطين صرعى في حلبات التنافر على الحداثة الشعرية و التنازع العقيم بين قديم و جديد .. و لأن الوائلي زينبي الشعر و الرؤية و التوجه و الانتماء لم يكتف - القصيدة الكربلانية - بوح حبيبته فتوهجت غربته بجمرة القلب في زمن أسدلت عليه ستائر الخوف و الرعب من مبعث القصيدة و الشعر و الروح .. تتعدد القصيدة و يوحدتها الوائلي في مجمع اللظى و نحيب الابتهاال و وجد زوارها العاشقين القادمين بفطرتهم إلى مشتهى العفة في كتاب الكرامة و مطلع صوتها البالغ الحزن و الصبر في كتاب العنقوان . أو ليس يفرغ عن صوتها أو ليست تفرغ عن صوت علي و فاطمة و جميعاً جميعاً يفرغون عن صوت محمد صلى الله عليه و آله و سلم .

أقول أن الوائلي هو شاعر زينب أي شاعر المكابرة على جلوة الصبر و الورد بمعن في حمرته توريداً في زمن اصفرار المواقف و اصفرار الثقافة و اصفرار الخنوع الكالح على وجه العرب لكنما الوائلي يتقد برجيح البلاغة الزينية و صداها خفق لغة و خفق قلب و خفق شلال منهمر بمرارات غصص الغرباء .. فكيف لا يكون هذا المسكون بالأمها شاعر الاحتجاج الحسيني بلا منازع و شاعر الحرية المضامة المصفدة في قاع البلادة بليالها الرعاء و حلك الصامتين في ظلمات النفي و العذاب ...

و كأنما الوائلي الصابر يرتجل الهوى و يحمي عيوننا عن مقتل القصيدة أو انتحارها في ذل البكائيات و النحيب إلى عز جيبن الرثاء الحافل بتحريض الجرح على الرفض و الانتصار كذلك و هو العف الأبى يتجاوز ملوحة القصيدة النادبة النواحة الى إباء الشريف الرضي و الكميت بن زيد و صفى الدين الحلبي و اتقاً من فصاحة التمرد و سحر القلق الخارج عن مألوف الرثاء ... و الوائلي على ذلك كله لا يخفي عنا شهب اللوعة بحقيقة المأساة يضاعفها

كيما تتكاثر على ضفاف احلامنا المنكسرة الباحثة عن مفتاح المعنى من مفهوم  
- كل مسيبة زينب - و كل أرض كربلاء -

و بروح النجف الشاحبة في قمر وجهه يتجرع الوائلي غم الفراق عن الأمومة  
و الوطن فتكاشفه زينب بحالات القهر الذي لم يغيب يوماً عن العراق .. وكأني  
به يقارن بين حاضر السبايا و أمسهن الملطخ بجاحم الظلم .. لافرق يــــا  
مولاي بين النساء السبايا و سبي الأوطان .. لا فرق بين تلك الوجوه التي  
انكشفت بعصف اللهب الصحراوي و بين أوطاننا المغربية في مهب الريح و  
عصف الاستلاب .

فانزف أعصابك يا أخي إما اختلج وجه زينب مذعوراً بالشرق من جهات البغي  
و الأساطيل .. و قل لي كيف يصد النوء و جهي المعذب بهواها ثم قل لي كيف  
أدرا عن الطفولة الاتنى و عن الأثنى الأرض و القدس عسف المخالب و  
الجلادين .

و أنت أيها العربي النجفي العريق الناهل من لغة الصبر و الايمان ... دلني  
على جدائل شمسها كيما استقيق من راعفات جرحي منسكباً في ليل الصلاة  
طالعاً من ضحاها لأجدد ميقات العقيدة و محجة النور العلوي بالسر المستودع  
فيها على كف الخلود ... نور على نور محمد و آل محمد هي لوعتي و  
لوعتك و لولا دمشق التي زينبت رؤانا و هوانا شرذني الظلم و شردك فامض  
الى سقايتها و إلى سيفنا اللامع الرائع في سوح الوغى و استنهض القصيدة  
اجيلاً بلفح العيون الغاضبة أيها الممتنع بغضب الحسين و غضب السيدة عن  
الدرك الأسفل من كثران هذا العالم و انيايه القاسية المتوحشة ..

بلى يا شاعر الحوراء .. راغبون بسماعك منتظرون لاتسياب وجدانك  
الشاعري مذوباً في قلوبنا صافيات المنى من قلب زينب كلما توسط قمر  
النصف من شعبان ... استدار الشعاع الطالع من حنين قبتها ملائكة من النجوم

الزهر ... تبارك للنديا شفاء صدر الحسين بفجر بسملات المهدي و صباحات  
يومه الذي سيملا الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً "   
خذني أيها الولي الطاهر إلى ظل مقامك ... و خذني إلى حضنها أو ليست  
الانصارية منذورة مثل جيرانها على قمة البحر لقمة وعده الواعد الآتي من  
جميع الجهات : اللهم كن لوليك القائم ناصراً و عيناً و دليلاً.

#### العدد القادم من المعارج

- الامام السيد محمد حسين فضل الله
- ومشكلات الكتابة التاريخية عند المسلمين
- نحو تفسير موضوعي للتاريخ
- دراسات التاريخ الاسلامي: الاشكالية والمنهج
- الحلقة المفقودة بين تاريخ المذاهب و تاريخ  
الامة
- مفهوم الوقت و الأرض و الانسان و القيم
- الذاكرة و الذكريات
- التاريخ في الخطاب الاسلامي المعاصر





## مَشْرُوعُ مَجْمَعِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ (ع) لِلْمَعْلُومَاتِ وَالْأَبْحَاثِ

كانت السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع) سيدة نساء عصرها علماً ودينياً وتقوى حتى عرفت بالسيدة العالمة، ولا غرو أن تكون كذلك، فهي سليمة البيت النبوي وبنت الإمام علي (ع) باب مدينة علم رسول الله (ص) بنص الحديث النبوي، وهو من سنّ الفصاحة لغريش. وقد اقتبست السيدة زينب (ع) عن أبيها العلم والفصاحة وحصافة الرأي، فكانت بحق نموذجاً رائعاً للمرأة المسلمة، عالمة ومجاهدة وسيدة بيت.

ولإيماناً من لجنة الإشراف على المقام بأن يكون لمقامها الشريف دوراً علمي رائد يستمد إمداده من دورها المميز في حياتها، فقد تقرر أن يحدث في المقام مجمع السيدة زينب للمعلومات والأبحاث متخصص بآل بيت رسول الله عليهم السلام، حيث سيقوم بجمع المخطوطات والكتب والدوريات التي صدرت حول آل البيت الكرام ليكون موثلاً للباحثين في كل دراسة وبحث يتعلق بالبيت النبوي الشريف.

وقد عملت لجنة الإشراف على أن تسهل للباحثين حصولهم على المعلومات المتعلقة في موضوع بحثهم، فعمدت إلى فهرسة كامل المواد المعلوماتية مستخدمة نظام (ديوي) العالمي ومستعينة بالحاسوب (الكومبيوتر) ليتيسر للباحثين الحصول على أدق معلومة من مصادرها المختلفة.

كما تم اختيار موقع مناسب للمجمع في الجهة الشرقية الشمالية من صحن المقام حيث سيضم قاعة الباحثين ذات الرفوف المفتوحة التي تحوي أهم المصادر والمراجع، ومستودعاً يضم باقي الكتب والدوريات، التي تقدم للباحث حال طلبها وذلك وفق فهرس متنوعة أعدت لهذه الغاية، وامتدى للباحثين حيث سيخصص لمناقشة البحوث التي سيكلف الباحثون بدراستها أو سيبدرون بأنفسهم بإعدادها.

وقد قدمت لجنة الإشراف هيكل البناء وتبرع المحسن الكريم الحاج فهد دايع بإكساء البناء وتجهيزه بالأثاث والتجهيزات اللازمة.

وقد وضعت كامل المخططات الفنية لأقسام المجمع، وانجزت أعمال التنفيذ من ديكور وتجهيزات، ووضع نظام داخلي له، وتمت تهيئة كافة السجلات المتعلقة به، لتنظيم استلام الكتب والمخطوطات الواردة إليه، وذلك لتنظيمها حسب الأصول المعتمدة في علم المكتبات.

إن لجنة الإشراف على مقام السيدة زينب(ع) ليسعدها أن تضع بين أيدي المهتمين بهذا المشروع ملخص النظام الداخلي لمجمع السيدة زينب(ع) للمعلومات والأبحاث متوخية من كافة المؤسسات والمكتبات ودور النشر والعلماء والباحثين والتبرعين رفد هذا المجمع بالمصادر والكتب والوثائق والمخطوطات بها يؤدي إلى تمكنه من أداء الغاية المرجوة منه على أحسن وجه، كما وترحب بكل تعاون أو مساهمة في سبيل تطوير هذا المجمع.

نسأل المولى عز وجل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، وأن يأخذ بيدنا لاستثمار هذا المشروع لتحقيق الغاية التي أحدث من أجلها وإنجاز مشاريع المقام الأخرى بالشكل الأمثل، وأن يلهم الغير الخلف مشاركتنا في الأجر والثواب إنه سميع مجيب.

لجنة الإشراف على مقام السيدة زينب(ع): متوليا المقام السيدان

المهندس رضا مهدي مرتضى

الدكتور هاني محسن مرتضى

# التَّظَاهِيرُ الدَّاخِلِيَّةُ لِمَجْمَعِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ (ع) للمعلومات والأبحاث

## أولاً - أهداف وظائف المجمع :

يهدف المجمع إلى جمع التراث الفكري والديني والتاريخي المخطوط والمطبوع لآل البيت النبوي عموماً والسيدة زينب خصوصاً، باللغة العربية واللغات الأخرى، إضافة إلى متابعة الإصدارات الحديثة في هذا المجال.

ويقوم المجمع بحفظ هذه المجموعات وفق أحدث الطرق الحلقية مستعيناً بأفضل الخبرات والتجهيزات الحديثة، بما فيها استخدام الحاسوب، بغية وضعها بمتناول أيدي العلماء والباحثين، للتعريف بها ونشرها وإغنائها بالبحث والتحقيق، واستثمارها بشكل أمثل، في سبيل تعزيز وحدة الأمة، وتعميق فهمها لتراثها فهماً علمياً وتأسيس صلتها به.

يضم المجمع مستودع الكتب، وقاعة الباحثين، ومنتدى الباحثين :

### (١) مستودع الكتب :

يجوي أوعية المعلومات التالية :

أ - مخطوطات «أصلية ومصورة» .



- ب - صور مخطوطات على ميكروفيلم .
- ج - مخطوطات حديثة .
- د - كتب .
- هـ - وثائق .
- و - دوريات وصور لمقالات من دوريات .
- ز - مواد سمعية بصرية

ويقوم المجمع بحفظ هذه المجموعات ضمن المستودع والعناية بشكلها المادي وخاصة المخطوطات والوثائق القديمة، واستخدام أحدث الطرق والمناهج العلمية المكتبية لتنظيم هذه المجموعات وتصنيفها، وإنشاء الفهارس المتنوعة والبيبلوغرافيات والكشافات والأدلة، كما سيتم استخدام الحاسوب في هذه العمليات، بعد إدخال المعطيات المتخصصة وبرمجتها وفق خطط محددة مرتبطة بالمهام والوظائف التي أنشأ المجمع من أجلها.

كما سيقوم المجمع بإنشاء بنوك معلومات متخصصة ومختلفة في مجال تخصصه لتكون في خدمة الباحثين .

## ٢) قاعة الباحثين:

وهي قاعة ذات رفوف مفتوحة تحوي أهمّات المصادر والمراجع بقية استخدامها المباشر من قبل الباحثين إضافة لما يطلبونه من مصادر وكتب من مستودع الكتب الملحق بالقاعة .

والقاعة مفتوحة حصراً أمام الباحثين المتخصصين من كافة أنحاء العالم للاستفادة من مجموعات وخدمات المجمع في مجال الدراسات والبحوث وفق النظام المحدد له، وهي مجهزة بكل ما يلزم الباحث ويعينه على إنجاز عمله .

وهي قاعة تتيح للعلماء والباحثين إقامة الندوات والمحاضرات في مجال تخصص المجمع وفق خطة تحددها لجنة الإشراف على المقام .

يتعاون المجمع مع العلماء والباحثين على إجراء أبحاث ودراسات في مجال تخصصه، بما فيها تحقيق المخطوطات وإقامة الندوات، بغية إغناء تراث أهل البيت بالبحوث العلمية المبتكرة، اعتماداً على المادة المعلوماتية الغنية التي ستوفر في هذا المجمع .

كما مواصل المجمع مع جميع المراكز والمؤسسات والمكتبات وكافة الجهات المعنية بمجال تخصصه في كافة أنحاء العالم، و يعاون معها من أجل الحصول على المخطوطات والوثائق والمطبوعات سواء عن طريق الشراء أو الإهداء أو التبادل .

يقوم المجمع بتأمين الخدمات المكتبية والمعلوماتية للباحثين المقيمين خارج القطر في إطار التعاون معهم، ومع المؤسسات العلمية والثقافية التي لها اهتمامات مشتركة في مجال تخصص المجمع .

سيكون هذا المجمع نموذجاً شاملاً ومتكاملاً وفريداً من نوعه في مجال تخصصه وسوية خدماته وفق أحدث الأساليب العلمية في حقل الخدمات المكتبية والمعلوماتية والأبحاث .



## ثانياً - البنية التنظيمية للمجمع:

١ - يشرف على إدارة المجمع والعاملين فيه، «مسؤول متخصص» تعينه لجنة الإشراف على المقام، ويمكن له أن يستعين بالخبرات الفنية والاستشارات العلمية للمتخصصين بموافقة لجنة الإشراف.

٢ - يتكون المركز من الأقسام التالية:

أ - قسم الشؤون الإدارية والفنية:

يقوم بوضع خطة عمل سنوية، وخطة استشارية، ويشرف على تسيير أعمال المجمع، وتنسيق العمل بين العاملين فيه.

ب - قسم الأعمال المكتبية الأساسية:

يقوم بتزويد المجمع بكافة أوعية المعلومات وفق خطة التزويد، وذلك عن طريق الشراء والهدايا والتبادل ومتابعة الإصدارات الجديدة وتنمية مجموعات المجمع من المخطوطات والكتب النادرة والوثائق، والقيام بأعمال التصنيف والفهرسة، وإنشاء الفهارس، وحفظ مجموعات المكتبة، والقيام بأعمال التجليد والترميم لها، وذلك بإشراف متخصص بالمكتبات.

ج - قسم الإعارة:

تنحصر الإعارة ضمن قاعة الباحثين فقط ولا يسمح بالإعارة الخارجية مطلقاً ويتم الإعارة من المستودع إلى قاعة المطالعة وفق سندات إعارة خاصة وتحدد أعمال قسم الإعارة بما يلي:

- الإشراف على مستودع الكتب وتنظيم وحفظ الكتب فيه بشكل جيد.

- الإشراف على قاعة الباحثين، وتأمين النظام والهدوء فيها ومراقبة حسن استخدام الكتب أثناء فترة المطالعة والتأكد من عودتها إلى

- المستودع في نهاية الدوام اليومي .
- تأمين مختلف الخدمات المكتبية للباحثين، ومساعدتهم في الوصول إلى مراجعهم في قاعة الباحثين .
- الإشراف على خزن الفهارس ومساعدة الباحثين على الاستفادة منها .
- تزويد الباحثين ببطاقات دخول خاصة إلى قاعة الباحثين .
- ينحصر الدخول للمستودع بالعاملين بالمجمع دون غيرهم .
- يشرف على أعمال الإعارة :
- أمين قاعة متخصص مكتبياً، وينفذ الأعمال الموكلة لهذا القسم في القاعة .
- أمين مستودع متخصص مكتبياً، وينفذ الأعمال الموكلة لهذا القسم في المستودع .
- د- قسم الخدمات المكتبية والمعلوماتية والبيبليوغرافية والتوثيق والأبحاث العلمية :
- تحدد مهام القسم بما يلي :
- إدخال المعطيات عن مجموعات المجمع إلى جهاز الحاسوب، وبشكل أساسي الفهارس المكتبية، تمهيداً لوضعها في خدمة الباحثين، ومن أجل تسهيل الوصول إلى المعلومات المطلوبة من قبلهم بأسرع وأفضل الطرق العلمية .
- إنشاء بنوك معلومات متخصصة ومختلفة، متعلقة بمجمل عمل المجمع (مثل تراجم عن آل البيت، ملخصات تاريخية لموضوعات محددة، آثار آل البيت في موضوع محدد) لوضعها في متناول يد الدارسين والباحثين .

- توثيق المعلومات المتوفرة في مجموعات المجمع والإستفادة منها من أجل إنشاء البيليوغرافيات والكشافات والأدلة، وذلك اعتماداً على الحاسوب.

- إقامة الاحصائيات عن رواد المجمع وحركة المطالعة والبحث فيه.

- التعاون مع الباحثين في إقامة أبحاث علمية ضمن أهداف المجمع ومهامه.

هـ - قسم النشاط الثقافي والإعلام:

يقوم هذا القسم بالأعمال التالية:

- أ - وضع الخطة السنوية للندوات والاحتفالات والمعارض التي تتم في قاعة المنتدى ومتابعة تنفيذها.
- ب - استقبال الضيوف والوفود الرسمية التي تزور المجمع وتعريفها بنشاطاته.
- ج - وضع كتيبات وتقارير سنوية عن أعمال المجمع ونشاطاته.
- د - وضع خطة إعلامية للتعريف بالمجمع في أوساط الدارسين والباحثين وفي المراكز الثقافية والأكاديمية والمكتبات في كل أنحاء العالم.

**ثالثاً - الجهاز العامل في المجمع:**

تحدد لجنة الإشراف على المقام عدد العاملين في المجمع وتوزع المهام المناطة بكل منهم وذلك وفق اطراد العمل في المجمع وتوسع خدماته.

**هـ عنوان المجمع:**

مقام السيدة زينب.

ص. ب: ٣٤١٦.

هاتف وفاكس ٦٤١٥٤٤٣

دمشق - الجمهورية العربية السورية.